سلسلة الرسائل الجامعية
(٥)

القرآن الكريم

ومنزلته بين السلف ومخالفيهم

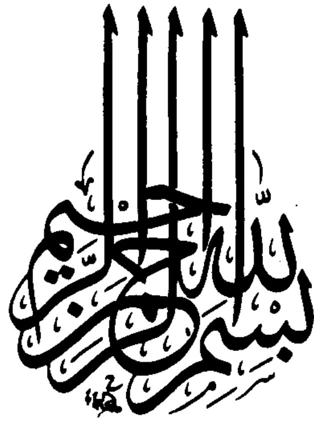
دراسة عقدية

تأليف
محمد هشام بن لعل محمد طاهري

تقديم
أ. د. محمد بن عبد الرحمن الخميس
أستاذ العقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

المجلد الثاني

دار التوحيد للنشر
الرياض



البَابُ الثَّالِثُ

مَنزِلَةُ القُرآنِ الكَرِيمِ عِندَ السَّلَفِ

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: بيان فضل القرآن الكريم، ووجوب تعظيمه.

الفصل الثاني: طريقة السلف في فهم القرآن، والاحتجاج به.

الفصل الثالث: جهود السلف في حفظ القرآن.

الفصل الأول

في بيان فضل القرآن الكريم ووجوب تعظيمه

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: فضل القرآن الكريم.

المبحث الثاني: تعظيم القرآن الكريم.

المبحث الأول: فضل القرآن الكريم

إن العقيدة السلفية نابعة من الكتاب والسنة النبوية، ولما كان المعتقد نابعا من القرآن الكريم وما جاء في سنة النبي الكريم ﷺ عرف أصحابها عَظَمة كلام الله ﷻ على كلام من سواه، كيف وفضل القول يكون بفضل قائله، كما أن فضل الصفة يتبين بفضل الموصوف به[(١)]؛ فيعتقد السلف الصالحين، بأن فضل القرآن عظيم، وأن كلام الله ﷻ لا يماثله كلام، ولهذا قدموه قولا وعملا، واحتجاجا وتعبدا، وتتبين هذه الفضائل من خلال المطالب التالية.

المطلب الأول: الأدلة في بيان فضل القرآن.

الأدلة في بيان فضل القرآن الكريم كثيرة متوافرة، سواء من نصوص القرآن الكريم نفسه، أو من نصوص السنة المطهرة[(٢)]، وأذكر بعض الأدلة لبيان فضل القرآن الكريم، ومنها:

١-قال ﷻ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[المائدة: ٤٨] فالتوراة، والإنجيل، والقرآن جميعها كلام الله، والقرآن

(١) انظر: المجموع ١٧/ ٢٠٩.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٧.

أفضل الثلاثة، فلذلك كان له الهيمنة على الكتب السابقة، وإليه المرجع في الأحكام اللاحقة، والشرعة والمنهاج لا بدّ أن يكون منه مأخوذا، والرأي والمرجع إليه أبدا.

٢- قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾[الزمر: ٢٣]، «فأخبر أنه أحسن الحديث، فدل على أنه أحسن من سائر الأحاديث المنزلة من عند الله، وغير المنزلة»(١).

٣-قال الله ﷻ: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾[يوسف: ٣]، فكل ما أوحاه الله ﷻ هو من أحسن القصص، وليس هذا خاصا بسورة يوسف؛ لأنه قال: ﴿ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾؛ فإذا كانت القصص القرآنية أفضل القصص، دل على أنه أفضل من غيره، بكل حال، وهذا هو اعتقاد السلف(٢).

٤-قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾[الحجر: ٨٧] قيل المراد بالسبع المثاني الفاتحة، وسواء أريد به الفاتحة أم غيرها، فإن القرآن وصف بأنه عظيم وذلك يدل على فضله العميم، إذ وصف بهذا الاختصاص، على عكس ما لم يوصف بذلك(٣).

٥-ومما يدل على فضله، ويُذكّر بشأنه، كونه كتاب هداية، وآياته مشاعل نور، قوله ﷻ: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣]، وقوله ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ

(١) المجموع ١٧/ ١١.
(٢) انظر: المجموع ١٧/ ٣٩.
(٣) انظر: المجموع ١٧/ ١١.

مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾[الشورى: ٥٢-٥٣].

٦- قوله ﷺ: [**خير الحديث كتاب الله**]. وهذا واضح في التفضيل.

٧- قال ﷺ: [**إن مثل ما بعثني الله به ﷻ من الهدى، والعلم، كمثل غيث أصاب أرضا، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء؛ فأنبتت الكلأ، والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء؛ فنفع الله بها الناس، فشربوا منها، وسَقوا، ورعوا، وأصاب طائفة منها أخرى، إنما هي قيعان: لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ؛ فذلك مثل من فَقُه في دين الله، ونفعه بما بعثني الله به فعلم وعلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به**][1]، فشبه النبي ﷺ الوحي الذي جاء به بالماء الذي به حياة الأبدان، وما جاء به من الوحي فيه حياة القلوب في الدنيا والآخرة[2]، وهذا يدل على فضل عظيم، إذ كان به حياة الإنسان، حياة تنجيه من النيران، وتقيه الخسران، وتولجه الجنان.

٨- جاء مرفوعا: [**فضل كلام الله على سائر الكلام، كفضل الله على خلقه**][3]، وقد بوب به البخاري رحمه الله حيث قال: «باب: فضل القرآن على سائر الكلام»[4].

٩- يدل على فضل القرآن الكريم أن الاغتباط متعلق به، فلا يغبط إلا صاحب القرآن العامل به، أو صاحب المال المنفق في سبيل الله، وبهذا يصدق من قال: نعم القرآن لتاليه، والمال لباذليه، وقد بوب البخاري رحمه الله في كتاب فضائل القرآن، بباب

---

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب/ فضل من علم وعلَّم، ح(٧٩)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب/ بيان مثل ما بُعث به النبي ﷺ من الهدى والعلم، ح(١٢٨٢)، كلاهما عن أبي موسى ﷺ، واللفظ لمسلم.

(٢) انظر: نقض المنطق ص٣٦.

(٣) رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن غريب»، ورواه الدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب/ فضل كلام الله على سائر الكلام، ح(٣٣٥٦) عن أبي سعيد الخدري ﷺ، وقال الحافظ عن إسناد الترمذي: «ورجاله ثقات، إلا عطية العوفي ففيه ضعف»، ثم ذكر شواهده ومتابعاته، ثم ذكر أن الثابت هو الموقوف. انظر: الفتح ٨/ ٦٨٤.

(٤) انظر: صحيح الإمام البخاري ص١٠٩٢، كتاب فضائل القرآن، باب/ ١٧.

في اغتباط صاحب القرآن[١]، ليبين أن هذا من فضائل القرآن إذ كان فيه الاغتباط، وأورد تحته حديث عبد الله بن مسعود ﷺ مرفوعا: [**لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن، فهو يتلوه آناء الليل، وآناء النهار، فسمعه جار له، فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل، ورجل آتاه الله مالا؛ فهو يُهلكه في الحق، فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل**][٢].

١٠- ومما يدل على فضل القرآن الكريم أن السلف فضلوه على الذكر المطلق[٣]، وجاء في الأثر: [**من شغله القرآن وذكري عن مسألتي، أعطيته أفضل مما أعطي السائلين**][٤]، ولهذا قالوا: «ما تقرب العباد إلى الله بأفضل مما خرج منه»[٥]؛ فالقرآن أفضل الأذكار، وأعظمها[٦].

١١- ومما ينبغي أن يذكر في فضائل القرآن، أن من تعلمه، أو علمه فهو خير الناس، كما قال سيد الناس ـ عليه الصلاة والسلام ـ: [**خيركم من تعلم القرآن، وعلمه**].

١٢- أن النبي ﷺ أخبر أن من فضائل القرآن كونه يرفع العالم العامل به، قال ﷺ: [**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما، ويضع به آخرين**].

١٣- ومما يدل على فضله، كثرة فضائله، وعظيم شمائله، وحميد صفاته، ومجيد أسمائه[٧]، قال علي ﷺ: [**كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في**

---

(١) انظر: صحيح الإمام البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ ٢٠، ص١٠٩٣.

(٢) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ اغتباط صاحب القرآن، ح(٥٠٢٦)، وروى نحوه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب/ فضل من يقوم بالقرآن...، ح(٨١٦).

(٣) انظر: مختصر الفتاوى ص ٩٦.

(٤) هو صدر حديث: [**وفضل كلام الله على سائر الكلام**].

(٥) شرح العمدة ١/ ٣٨٨، وقد سبق تخريج الأثر بلفظ [**فإنك لن تتقرب إلى الله**].

(٦) انظر: الفواكه الدواني ٢/ ٣٣٦.

(٧) وقد ذكرت أسماء وأوصاف المصحف القرآن الكريم، وكثرة الأسماء تدل على كثرة الفضائل، فانظر إليه إن شئت، الفصل الرابع من الباب الأول.

غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا تنقضي عجائبه، ولا تشبع منه العلماء، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم](١).

١٤- أن السلف كانوا يحرصون على البدء بتعلم القرآن الكريم، لما رأوا من فضله العميم، وعرفوا قدره العظيم، فكانوا يأمرون بحفظه، ويوصون بتلاوته، ويحثون على مذاكرته، قال شيخ الإسلام رحمه الله في إجابة لسؤال عن أيهما أفضل حفظ القرآن أو طلب العلم: «طلب حفظ القرآن: فهو مقدم على كثير مما تسميه الناس علماً - وهو إما باطل، أو قليل النفع -، وهو أيضا مقدم في التعلم في حق من يريد أن يتعلم علم الدين من الأصول والفروع؛ فإن المشروع في حق مثل هذا في هذه الأوقات، أن يبدأ بحفظ القرآن؛ فإنه أصل علوم الدين، بخلاف ما يفعله كثير من أهل البدع من الأعاجم، وغيرهم، حيث يشتغل أحدهم بشيء من فضول العلم، من الكلام، أو الجدال، والخلاف، أو الفروع النادرة...، ويترك حفظ القرآن الذي هو أهم من ذلك كله»(٢)، وقال أيضا: «وكلام الله لا يقاس به كلام الخلق؛ فإن فضل القرآن على سائر الكلام، كفضل الله على خلقه»(٣).

١٥- أن العلماء الفضلاء، المتبعين لسنة سيد الأنبياء، كلهم إذا صنفوا في الآثار، لا يفوتهم التنويه بباب مختار، يذكرون فيه فضائل القرآن بما ورد من الأخبار، فيبوبون بذكر فضائله، وينوهون بما ورد في بيان مآثره(٤)، بل ألف فيه النبلاء مؤلفات،

---

(١) رواه الترمذي؛ كتاب فضائل القرآن، باب/ ما جاء في فضل القرآن، ح(٣٠٧٠)، والدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب/ فضل من قرأ القرآن، ح(٣٣٣١)، والبغوي في شرح السنة ح(١١٨١) كلهم رووه مرفوعا، وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وقد وهم بعضهم في رفعه، وهو كلام حسن صحيح». انظر: فضائل القرآن ص ١٥.

(٢) المجموع ٢٣/ ٥٤.

(٣) المجموع ٢٣/ ٥٥.

(٤) انظر مثلا: صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، من ص١٠٨٤-١٠٩٩، ومسلم، كتاب الذكر =

وانتشر في هذا الباب مصنفات، وهي كثيرة في القديم والحديث[1].

والقرآن عند أهل السنة له فضل كما تبين، وهو في نفسه بعضه أفضل من بعض، وهذا ما أبينه في المبحث التالي.

=

والدعوات، باب/ فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ص١٠٨٢.

(١) انظر: مثلا كتاب فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام، وفضائل القرآن لابن الغرس، وفضائل القرآن للفريابي، وفضائل القرآن لابن كثير ـ رحمهم الله ـ.

المطلب الثاني: مفاضلة القرآن بعضه على بعض.

ومما يدل على فضل القرآن الكريم، ما فيه من السور والآيات التي لها فضائل ومزايا، فهذا يدل على فضله أيضا.

وأما مفاضلة القرآن الكريم بعضه على بعض، من حيث أن قراءة هذه السورة أعظم من هذه كما ورد في الشرع، أعني التفضيل في القراءة لا في المقروء، وفي عمل العبد، لا في كلام الرب، مما لا نزاع فيه بين السلف والخلف[(١)]، **وإنما وقع النـزاع بين السلف والخلف في كلام الله تعالى ـ من حيث كونه كلاما، من غير نظر إلى القراءة والتلاوة ـ هل يتفاضل أم لا؟...**

فالسلف ما زالوا يعتقدون بأن كلام الله ﷻ يتفاضل بعضه على بعض، وهذا هو اعتقاد من استسلم للوحيين، ونطق بما في الكتاب والسنة الثابتة بغير مين؛ فإن القرآن والسنة يدلان على تفاضل كلام الله ﷻ القرآن[(٢)].

والتفضيل لأحكام توجبه المعاني في نفسها، لا من حيث أنه كلام؛ فإن الكل كلام الله ﷻ، وإن قيل: إن التفاضل لا لمعنى، فهذا يوجب ترجيحا بلا مرجح للمتماثلين، وهذا خلاف ما علم في دين الله ﷻ، بل هو خلاف الشرع والعقل[(٣)].

وهذا يؤكد أن التفضيل كان لمعنى مقترن بالكلام نفسه، لا لأمر خارج عنه، وأسرد بعض الأدلة الدالة على أن القرآن الكريم بعضه أفضل من بعض، وإن كان كله ذو فضل؛ فإن الفضل مراتب، كما أن الحسن مراتب، وسرد هذه الأدلة هو من باب تحصيل الحاصل لأن الدلالات في ذلك ظاهرة مشهورة[(٤)]، ومن هذه الأدلة:

---

(١) انظر: المجموع ١٧/ ٥٢، ٦٠.
(٢) انظر: مختصر الفتاوى المصرية ص٩٩، الجامع لأحكام القرآن ١/ ٧٨.
(٣) انظر: المجموع ١٧/ ١٢.
(٤) انظر: المجموع ١٧/ ٥٧.

١ - قول الله ﴿ : ﷻ ما ننسخ من ءاية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ﴾[البقرة: ١٠٦][1] «فأخبر أنه يأتي بخير منها، أو مثلها، وهذا بيان من الله لكون تلك الآية قد يأتى بمثلها تارة، أو خير منها أخرى، فدل ذلك على أن الآيات تتماثل تارة وتتفاضل أخرى»[2].

٢ - قال تعالى: ﴿ ولقد ءاتينك سبعا من المثاني والقرءان العظيم ﴾[الحجر: ٨٧] فالله ﷻ قابل سورة الفاتحة بجميع القرآن مما يدل على فضلها، «وهذه حقيقة لا يدانيها غيرها فيها...، ولأنها تسمى أم القرآن، وأم الشيء أصله، ومادته»[3].

٣ - قال ﷻ: ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرءان وإن كنت من قبله لمن الغفلين ﴾[يوسف: ٣] فسماه أحسن القصص، ومعلوم أن هذا يدل على التفضيل.

٤ - قال تعالى: ﴿ واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون ﴾[الزمر: ٥٥] وقال تعالى: ﴿ فبشر عباد ۝ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هدىهم الله وأولئك هم أولوا الألبب ﴾[الزمر:١٧-١٨] فدل على أن فيما أنزل الله ﷻ منه ما هو حسن، ومنه ما هو أحسن[4]، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فقد أمر المؤمنين باتباع أحسن ما أنزل إليهم من ربهم، وأمر بني إسرائيل أن يأخذوا بأحسن التوراة،... ولا ريب أن القرآن فيه الخبر، والأمر بالحسن

(١) وقد ذكر القرطبي رحمه الله في تفسيره أن الإمام مالكا رحمه الله كره تفضيل بعض القرآن على بعض، وذلك لما رواه يحيى بن يحيى الليثي أن مالكا كره ترداد سورة بعينها. وهذا - والله أعلم - لو ثبت عنه فإنه لا يدل على أنه لا يرى تفضيل بعض القرآن على بعض، وإنما كان وجه كراهته أن التكرار من غير مستند شرعي لا يجوز، بل يكون بدعة إضافية إلى القراءة، وهذا النهي منه حسن، ثم كيف يثبت عنه أنه لا يرى تفاضل آيات القرآن الكريم، وهو من أشد الناس اتباعا لسنة النبي الكريم ﷺ.

(٢) المجموع ١٧/ ١٠.

(٣) المجموع ١٧/ ١٥ وهو من كلام أبي يعلى رحمه الله.

(٤) انظر: المجموع ١٧/ ١٢-١٣.

والأحسن، واتباع القول إنما هو العمل بمقتضاه، ومقتضاه فيه حسن وأحسن، ليس كله أحسن، وإن كان القرآن في نفسه أحسن الحديث، ففرق بين حسن الكلام بالنسبة إلى غيره من الكلام، وبين حسنه بالنسبة إلى مقتضاه المأمور، والمخبر عنه،... والقرآن تضمن خبرا وأمرا، فالخبر عن الأبرار والمقربين، وعن الكفار والفجار، فلا ريب أن اتباع الصنفين ـ أي الأبرار والمقربين ـ حسن، واتباع المقربين أحسن، والأمر يتضمن الأمر بالواجبات والمستحبات، ولا ريب أن الاقتصار على فعل الواجبات حسن، وفعل المستحبات معها أحسن، ومن اتبع الأحسن فقد اقتدى بالمقربين»(١).

٥- قال تعالى: ﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾[الأعراف: ١٣٧] فيها تفضيل كلمات الله ﷻ إذ منها ما هي حسنة، ومنها ما هي حسنى، والكل حسن، فالكلمات التي تدل على فضله أحسن من الكلمات التي تدل على عدله.

٦- قال النبي ﷺ عن سورة الإخلاص: [**والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن**](٢)، وقال ﷺ: [**أيعجز أحدُكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟ فشق ذلك عليهم، وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟، فقال: الله الواحد الصمد، ثلث القرآن**](٣) قال الإمام الدارقطني رحمه الله: «لم يصح في فضل سورة أكثر مما صح في فضلها»(٤)، وقد أخبر النبي ﷺ أن القرآن ثلاثة أجزاء، فقال: [**إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء؛ فجعل قل هو الله أحد جزءا من أجزاء القرآن**](٥)، قال القرطبي رحمه الله عن سورة الإخلاص: «تعدل ثلث القرآن، إذ القرآن: توحيد، وأحكام، ووعظ، وقل

(١) المجموع ١٦/ ٦.

(٢) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ فضل قل هو الله أحد، ح(٥٠١٣) من رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ فضل: قل هو الله أحد، ح(٥٠١٥) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وروى نحوه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب/ فضل قراءة قل هو الله أحد، ح(٨١١)، عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٤) انظر: المجموع ١٧/ ٦.

(٥) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب/ فضل قل هو الله أحد، ح(٨١١) من رواية أبي الدرداء رضي الله عنه.

هو الله أحد: فيها التوحيد كله... ـ وكذلك آية الكرسي ـ إنما كانت أعظم آية لأنها توحيد كلها...، والفاتحة تضمنت: التوحيد، والعبادة، والوعظ، والتذكير»[1].

٧- أنه ﷺ قال عن آية الكرسي: [**إنها أعظم آية في كتاب الله ﷻ**][2]، وسبب كونها أعظم آية لما فيها من إثبات الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وتنـزيه الله عما لا يليق به وهو العلي الأعلى[3]، فهذه الآية جمعت أصول الأسماء والصفات من الإلهية، والحياة، والوحدانية، والعلم، والملك، والقدرة، والإرادة...[4].

٨- وقوله ﷺ لأبي بن كعب: [**لأعلمنك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، ولا في القرآن مثلها ـ وذكر ـ أنها فاتحة الكتاب**][5]، وفي رواية: [**ألا أعلمك أعظمَ سورة في القرآن**][6]، فأخبر الصادق المصدوق ﷺ أنه لم ينـزل مثلها، فدل ذلك على أنها لا مثل لها، ومن ادعى أن لها مثلا، فقد رد على رسول الله ﷺ[7]، ورد الإجماع، لأنه بالإجماع فاتحة الكتاب أفضل سور القرآن[8]، فدل ذلك على تفاضله، قال أبو المظفر السمعاني الشافعي ؒ: «القرآن امتاز عن غيره بالإعجاز، وأقل ما يحصل به الإعجاز سورة، وهذه السورة ـ أي فاتحة الكتاب ـ أشرف السور؛ لأنها السبع المثاني؛ ولأنها تصلح عوضا عن جميع السور، ولا تصلح جميع السور عوضا عنها؛ ولأنها تشتمل على ما لا تشتمل سورة ما على قدرها من

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٧٩.

(٢) روى نحوه مسلم، كتاب صلاة المسافرين...، باب/ فضل سورة الكهف، وآية الكرسي، ح(٨١٠)، من رواية أبي بن كعب ﷺ.

(٣) انظر: شرح الواسطية للفوزان ص٢٥.

(٤) انظر: المجموع ١٧/ ٥١.

(٥) رواه الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب/ ما جاء في فضل فاتحة الكتاب، ح(٣٠٣٦)، وقال: حديث حسن صحيح، ورواه الحاكم في مستدركه، كتاب فضائل القرآن، أخبار في فضائل القرآن جملة، ح(٢٠٨٤)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

(٦) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ فضل فاتحة الكتاب، ح(٥٠٠٦)، من رواية أبي سعيد بن المعلى ﷺ.

(٧) انظر: مختصر الفتاوى المصرية ص٩٩.

(٨) انظر: المجموع ١٧/ ١٨.

الآيات، وذلك من الثناء والتحميد للرب، والاستعانة، والاستعاذة، والدعاء من العبد»[١]، وقال الفقيه ابن العربي: «قوله: ما أنزل الله في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في القرآن، مثلها، وسكت عن سائر الكتب، كالصحف المنـزلة، والزبور، وغيرها؛ لأن هذه المذكور أفضلها، وإذا كان الشيء أفضل الأفضل، صار أفضل الكل، كقولك: زيد أفضل العلماء، فهو أفضل الناس»[٢]، فـ «تفضيل القرآن على غيره من كلام الله: التوراة، والإنجيل، وسائر الكتب، السلفُ كلهم كانوا مقرين بذلك، ليس فيهم من يقول: الجميع كلام الله، فلا يفضل القرآن على غيره»[٣].

٩- أخبر النبي ﷺ أن المعوذتين: [**لم يُر مثلهن قط**][٤]، وهذا يدل على فضلهما على غيرها.

١٠- أن ما تكلم الله ﷻ به عن نفسه من بيان جلاله وجماله، أعظم من القرآن الذي تكلم الله به في وصف خَلْقِه، فمن حيث القائل: الكل كلامه، وإنما حصل الشرف «من جهة نسبته إلى القائل، المتكلم به، ومن جهة نسبته إلى المقول، المتكلم فيه؛ فإذا كانت النسبتان إلى الله كان الكلام أشرف»[٥]، فالآيات التي تدل على وحدانيةِ الله ﷻ «وصفاته، ليس موجودا في ـ سورة المسد ـ وما كان مثلها، والتفضيل إنما هو بالمعاني العجيبة، وكثرتها، لا من حيث الصفة، وهذا هو الحق»[٦].

١١- أن أسماء الله ﷻ وصفاته متفاوتة من حيث دلالتها على المعاني الجميلة، والمرادات الفضيلة، فكذلك كلامه ﷻ[٧] فمحبة الله ﷻ للخليلين

---

(١) الاصطلام ١/ ٢٠٨-٢٠٩، المجموع ١٧/ ١٣-١٤.

(٢) ذكره القرطبي في جامعه ١/ ٧٨، وانظر: المجموع ١٧/ ٩.

(٣) المجموع ١٧/ ١٨ بتصرف يسير، وانظر: ١٧/ ٤٦، ٥٢، ٢٠٩.

(٤) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب/ فضل قراءة المعوذتين، ح(٨١٤)، من رواية عقبة بن عامر الجهني ﷺ.

(٥) مختصر الفتاوى ص٩٩.

(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٧٨.

(٧) انظر: مختصر الفتاوى المصرية ص٩٩، المجموع ١٧/ ٩٠، ٢١١، شفاء العليل ٢/ ٦٣.

إبراهيم ومحمد ـ عليهما الصلاة والسلام ـ أفضل من محبته لغيرهما من الأنبياء، حتى إنهم خصوا بالخلة، ومحبة الله للمؤمنين ليست كخلته للخليلين[(١)].

١٢- معلوم فطرة أن الخبر المتضمن لِحمد الله، والثناء عليه بأسمائه الحسنى، ليس كالخبر المتضمن للذم الذي يكون لإبليس وفرعون، وإن كان المتكلم بهما واحدا[(٢)].

١٣- معلوم عقلا أن من تكلم من الناس ـ وكلامه بالنسبة إلى كونه قائلا سواء ـ بكلام، أو قال شعرا، هو متعلق بالشرفاء: كالأنبياء، والصالحين من الأولياء، ليس ككلامه المتعلق بالملوك والرؤساء، فيكون للكلام فضل إذا كان متعلقا بشيء شريف[(٣)]، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «المخلوق يتكلم بكلام هو كله كلامه، لكن كلامه الذي يذكر به ربه أعظم من كلامه الذي يذكر به بعض المخلوقات، والجميع كلامه، فاشتراك الكلامين بالنسبة إلى المتكلم، لا يمنع تفاضلها بالنسبة إلى المتكلم فيه»[(٤)].

١٤- أن العلماء ذكروا كما في ثابت الأخبار، فضل بعض السور على البعض بحسب ما ورد عن النبي المختار ﷺ، وهذا يدل على أن بعضه أفضل من بعض كالأذكار، ولهذا بين كل من ذكر فضائل القرآن فضائلَ سور معينة بأعيانها، كما فعل ذلك البخاري رحمه الله وغيره[(٥)].

١٥- أن القول المأثور عن السلف منعقد على تفاضل القرآن بعضه على بعض، وهو الذي قال به أئمة الفقهاء[(٦)].

١٦- أن ما ذكره بعضهم من عدم تفاضل القرآن بعضه على بعض، ليس بصحيح[(٧)]، **وهذا النفي مبني على قول المخالفين للسلف بالكلام النفسي** ونحوه؛ فإنه

---

(١) انظر: المجموع ١٧/ ٦٠.

(٢) انظر: المجموع ٥٨، ٦١.

(٣) انظر: مختصر الفتاوى المصرية ص٩٩.

(٤) المجموع ١٧/ ٥٨.

(٥) انظر: كتاب فضائل القرآن من صحيح البخاري، وانظر: المجموع ١٧/ ٦.

(٦) انظر: المجموع ١٧/ ١٣.

(٧) انظر: المجموع ١٧/ ١٥٥، الفواكه الدواني ١/ ٥٧، وقد نقل أن منهم من قال: إن التفاضل لو صح فإنه =

لا يتفاضل لأنه شيء واحد[١]، وهو كونه ما في النفس!!، ولأن معنى "سورة الإخلاص" هو معنى"سورة تبت" عندهم!!، ولأنه قديم والقديم لا يتفاضل عندهم!![٢]، ثم أيضا ظنوا أن التفاضل يعني إنقاص قدر المتكلم به[٣]، فمن منع التفاضل في آيات القرآن له مأخذان: « **أحدهما**: أن صفات الرب لا يكون بعضها أفضل من بعض، وقد يعبرون عن ذلك بأن القديم لا يتفاضل، **والثاني**: أنه واحد، والواحد لا يتصور فيه تفاضل ولا تماثل »[٤] وليس الأمر كذلك عند السلف؛ لأن التفاضل ليس من جهة الكلام من حيث إنّه كلام، ولهذا قال الموافقون للسلف: « فإن توحيد الله الذي في "سورة الإخلاص"... أفضل من "تبت" المتضمنة ذم أبي لهب، وذم زوجته؛ إن شئت في كون المدح أفضل من القدح، وإن شئت في الإعجاز،... وليس من حيث كون المتكلم واحدا، لا يكون التفاضل لمعنى يعود إلى الكلام ثانيا، كما أن المرسِل واحد ـ وهو الله ﷻ ـ لذي النون، وإبراهيم، وإبراهيم أفضل من ذي النون »[٥] ـ عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام ـ، فنسبة الكلام إلى المتكلم به واحد، وهو الله ﷻ فتساويا فيه، ونسبة الكلام إلى المتكلم فيه مختلفة، فتفاضلا فيه[٦] ولا يقال: إن التفضيل إنما هو من جهة الثواب[٧]؛ لأن هذا يقتضي ترجيح أمر بلا مرجح إذ الكلام كلام الله، فإذا كان لا يتفاضل في نفسه، فلا يتفاضل في أجره، قال شيخ الإسلام رحمه الله: « ومن أعاد التفاضل إلى مجرد كثرة الثواب، أو قلته من غير أن يكون

= راجع إلى الأجر!!، ومعلوم أن النزاع ليس فيه.

(١) وذكر شيخ الإسلام رحمه الله أن الأشعري لم يقل بالتفاضل، ومذهبه يأباه، لأنه يرى أن الكلام شيء واحد، والواحد لا يتصور فيه التفاضل. وانظر: الكلام مفصلا في المجموع ١٧/ ١٥٦ وما بعدها.

(٢) انظر: المجموع ١٧/ ٥٢، ٧٠ شفاء العليل ٢/ ٦٣.

(٣) انظر: المجموع ١٧/ ٧٢، الفتح ٨/ ٨.

(٤) المجموع ١٧/ ١٦٢-١٦٣.

(٥) المجموع ١٧/ ٤٩، نقلا من كلام ابن عقيل رحمه الله.

(٦) انظر: المجموع ١٧/ ٥٧.

(٧) انظر: الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ١/ ٥١٩، الفتح ٨/ ٨، حواشي الشرواني ٤/ ٦٤، الفواكه الدواني ١/ ٥٧.

الكلام في نفسه أفضل، كان بمنزلة من جعل عملين مساويين، وثواب أحدهما أضعاف ثواب الآخر، مع أن العملين في أنفسهما لم يختص أحدهما بمزية»[١].

١٧- ثم شرع الله ﷻ متفاوت، مع أن الآمر الناهي فيه واحد وهو الله ﷻ، فليس الأمر بالمأمورات العظيمة كالإيمان بالله ورسوله.. كالأمر بأخذ الزينة عند المساجد، والإنفاق على المرضعة، ونحو ذلك، كما أن النهي عن المنهيات العظيمة ليس كالنهي عما هو دونها فالزنا أشد من النظر والكل محرم، والكل الآمر الناهي فيه هو الله ﷻ[٢].

١٨- قال أبو حامد الغزالي: «اعلم أن نور البصيرة إن كان لا يرشدك إلى الفرق بين آية الكرسي وآية المداينات، وبين سورة الإخلاص، وسورة تبت، وترتاع من اعتقاد الفرق في نفسك الخوارة المستغرقة في التقليد، فقلد صاحب الشرع ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فهو الذي أُنزل عليه القرآن،... وقد دلت الأخبار على شرف بعضه على بعض»[٣].

١٩- أن الفرق بين معاني كلام الله ﷻ معلوم شرعا وعقلا، فكل واحد ممن يعرف العربية يجد الفرق بين معنى سورة الإخلاص وسورة تبت، وبين معنى آية الكرسي وآية المداينة، فكيف يقال بعد هذا: إن معناهما واحد؟!، ولهذا لا يتفاضل!!، والفارق في المعنى معلوم، فالتفاضل في معاني الكلام معلوم أيضا[٤].

٢٠- القول بأن التفاضل في آيات القرآن بعضه على بعض يعني أن **المفضول أنقص من الفاضل!؟**، والقرآن من صفات الله ﷻ وصفات الله لا نقص فيها بوجه من الوجوه[٥]، **فجوابه**: أن صفات الله ﷻ لا نقص فيها بوجه من الوجوه، فهذا صحيح، والتفضيل لا يلزم منه نقص المفضول، لأن الكل كمال، إلا أن الفاضل كمال فوق كمال، كما أن بعض الأسماء والصفات إذا جمعت إلى بعض صار هناك كمال فوق

---

(١) المجموع ١٧/ ٢١٠.

(٢) انظر: المجموع ١٧/ ٥٨-٥٩، ٦١، ٢٠٩-٢١٠.

(٣) جواهر القرآن للغزالي ص٦٢-٦٣، المجموع ١٧/ ٥٠.

(٤) انظر: المجموع ١٧/ ٧١.

(٥) انظر: جامع البيان للطبري ١/ ٥٢٧، المجموع ١٧/ ٧٨.

كمال، فـ « الحُسْنُ في أسماء الله تعالى يكون باعتبار كل اسم على انفراده، ويكون باعتبار جمعه إلى غيره، فيحصل بجمع الاسم إلى الآخر كمال فوق كمال »[(١)]، فكذلك الآيات التي فيها كلام عن الله ﷻ وأسمائه وصفاته، فهو كلام شريف فيه معنى متعلق بشريف وهو الله ﷻ ؛ فلهذا كانت أفضل من غيرها، وكلامه شريف في نفسه، ولما كان معناه غير متعلق بالله ﷻ فكان حسنا، وليس أحسَنَ، ثم لم ينقل عن أحد من السلف إنكار التفاضل في القرآن وما حكي من الإجماع على ذلك فهو بحسب ما يعتقده الحاكي، أو يظنه[(٢)].

٢١- أن من نفى المفاضلة فليس معه آية من كتاب الله، ولا حديث عن رسول الله، ولا قول صحابي، ولا أثر عن تابعي، وإنما هو قول من درس على أهل الكلام، وشبع عنهم في المقال، وفرح بما حيك له من المقال، فظن أنه جاء بما هو حقيقة الحال في مسألة التفاضل[(٣)].

وبهذا يظهر جليا لكل منصف، مريد للحق غير متعسف، فضل القرآن الكريم، وأنه يتفاضل بعضه على بعض[(٤)].

وإذا كان القرآن يتفاضل بعضه على بعض؛ فإن ذلك لا يلزم منه تفاضل غيره من كلام الله ﷻ عليه، وهذا ما أبينه في المطلب التالي.

---

(١) انظر: القواعد المثلى ص٧.

(٢) انظر: المجموع ١٧/ ٧٣-٧٦.

(٣) انظر: المجموع ١٧/ ٨٠.

(٤) انظر: مباحث المفاضلة في العقيدة للدكتور محمد أبو سيف ص١٠٠ وما بعدها.

المطلب الثالث: حكم تفضيل غير القرآن على القرآن.

من المتفق عليه بين السلف، ومتبعيهم من الخلف، أن القرآن الكريم أفضل كتب الله ﷻ أجمعين، كما أن محمدا رسول الله ﷺ أفضل رسل الله أجمعين، وأن القرآن الكريم أفضل من التوراة، والإنجيل، وغيرها من الكتب، بل حتى القائلين بعدم التفاضل من المنتسبين إلى الإسلام فإنهم يرون فضل القرآن الكريم على غيره من الكتب من جهة عظيم فضله، وكثرة ثوابه[(١)]، ولهذا كانت الوصية بكتاب الله ﷻ عظيمة، وجاء بهذا الآثار الكثيرة[(٢)]، وأما من فضل غير القرآن على القرآن فلا يخلو حاله من أمرين:

إما أن يكون كافرا ظاهرا ككفار اليهود والنصارى، فهؤلاء يدعون إلى دين الله ﷻ ثم يبين لهم فضل القرآن الكريم على الكتب السابقة.

وإما أن يكون منتسبا إلى الإسلام؛ فإن كان جاهلا فيعلم، وإن كان عالما فينبه، أو كان زنديقا فيكشف حاله، ويبين عواره، ولا يُسمع لمقاله، ولهذا كان من المتفق عليه عند السلف أنه لا يجوز أن يساوى بالقرآن غيره من الكتب الإلهية، فضلا عن زبالات أفكار الإنسانية.

وتفضيل كتاب أو منهج غير منهج القرآن إنما هو من سيما الباطنية، الذين يظهرون الدين، ويخفون الزندقة بين المسلمين، خصوصا إذا قويت شوكة أهل السنة، وضعفت شوكة أهل البدعة.

ومن الأدلة على أنه لا يجوز أن يقدم على القرآن شيء، وأن يفضل عليه شيء من الكتب ما يأتي:

١- قول الله ﷻ: ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ

(١) انظر: حواشي الشرواني ٤/ ٦٤.

(٢) انظر: أصول الإيمان للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب ص٥٧، باب/ الوصية بكتاب الله ﷻ.

أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[البقرة: ١-٤] فأشار الله ﷻ إلى عظمة القرآن بتعظيمه، والإشارة إليه بـ(ذلك) مما يدل على علو المنـزلة، ورفعة الدرجة، ثم حَصَر الهدى فيه، وبين أن المتقين هم المتبعون لما فيه، المؤمنون به وبما أنزل من قبل مما يدل على أن الإيمان بما أنزل من قبل فحسب لا يكفي لمن أراد الهداية والفلاح.

٢- قوله ﷻ: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[العنكبوت: ٥١] وقد بوب به البخاري رحمه الله للدلالة على الاستغناء به عن غيره[١].

٣- قوله ﷻ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[المائدة: ٤٨]، قال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى كون القرآن مهيمنا على الكتب السابقة: [**المهيمن: الأمين، القرآن أمين على كل كتاب قبله**]، قال ابن جرير رحمه الله في تفسير الآية السابقة: «يقول: أنزلنا الكتاب الذي أنزلناه إليك، يا محمد، مصدقا للكتب قبله، وشهيدا عليها أنها حق من عند الله، أمينا عليها، حافظا لها»[٢] فما شهد له القرآن مما في الكتب السابقة فهو حق، وما خالف القرآن فهو باطل، فهذا يدل على أن المعدِّل لما في أيدي الناس من الكتب هو القرآن[٣]، فكيف يفضل عليه غيره وهو المعدِّل لغيره؟؟، فمن آمن بما في القرآن شرعة ومنهاجا فلا يجوز له أن يفضل غيره عليه، ولا أن يقدم غيره بين يديه، والسلف: «كلهم متفقون على أن القرآن هو

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ ١٩، ص١٠٩٣.

(٢) جامع البيان ٤/ ٦٠٦.

(٣) انظر: جامع البيان ٤/ ٦٠٦، وانظر: المسيحية النصرانية دراسة وتحليل الشيخ ساجد مير ص٢٢٣.

المهيمن، المؤتمن، الشاهد على ما بين يديه من الكتب، ومعلوم أن المهيمن على الشيء أعلى منه مرتبة »(١).

٤- قوله ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾[الحجرات: ١-٢]؛ فإذا كان الله ﷻ قد نهى عن التقدم بين يديه، وعن التقدم بين يدي رسوله؛ فإن هذا عام يدل على منع تقدم قول على قوله، أو تفضيل قول على قوله، أو قول رسوله؛ وهذا ظاهر لمن تأمل في نفي التفاضل بين القرآن وغيره، قال سفيان الثوري: « لا تقدموا بين يدي الله ورسوله بقول ولا فعل »(٢).

٥- قوله ﷻ : ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾[المائدة: ٤٩]، فأمر الله ﷻ نبيه محمدا ﷺ، والأمة مخاطبة تبع له أن يحكموا كتابه المنـزل على محمد ﷺ، وأن لا يتركوا شيئا منه، مفتتنين بها عند الكفار، قال ابن جرير رحمه الله: « وأخبر أنه أنزل إليه الكتاب مصدقا لما بين يديه من الكتاب، وأمره بالعمل بما فيه، والحكم بما أنزل إليه فيه، دون ما في سائر الكتب غيره »(٣). فإذا كان لا يجوز العمل بكتاب غير كتاب الله ـ جل وعز ـ، والحكم بغيره، فكذلك لا يجوز تفضيل غيره عليه.

٦- قوله ﷻ : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[المائدة: ٥٠] فالقرآن فيه حكم الله ﷻ ، ولا يجوز أن يقدم عليه شيء لا في الأحكام، ولا في غيرها، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: « ينكر تعالى على من خرج عن

---

(١) المجموع ١٧/ ٤٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم ١/ ٢٠٥.

(٣) جامع البيان ٤/ ٦١٠، تفسير القرآن العظيم ٢/ ٦٦.

حكم الله المحكم، المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه، من الآراء والأهواء، والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات، والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم "جنكيز خان" الذي وضع لهم "الياسق" وهو عبارة عن: كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها عن شرائع شتى من اليهودية، والنصرانية، والملة الإسلامية، وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره، وهواه، **فصارت في بنيه شرعا متبعا، يقدمونها على الحكم بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، فمن فعل ذلك؛ فهو كافر يجب قتاله، حتى يرجع إلى حكم الله، ورسوله، فلا يحكم سواه في قليل، ولا في كثير**»[(١)] فالحافظ ابن كثير رحمه الله بين أن من قدم حكم غير الله على حكم الكتاب والسنة؛ فإنه كافر، وهذا يدل على وجوب تفضيل القرآن على كل ما سواه من الكتب حكما وفضلا واعتقادا ومنـزلة ورفعة.

٧- قوله ﷻ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا﴾[الكهف: ١-٢] فنفى عن القرآن العوج، ووصفه بأنه قيم، ومعنى "القيم" القائم على غيره، «وهو الذي بلغ الغاية القصوى في الإحكام والإتقان، وانتفاء الخطأ، والتعارض، والتناقض، وإيهام الضلال...، وإنما جمع بين نفي العوج، وإثبات القيومية له، وأحدهما يغني عن الآخر تأكيداً لذلك، ومبالغة فيه، **فكيف يقوم مقامه سواه، أو يُسَاوَى كتاب بكتاب الله تعالى؟؟**»[(٢)] فالقرآن غير معوج ولا يحتاج إلى ما يقومه[(٣)].

٨- قوله ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[غافر: ٣٤-٣٥] ففي الآية «بيان أنه لا يجوز أن

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/ ٦٧.

(٢) ترجيح أساليب القرآن لابن الوزير اليماني ص١١.

(٣) انظر: سنن الدارمي، كتاب فضائل القرآن، باب/ فضل من قرأ القرآن، ح(٣٣١٥).

يعارض كتاب الله بغير كتاب الله، لا بفعل أحد، ولا أمره، لا دولة، ولا سياسة؛ فإنه حال الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم»(١).

٩- قول الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ۝ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩١-٩٢] والذين جعلوا القرآن متفرقا مقسما هم الذين آمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه، فآمنوا بما رأوا فيه مصلحةً لهم، وتركوا ما ظنوه خلاف مصلحتهم، ومن هذا الباب من فضل عليه غيره إما حكما أو فضلا ومنـزلة؛ فهؤلاء جميعا سيُسألون(٢)، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «من آمن بما وصف الله به كلامه، فأقر بأنه جميعه كلام الله، وأقر به كله، فلم يكفر بحرف منه، **وعلم أن كلام الله أفضل من كل كلام، وأن خير الكلام كلام الله، وأنه لا أحسن من الله حديثا، ولا أصدق منه قيلا**... فهو أبعد عن جعله عضين ممن لم يؤمن بما فضل الله به بعضه على بعض»(٣).

١٠- أن الصحابة ﷺ كانوا ينهون عن اتباع كتاب غير القرآن، وذلك لنهي النبي ﷺ إياهم عن اتباع غير القرآن، فكيف بمن يفضل غير القرآن على القرآن!، وقد رأى النبي ﷺ في يد عمر بن الخطاب صحيفة من التوراة، فتغير وجهه، وقال: [**لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني**](٤)، «وعمر انتفع بهذا حتى أنه لما فتحت الإسكندرية، وجد فيها كتبا كثيرة من كتب الروم، فكتبوا فيها إلى عمر، فأمر بها أن تحرق، وقال: **حسبنا كتاب الله**»(٥).

١١- أن النبي ﷺ وصى بكتاب الله ﷻ، سُئل عبد الله بن أبي أوفى ﷺ: [**أَوَصَّى النبي ﷺ؟ فقال: لا، فقيل: كيف كُتِب على الناس الوصيةُ، أُمروا بها ولم**

---

(١) المجموع ١٩/ ٧٨-٧٩.

(٢) انظر: فتح القدير للشوكاني ٣/ ١٧٦-١٧٧.

(٣) المجموع ١٧/ ٨١.

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده، ٣/ ٣٨٧، ح(١٥٢٢٨) عن جابر ﷺ، ورواه ابن أبي عاصم في السنة، ح(٥٠)، وقال الألباني: حديث حسن. كما في ظلال الجنة في تخريج السنة ص ٢٧.

(٥) المجموع ١٧/ ٤١.

يوصِ؟ قال: أوصى بكتاب الله][1].

١٢- اجتمع في هذا القرآن أوصاف وسمات جعلته يغني عن غيره، وغيره لا يغني عنه، قال عبد الله بن مسعود ﷺ: [إن هذا القرآن مأدبة الله؛ فتعلموا من مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله، والنور، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، لا يزيغ فيستعتب، ولا يعوج فيقوم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد][2]، وقال كعب ﷺ: [عليكم بالقرآن؛ فإنه فهم العقل، ونور الحكمة، وينابيع العلم، وأحدث الكتب بالرحمن عهدا، وقال في التوراة: يا محمد، إني منـزل عليك توراة حديثة[3]، تفتح فيها أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا][4]، وقال أبو موسى الأشعري ﷺ: [إن هذا القرآن كائن لكم أجرا، وكائن لكم ذكرا، كائن بكم نورا، وكائن عليكم وزرا، اتبعوا هذا القرآن، ولا يتبعنكم القرآن؛ فإنه من يتبع القرآن يهبط به في رياض الجنة، ومن اتبعه القرآنُ يزَخُّ -يدفع- في قفاه، فيقذفه في جهنم][5]، ومضى قول علي ﷺ أن كتاب الله فيه المخرج من الفتن، وأحكام المحن، ودواء الإحن.

١٣- أن كتاب الله محفوظ، فلا ينبغي تقديم شيء عليه، وهو محفوظ من الغلط، مصون من الشطط، وكاف في الدلالة، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ۝ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾[فصلت: ٤١-٤٢].

١٤- أن السلف - رحمهم الله - لا يرون أن هناك شيئا من النصوص يعادل نصوص الكتاب والسنة، فضلا عن أن توازيه، وتفاضله، ولهذا نصوا أن من ظن أن

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ الوصاة بكتاب الله ﷻ، ح(٥٠٢٢).
(٢) رواه الدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب/ فضل من قرأ القرآن، ح(٣٣١٥).
(٣) وهذا في التوراة أي بلسانهم؛ فقيل للقرآن توراة، وإلا فإن هذا لا يعني أن من أسماء القرآن التوراة، وقد مضى ذكر هذا في الفصل الرابع من الباب الأول.
(٤) رواه الدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب/ فضل من قرأ القرآن، ح(٣٣٢٧).
(٥) رواه الدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب/ فضل من قرأ القرآن، ح(٣٣٢٨).

هناك نصوصا تعادل نصوص الكتاب ولو من حيث الاحتجاج فإنه يخشى عليه من الكفر، ومن جعل نص أحد من الناس «كنصوص الشارع في وجوب العمل بها؛ فهذا كفر باتفاق المسلمين»[١].

فكل من كان بالقرآن مؤمنا، ولآياته مفضلا، ولأحكامه تابعا، كان قد عرف فضل القرآن الكريم، علما وعملا وأدبا، وهذا من تعظيم القرآن الكريم، وتعظيمه واجب على المسلمين، وهذا ما أبينه في المبحث التالي.

(١) المجموع ٣١/ ٤٨ بتصرف.

المبحث الثاني: تعظيم القرآن الكريم

أجمع المسلمون على وجوب تعظيم القرآن الكريم، وأن من جحد حرفا مجمعا عليه، أو زاد حرفا، لم يقرأ به أحد أنه بذلك كافر[(١)]، كما أن من لم يؤمن به، أو جحد شيئا منه ـ وَعْدا أو وعيدا ـ أو كَذّب شيئا منه كفر[(٢)]، وهذا معلوم من دين الإسلام بالضرورة، وأن من كان حاله كذلك فإنه لم يوقر القرآن الكريم، ويتبين وجه تعظيم القرآن الكريم عند السلف من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: الدليل على وجوب تعظيم القرآن الكريم.

إن تعظيم القرآن الكريم واجب بلا نزاع بين السلف، بل إن «تعظيمه عبادة، والاستخفاف به كفر»[(٣)]، بل إن تعظيم القرآن من شعب الإيمان[(٤)]، والسلف إنما يعظمون القرآن بما ورد، لا بما يرد، ومن الأدلة على تعظيم السلف للقرآن الكريم ما يأتي:

١- قوله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾[الحج: ٣٠]، ولا ريب أن تعظيم القرآن واجب وأن التهاون فيه أو الاستهزاء به محرم، ومن ابتعد عن المحرمات وفعل الواجبات فقد عظم حرمات الله ﷻ[(٥)]، وقول الله ﷻ:

(١) انظر: التبيان ص١٥١.

(٢) انظر: ألفاظ الكفر لبدر الرشيد الحنفي ص ٢٧، ضمن الجامع في ألفاظ الكفر للشيخ د/ محمد الخميس.

(٣) البحر الرائق ٢/ ٣٤، وانظر: ألفاظ الكفر لبدر الرشيد الحنفي ص٢٩، ضمن الجامع في ألفاظ الكفر للشيخ د/ محمد الخميس.

(٤) انظر: شعب الإيمان للبيهقي ٢/ ٣١٩-٣٢٣.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٢١٨.

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾[الحج: ٣٢] فحرمات الله وشعائره « معالم الله ودينه، ندب الله إليها، وأمر بالقيام بها »(١) فالحرمات والشعائر عام(٢) ـ والله أعلم ـ يشمل ما كان مضافا إلى الله ﷻ من باب التشريف، ويشمل ماكان مضافا إلى الله ﷻ من باب إضافة الصفة للموصوف، والقرآن من الثاني، فوجب تعظيمه، وتوقيره.

٢- قال الله ﷻ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾[التوبة: ٦٥-٦٦] وهذه الآيات إنما نزلت في المنافقين الذين ذكروا رسولَ الله ﷺ وأصحابه القراء على وجه التنقص؛ فجعل الله ذلك منهم كفرا، وأن ذلك كفر بالله وآياته ورسوله(٣)؛ فهذا دليل على وجوب تعظيم القراء فكيف بالقرآن نفسه، لا ريب أن له أشد الحرمة، وأن علينا وجوبا تعظيمه.

٣- دل قول النبي ﷺ: [**لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو**]، على وجوب تعظيم القرآن، إذ المنع إنما كان خوفا عليه من الإهانة(٤)، ومن هذا الباب منع الفقهاء بيع المصحف للكافر؛ فإن الكافر نجس، وأيضا يخشى منه أن يهين القرآن، فلا يجوز أن يعطى شيئا من القرآن الكريم(٥)، وقد يعرضون للمصاحف بالاستخفاف مغايظة للمسلمين، ولهذا منعنا من السفر به إلى أرض العدو(٦).

٤- مما يدل على وجوب تعظيم القرآن الكريم في قلوب السلف الصالحين، أن

(١) بحر العلوم للسمرقندي ٢/ ٣٩٤.

(٢) انظر: أضواء البيان للشنقيطي ٥/ ٤٧٤-٤٧٥.

(٣) انظر: زاد المسير لابن الجوزي ٣/ ٤٦٤ وما بعدها، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٣٦٥-٣٦٦.

(٤) انظر: حاشية الدسوقي ٢/ ١٨٧.

(٥) انظر: مغني المحتاج ٢/ ٨، دليل الطالب ١/ ١٠٤.

(٦) انظر: البحر الرائق ٥/ ٨٣.

من خصالهم محبة القرآن والسنة، وتقديمهما على غيرهما[(١)]، سواء في الاعتقاد، أو العمل، أو الاستدلال.

٥- مما يدل على تعظيم السلف للقرآن الكريم أنهم لا يرون شيئا من النصوص يعادل نصوص الوحيين، ومن جعل نصوص أحد «كنصوص الشارع في وجوب العمل بها؛ فهذا كفر باتفاق المسلمين»[(٢)].

٦- نص العلماء - رحمهم الله - على وجوب أخذ ما وقع من بعض الآيات، بل ما فيه ذكر لله ﷻ مطلقا، وعدم تركه عرضة للإهانة، وقالوا: إن من تركه عرضة للإهانة فإنه يخشى عليه الكفر[(٣)].

٧- مما يستدل به على تعظيم السلف للقرآن الكريم أنهم كانوا يتوقفون في تفسيرهم على ما ورد، ولا يتجرؤون على القول فيه بالرأي المجرد[(٤)]، قال القرطبي رحمه الله: «كان الأئمة من السلف الماضين يتورعون عن تفسير المشكل من القرآن، فبعضٌ يُقَدِّر أن الذي يفسره لا يوافق مراد الله ﷻ، فيحجم عن القول، وبعضٌ يشفق من أن يجعل في التفسير - أي التفسير بالرأي - إماما يبنى على مذهبه، ويقتفى طريقه»[(٥)]، وأما التفسير بالمأثور، وما يفهم من معاني النصوص بالتفكر في المزبور؛ فهو الذي كان عليه السلف - رحمهم الله -[(٦)].

٨- أن الأمة متفقة على صدق ما في القرآن من الأخبار، وعدل ما فيها من الأحكام، ولا شك في ذلك عند ذوي الأفهام، ومن خالف ذلك من الأنام؛ فإنه غير معظم للقرآن[(٧)].

---

(١) انظر: نقض المنطق ص٨١.

(٢) المجموع ٣١/ ٤٨.

(٣) انظر: حاشية الدسوقي ٤/ ٣٠١.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١/ ٢٧، كشاف القناع ١/ ٤٣٣-٤٣٤.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٢٧.

(٦) انظر: المرجع السابق.

(٧) انظر: مراتب الإجماع لابن حزم ص١٧٤.

٩- أن اتفاق العلماء - خلافا للظاهرية - على المنع من مس المصحف لمن لم يكن على طهارة كاملة كالجنب والحائض والنفساء، سواء بمباشرة القرآن الكريم، أو جزء منه، بل منعوا - من كان عليه حدثا أكبر - من قراءة آية منه، وذلك تعظيما لآيات الله ﷻ المتلوة، والآية في ذلك وما دونها سواء، إذ الكل معظم يجب توقيره، وتعظيمه[1].

١٠- أن العلماء نصوا على منع قراءته في الأماكن القذرة تعظيما وتنـزيها للقرآن عنها[2].

١١- نص السلف أن القرآن حيث كتب يجب تعظيمه، وتوقيره، ولو كتب على ما يصاغ من الذهب - وإن كان ذلك بدعة - لأن الاعتبار إنما هو للمكتوب، وينبغي تغيير هذه المصوغات، والمكتوبات، أو رفعها عن مكان الإهانة والقذارة إذا كان فيها شيء من القرآن الكريم، أو ذكر الله ﷻ[3].

١٢- أن السلف منعوا قراءة القرآن الكريم منكسا، وذلك تعظيما لشأن القرآن، وأن ذلك يخالف ما نزّل من أجله القرآن الكريم[4].

١٣- أنهم منعوا من كتابة القرآن الكريم مع الشعر ولو كان أمامه، وذلك لأن هذه مظنة الإهانة، وحق القرآن التعظيم، وفي الشعر الكذب والهجو والقرآن يعظم عن مثل هذا[5].

ولا يخالف تعظيم القرآن الكريم أن تُسمع شيئا منه للكافر، لأن في إسماعه القرآن إقامة للحجة عليه، وبيان الحق له، قال ﷻ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾[التوبة: ٦]، وإنما الذي

---

(١) انظر: تحفة الفقهاء للسمرقندي ١/ ٣٢، بدائع الصنائع للكاساني ١/ ٣٣، حاشية الدسوقي ١/ ١٠٨، مغني المحتاج ١/ ٤٠، دليل الطالب ١/ ١٤.

(٢) انظر: الفواكه الدواني ٢/ ٣٣٦.

(٣) انظر: المجموع ١٢/ ٦٠٠.

(٤) انظر: ما سبق في الفصل الخامس من الباب الأول.

(٥) انظر: الفروع لابن مفلح ١/ ٣٦٢.

يمنع منه تعظيما للقرآن الكريم هو مس المصحف، وخوفا مِنْ أن يهينه الكافر فلا يدفع إليه شيء منه إلا إذا رجي إسلامه[١].

وفي ذكر بعض الأدلة على وجوب تعظيم القرآن الكريم كفاية لمن اتعظ، وتنويه بتعظيم القرآن الكريم، ومما هو من التعظيم: التأدب بآداب تلاوته[٢]، والتمثل بأوامره، واجتناب نواهيه، والاتعاظ بعظاته، وتحسين الصوت بقراءته، وترك المماراة فيه[٣]، وعدم تفسيره بالظن والهوى[٤]، وعدم أخذه إلى أرض العدو[٥]، وتعظيم حامليه، والعاملين بما فيه[٦]، ومن تعظيم المصحف أن لا يحمل فوقه متاع ونحوه[٧]، قال البيهقي رحمه الله بعد حديث النهي عن السفر بالقرآن إلى أرض العدو: «فإذا كان منهيا أن يعرضه على من يستهينه، وينتهك حرمته، كان نهيه عن أن يزدري به، ويستهينه بنفسه أولى؛ ولأن الله تعالى وصف القرآن بأنه في كتاب مكنون، لا يمسه إلا المطهرون؛ فإذا كان فوق السماوات مكتوبا محفوظا، وليس هناك إلا الملائكة المطهرون؛ فلأن يكون فيما بيننا مكتوبا محفوظا، والناس مختلفون، والأماكن مختلفة، والأحوال شتى أشبه»[٨].

ومن تمام تعظيمه البعد عما يكون دليلا على إهانته، أو الاستهزاء به، وهذا ما أبينه في المطلب التالي.

---

(١) انظر: أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٤٥٨، التبيان للنووي ص ١٥٨.

(٢) انظر: شعب الإيمان ٢/ ٣٥٩، ٣٧٨، ٣٨٠، ٤٠٣، ٤٢٣.

(٣) انظر: شعب الإيمان ٢/ ٣٨٦، ٤١٦.

(٤) انظر: شعب الإيمان ٢/ ٤٢٢.

(٥) انظر: شعب الإيمان ٢/ ٤٢٦.

(٦) انظر: الترغيب والترهيب ٢/ ٣٥٢.

(٧) انظر: شعب الإيمان ٢/ ٥٤٣.

(٨) شعب الإيمان ٢/ ٥٤٤.

المطلب الثاني: حكم الاستهزاء بالقرآن، والحط منه.

القرآن الكريم كلام رب العالمين، وصفة من صفاته، فيجب تعظيمه، والآية من القرآن يجب تعظيمها، بل لو كتب في شيء وجب تعظيمه برفعه عن مكان المهانة، وعدم امتهانه، ولهذا تحرم كتابتها فيما يكون مبتذلا[(١)]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابة القرآن على لباس الحرب والدنانير ونحوهما: «كتابة القرآن عليها: فيشبه كتابة القرآن على الدرهم، والدينار، ولكن يمتاز هذا بأنها تعاد إلى النار بعد الكتابة، **وهذا كله مكروه، فإنه يفضي إلى ابتذال القرآن، وامتهانه، ووقوعه في المواضع التي ينـزه القرآن عنه**، فإن الحياصة[(٢)]، والدرهم، والدينار، ونحو ذلك، هو في معرض الابتذال، والامتهان، وإن كان من العلماء من رخص في حمل الدراهم المكتوب عليها القرآن، فذلك للحاجة، ولم يرخص في كتابة القرآن عليها ـ والله أعلم ـ»[(٣)].

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «باب: من هزل بشيء فيه ذكر الله، أو القرآن، أو الرسول»[(٤)]، قال الشيخ سليمان[(٥)] رحمه الله في شرحه لهذا الباب: «أي أنه يكفر بذلك لاستخفافه بجناب الربوبية، والرسالة، وذلك مناف للتوحيد، ولهذا أجمع العلماء على كفر من فعل شيئا من ذلك فمن استهزأ بالله، أو بكتابه، أو برسوله، أو بدينه كفر ـ ولو هازلا لم يقصد حقيقة الاستهزاء ـ إجماعا».

---

(١) انظر: حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ص٩٨.

(٢) لعل المقصود أن يجعل الذهب مرصوصا على الثياب، على نحو حزام وغيره، يتزين بها. انظر: المعجم الوسيط ١/ ٢٠٧ مادة (حوص).

(٣) المجموع ٢٥/ ٦٦.

(٤) كتاب التوحيد مع شرحه تيسير العزيز الحميد ص٦١٧.

(٥) هو الإمام الفقيه: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب التميمي، ولد بالدرعية، وكان بارعا في التفسير والحديث والفقه، أخذه إبراهيم باشا بعد دخوله الدرعية وقتله بوابل من الرصاص حقدا على الدعوة، ومن مصنفاته العظيمة: تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، قتل سنة ١٢٣٣هـ. انظر: الأعلام ٣/ ١٢٩.

والدليل على أن من استهزأ بالقرآن أو بشيء منه يكفر، الكتاب والسنة والإجماع، ومن هذه الأدلة:

١. قول الله ﷻ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾[التوبة: ٦٥] فتبين بهذا أن الاستهزاء بآيات الله كفر، يكفر به صاحبه بعد إيمانه[١].

٢. ورد أن رجلا قال: [**ما لقرّائنا هؤلاء: أرغبنا بطونا، وأكذبنا ألسنةً، وأجبننا عند اللقاء!!**]؛ فأخبر النبي ﷺ بمقالته؛ فجاء معتذرا، وهو ماسك بزمام ناقة رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ ما يزيد على أن يذكر له هذه الآية: ﴿ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾[التوبة: ٦٥]»[٢].

٣. قال العلماء: من جحد حرفا فأكثر من القرآن، أو زاده، أو غيره، أو قال: ليس بمعجز، أو جحد سورة أو آية من القرآن، فلا اختلاف في أنه كافر[٣]، فكيف بمن يستهزئ؟.

٤. نص العلماء ـ رحمهم الله ـ: أن الشخص «يكفر إذا أنكر آية من القرآن، **أو سخر بآية منه**، إلا المعوذتين، ففي إنكارهما اختلاف، والصحيح كفره،... وبقراءة القرآن على الدف، أو القضيب،... وبالمزاح بالقرآن،... وبنظمه بالفارسية...، وببراءته من القرآن»[٤].

٥. عَدَّ أهلُ العلم إهانة المصحف من الكفر، فقالوا: «والفعل المكفر ما تعمده صاحبه استهزاء صريحا بالدين، أو جحودا له كإلقاء مصحف...؛ لأنه صريح

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد ص٦١٩.

(٢) أورد نحوه الطبري في تفسيره ٦/ ٤٠٩.

(٣) انظر: البيان والتحصيل لأبي الوليد ابن رشد القرطبي ١٦/ ٣٩٤، الشرح الصغير ٤/ ٤٣٥، القوانين الفقهية لابن جزي٣٧٠، الإعلام بقواطع الاسلام ص٢٣، رسالة في ألفاظ الكفر لتاج الدين أبي المعالي مسعود بن أحمد الحنفي، ص٤٤٣، ضمن الجامع لألفاظ الكفر، للشيخ د/ محمد الخميس.

(٤) البحر الرائق شرح كنز الدقائق ٥/ ١٣١، وانظر: ألفاظ الكفر لبدر الرشيد الحنفي ص٢٩، ضمن الجامع في ألفاظ الكفر للشيخ د/ محمد الخميس.

في الاستخفاف بكلام الله تعالى، والاستخفاف بالكلام استخفاف بالمتكلم »[(١)].

٦. عدوا من الاستهزاء: من قرأ آية من القرآن عامدا على غير وجهها، وهو يعلم أنها ليست كذلك في المصحف، و غيَّرها وبدلها بهواه؛ فإنه كافر، وهذا من الاستهزاء بكتاب الله ﷻ[(٢)]، ويشبه هذا فيما لو ساق آية في غير ما أنزل من أجله، على سبيل الاستهزاء فإنه يكفر[(٣)].

٧. من الاستهزاء بالقرآن أن يدعى أنه غير معجز، فمن قال ذلك مستهزئا فإنه يكفر[(٤)]، ومما يخشى أن يكون من الاستهزاء بالقرآن ـ وإن كان يرجع ذلك إلى النية ـ أن يكتب مع الشعر ونحوه، مما فيه كذب وهجاء، وزور وبغي[(٥)].

٨. كذلك من الاستهزاء بالقرآن: الاستهزاء بأحكامه وأخباره، أو الطعن فيما أحله وحرمه، وهذا كفر بإجماع علماء الإسلام[(٦)].

٩. أن من الاستهزاء بالقرآن مخالفة نصوصه عن قصد واعتقاد؛ فإنّها كفر، قال ابن أبي العز رحمه الله: « فمخالفة النص إذا كانت عن قصد فهي كفر، وإن كانت عن اجتهاد فهي من الخطأ المغفور »[(٧)].

وبهذا يظهر أن السلف ـ رحمهم الله ـ من المعظمين للقرآن، والذابين عنه، ومنعوا أي نوع مما يشعر إهانته، أو السخرية بالقرآن الكريم وجعلوا ذلك من المحرمات العظيمة.

ومن تعظيم القرآن الكريم، التبرك به على الوجه المشروع، وهذا ما أبينه في المطلب التالي.

---

(١) مغني المحتاج للشربيني ٤/ ١٣٦.

(٢) انظر: الإحكام في أصول الأحكام ٢/ ١٤٨.

(٣) انظر: مختصر الفتاوى المصرية ص٥٧٨.

(٤) انظر: مغني المحتاج للشربيني ٤/ ١٣٦.

(٥) انظر: الفروع لابن مفلح ١/ ٣٦٢.

(٦) مجلة البحوث العلمية، ٣٢/ ٣٣٨ مقالة بعنوان حكم من يسخر بالقرآن وأهله للشيخ ابن باز رحمه الله.

(٧) الإتباع له ص ٢٩.

المطلب الثالث: حكم التبرك[(١)] بالقرآن.

كان السلف يطلبون البركة من القرآن الكريم، بما ثبت عن النبي الكريم ﷺ[(٢)]، ولا ريب أن القرآن الكريم مبارك، وأن فيه البركة، فآثار البركة ظاهرة فيه لمن تأمل[(٣)].

وقد جاءت الأدلة المتوافرة من الكتابة والسنة على أن القرآن الكريم مبارك، ومن هذه الأدلة:

١- قول الله ﷻ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[ص: ٢٩] فكونه مبارك دليل على أنه كثير المنافع الدنيوية والدينية[(٤)]، ومما يدل على أن القرآن مبارك آيات أخرى كثيرة، ومنها: قوله ﷻ : ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾[الأنعام: ٩٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[الأنعام: ١٥٥]، وقول الله ﷻ: ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾[الأنبياء: ٥٠]، فهذه الآيات تدل على أن القرآن مبارك، وفيها الإشارة إلى نوع البركة فيها من حيث كونه (مصدِّقا)، وكونه (كافِيًا في الإنذار)، وتظهر بركته على (متبعيه) ولا ينكر هذا إلا المعاندون.

٢- الأحاديث التي تدل على فضائل القرآن الكريم مجموعة، وتبيِّن فضائل

---

(١) التبرك، والبركة، حقيقتها: الثبوت واللزوم، والاستقرار، وبرك البعير: إذا استقر على الأرض، والبركة: النماء والزيادة، ويقال: باركه الله، وبارك فيه، وبارك عليه، وبارك له، والمبارك: الذي قد باركه الله ﷻ؛ **فكتابه مبارك، قال تعالى:** ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾[الأنبياء: ٥٠] وإنما سمي مباركا - وهو حقيق بذلك - لكثرة خيره، ومنافعه، ووجوه البركة فيه. انظر: جلاء الأفهام لابن القيم ص١٦٥-١٦٦.

(٢) وقد ذكرت في الفصل الثالث من الباب الثاني تبرك المخالفين للسلف بالقرآن الكريم، وأنه على حسب ما يبتدعون من عند أنفسهم.

(٣) انظر: التبرك أنواعه وأحكامه د/ ناصر الجديع ص٢١٥ وما بعدها؛ فإنه قد ذكر بعض هذه الأنواع من التبركات المشروعة، وقد استفدت من كتابه - أثابه الله -.

(٤) انظر: جلاء الأفهام ص١٦٦، روح المعاني للألوسي ١٢/ ١٨١، أضواء البيان للشنقيطي ٧/ ٢١.

بعض السور والآيات؛ فهذه تدل على بركته[١]، وكذلك ما ورد من فضل قراءة القرآن والعمل به.

٣- كون القرآن كلام الله ﷻ فلا ريب أنه يكون مباركا؛ لأن المتكلم به هو الله ﷻ الذي يبارك على من يشاء وما يشاء، وكلام الله ﷻ لا يكون إلا حقا، ولا يكون إلا صدقا، وكلامه ﷻ يهدي إلى الحق، ويوصل إلى كل خير وسعادة في الدنيا والآخرة، وهل هناك أعظم بركة من كتاب يوصل من اتبعه إلى الجنة؟؟، وكونه تبيانا لكل شيء، وفيه الشفاء من كل عِيٍّ، والحياة السعيدة لكل من عمل به من إنسي أو جني[٢].

٤- ثبت عن بعض السلف أنهم كانوا يكتبون القرآن ثم يمحونه بالماء، ونحوه من الطاهرات، وهذا يقتضي أن لذلك بركة[٣].

فهذه بعض الأدلة التي تدل على بركة القرآن الكريم، ويكون التبرك بالقرآن الكريم بما ورد شرعا، لا بما يُورد ذهنا، **ومن جملة البركات التي يمكن للمسلم أن يلتمسها في القرآن الكريم ما يأتي:**

١- يتبرك بالقرآن الكريم في المسائل العلمية والعملية؛ فيطلب في آياتها، ومعانيها المسائل العلمية والعملية المختلفة، ومن جملة ذلك بركته في كونه يرفع الخلاف، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[النساء: ٥٩] والرد إلى الله رد إلى كتابه، والرد إلى الرسول رد إلى سنته بعد وفاته[٤]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «قال مجاهد وغير واحد من السلف ـ فردوه ـ أي إلى كتاب الله، وسنة رسوله، وهذا أمر من الله ﷻ بأن كل شيء تنازع الناس فيه من

(١) انظر: هذه الفضائل في كتاب أبي عبيد (فضائل القرآن)، وكتاب (فضائل القرآن لابن كثير) وكتاب (موسوعة فضائل وسور القرآن للطرهوني)، وانظر: الفصل الثالث من الباب الأول.

(٢) انظر: عقيدة المؤمن للشيخ أبي بكر الجزائري ص٢٠٤ وما بعدها.

(٣) انظر: المجموع ١٢/ ٥٩٩، الإتقان للسيوطي ٤/ ١٤٤.

(٤) انظر: زاد المسير لابن الجوزي ٢/ ١١٧.

أصول الدين، وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة...؛ فما حكم به الكتاب والسنة، وشهدا له بالصحة فهو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال»[(١)].

٢- أنه يهدي إلى الحق، وإلى الهدى، وإلى الجنة[(٢)].

٣- أنه يبارك من يعمل به، ويحد بحدوده، وينتهي عن نواهيه؛ فيكون مباركا، نقيا، تقيا، من درك الشرك والإلحاد، والشبهات والشهوات.

٤- أن من بركة القرآن كونه حرزا لمن قرأه من شياطين الإنس والجن، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥]، وثبت أن: من قرأ آية الكرسي في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ حتى يصبح[(٣)].

٥- أنه يزيد من قرأه وتلاه وحفظه درجة ورفعة[(٤)]، وهذه من بركات القرآن، ولا تحصل إلا بالعمل والقراءة، ومن جملة ذلك أن من تلاه وقرأه فإن ذلك يكون شافعا له يوم القيامة، قال ﷺ: **[اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شافعا لأصحابه]**.

٦- من بركات القرآن الكريم، أنه شفاء من الأمراض المعنوية والحسية، شفاء من الشهوات والشبهات والمهلكات، وشفاء من الأمراض؛ فطلب الاستشفاء به من طلب بركة القرآن الكريم[(٥)].

٧- من التبرك بالقرآن الكريم جعله دستور الحياة، حتى تكمل الحياة، وتسعد المجتمعات، وأما جعله دستورا من دون عمل، أو كتابة شيء منه تبركا على الجدران ونحو ذلك؛ فهذا لم يثبت، ولا يجدي[(٦)].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٥١٨.

(٢) انظر: ما سبق ذكره في أوصاف القرآن الكريم وأسمائه في الفصل الرابع من الباب الأول مما يدل على أنه هاد.

(٣) روى نحوه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ فضل سورة البقرة، ح(٥٠١٠)، عن أبي هريرة ﷺ.

(٤) انظر: التبرك المشروع والتبرك الممنوع د.علي العلياني ص٣١، وانظر: الفصل الثالث من الباب الأول.

(٥) انظر: الفصل الثالث من الباب الأول.

(٦) انظر: الفصل الثالث من الباب الثاني.

٨- ومن بركته أنه إذا قرئ في بيت سورة البقرة؛ فإن الشياطين تطرد من ذلك البيت.

٩- ومن بركته أنه إذا قرئ تنـزلت الرحمات، وارتفعت الدرجات، وأحس القارئ بزيادة الإيمان، وأن الملائكة تحف القارئين[١].

وبهذا يتضح أن من عظمة القرآن الكريم أنه مبارك، وأن من تبعه يكون مباركا، وأن من عمله به يكون مباركا، ومن تمام تعظيمه معرفة خصائصه، وهذا ما أبينه في المطلب التالي.

(١) انظر: ما يدل على هذه المعاني، الأحاديث التي مرت حول هذا المعنى في الفصل الثالث، من الباب الأول.

المطلب الرابع: خصائص[1] القرآن.

يعتقد السلف أن للقرآن الكريم خصائص ومميزات ليست لأي كتاب على وجه الأرض، ولأجل هذه الخصائص الكثيرة، أفردها في التصنيف علماء[2]، ولكني أذكر من الخصائص ما له متعلق بالعقيدة، من حيث بيان منـزلته، وما يتعلق به من حكم عقدي، ومن هذه الخصائص:

١- من خصائصه أنه كتاب محكم مفصل، قال تعالى: ﴿ حمٓ ۝ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[فصلت: ١-٣].

٢- من خصائص القرآن أنه متحدى به، فلا يستطيع مخلوق أن يأتي بمثله، وهذه من خصائص القرآن[3]، قال الله ﷻ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[الإسراء: ٨٨].

٣- من خصائص القرآن منع روايته بالمعنى، وهو أمر متفق عليه بين العلماء[4].

٤- من خصائصه أنه يُرفع في آخر الزمان، دون ما سواه من الكتب المنزلة من الرحمن، فهو الكتاب الذي أنزله الله ﷻ، ويرفعه قرب قيام الساعة[5].

٥- من خصائص القرآن أنه يتعبد لله ﷻ بألفاظه تلاوة، ويستحق تاليه

---

(١) هذا العنوان مقصدي فيه: ما تميز به هذا الكتاب عن غيره، مما يعتقده السلف، وقد يعبر عنه بعنوان: خواص القرآن، وهناك مؤلفات باسم خواص القرآن لبعض المخرفين، وكأنهم يعتقدون أن القرآن طلاسم لمزاعمهم الباطلة، وشعوذاتهم الزائفة، لكني أذكر ما يصح أنه من خصائص القرآن. وانظر: خصائص القرآن للرومي ص١٣ في معنى "خصائص القرآن".

(٢) انظر: الإتقان للسيوطي ٤/ ١٣٧، حيث ذكر أن الغزالي أفرد هذا الموضوع بالتصنيف، ولم أقف عليه، وكذلك لليافعي فيه تصنيف، ولم أقف عليه، وممّن كتب فيه من المعاصرين المالكي بعنوان: (خصائص القرآن)، لكنه ملأه ببعض الخرافات، وللدكتور فهد الرومي (خصائص القرآن) وهو كتاب قيم.

(٣) انظر: المجموع ١٢/ ٣٩٣، ١٥/ ١٠٦.

(٤) انظر: الفواكه الدواني ١/ ٥٠.

(٥) ينظر: ما سبق في الفصل الأول، من الباب الأول.

الثوابَ على القراءة[١].

٦- أنه محفوظ عن الزيادة والنقصان، وعن التبديل والتغيير، وهذه خاصية لا توجد في كتاب سواه، وأبى الله العصمة إلا لكتابه.

٧- من خصائصه أنه الكتاب الذي يحفظ عن ظهر قلب، وبيسر وسهولة ـ مع كثرة آياته وسوره ـ بخلاف الكتب السابقة المنزلة[٢].

٨- من خصائصه أنه هو الدليل، وهو المدلول، فهو الذي يُنبي عن حكم الله ﷻ وشرعه، وهو الذي أمرنا بالإيمان به[٣].

٩- من خصائصه أنه لا يقرأ في الصلاة إلا هو، فلا يقرأ في حال القيام إلا القرآن على وجه الخصوص، ولا يصلى بلا قرآن، إلا من تعذر عليه من الإنس والجان، من غير تفريط منه في هذا الشأن[٤].

١٠- من خصائصه ما ذكر له من الفضائل، حيث لا يدانيه في ذلك الذكر أو المسائل، وهذا يدل على فضله، إذ شرف الشيء وما به يختص بكثرة أوصافه التي لا يشاركه فيها شيء[٥].

١١- من خصائصه ما فضل به آحاد سوره، وبعض آياته، وما ذكر لبعض السور والآيات من المميزات.

١٢- أنه لا يقوم غير القرآن مقامه، ويقوم هو مقام غيره، فيقوم هو مقام الذكر المطلق[٦]، والذكر المطلق لا يقوم مقامه، ويقوم هو مقام طلب العلوم الأخرى، ولا يقوم طلب علم غيره مقامه.

---

(١) انظر: ما سبق في الفصل الثالث، من الباب الأول، وانظر: الفصول في الأصول ٢/ ٢٦٠.

(٢) انظر: الفصول في الأصول ٢/ ٢٦٠.

(٣) انظر: النبوات ص ٩٠.

(٤) انظر: المجموع ١٧/ ١١.

(٥) انظر: كتاب فضائل القرآن، وتلاوته، وخصائص تلاوته، وحملته، لأبي الفضل أحمد بن الحسن الرازي ص٢٤.

(٦) انظر: المجموع ١٧/ ١١-١٢.

١٣- من خصائصه العظيمة أن فيه الغنية عما سواه من الكتب السابقة المنزلة[١].

١٤- من خصائص القرآن الكريم أنه كالماء يروي الإنسان، إذا استقى منه بصدق وإخلاص، ولذا شبهه النبي ﷺ بالماء، كما في قوله ﷺ: [**مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل غيث أصاب أرضا...**][٢] فقد خص الله ﷻ بعض الملائكة بإنزال الأمطار، وخص بعضهم بإنزال ما فيه حياة الأخيار، بهذا الوحي المدرار[٣].

١٥- خص بأنه لا يجوز مسه من غير طهارة كاملة، كما ثبت ذلك[٤] «عن الصحابة ـ مثل سعد، وسلمان، وابن عمر ـ وجماهير السلف، والخلف، الفقهاء الأربعة وغيرهم، ومضت به سنة رسول الله ﷺ في كتابه الذي كتبه لعمرو بن حزم[٥] ﷺ الذي لا ريب في أنه كتبه له، ودل على ذلك كتاب الله»[٦].

١٦- خص القرآن بأنه لا يقرأ في حال الركوع والسجود، لأن العبد في حالة ذل لله ﷻ، فلم يناسب أن يقرأ فيه شيئا من ذلك على وجه الذكر، وإنما يكثر فيهما ما يكون من التعظيم لله ﷻ ودعائه.

١٧- من خصائصه: ما اختصّ به أسلوبُه[٧]، فأسلوب القرآن أسلوب رفيع في المخاطبة، والناس على اختلاف طبقاتهم وثقافاتهم وأعمالهم يحسون به ويلتذون بقراءته، وما يذكر من بلاغة القرآن، وعلو لغته، فذلك بعض من علومه، وشيء من خصائصه، وما سطره العلماء بين مقل ومكثر، فإنما هو قليل من كثير، وقطرة من بحر، ومن أهم خواصه:

---

(١) انظر: المجموع ١٧/٤٦.

(٢) سبق تخريج الحديث وأوله: "إن مثل ما بعثني الله..." ص ٥٢٩.

(٣) انظر: نقض المنطق ص ٣٦.

(٤) انظر: الفصل الرابع من الباب الأول.

(٥) هو الصحابي الجليل: عمرو بن حزم بن زيد الأنصاري ﷺ شهد الخندق وما بعدها، وكان عامل النبي ﷺ على نجران، مات بعد الخمسين. انظر: التقريب ص ٣٥٧.

(٦) المجموع ١٧/١٢.

(٧) انظر: كتاب فضائل القرآن، وتلاوته، وخصائص تلاوته، وحملته، لأبي الفضل أحمد بن الحسن الرازي ص١٠.

أ- جماله اللغوي بيانا، واتساق ألفاظه حركة وسكونا، حيث يسترعي الأسماع، ويستهوي النفوس[(١)].

ب- إرضاؤه العامة والخاصة؛ فالعلماء يحسون بجلاله، وجماله، والعوام يحسون بحلاوته، وطراوته[(٢)].

ت- إرضاؤه العقل والعاطفة؛ فهو يخاطب العقل ويحسس الوجدان، وتدرك مرامه العقول، وتتحسس خطابه النفوس[(٣)]، كل ذلك بترابط أجزائه، وقوة سبكه وسرده[(٤)].

١٨- من خصائصه أنه شفاء[(٥)]، وهذا يدلك على أنه كتاب هداية وشفاء، وجاء: [**عليكم بالشفاءين: العسل والقرآن**][(٦)]، وهذا ليس لكتاب موجود على وجه الأرض إلا القرآن، قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «إذا ثبت أن لبعض الكلام خواصًا ومنافع، فما الظن بكلام رب العالمين»[(٧)].

فهذه بعض الخصائص التي تنبئك خصوصية القرآن، وتوقفك على خصائصه بين الكتب؛ فعض عليها، وتمسك بحبلها.

وهذه أبيات فيها بيان لما اشتمل عليه القرآن من بعض الخصائص، حيث قال

(١) انظر: مناهل العرفان ٢/ ٣٣١-٣٣٥.

(٢) انظر: مناهل العرفان ٢/ ٣٣٥-٣٣٦.

(٣) انظر: مناهل العرفان ٢/ ٣٣٦-٣٣٧.

(٤) انظر: مناهل العرفان ٢/ ٣٣٨-٣٤٠.

(٥) انظر: الإتقان للسيوطي ٤/ ١٣٧ وما بعدها.

(٦) رواه ابن ماجة، كتاب الطب، باب/ العسل، ح(٣٤٥٢)، ورواه الحاكم في مستدركه، كتاب الطب، ح(٧٤٣٥)، وقال: إسناد صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، من حديث ابن مسعود ﷺ، ووافقه الذهبي، وضعفه الشيخ الألباني، كما في السلسلة الضعيفة، ح(١٥١٤)، ورجح كونه موقوفا على ابن مسعود ﷺ.

(٧) انظر: الإتقان ٤/ ١٤٤.

الشاعر:

هـذا هـو القـرآن نبراس الهـدى   دسـتورك الأسمـى المنير المشـرق
آيـاته نبـع العلـوم جميعهـا   من قـال: لا؛ فهو الغبي الأخرق
علم الطبيعة، والحيـاة، وحكـمة   الإيجـاد من تبيانـه تتدفـق
وسيـاسة الدنـيا بأقـوم شرعـة   بين الورى بسـواه لا تتحـرك
فيه القضـاء لحـل كـل قضـية   عن حلها أهـل السياسة أخفَقوا
عودوا إلى القـرآن عودة باحـث   ترك الهوى، والعقل حر مطـلق
وخـذوا دسـاتير الحيـاة جميعهـا   من آيه، وعلى الخليقـة أشفقـوا
فهـو الـدواء لكـل أدواء الـورى   وهو الطبيب، لكل سقم، صدِّقوا
فـالـغرب لمـا سـار، سـار بنـوره   وعلا، وقبل الغرب سـار المشرق
يـا قـوم أحمـدَ مجدُكـم قرآنكـم   فهـو الكتـاب العـالمي الأصـدق[(١)]

فخصائص هذا الكتاب بينة، والعقول قد تدرك شيئا منها ولا تستحضره، وإنما هي مفرقة فجمعته، ومن خصائصه فهمه على ما فهمه السلف، وهذا ما أبينه في الفصل التالي.

(١) التربية في كتاب الله، لمحمود عبد الوهاب، ص٥٣-٥٤ نقلا عن كتاب خصائص القرآن للرومي ص٢٢٠-٢٢١.

الفصل الثاني

طريقة السلف في فهم القرآن والاحتجاج به

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: طريقة أهل السنة في فهم القرآن، وفيه خمسة مطالب.

المبحث الثاني: حجية القرآن عند السلف، وفيه أربعة مطالب.

المبحث الأول: طريقة أهل السنة في فهمه

المطلب الأول: الاستغناء بالوحي.

يعتقد السلف أن كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ، فيهما الغنية، وفيهما العظة والعبرة، والكفاية والغنيمة، وبيان لكل معلوم[1]، والأمم قبلنا كانت تسوسهم الأنبياء، وأما أمة محمد ﷺ فأغناهم الله برسولهم وكتابهم عن كل ما سواه، والعلماء الربانيون يقومون في الأمة مقام الأنبياء في التبليغ، وإن العالِم منهم، والمحدِّث إنما يؤخذ منه ما وافق الكتاب والسنة، ولا يقبل منهم شيء حتى يعرضه عليهما[2].

والوحي هداية لجميع البشر، من تمسك به وقي من كل زلل وشرر، ومن تركه من جبار انكسر، يقول صاحب متن الشيبانية فيما عنه اشتهر[3]:

فلا مذهب التشبيه نرضاه مذهبا ولا مقصد التعطيل نرضاه مقصدا

ولكن بالقرآن نهدي ونَهتدي وقد فاز بالقرآن عبد قد اهتدى

فالقرآن فيه جميع علم الكتب السابقة، وفيه تفصيل كل شيء، وهو آية صدق النبي ﷺ، فمن لم يرض به؛ فإنه لم يكتف بدليل صدق النبي ﷺ، وكفى به خسرانا[4]، فكل ما جاء به محمد ﷺ حق، والقرآن حق وهو منبع أحكام الشريعة[5].

---

(١) انظر: قانون التأويل لابن العربي ص ٥٠٤.

(٢) انظر: المجموع ١٧/٤٦.

(٣) ص ٣٦، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

(٤) انظر: إعجاز القرآن عند شيخ الإسلام ص١١٨، ١٢٦، ١٤٠.

(٥) انظر: الفرق بين الفرق ص١١.

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: «لن تعلموا القرآن حتى تعرفوا إعرابه، ومحكمه من متشابهه، وناسخه من منسوخه؛ إذا عرفتم ذلك استغنيتم»(١)، أي عما سواه.

وقد اتفق السلف على انقطاع الوحي من السماء، وكمال الشريعة السمحاء، وأن الدين قد استقر، وأن النصوص قد سبرت، واتفقوا على أنه لا يحل ترك ما جاء في الكتاب والسنة(٢).

ولهذا كان السلف مستغنين بالوحي عن الطرق الكلامية، والآراء الفلسفية، والمنامات الصوفية، والأذواق الفكرية، والقوانين البشرية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن، لا برأيه، ولا ذوقه، ولا معقوله، ولا قياسه، ولا وجده؛ فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات، والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدى، ودين الحق، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم... فكان القرآن هو الإمام الذي يقتدى به، ولهذا لا يوجد في كلام أحد من السلف أنه عارض القرآن بعقل ورأي وقياس، ولا بذوق، ووجد ومكاشفة، ولا قال قط: قد تعارض في هذا العقل والنقل!!... ولا فيهم من يقول: إن له ذوقا، أو وجدا، أو مخاطبة، أو مكاشفة تخالف القرآن والحديث»(٣).

فجيل الصحابة لا ينهلون إلا من الوحي، وكانت الحضارات تحيط بهم، الحضارة اليونانية، والمجوسية، وكانت اليهودية والنصرانية تعيشان بينهم في المدينة واليمن، ومع ذلك منهج التلقي عند هذا الجيل كان مقصورا على الوحي، مستغنين عما في أيدي القوم بما أغناهم الله من الوحي.

والاستغناء بالوحي واجب شرعا، وذلك لأنه متضمن العلوم الشرعية قطعا،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ١٩.

(٢) انظر: مراتب الإجماع ص١٧٤، وانظر: حجة الله البالغة للدهلوي ١/ ١٧.

(٣) المجموع ١٣/ ٢٨-٢٩.

وفيه يقول الله ﷻ: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[النساء: ١٦٦] قال الزجاج: « أنزله وفيه علمه »[١] وقال غيره: أنزله من عِلمه، وهذا المعنى مأثور عن السلف، كما قال عطاء بن السائب[٢]: [**أقرأني أبو عبد الرحمن**[٣] **القرآن، وكان إذا أقرأ أحدنا القرآن، قال: قد أخذت علم الله، فليس أحد اليوم أفضل منك إلا بعمل**][٤] فالقرآن متضمن لعلم الله ابتداء، فإنما أُنزِل بعلمه، وليس هو كلام بلا علم، فالقرآن فيه الغنية عما سواه، لكونه متضمنا لعلم الله خبرا وأمرا.

« ولهذا لم تحتج الأمة مع رسولها وكتابها إلى نبي آخر وكتاب آخر: فضلا عن أن تحتاج إلى شيء لا يستقل بنفسه غيره، سواء كان من علم المحدثين والملهمين، أو من علم أرباب النظر والقياس، الذين لا يعتصمون مع ذلك بكتاب منزل من السماء »[٥].

وكان عنوان القرآن ودعواه: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ ﴾[إبراهيم: ٥٢]، وقوله: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾[الأنعام: ١٩]، فالقرآن فيه غنية عما سواه، في البلاغ، والإنذار، وغير ذلك.

والأدلة أكثر من أن تذكر في الدلالة على أن في الوحي غنية عما سواه، وأسرد شيئا من هذه الأدلة:

١- أن الدين قد كمل، وكماله ببقاء نصوصه محفوظة، وكفايتها وشمولها وعمومها، قال الله ﷻ: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينًا ﴾[المائدة: ٣] والأمة تشهد بهذا، وأن النبي ﷺ، بلغ البلاغ المبين، وأكمل الله

---

(١) المجموع ١٦/ ٤٦٤.

(٢) هو من أتباع التابعين: عطاء بن السائب أبو محمد الثقفي الكوفي، صدوق في الحديث، روى له البخاري مقرونا، وأصحاب السنن، مات سنة ١٣٦هـ. انظر: التقريب ص٣٣١.

(٣) هو أبو عبد الرحمن السلمي.

(٤) المجموع ١٦/ ٤٦٤، وذكر الحافظ ابن كثير أنه رواه ابن أبي حاتم في تفسيره، انظر: تفسير القرآن العظيم ١/ ٥٩٠.

(٥) المجموع ١٧/ ٤٥، وانظر: الصفدية ١/ ٢٥٧.

به الدين، وإنما كمل بما بلغه، فالدين لم يعرف إلا بتبليغه(١)، وهذا يدل عليه ويؤكده قول النبي ﷺ: [**تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**](٢)، ويؤكد كمال الدين قول حذيفة رضي الله عنه: [**قام فينا رسول الله ﷺ مقاما، ما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة، إلا حدث به، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابه هؤلاء...**](٣)، فالنبي ﷺ أخبر بكل شيء مما يحتاج إليه في الدين، بل وبغيره من الأمور، فكيف لا يستغنى بالوحي؟؟(٤).

٢- قول الله ﷻ: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾[سبأ: ٦]؛ فالقرآن يهدي إلى التوحيد، والإسلام، وإلى ما فيه الرشاد، في الدنيا والمعاد، فكيف لا يكون فيه غنى عما سواه(٥)، **فالقرآن عند المؤمنين** الصادقين من أهل العلم الراسخين فيه الحق كله، «منحصر فيه، وما خالفه وناقضه؛ فإنه باطل...، ويرون أيضا أنه في أوامره ونواهيه: ﴿يَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ وذلك لأنهم جزموا بصدق ما أخبر به، من وجوه كثيرة: من جهة علمهم، بصدق ما أخبر به، ومن جهة موافقته للأمور الواقعة، والكتب السابقة، ومن جهة ما يشاهدون من أخبارها، التي تقع عيانا، ومن جهة ما يشاهدون من الآيات العظيمة الدالة عليها في الآفاق، وفي أنفسهم، ومن جهة موافقتها لما دلت عليه أسماؤه تعالى، وأوصافه، **ويرون في الأوامر والنواهي**، أنها تهدي إلى الصراط المستقيم، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى عموم الخلق، ونحو ذلك، **وينهى عن كل صفة قبيحة**، تدنس النفس، وتحبط الأجر، وتوجب الإثم والوزر: من الشرك، والزنا، والربا،

(١) انظر: المجموع ٥/ ١٥٦.

(٢) رواه ابن ماجة، كتاب السنة، باب/ اتباع سنة الخلفاء الراشدين، ح(٤٣)، رواه ابن أبي عاصم في السنة، ح(٤٨، ٤٩) من رواية العرباض بن سارية رضي الله عنه وأورده شيخ الإسلام في المجموع ٥/ ١٥٦، وسكت عنه، وقال الشيخ الألباني في كتابه: ظلال الجنة ص ٢٧: (حديث صحيح).

(٣) رواه مسلم، كتاب الفتن، باب/ إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة، ح(٢٨٩١).

(٤) انظر: الصفدية ١/ ٢٥٨-٢٥٩.

(٥) انظر: جامع البيان ١٠/ ٣٤٦، فتح البيان ٧/ ٤٢٩.

والظلم في الدماء، والأموال، والأعراض...»[١].

٣- قول الله ﷻ: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الإسراء:١٠٥] أي: بالحقيقة أنزلناه كتابا من لدنا، «متلبسا بالحق الذي هو ثبات نظام العالم على أكمل الوجوه، وهو: ما اشتمل عليه من العقائد، والأحكام، ومحاسن الأخلاق...»[٢].

٤- بين الله ﷻ أن الوحي فيه الهداية القويمة، فقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[الإسراء:٩] «فذكر الله ـ جل وعلا ـ في هذه الآية الكريمة: أن هذا القرآن العظيم ـ الذي هو أعظم الكتب السماوية، وأجمعها لجميع العلوم، وآخرها عهدا برب العالمين جل وعلا ـ يهدي للتي هي أقوم، أي الطريقة التي هي أسدّ، وأعدل، وأصوب... وهذه الآية الكريمة أجمل الله ـ جلا وعلا ـ فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق، وأعدلها، وأصوبها... فمن ذلك توحيد الله ـ جل وعلا ـ...»[٣].

٥- بين الله ﷻ أنه نزل الكتاب تبيانا لكل شيء، فقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[النحل: ٨٩]، والكتاب المراد به القرآن ـ على قولٍ ـ، والمعنى: ما فرطنا فيه من شيء يحتاجون إلى ذكره، وبيانه[٤].

٦- قال الله ﷻ: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾[الأنعام: ١١٤] فالكتاب هو القرآن المعجز، ومفصلا: أي مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل، والحلال والحرام، فـ«في الآية تنبيه على أن القرآن الكريم كاف في

(١) تيسير الكريم الرحمن ٦/ ٣٦٠ ـ ٣٦١.
(٢) محاسن التأويل ٤/ ٦٣٦.
(٣) أضواء البيان ٣/ ٣٠٤.
(٤) انظر: شفاء العليل ١/ ١١٨.

أمر الدين، مغنٍ عن غيره، ببيانه، وتفصيله»[(١)].

٧- قال ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[العنكبوت: ٥١] فالقرآن أحسن الكلام، ولهذا نهوا عن اتباع ما سواه[(٢)]، وقال ﷻ: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾[الأعراف: ١٥٨]، ومثل هذه الآيات التي فيها الإشارة إلى عظيم ما أنزل الله من البينات، «الواردة بصيغة الاستفهام، المتضمن معنى الإنكار، فيها مبالغة واضحة عند علماء البلاغة في وضوح كفايته، ودلالته على وجوب الإيمان، وعظم النفع في تدبره، بحيث لا يماثله في هذه الأشياء غيره، ولا يقاربه»[(٣)]، فمحمد ﷺ شريعته كافية لأمته، لا تحتاج إلى شيء آخر معه[(٤)].

٨- نهي النبي ﷺ عن سوى الوحي يدل على أن فيه الغنية، قال جابر ﷺ: **[إن عمر بن الخطاب ﷺ أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض الكتب، قال: فغضب، وقال: أَمُتَهَوِّكون[(٥)] فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية]**[(٦)]، وفي بعض الروايات: أن النبي ﷺ رأى بيد عمر بن الخطاب ﷺ شيئا من التوراة، فقال: **[لو كان موسى حيا، ثم اتبعتموه، وتركتموني لضللتم]**، وفي رواية: **[فتغير وجه النبي ﷺ لما عرض عليه عمر ذلك، فقال له بعض الأنصار: يا ابن الخطاب! ألا ترى إلى وجه رسول الله ﷺ؟ فقال عمر ﷺ: رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا]**[(٧)]، ففي هذا الحديث: التحذير من كتب أهل الكتاب مع أنها لا

---

(١) محاسن التأويل ٣/ ٤١٠.

(٢) انظر: المجموع ١٧/ ٤١.

(٣) ترجيح أساليب القرآن لابن الوزير اليماني ص ١٠.

(٤) انظر: الصفدية ١/ ٢٥٧.

(٥) قال أبو عبيد في قوله: [أمتهوكون] يقول: «أمتحيرون أنتم في الاسلام؟ لا تعرفون دينكم حتى تأخذوه من اليهود والنصارى؛ فمعناه: أنه كره أخذ العلم من أهل الكتاب». غريب الحديث ١/ ١٣٠، وأصل الكلمة مأخوذة من التهوك، وهو التحير. مختار الصحاح ص ٧٠٢.

(٦) رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة، ح(٥٠)، وقال الألباني في تخريجه له: (حديث حسن).

(٧) انظر: هذه الروايات في مصنف ابن أبي شيبة٥/ ٣١٢، ومسند الإمام أحمد ٣/ ٣٨٨، وانظر: تحسين الشيخ الألباني لسند هذه الروايات في حاشية المشكاة١/ ٦٣.

تخلو من حق[(١)]، والإنكار من النبي ﷺ على من التمس غير الوحي المنزل، ويشمل من التمس الهدى في غيره من باب أولى، وفيه موعظة وتذكير لمن لم يكتف بالوحي، مع أن في الوحي غنية وكفاية في الشرع، إذ الدين كامل به.

٩- أن الصحابة ﷺ فهموا وجوب الاستغناء بالوحي، فهذا عمر بن الخطاب ﷺ **[أتي برجل من عبد القيس، مسكنه بالسوس[(٢)]، فقال له عمر: أنت فلان ابن فلان العبدي؟ قال: نعم! قال: وأنت النازل بالسوس؟ قال: نعم!، فضربه بقناة[(٣)] معه، فقال له: ما ذنبي؟ قال فقرأ عليه:** ﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴾[يوسف: ١-٣]، **فقرأها عليه ثلاث مرات، وضربه ثلاث ضربات، ثم قال له عمر: أنت الذي انتسخت كتاب دانيال؟ قال: نعم! قال: اذهب فامحه بالحميم والصوف الأبيض، ولا تقرأه، ولا تقرئه أحدا من الناس]**[(٤)]، فقرأ عليه عمر هذه الآية «ليبين له أن القرآن أحسن القصص، فلا يحتاج معه إلى غيره»[(٥)]، وكذلك فعل ابن مسعود ﷺ لما أوتي له بكتاب من الكتب محاه، وذكر القرآن وفضله[(٦)]، مما يدل على الاستغناء بالوحي عما سواه.

١٠- قوله ﷻ : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ

---

(١) انظر: إجماع العلماء على الهجر والتحذير من أهل الأهواء ص ٦٥.

(٢) السوس: بضم أوله، وسكون ثانيه، وسين مهملة أخرى، على وزن: الصوف، والسوس اسم لمدن كثيرة، وإذا أطلقت فالمراد بها السوس المعروفة التي فتحت أيام عمر ﷺ، ولم أعرف موقعها الحالي. انظر: معجم البلدان ٣/ ٣١٩.

(٣) (القناة) الرمح، والجمع قنيّ، كحصاة وحصيّ. انظر: المصباح المنير للفيومي ص ٥١٧.

(٤) ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢/ ٤٦٨، وذكر أنه رواه أبو يعلى الموصلي ولم أجده في سننه المطبوع، ومن طريقه رواه الضياء في المختارة ١/ ٢١٦، وانظر: الفتح ١٣/ ٥٣٥.

(٥) المجموع ١٧/ ٤٢

(٦) المجموع ١٧/ ٤٢، ولم أجده عند غيره.

﴿ٱلۡحَقِّ﴾[المائدة: ٤٨] فالقرآن مهيمن على الكتب السابقة بمعنى: أنّه مؤتمن على الكتب السابقة، أمين عليها، وشهيد لها بالحق، حاكم عليها، قال ابن كثير رحمه الله: «وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى؛ فإن اسم المهيمن يتضمن هذا كله، فهو أمين، وشاهد، وحاكم على كل كتاب قبله، جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب، وخاتمها، وأشملها، وأعظمها، وأكملها، حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره؛ فلهذا جعله شاهدا، وأمينا، وحاكما عليها كلها»[(١)].

١١- قوله ﷻ: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الحشر: ٢١]، وقال: ﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾[الرعد: ٣١] فكيف لا يستغنى بالقرآن، وهذا وصفه، «عظيم قدره، ونفعه، وبركته، ونوره، وهدايته، وسره، وخاصيته التي لا يحيط بمعرفتها على التفصيل والتحقيق إلا الله ﷻ، بحيث يؤثر في الجبال الراسيات، والصخور القاسيات، فكيف لا يؤثر في قلب المتدبر له، المتعلم منه، المعول في جميع المهمات عليه، الراجع في اقتباس نور الهدى إليه، **وأي كتاب يوجد في العالم موصوف بمثل هذا الوصف**، والواصف له الملك الرب الجليل، علاّم الغيوب، الذي يستحيل عليه الخطأ والتعظيم لما لا يستحق التعظيم، والغلو القبيح في الكلام بغير الحق، فكيف يترك ما في هذا الذكر المبين من البراهين، ويعتمد على تآليف المخلوقين، وأساليب الجدليين؟؟»[(٢)].

١٢- قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾[الأعراف: ٥٢] فالقرآن مفصل فيه العلم كله مما يحتاج إليه البشر في تعبدهم لله رب العالمين، فانظر إلى قوله ﴿فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ «وما دل عليه من مطابقة ما اشتمل عليه القرآن من الإيجاز في موضعه، والاكتفاء بالجملة في موضعه لما تقرر في علم الله

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/ ٦٥، وانظر: نقض المنطق لشيخ الإسلام ص٢٤.

(٢) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لأبي عبد الله محمد بن المرتضى المشهور بابن الوزير ص ٩-١٠.

عليه القرآن من الإيجاز في موضعه، والاكتفاء بالجملة في موضعه لما تقرر في علم الله تعالى بالغيوب من مصالح المؤمنين، الذين خصهم بأنه هدى لهم ورحمة، فأي كتاب فصل على علم مثل هذا العلم الذي صدر عنه تفصيله؟ »[١].

١٣- قوله ﷻ: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴾[الزخرف: ٣٦-٣٨] والمراد بذكر الرحمن: هو الذكر الذي أنزله، وهو القرآن[٢]، كما قال تعالى: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾[طه: ١٢٣-١٢٦]، قال ابن عباس ﵄: **[من قرأ القرآن، واتبع ما فيه هداه الله في الدنيا من الضلالة، ووقاه يوم القيامة سوء الحساب]**[٣]، « ولقد ضمن الله لمن اتبع القرآن أن لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة »[٤]، فمن لم يكتف بذكر الله، من الوحي الذي أنزله على محمد ﷺ، فلا أحد أضل منه؛ لأنه متبع لهواه.

١٤- قول الله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ [الرعد: ٣٦]، قال ابن القيم ﵀: « فإذا كان أهل الكتاب يفرحون بالوحي؛ فأولياء الله، وأتباع رسوله أحق بالفرح به »[٥]، والقرآن الذي علمنا الله خير لنا من الذهب

(١) ترجيح أساليب القرآن لابن الوزير ص١٠-١١.
(٢) انظر: الرد على البكري ١/ ٣٥٧.
(٣) معالم التنـزيل للبغوي ٥/ ٣٠٠.
(٤) هذه الزيادة ذكرها ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٣٣٠، وشيخ الإسلام في المجموع ٣/ ٣١٤، وقد سبق الأثر في ص٢٤١.
(٥) الروح ص٣٣٤.

١٥- كيف لا يستغنى بالوحي، والله ﷻ أخبر أنه مشتمل على الهدى والفلاح، قال ﷻ: ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة: ١-٢]، وقال: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[إبراهيم: ١-٢] وقال: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ۝ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾[الأنعام: ١٥٥-١٥٧]، فإذا كان الوحي مشتملا على الهدى والنور، فمن تبعه اهتدى، ومن سار على دربه وصل، ومن أعرض عنه ضل(١)، ومن لم يعتقد أن في القرآن هدى وضياء فلا شك في كفره، وأنه خارج عن ملة الإسلام(٢).

١٦- أن الوحي شفاء للمؤمنين وبيان، فكيف لا يستغنى به، قال ﷻ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾[الإسراء: ٨٢]، وقال الله ﷻ: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران: ١٣٨] فاعتماد أهل السنة أصحاب الحديث: سلفا وخلفا، على الوحي، وعلى إرشاد الله إياهم(٣)، قال النبي ﷺ: [**إن هذا القرآن سبب طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به؛ فإنكم لن تضلوا، ولن تهلكوا بعده أبدا**](٤)، ومثل هذا قول النبي ﷺ: [**إني قد تركت فيكم، ما إن**

(١) انظر: الدرء ٥/ ٣٧٥.

(٢) سمعت هذه العبارة من شيخنا عبد المحسن العباد البدر ــ حفظه الله ــ.

(٣) انظر: الانتصار للعمراني ١/ ١٢٣.

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه كما في الإحسان ١/ ١٦٦ح(١٢٢)، والطبراني في الكبير كما في صحيح الترغيب والترهيب للألباني ١/ ١٢٤، ح(٣٨)، كلاهما عن طريق أبي شريح الخزاعي ﷺ، وقال: الشيخ الألباني: إسناده جيد.

اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا، كتاب الله، وسنة نبيه][١]، فكون القرآن «حبل الله بإطلاق، والشفاء النافع، دليل على كمال الأمر فيه...، ولا أحد من العلماء لجأ إلى القرآن في مسألة إلا وجد لها فيه أصلا»[٢]، فلا يلتمس الهدى في غير الوحي[٣].

١٧- قول النبي ﷺ: **[ليس منا من لم يَتَغَنَّ بالقرآن]**[٤]، والمراد استغناء الرجل بما أوتي من كتاب الله ﷻ[٥]، هكذا نقل عن غير واحد من السلف: أن المرء يستغني بالوحي عما سواه[٦].

١٨- أن ما جاء في فضل القرآن يدل على أنه يغني عن غيره، وغيره لا يغني عنه، قال ﷺ: **[ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر، يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما: كتاب الله؛ فيه الهدى والنور، من استمسك به، وأخذ به كان**

=

الترغيب والترهيب للألباني ١/ ١٢٤، ح(٣٨)، كلاهما عن طريق أبي شريح الخزاعي ﷺ، وقال: الشيخ الألباني: إسناده جيد.

(١) رواه الحاكم في مستدركه، ح(٣١٨)، وأورده الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١/ ١٢٤، ح(٤٠).

(٢) الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٧٠-٣٧١ بتصرف يسير.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٦.

(٤) رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب/ استحباب الترتيل في القراءة، ح(١٤٦٩)، والنسائي، في كتاب الافتتاح، باب/ تزيين القرآن بالصوت، ح(١٠١٦)، وغيرهما عن سعد بن أبي وقاص ﷺ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان (١٢٠)، ورواه الحاكم في مستدركه (ح٢٠٩٢)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بهذا الإسناد، وقال الذهبي: صحيح، كما في التلخيص في الحاشية من المستدرك، وقال الشيخ الألباني: عن سند أبي داود: إسناده صحيح، وأطال فيه الكلام بذكر شواهده، كما في تحقيقه لسنن أبي داود ٥/ ٢١٠ وما بعدها.

(٥) الإحسان لابن بلبان ١/ ١٦٥.

(٦) انظر: سنن أبي داود٢/ ١٠٦، وتحقيق الشيخ الألباني لسنن أبي داود ٥/ ٢١٢ ـ ٢١٣، وقد ذكر فيه الخطابي أوجها، فقال: «هذا يتأول على وجوه: أحدها تحسين الصوت، والوجه الثاني: الاستغناء بالقرآن عن غيره، وإليه ذهب سفيان بن عيينة، ويقال: تغنى الرجل بمعنى استغنى...، وقال ابن الأعرابي: إن العرب كانت تتغنى بالركبان إذا ركبت الإبل، وإذا جلست في الأفنية، وعلى أكثر أحوالها، فلما نزل القرآن أحب النبي ﷺ أن يكون القرآن هِجيراهم، مكان التغني بالركبان». انظر: معالم السنن للخطابي ١/ ٢٩١، وانظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ١٢.

على الهدى، ومن أخطأه ضل؛ فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به ـ فحث على كتاب الله، ورغب فيه ـ، ثم قال: وأهل بيتي: أذكركم الله في أهل بيتي...][1]، وجاء في الأثر: [كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِ﴾[الجن: ١-٢]، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم][2].

١٩- «أن الأصل المعتمد في هذا الباب، وغيره من أصول الدين، وفروعه: هو ما دل عليه الكتاب، والسنة، وإجماع علماء الأمة...، وليس المعول على كلام الآحاد من أهل العلم والدين، وإن علت درجتهم، وارتفعت رتبتهم، ولا تصلح المعارضة بقول فلان، وفلان من أهل العلم والدين، ولا ينتقض الدليل بمخالفة أحد كائنا من كان»[3]؛ لأنه قد توفر في الوحي جميع الأمور التي هي أسباب الهداية، بأبلغ العبارات، وأدق التعبيرات، وذلك لأن: ربنا ﷻ المتكلم عالم بما يقول، ثم كلامه أبلغ الكلام وأفصحه، وهو يريد بإنزال الوحي هداية الخلق إلى عبادته وتوحيده، فإذا كان قد توفر في الوحي هذه الأمور الثلاث؛ من علم محقق، وقدرة على فصاحة باهرة،

---

(١) روى نحوه مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب/ من فضائل علي ﷺ، ح(٢٤٠٨)، ورواه الطحاوي في مشكل الآثار ٩/ ٨٩، ح(٣٤٦٤).

(٢) رواه الترمذي مرفوعا، وقال: «حديث غريب»، أبواب فضائل القرآن، باب/ ما جاء في فضل القرآن، ح(٣٠٧٠)، وروى نحوه الإمام أحمد في مسنده، ح(٧٠٤)، والدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب/ فضل من قرأ القرآن، ح(٣٣٣١)، وأورده شيخ الإسلام وسكت عنه، كما في المجموع ٣/ ٣١٤، وقال الشيخ الألباني: «هذا حديث جميل المعنى، ولكن إسناده ضعيف... ولعل أصله موقوف على علي ﷺ». انظر: تحقيقه للطحاوية ص ٦٨.

(٣) غاية الأماني في الرد على النبهاني ١/ ٥٥، ونقله من كلام الإمام العلامة الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ ﷀ.

وإرادة طيبة ناصحة؛ فهذا دليل على أن الوحي الذي صدر ممن هذا وصفه يكون كافيا، وشافيا[١].

٢٠- لقد عرف السلف الصالح أن في الوحي غنى عما سواه، قال الخطابي رحمه الله: «سمعت أبا الحسن ابن الأعرابي ـ ونحن نسمع عليه هذا الكتاب، يعني: "سنن أبي داود" ـ يقول: لو أن رجلا لم يكن عنده من العلم إلا المصحف الذي فيه كتاب الله، ثم هذا الكتاب، لم يحتج معهما إلى شيء من العلم بتَّةً»[٢].

٢١- قال الإمام الشافعي رحمه الله: «ما نزل بأحد من المسلمين نازلة إلا وفي كتاب الله سبيل الدلالة عليها»[٣].

٢٢- وقال الإمام أحمد رحمه الله: «لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، لا نتجاوز القرآن والحديث»[٤]، فانظر رعاك الله إلى قول إمام مسدد، وهو يأمرك بالوقوف على ما جاء في الكتاب والسنة، خصوصا في باب الأسماء والصفات، لأنه من الأبواب الغيبية التي لا تدرك بالحواس البشرية.

٢٣- ومما يدل على أن الغنى في القرآن كون كثير من المخالفين للسلف من أساطين أهل الكلام، وغيرهم رجعوا إليه بعد ما ذاقوا مرارة البعد عنه، وعلموا ضياع أنفسهم حين نأوا عنه، وأقروا على أنفسهم بالخطأ، وذكروا أهمية الرجوع إلى الوحي.

وأصل ضلال من ضل عن الوحي إنما هو بتقديم قياسه على النص المنـزل من عند الله، وتقديم اتباع الهوى على اتباع أمر الله[٥]، وتقليد الأمراء والعلماء، ولهذا نهى السلف

---

(١) انظر: شرح الواسطية للشيخ محمد خليل هراس ص ٢١.

(٢) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/ ١٥٥، السير ١٧/ ٢٦، وطبقات الشافعية للسبكي ٣/ ٣٨٣، ومرادي من هذا النقل أن الكتاب والسنة فيهما الغنية عما عداهما، لا أن سنن أبي داود وحده كاف، كما هو قول ابن الأعرابي، نعم هو كذلك يحوي على غالب الأحاديث في الأحكام، لكن السنة أشمل من ذلك، وإنما هذا القول من ابن الأعرابي للدلالة على أهمية كتاب شيخه الإمام أبي داود رحمه الله.

(٣) نقله ابن القيم في كتابه شفاء العليل ١/ ١١٨.

(٤) أقاويل الثقات ص ٢٣٤

(٥) انظر: العبودية ص ٤٨.

عن كل ذلك وأمروا بالقياس الصحيح، ونهوا عن اتباع الهوى، وعن التقليد الأعمى.

وإن أمة محمد ﷺ قد استغناهم الله ﷻ بالكتاب والسنة، وآثار السلف عن كل كلام[١]، وهذا أمر بين، وإنما أردت الإشارة والبيان بأنّ الكتاب والسنة يحصل منهما كمال الهدى والنور، لمن تدبر كتاب الله، وسنة النبي ﷺ، وقصد اتباع الحق[٢]، فإذا وجد في العبد عقل ودين، حتى يفهم ويتدين لله رب العالمين، فنور الكتاب والسنة يغنيه عن كل شيء، فإذا ثبت أن دين نبينا محمد ﷺ مستغن عن دين من سبقه من الأنبياء بهذا الشرع الكامل الذي جاءنا به، فاستغناؤه عما سواه أولى[٣].

فمن قام بالذي جاء به الكتاب والسنة، أشرف على علم الأولين، والآخرين، وأغناه الله بالنور الذي بعث به محمدا ﷺ عما سواه[٤]، ولما كان الكتاب والسنة هما طريق النجاة؛ فإني أبين في المطلب التالي التلازم بين الكتاب والسنة.

---

(١) انظر: المجموع ٥/ ٩٩.

(٢) انظر: المجموع ٥/ ١٠٢.

(٣) انظر: الصفدية ١/ ٢٦٠، المجموع ٥/ ١٠٠.

(٤) انظر: الصفدية ١/ ٢٦٠.

المطلب الثاني: تلازم القرآن والسنة.

من معتقد السلف أن القرآن الذي أنزله الله ﷻ على نبيه ﷺ ما فرط فيه شيء، كما قال ﷻ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[الأنعام: ٣٨] وهذا الكتاب الذي لم يفرط فيه شيء، فيه الأمر بلزوم السنة، والتزامها في دين الله ﷻ، ولهذا فإن من تنـزيل القرآن منـزلته العمل بالسنة، حيث إنّها تبين مجمل القرآن، وعامه، ووضحت ما فيه مما يحتاج إلى تفسير، فبين النبي ﷺ البيان التام، الذي به اكتمل المقصد على التمام، وبهذا يعلم أن السنة شارحة للكتاب، وأنه لا بد في فهمه من السنة على الصواب، فهذا التلازم واضح لمن تدبر، وجلي لمن تذكر(١).

ولهذا حذر النبي ﷺ من أقوام لا يبالون بالسنة، ولا يقيمون لها وزنا، ولا منـزلة(٢)، فقال: [**ألا إني أوتيت الكتاب، ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن؛ فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه...**](٣). وفي رواية: [**لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري، مما أمرت به، أو نهيت عنه، فيقول: لا ندري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه**](٤).

---

(١) انظر: الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٦٧، الجواب الصحيح ٣/ ١٧، الاقتضاء ١/ ٨٤-٨٥، أقاويل الثقات ص ٢١٩.

(٢) وسيأتي ذكرهم والرد عليهم في الفصل السادس من الباب الرابع.

(٣) رواه أبو داود، كتاب السنة، باب/ في لزوم السنة، ح(٤٦٠٤)، وأخرجه الترمذي، كتاب العلم، باب/ ما نهي عنه أن يقال...، ح(٢٦٦٦)، وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه، ورواه غيرهما، من طريق المقداد بن معديكرب ﷺ، وقال الشيخ الألباني: «صحيح» كما في صحيح سنن أبي داود ٣/ ١١٨.

(٤) رواه أبو داود، كتاب السنة، باب/ في لزوم السنة، ح(٤٦٠٥)، وأخرجه الترمذي، كتاب العلم، باب/ ما نهي عنه أن يقال...، ح(٢٦٦٥)، وقال: هذا حديث حسن. ورواه غيرهما، من طريق أبي رافع ﷺ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هذا الحديث في السنن والمسانيد، مأثور عن النبي ﷺ، من عدة جهات»، [المجموع ١٩/ ٨٥]، وقال الشيخ الألباني: «صحيح»، انظر: صحيح سنن أبي داود، ٣/ ١١٨.

فبينهما من التلازم ما بين المتن والشرح، أو ما بين الفقه والحديث، بل أشد، ثم كلاهما وحي، إلا أن القرآن وحي متلو، وهو كلام الله ﷻ، وأما السنة فوحي خفي، المعنى من الله ﷻ، واللفظ من رسول الله ﷺ، ولهذا جاء التأكيد على التزامهما وعدم التفريق بينهما، قال ﷺ: [**تركت فيكم شيئين، لن تضلوا بعدهما: كتاب الله، وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض**](1).

قال الإمام الشافعي رحمه الله: « فَرْضُ الله ﷻ في كتابه من وجهين:

أحدهما: أبانَ فيه كيف فَرْضُ بعضِها، حتى استغنيَ فيه بالتنـزيل عن التأويل، وعن الخبر « مثل جملة فرائضه في أن عليهم صلاة، وزكاة،وحجا، وصوما، وأنه حرم الفواحش، ما ظهر منها وما بطن، ونص الزنا، والخمر، وأكل الميتة، والدم، ولحم الخنـزير، وبين لهم كيف فرض الوضوء، مع غير ذلك مما بين نصا).

والآخر: أنه أحكم فرضه بكتابه، وبين كيف هي على لسان نبيه ﷺ، « مثل عدد الصلاة، والزكاة، ووقتها، وغير ذلك من فرائضه التي أنزل من كتابه)، ثم أثبت فرض ما فرض رسول الله ﷺ في كتابه بقوله ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[الحشر:٧]...، فمن قبل عن رسول الله ﷺ فبفرض الله ﷻ قبل).(2)

وهناك أدلة كثيرة تؤكد على وجود التلازم بين الكتاب والسنة، وعدم التفريق بينهما، من حيث العمل في أبواب الشرع وغيرها، ومن هذه الأدلة: ـ

١. قال الله ﷻ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[النساء:٦٥]، فهذا ذم من الله ﷻ لمن لا يرضى بحكم رسول الله ﷺ، وقسمه، ويعدل عن أمره، وطاعته(3)، وأيضا أمر الله

---

(١) روى نحوه مالك في الموطأ بلاغا ٢/ ٦٨٦، وقال السيوطي [في تنوير الحوالك ٢/ ٣٠٨]: وصله ابن عبد البر، وهو بلفظه في صحيح الجامع، ح(٢٩٣٤)، وقال الشيخ الألباني: « له شاهد بسند حسن عند الحاكم » . كما في تحقيقه على المشكاة، ح(١٨٦).

(٢) جماع العلم للإمام الشافعي ص ٩١-٩٢، وما بين المعقوفتين فمن كتابه الرسالة [الفقرة: ٥٦-٥٧].

(٣) انظر: المجموع ١٩/ ٨٧.

المؤمنين بالرجوع إلى حكم الله، وحكم رسوله؛ فقال ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[النساء:٥٩]، قال ميمون بن مهران: «الرد إلى الله: الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول إذا كان حيا، فلما قبضه الله: فالرد إلى سنته»[(١)] قال عطاء رحمه الله - في تفسير أولي الأمر -: «أولوا العلم والفقه، وطاعة الرسول: اتباع الكتاب والسنن»[(٢)].

٢. قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ [النساء:١٥٠] فجعل من علامات الكافرين التفريق في الإيمان بين ما نزل من الله ﷻ من الشرع، وما أمر به ﷺ.

٣. قوله ﷻ: ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[الأعراف:١٥٦-١٥٧] فجعل الله ﷻ رحمته للمتبعين لمحمد ﷺ.

٤. قول الله ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴾[الأحزاب:٣٦] فدلت الآية على وجوب طاعة الله ورسوله، والحذر من معصية الله ورسوله، ولهذا قال الشافعي رحمه الله: «من استبانت له سنة عن رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول

(١) الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٧٦.

(٢) رواه الدارمي ١/ ٥١.

أحد»[١]، «فدل هذا على أنه إذا ثبت لله ولرسوله في كل مسألة من المسائل حكم طلبي، أو خبري؛ فإنه ليس لأحد أن يتخير لنفسه غير ذلك الحكم فيذهب إليه، وأن ذلك ليس لمؤمن ولا مؤمنة أصلا؛ فدل على أن ذلك مناف للإيمان»[٢].

٥. والأمر بطاعة الرسول ﷺ جاءت في القرآن في أكثر من ثلاثين موضعا من القرآن[٣]، ومنها قوله ﷻ: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[النساء:١٣]، وقال تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾[النساء:٨٠]، وقال: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[آل عمران:٣٢]، وقال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[النساء:٦٤]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[الأنفال:٢٤]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾[محمد:٣٣]، وقال: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[الحشر:٧][٤]، وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[الأحزاب:٢١]، فهذه الآيات الكثيرة التي فيها الأمر باتباعه ﷺ، إن لم يؤخذ بالسنة فتكون بلا معنى إلا بالنسبة للمخاطبين من الصحابة الأخيار، وهذا إلغاء لقيمة الآثار المنقولة عن النبي المختار،

---

(١) نقله ابن القيم في الرسالة التبوكية ص ١٠٧، وانظر: إعلام الموقعين ٢/ ٣٦١.

(٢) الرسالة التبوكية ص ١٠٧.

(٣) انظر: المجموع ١/ ٦٧.

(٤) يذكر المفسرون عند هذه الآية حديث ابن مسعود الذي يدل على التلازم بين الكتاب والسنة، وقد رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب/ ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾، ح(٤٨٨٦)، ومسلم، كتاب اللباس والزينة، باب/ تحريم فعل الواصلة...، ح(٢١٢٥) عن ابن مسعود ﷺ أنه لعن الواصلة والمستوصلة، وقال: مالي لا ألعن من لعنه الله في كتابه؟ فقالت امرأة: لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدته، فقال: لئن كنت قرأتيه فقد وجدتيه، ـ ثم تلا الآية ـ. وانظر: الموافقات ٣/ ٣٦٨.

قال الشافعي رحمه الله: «من علم اللسان الذي به كتاب الله، وأحكام الله دله علمه بهما على قبول أخبار الصادقين عن رسول الله ﷺ»[(١)] «ونحن نعلم يقينا بالاضطرار من دين الإسلام؛ أن محمدا رسول الله ﷺ، أوجب الله تعالى علينا طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، ولم يأمر بطاعة غيره إلا إذا وافق طاعته، لا نبيا ولا غير نبي...، وقد علمنا بالاضطرار من دينه أن من أطاعه دخل الجنة؛ فلا يحتاج مع ذلك إلى طاعة غيره: لا نبي، ولا محدث»[(٢)].

٦. أن الله عز وجل إنما أمر بطاعة الرسول ﷺ طاعة مطلقة، ذلك لأنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لا ينطق عن نفسه، وإنما ينطق بالوحي الذي هو شرع لنا، قال الله ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[النجم:٣-٤].

٧. وأخبر الله عز وجل أن محمدا ﷺ إنما يعلم الناس شيئين هما: الكتاب والسنة، فقال: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾[الأحزاب:٣٤]، وقال: ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[البقرة:١٢٩]، فالكتاب: القرآن، والحكمة هي السنة، فأخبر الله عز وجل أنه يتلى في بيوت أمهات المؤمنين شيئان: القرآن والسنة، ومعنى التلاوة: النطق بالقرآن والسنة[(٣)].

٨. أن الله عز وجل «جعل إلى رسوله ﷺ بيان ما كان منه ـ أي القرآن ـ مجملا، وتفسير ما كان منه مشكلا، وتحقيق ما كان منه محتملا، ليكون له مع تبليغ الرسالة ظهور الاختصاص به، ومنـزلة التفويض إليه، قال الله تعالى»[(٤)]: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل:٤٤]، وهذا الذكر المبيَّن

(١) الأم للشافعي ٧/ ٤٦١، وانظر: ما بعدها.

(٢) الصفدية ١/ ٢٥٨.

(٣) انظر: الأم للشافعي ٧/ ٤٦١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٦.

للمنـزل هي الحكمة، وهي محفوظة؛ لأن «ما احتاجت الأمم إليه من الأخبار الإلهية؛ فلا بد أن يكون محفوظا، معصوما، لتقوم به الحجة، ويحصل به مقصود الدعوة، وهذا مما يدل على وجوب عصمة ما جاءت به الأنبياء، وعصمة ما جاء به نبينا بعد موته، فحفظ الله الذكر الذي أنزله، وقد أنزل عليه الكتاب والحكمة، والحكمة هي السنة، فحفظ الله هذا وهذا، ولله الحمد والمنة»[١].

٩. قول النبي ﷺ: **[أوصيكم بتقوى الله، والسمع، والطاعة، وإن كان عبدا حبشيا؛ فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ؛ وإياكم والمحدثات؛ فإن كل محدثة بدعة]**[٢].

١٠. وقد نص أهل العلم أن السنة قاضية على الكتاب[٣] وهذا يعني أنه يبين مجمله، ويوضح مبهمه...

١١. ومما يدل على وجوب العمل بالسنة مع الكتاب، قول ميمون بن مهران: **[كان أبو بكر ﷺ إذا ورد عليه الخصم، نظر في كتاب الله؛ فإن وجد فيه ما يقضي بينهم قضى به، وإن لم يكن في الكتاب وعلم من رسول الله ﷺ في ذلك الأمر سنة قضى بها؛ فإن أعياه، خرج فسأل المسلمين...]**[٤]، فهذا يدل على أن خليفة رسول الله ﷺ كان يحكم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ولم يفرق بينهما، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله عند ذكر البخاري رحمه الله لحديث عمر ﷺ في رجم الزاني المحصن[٥] ـ: «أشار ـ أي عمر ﷺ ـ بقصة الرجم إلى زجر من يقول: **لا أعمل في الأحكام الشرعية إلا بما وجدته في القرآن**، وليس في القرآن تصريح باشتراط التشاور إذا مات الخليفة، بل إنما

---

(١) الصفدية ١/ ٢٦٠.

(٢) رواه أبو داود في كتاب السنة، باب/ ...، ح(٤٦٠٧)، والترمذي، كتاب العلم، باب/ ...، ح(٢٦٧٦)، والدارمي في سننه ١/ ٣٤، وغيرهم عن العرباض بن سارية ﷺ، وهو حديث مشهور.

(٣) انظر: تبويب الإمام الدارمي في سننه ١/ ٩٦.

(٤) رواه الدارمي في سننه ١/ ٤٢، ح(١٦١)، وأورده السيوطي في تاريخ الخلفاء الراشدين، ص ٤٣.

(٥) انظر: صحيح الإمام البخاري، كتاب الحدود، باب/ رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت، ح(٦٨٣٠).

يؤخذ ذلك من جهة السنة، كما أن الرجم ليس فيما يتلى من القرآن، وهو مأخوذ من طريق السنة »[١].

١٢. أن أسعد الناس، وأسدهم رأيا في جميع أمور الدين، وما يقرب إلى رب العالمين، هم المتلقون « من مشكاة الوحي المبين، ورغب بعقله وفطرته، وإيمانه عن آراء المتهوكين، وتشكيكات المشككين، وتكلفات المتنطعين، واستمطر ديم الهداية من كلمات أعلم الخلق برب العالمين؛ فإن كلماته الجوامع النوافع في هذا الباب، وفي غيره، كفت، وشفت، وجمعت، وفرقت، وأوضحت، وبينت، وحلت محل التفسير والبيان، لما تضمنه القرآن »[٢].

١٣. أنه ثبت اتفاق المسلمين من الصحابة والتابعين على وجوب العمل بالسنة إذا ثبتت[٣]، قال الإمام الشافعي رحمه الله: « لم أسمع أحدا نسبه الناس، أو نسب نفسه إلى علم يخالف في أن فرض الله عز وجل اتباع أمر رسول الله ﷺ، والتسليم لحكمه، بأن الله عز وجل لم يجعل لأحد بعده إلا اتباعه، وأنه لا يلزم قول بكل حال إلا بكتاب الله، أو سنة رسول الله ﷺ، وأن ما سواهما تبع لهما، وأن فرض الله تعالى علينا، وعلى من بعدنا وقبلنا في قبول الخبر عن رسول الله ﷺ واحد لا يختلف في أن الفرض والواجب قبول الخبر عن رسول الله ﷺ... »[٤].

« فهذه النصوص توجب اتباع الرسول، وإن لم نجد ما قاله منصوصا بعينه في الكتاب، كما أن تلك الآيات توجب اتباع الكتاب...، فعلينا أن نتبع الكتاب، وعلينا أن نتبع الرسول، واتباع أحدهما هو اتباع الآخر؛ فإن الرسول بلغ الكتاب، والكتاب أمر بطاعة الرسول، ولا يختلف الكتاب والرسول البتة، كما لا يخالف الكتاب بعضه بعضا،

---

(١) الفتح ١٢/ ١٥٤.

(٢) شفاء العليل ١/ ١٨.

(٣) انظر: المجموع ١٩/ ٨٥.

(٤) الأم للشافعي ٧/ ٤٦٠.

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[النساء:٨٢] »[١].

وإذا ثبت بنصوص الكتاب والسنة وجوب العمل بالسنة؛ فإني أبين بعضا مما يدل على وجود التلازم بين السنة والكتاب من المسائل، ومن أمثلة ذلك:

١- أن الله ﷻ أمرنا بالصلاة في أكثر من آية ـ، ولم يبين لنا في القرآن كم عدد الصلوات، ولا كيفيتها، فنحتاج إلى السنة لمعرفة عدد ركعات الصلاة، وكيفيتها[٢].

٢- أمْرُ الله ﷻ بالصلاة عامٌّ لكل المسلمين، والسنة قاضية بأن المرأة إذا أصابها الحيض أو النفاس أنها لا تصلي، فهذا يدل على التلازم بين الكتاب والسنة[٣].

٣- أن الله ﷻ أمرنا بالزكاة، ولم يبين لنا فرائض الزكاة ونصبها إلا في السنة[٤].

٤- أن الله ﷻ أمرنا بالحج، والطواف، والسعي، ولم يتبين لنا المناسك، ولا قدر الطواف، والسعي، ورمي الجمار، وأوقاتها إلا من السنة[٥].

٥- أن الله ﷻ أمرنا بقطع يد السارق، ولم يبين لنا نصاب السرقة، ولا موضع القطع، لكن ذلك ثابت بالسنة القاطعة للشبهة[٦].

٦- قال ﷻ: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[البقرة:١٨٠]، فلو قال قائل: إن هذه الآية نُسِخت بآية المواريث لم نجد عليه حجة إلا السنة عن رسول الله ﷺ، إذ بينت أنه لا وصية لوارث[٧].

٧- أن الله ﷻ فرض الميراث للوالدين والأبناء والأخوة على سبيل العموم،

---

(١) المجموع ١٩/ ٨٤.

(٢) انظر: المجموع ١٩/ ٨٥، الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٦٧، إيثار الحق ص ١١٠.

(٣) انظر: الأم للشافعي ٧/ ٤٦٣، ٤٧٨.

(٤) انظر: الأم للشافعي ٧/ ٤٦٣، المجموع ١٩/ ٨٥، الموافقات ٣/ ٣٦٧، إيثار الحق ص ١١٠.

(٥) انظر: المجموع ١٩/ ٨٥، إيثار الحق ص ١١٠.

(٦) انظر: المجموع ١٩/ ٨٦.

(٧) انظر: الأم للشافعي ٧/ ٤٦٢، إيثار الحق ص ١١٠.

ولم يورث المسلمون كافرا من مسلم، ولا عبدا من حر، ولا قاتلا ممن قتل، وذلك كله مستثنى بالسنة[(١)]، فهذا دليل أكيد، ومثال واضح على أن السنة ملازمة للقرآن المجيد.

٨-أن الله ﷻ لما ذكر المحرمات في النكاح في قوله: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ ﴾[النساء:٢٣] الآية، قال بعدها: ﴿ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ ﴾[النساء:٢٤]، فقد سمى الله ما حرم، ولولا الالتزام بالسنة، لما قال المسلمون بتحريم الجمع بين المرأة وخالتها، والمرأة وعمتها، لأن ذلك لم يثبت إلا في السنة[(٢)].

٩-أن الله ﷻ بين في كتابه كثيرا مما يتعلق بأمور التوحيد، والسنة بينت كذلك مكملات التوحيد، وما يحميه، ومن ذلك النهي عن الحلف بغير الله، والذبح بمكان يذبح فيه لغير الله، فكل هذا دليل على وجوب التزام الكتاب والسنة معا.

١٠- أن الله ﷻ ذكر العقود من النكاح، والبيوع، وغيرها، ولم تتبيّن شروطها إلا من السنة[(٣)].

فعلى المسلم أن يعلم أن الوحي كله يجب العمل به سواء كان كتابا أو سنة، وأن العلم هو إما قرآن ناطق، أو أثر صحيح صادق، وما سوى ذلك فهو باطل زاهق.

ولقد أحسن الشاعر في نظمه لشرف الكتاب والسنة، حيث قال:

إن العلوم وإن جلت محاسنها ... فتاجها ما به الإيمان قد وجبا
هو الكتاب العزيز اللهُ يحفظه ... وبعد ذلك علم فرج الكربا
فذاك فاعلم حديث المصطفى فيه ... نور النبوة سنّ الشرع والأدبا
وبعد هذا علوم لا انتهاء لها ... فاختر لنفسك يا من آثر الطلبا
والعلم كنز تجده في معادنه ... يا أيها الطالب ابحث وانظر الكتبا
واتل بفهم كتاب الله فيه أتت ... كل العلوم تدبره تر العجبا

(١) انظر: الأم للشافعي ٧/ ٣٦٣، وانظر منه ٧/ ٣٩.

(٢) انظر: الأم للشافعي ٧/ ٣٦-٣٧.

(٣) انظر: الموافقات ٣/ ٣٦٧.

واقرأ هديت حديث المصطفى وسَلَنْ مولاك ما تشتهي يقضي لك الأربا

من ذاق طعما لعلم الدين سُرّ به إذا تزيّد منه قال واطربا[١]

وأرجو أن أكون قد بينت بهذا أن العمل بالكتاب والسنة تنزيل للقرآن منزلته اللائقة به، حيث إنّه دل دليل الاستقراء المعتبر، أنه محتاج إلى البيان؛ فإن السنة على كثرتها، وكثرة مسائلها؛ إنما هي مبينة للكتاب[٢]، فكل ما سنه رسول الله ﷺ فالقرآن يأمر باتباعه، والمسلمون من السلف وموافقيهم من الخلف لا زالوا يتلقون دينهم كله عن الرسول ﷺ، وذلك عن طريق وحي القرآن، ووحي الحكمة[٣].

« ومحمد ﷺ خاتم الرسل؛ فعلى جميع الخلق اتباعه، واتباع ما شرعه من الدين، وهو ما أتى به من الكتاب والسنة، فما جاء به الكتاب والسنة، هو الشرع الذي يجب على جميع الخلق اتباعه، وليس لأحد الخروج عنه، وهو الشرع الذي يقاتل عليه المجاهدون، وهو الكتاب والسنة »[٤].

ومما يجب أن يعمل به في نصوص الوحي، إجراؤها على الحقيقة لا التأويل، وهذا ما أبينه في المطلب الآتي.

---

(١) أوردها القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١/ ٣١.

(٢) انظر: الموافقات ٣/ ٣٦٧، وانظر: المجموع ١٣/ ٣٣١.

(٣) انظر: المجموع ٧/ ٤٠.

(٤) المجموع ٣٥/ ٣٦٥.

المطلب الثالث: حمل القرآن على الحقيقة.

إن السلف يعتقدون أن كلام الله ﷻ هو أبلغ الكلام، وأدله على المعنى الذي أراده ﷻ، ولهذا فإنه ليس فيه ألغاز، والسلف ينزلون القرآن منزلته الحقيقية إذ يعتقدون فيه أنه كله يجرى على حقيقته اللائقة به(١) وأنه لا يصار فيه إلى التأويل(٢)،

---

(١) وما ذكره الغزالي في (إحيائه ١/ ١٦٦) أن إمام أهل السنة أحمد بن حنبل استثنى من التأويل ثلاثة أحاديث، ولم يحملها على حقيقتها، فهي فرية باطلة، و قد نفاها شيخ الإسلام سندا ومتنا بأدلة ثابتة. انظر: المجموع ٥/ ٣٩٨، ٦/ ٣٩٧، ٥٨٠، وانظر: مختصر الصواعق المرسلة، ومنهج الأشاعرة ص ٨٧.

(٢) والتأويل الذي نفاه السلف عن النصوص، هو التحريف والتعطيل الذي يدعيه أصحاب البدع، وكل يدعي وصلا بقرينة مجازية!!، ولفظ التأويل قد جاء وله استعمالات عدة، وهي:

١. **التأويل بمعنى التفسير**: وهو الذي جاء في قول النبي ﷺ في وصف ابن عباس ﷺ **[اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل]** (البخاري: كتاب الوضوء، باب/ وضع الماء عند الخلاء، ح(٤٣)، بدون لفظة: وعلمه التأويل). وهذا الذي يستعمله ابن جرير الطبري وغيره من المفسرين عندما يقولون: التأويل في الآية هو...، فيعنون به التفسير.

٢. **التأويل بمعنى ما يؤول إليه الأمر، من الكلام وغيره**: وهو الذي جاء في قول الله ﷻ إخبارا عن يوسف ﷺ: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ﴾ [سورة يوسف، من الآية ١٠٠]، أي هذا ما آل إليه تفسير رؤياي، ومن هذا تأويل كيفيات الأسماء والصفات، وحقائق ما في الجنة والآخرة، فإنا لا نعلم منها إلا المعاني دون الكيفيات، كما قال ابن عباس ﷺ: **[ليس في الدنيا مما في الجنة شيء إلا الأسماء]** (رواه ابن جرير في تفسيره ١/ ٢١٠، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٦٣).

٣. **التأويل**: **بمعنى صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح** إلى الاحتمال المرجوح، وهذا هو مصطلح المتأخرين، أما اصطلاح الصحابة في التأويل فمقصودهم الأولان، ولهذا كان بعضهم يقف على قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ بناء على أن التأويل هو ما استأثر الله بعلمه، أو المعنى المراد من حقيقة كذا، وليس مقصودهم أن المخلوقين لا يعلمون معنى تفسير كلام الله ﷻ، أو أن في القرآن ما هو على غير حقيقته، والذي ذمه الله تعالى، في قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُولُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾[آل عمران:٧] إنما ذم من طلب العلم المحجوب، وهو العلم بكيفيات الصفات، أو العلم بحقائق ما أخبر الله به من الغيبيات مما في الآخرة، وهو التأويل الذي لا يعلمه أحد، فعطف الراسخين

ولا يقال: إن هذا مجاز[1]،

=

والوقف بعدها بناء على أن الراسخين يعلمون معاني كلام الله ﷻ، وهو قول بعض الصحابة والتابعين، وأما الوقف على: وما يعلم تأويله إلا الله، فبناء على أن حقائق ما تؤول إليه الأخبار، وكيفيات ما أخبر الله به من صفاته، وما في الآخرة، لا يعلمه إلا الله، وذم السلف إنما هو منصب على ذم التأويل الذي هو التحريف لكلام الله ﷻ، المؤدي إلى التعطيل والإلحاد في الربوبية، أو في الألوهية، أو في الأسماء والصفات، أو في غيرها من الأمور الشرعيات. انظر: الصفدية ١/ ٢٨٧-٢٩١، درء التعارض ١/ ٢٠١، ٢٠٦-٢٠٧، ٥/ ٣٨١-٣٨٤، المجموع ٥/ ٣٥، ٢٣٤، ١٣/ ٢٨٨، شرح حديث النزول ص ١٠٦-١٠٧، نقض المنطق ص٥٧، الفتح ١٣/ ٥٣٥، قواطع الأدلة ٣/ ٤٥، منهج الأشاعرة في العقيدة ص٨٦، تنبيه: التأويل الذي يذكره الفقهاء في باب/ أحكام البغاة، فهو مأخوذ من التأول، والفعل الماضي منه: تأول، وليس مأخوذا من التأويل الذي ماضيه: أول، ومقصود الفقهاء بهذا التأول: هو وضع الدليل في غير موضعه باجتهاد أو شبهة تنشأ من عدم فهم النص. انظر: منهج الأشاعرة ص٨٧.

(١) **ومراد القائلين ـ من المتأخرين ـ بالمجاز هو**: صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى مرجوح بقرينة، وهو التأويل نفسه، انظر: روضة الناظر ١/ ١٥٠، وبعضهم يضيف بعض الشروط في التعريف، وبعضهم يعرفه بتعريف آخر، فيقول: المجاز، هو ما يصح أن ينفى؛ فإذا قال الرجل: رأيت أسدا راكبا؛ فإنه يصح لسامعه أن ينفي هذا فيقول: لم تر أسدا راكبا، وإنما رأيت شجاعا راكبا، وهذه أحد الأسباب التي من أجلها أنكر المحققون المجاز، وذلك لأنه معلوم أنه لا يصح نفي شيء من القرآن؛ فإذا ليس فيه مجاز، وقد أطال في نفي المجاز شيخ الإسلام ابن تيمية ؒ، انظر: المجموع "رسالة الحقيقة والمجاز" ٢٠/ ٤٠٠-٤٩٩، ورده ابن القيم وسماه طاغوتا وصنما؛ فرده بأكثر من خمسين وجها كما في مختصر الصواعق المرسلة، وكذلك رده الشيخ الأمين ؒ، كما في رسالته: منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز، وأنقل بعض العبارات التي تبين شناعة القول بالمجاز بإشارات تغني اللبيب عن الإسهاب، وتكفي طالب الحق من دون إطناب، **قال شيخ الإسلام ابن تيمية ؒ**: « قول القائل هذا اللفظ حقيقة، وهذا مجاز، نزاع لفظي، وهو مستند من أنكر المجاز في اللغة، أو في القرآن، **ولم ينطق بهذا أحد من السلف، والأئمة، ولم يعرف لفظ المجاز في كلام أحد من الأئمة إلا في كلام الإمام أحمد**؛ فإنه قال فيما كتبه من "الرد على الزنادقة والجهمية" هذا من مجاز القرآن، وأول من قال ذلك مطلقا: أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه الذي صنفه في "مجاز القرآن"، ثم إن هذا كان معناه عند الأولين: مما يجوز في اللغة، ويسوغ، فهو مشتق عندهم من الجواز، كما يقول الفقهاء: عقد لازم، وجائز » (المجموع١٢/ ٢٧٧). وقال في موضع آخر: « إن الحقيقة والمجاز... **هذا التقسيم هو اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة، لم يتكلم به أحد من الصحابة، ولا التابعين لهم بإحسان، ولا أحد من الأئمة المشهورين في العلم، كمالك، والثوري، والأوزاعي، وأبي حنيفة، والشافعي، بل ولا تكلم به أئمة اللغة والنحو، كالخليل، وسيبويه، وأبي عمرو بن العلاء، ونحوهم** » ثم نقل كلام بعض الأصوليين المنكرين لهذا التقسيم فقال: « **هذا اصطلاح حادث، والغالب أنه كان من جهة المعتزلة، ونحوهم من المتكلمين؛ فإنه لم يوجد هذا في كلام أحد من**

أو ليس على ظاهره[١]، وقبل أن أدخل في المسألة فإني أبين معنى الحقيقة لغة، واصطلاحا: فالحقيقة في اللغة مأخوذة من الحق، والحق: هو الثابت اللازم، وهو نقيض الباطل، يقال: حقيقة الشيء، أي ذاته الثابتة اللازمة منه، فقيل فيما سيق من أجله اللفظ: حقيقة؛ لأنه المقصود أصلا، وهو الذي سيق اللفظ لإحكامه، والدلالة عليه[٢].

والمقصود بالحقيقة في الاصطلاح: هو اللفظ المستعمل فيما وضع له[٣]، وألفاظ القرآن موضوعة لمعاني صريحة في الدلالة التي سيقت لها، ولهذا ينبغي حمله على الحقيقة لا المجاز.

وهذا هو عمل السلف، إذ مقصودهم معرفة مراد الله ﷻ، ومراد رسوله ﷺ، فسلكوا العمل بحقائق هذه النصوص، وهو الوجه الذي يعرف به المراد، وهذا المسلك طريق الهدى، ومن قصد أن يجعل ما قاله الله ورسوله تبعا له؛ فإن وافقه قبله، و إلا رده، وتكلف له من التحريف ما يسميه تأويلا، مع أنه يعلم بالضرورة أن كثيرا

= **أهل الفقه، والأصول، والتفسير، والحديث، ونحوهم من السلف»** (المجموع ٧/ ٨٨). ومن هنا يمكن أن يقال: إن كان المقصود بالمجاز، أو التأويل هو: التجوز بالمعنى إلى معنى يفهمه السامع من سياق الكلام، فهذا لا ينكره أحد، وإذا كان هذا ما يسمى مجازا، فيكون النـزاع في اللفظ، وأما تسمية التأويل والمجاز الذي هو صرف اللفظ عن معناه الراجح إلى معنى مرجوح لدليل يُدعى فهذا الذي من أجله أنكر المحققون المجاز، ولهذا ينبغي حين نفي المجاز عن القرآن أو إثباته التفصيل، فيقال: إن كان المقصود بالمجاز أو التأويل: هو الأول، فالنـزاع في العبارة، وإن كان في الثاني، فالنـزاع حقيقي ـ والله تعالى أعلم ـ، انظر: تأويل مشكل الحديث لابن قتيبة ص٢١، ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير اليماني ص١٦٤، وما بعدها.

(١) **وقول بعضهم أن الآية ليست على ظاهرها يعنون أنه مؤول**، وهذا مستعمل في مكان التأويل، الذي هو عدم اعتقاد ما دل عليه الكلام ظاهرا، وأما أن يكون للفظ معنى باطني، وآخر ظاهري!! فهذا الذي أذكره مع بيان موقف السلف منه في المطلب التالي.

(٢) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس ص٢٤٤، المفردات للراغب ص١٣٢-١٣٣، الإحكام للآمدي ١/ ٥١، المصباح المنير ص١٤٣.

(٣) انظر: المفردات للراغب ص١٣٣، روضة الناظر ١/ ١٥٠. المجموع ٥/ ٢٠٠؛ فإن قيل هذا التعريف لمن يرى تفسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز؛ وأن المجاز ما يفهم بقرينة، فيمكن أن يقال: **إن المراد بالحقيقة هو ما دل عليه اللفظ من المعنى، من غير حاجة إلى توسط في الاستدلال، لا بقرينة خارجية، ولا بدليل آخر** ـ والله تعالى أعلم ـ.

من ذلك، أو أكثره لم يرده الله ولا نبيه؛ فهو محرف للكلم عن مواضعه[١].

والواجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة دون التأويل، وذلك هو منهج السلف الصالح رحمهم الله، فلم يقل أحد منهم إن هذه الآية ليست على حقيقتها، أو إنّ هذه الآية يجب تأويلها عن ظاهرها.

قال أبو المعالي الجويني: « **ذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل، وإجراء الظواهر على مواردها**، وتفويض معانيها إلى الرب[٢]،... والذي نرتضيه رأيا، وندين الله به عقيدة: اتباع سلف الأمة، والدليل السمعي القاطع في ذلك إجماع الأمة، وهو حجة متبعة، وهو مستند معظم الشريعة، **وقد درج صحب رسول الله ﷺ على ترك التعرض لمعانيها**[٣]، **ودرك ما فيها ـ وهم صفوة الإسلام، والمستقلون بأعباء الشريعة، وكانوا لا يألون جهدا في ضبط قواعد الملة، والتواصي بحفظها، وتعليم الناس ما يحتاجون إليه منها ـ ، فلو كان تأويل هذه الظواهر مسوغا، أو محتوما: لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، وإذا انصرم عصرهم، وعصر التابعين على الإضراب عن التأويل: كان ذلك هو الوجه المتبع** »[٤]، فهذا نقل صريح على إجماع الأمة على إجراء النصوص على حقيقتها دون تأويل، أو تحريف.

والقول بجواز العمل في نصوص الوحي على خلاف الحقيقة قول شؤم، ويؤدي إلى الضلال، والانحراف عن منهج الله، وقبل ذلك هو مخالف لدين الله ﷻ،

---

(١) انظر: المجموع ٤/ ١٩١، التدمرية ص١١٣.

(٢) قوله: إن السلف فوضوا معاني الآيات سواء في الصفات، أو في غيرها، فهذا لا يصح عنهم، إذ تكلم غير واحد منهم في معنى استواء الله ﷻ ومعلوم معنى الضحك، والعجب، واليد، وغيره، وإن كان يقصد أن السلف: فوضوا كيفية الصفة ـ كما هو سياق قوله ـ فهذا هو منهج السلف، وهو الحق الذي يجب أن يصير عليه الخلف.

(٣) انظر: التعليق في الحاشية السابقة.

(٤) نقله عنه شيخ الإسلام في المجموع ٥/ ١٠٠-١٠١، والحافظ ابن حجر في الفتح ١٣/ ٤١٨، وقد نقل الإجماع أيضا الشيخ حماد الأنصاري رحمه الله من المتأخرين. انظر: المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري ٢/ ٥٥٢.

و الدليل على ذلك ما يأتي:

١- أن الله ﷻ هو المتكلم بالقرآن، ومن أصدق من الله قيلا، ولا أبلغ منه بيانا، وقد أنزل القرآن الكريم حجة على العباد، وهو مبين في نفسه، فكيف يقال بعد ذلك: إن هذه الآية ليست على حقيقتها مسوقة؛ وإنما سيقت مجازا!!! أو يجب تأويلها عن ظاهرها!! والله يقول في وصف كتابه المنـزل: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[البقرة:٩٩]، وقال: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾[النور:٣٤]، وقال: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾[المائدة:١٥]، وقال: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾[الحجر:١]، وقال: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[الأعراف:٥٢]، فآيات الكتاب بينات في نفسها، لا يمكن أن تكون إلا جليات، فهي لذلك سميت مبينات؛ لأنها تجلي الأمور، ولم تأتي بغوامض، ولهذا فهو مبين أيضا، و« أخبر أنه فصَّل الكتاب، وتفصيله: بيانه، وتمييزه بحيث لا يشتبه »[(١)]، فـ « كلام رب العزة ﷻ الذي يعلم ما لا يعلمه أحد، ويقدر على ما لا يقدر عليه أحد، **يحمل على الحقيقة**... »[(٢)].

٢- أن المخالفين من المشركين لم يقل أحد منهم إن هذا القرآن في أسلوبه هنا على خلاف الحقيقة، وما ندري ما تأويله؟

٣- أن هذا الباب دخل منه جميع المؤولين المحرفين المبطلين لنصوص الوحي، من الباطنية، وغيرهم، محتجين بالتأويل، وصار الكل يدعي أن هذه الآية على خلاف الحقيقة، ويذكر قرينة ما[(٣)].

٤- أنه ما من حجة يحتج بها ـ القائلون بالتأويل ـ في مسألة ما، إلا والقائلون بالتأويل المخالفون لهم في نصوص الوحي يحتج بمثلها[(٤)].

---

(١) المجموع ١٣/ ٢٧٨.

(٢) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير اليماني ص١٥٣.

(٣) انظر: منج الأشاعرة ص ٨٧.

(٤) انظر: منهج الأشاعرة ص ٨٧.

٥- أنه سبب للخلاف، إذ يقول أحدهم هذا مسوق على خلاف الحقيقة، وكل يدعي من عنده المعنى المجازي الذي يراه، ويسوق له القرينة التي يظن أنها تساعده إلى ما ذهب إليه، فيقع النـزاع والخلاف[١].

٦- مما يدل على أن الوحي يجب المصير فيه إلى إجرائه على حقيقته أن الصحابة والتابعين لم يمتنع أحد منهم عن تفسير آية من كتاب الله، ولا قال هذا لا يعلم معناه، أو أن هذا لا يجب إجراؤه على حقيقته[٢]، بل لم يمتنع عن تفسير بعض الآيات، وادعاء أنها لا تعلم معانيها إلا المعتزلة ومن نحا نحوهم[٣].

٧- أن هذا باب دخل منه الباطنية، والفلاسفة، والروافض، والجهمية، والمعتزلة، وغيرهم، كل واحد منهم يدعي المجاز في النصوص التي لا توافق مذهبه، قال أبو عمر ابن عبد البر رحمه الله: «أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، **وحملها على الحقيقة؛ لا على المجاز**، إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة، **وأما أهل البدع: الجهمية، والمعتزلة كلها، والخوارج: فكلهم ينكرونها، ولا يحملون شيئا منها على الحقيقة،** ويزعمون أن من أقر بها فهو مشبه، وهم عند من أقر بها نافون للمعبود، **والحق فيما قاله القائلون: بما نطق به كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وهم أئمة الجماعة**»[٤]، وهذا كلام حافظ عصره، وعالم مِصرِه.

٨- أن العلماء الراسخين أنكروا هذا التأويل، قال أبو يعلى رحمه الله بعد ذكر آيات الصفات، وأحاديثها ـ: «لا يجوز رد هذه الأخبار، ولا التشاغل بتأويلها، والواجب حملها على ظاهرها، وأنها صفات الله، لا تشبه صفات سائر الموصوفين بها من الخلق؛

---

(١) انظر: الإنصاف للبطليوسي ص٣٣، حيث ذكر أنه من أسباب الخلاف، ثم انتصر لإثباته!!، وشنع على من أنكره!!، كما في ص ٧١.

(٢) انظر: المجموع ٥/ ٣٥، ١٣/ ٢٨٥.

(٣) انظر: المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري ٢/ ٥١٨-٥١٩.

(٤) المجموع ٥/ ٨٧، وذكر بعضا من مقاله الحافظ ابن حجر في الفتح ١٣/ ٤١٨.

ولا يعتقد التشبيه فيها، لكن على ما روي عن الإمام أحمد، وسائر الأئمة...، **ويدل على إبطال التأويل: أن الصحابة، ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها، ولم يتعرضوا لتأويلها، ولا صرفوها عن ظاهرها؛ فلو كان التأويل سائغا، لكانوا أسبق إليه، لما فيه من إزالة التشبيه، ورفع الشبهة**»[١]، وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «مذهب "أهل الحديث"، وهم السلف، من القرون الثلاثة، ومن سلك سبيلهم من الخلف: أن هذه الأحاديث تمر كما جاءت، ويؤمن بها، وتصدق، **وتُصان عن تأويل يفضي إلى تعطيل، وتكييف يفضي إلى تمثيل**، وقد أطلق غير واحد ممن حكى إجماع السلف.. مذهب السلف: أنها تجرى على ظاهرها، مع نفي الكيفية والتشبيه فيها»[٢].

٩- أن القول بأن نصوص الوحي لا تجرى على ظاهرها ـ سواء في باب الأسماء والصفات، أو في غيرها ـ على خلاف منهج السلف الصالح، وكفى به ضلالا.

١٠- قال قوام السنة الأصبهاني رحمه الله: «من حمل اللفظ على ظاهره، وعلى مقتضى اللغة حملَه على حقيقته، ومن تأوله عدل به عن الحقيقة إلى المجاز، ولا يجوز إضافة المجاز إلى صفات الله تعالى»[٣].

١١- أن كل فساد في العالم إنما جاء من التأويل الفاسد، وكان أهل الكتابين على السداد، حتى دخلهم التأويل، فدخل فيهم الفساد، ما لا يعلمه إلا رب العباد»[٤].

فالسلف ينكرون التأويلات التي تخرج الكلام عن مراد الله جل جلاله، ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا شك أنه تحريف للكلم عن مواضعه، فإنكارهم للتأويل الباطل كإنكار التفسير

---

(١) نقله شيخ الإسلام عنه في المجموع ٥/ ٨٩-٩٠.

(٢) المجموع ٦/ ٣٥٥.

(٣) الحجة في بيان المحجة ١/ ٤٨٢.

(٤) فتاوى الدين الخالص ١/ ٢٥، وانظر: الفتح ١٣/ ٥٣٥.

الباطل، فإذا كنا ننكر قول من فسر كلام متكلم بغير مراده؛ فالإنكار على من أول كلام الله، أو كلام رسوله على غير المراد من باب أولى[١].

فالتأويل الذي هو ضد الحقيقة بهذا المعنى تحريف للكلام عن معناه الذي سيق له، إلى معنى محتمل بحجة متوهمة، وهذا أصل كل صاحب بدعة؛ فإن أي آية، أو حديث يخالف مذهبه يقول: إن هذه الآية على خلاف الحقيقة، أو الحديث مؤول عن ظاهره!!

ومن هنا أنكر من أنكر من العلماء المحققين أن يكون في القرآن شيء مسوق مجازا، كشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وغيرهما، كل ذلك توقيرا وتنـزيلا للقرآن منـزلته اللائقة به، حتى تحفظ النصوص على حقيقتها دون تأويل بحجة المجاز.

قال أبو المظفر السمعاني رحمه الله: «وعلى الجملة لا يجوز حمل الخاطر على استخراج التأويلات المستكرهة للأخبار، وينبغي للعالم الورع أن يجتنب ذلك ويحترز عنه غاية الاحتراز؛ لأن الكلام على كلام الشارع صعب، والزلل فيه يكثر، وقد ورد في الخبر **يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله]**، وقال في وصفهم: **[ينفون عنه تحريف الجاهلين]**[٢]، والله العاصم بمنه، والمرشد إلى الصواب بفضله وعونه، ونسأله تعالى أن لا يجعلنا من هؤلاء القوم، فقد بين النبي ﷺ أن الجهل يحمل الإنسان على التأويلات المستكرهة، وذكر أن العدول من علماء الأمة ينفون ذلك، وذكر أيضا أنهم ينفون تحريف

---

(١) انظر: الصفدية ١/ ٢٩١.

(٢) وهذا الأثر أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٤٠ عن أبي هريرة، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما يرفعانه، قال: **[يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين]**. قال الهيثمي: (رواه البزار، وفيه عمرو بن خالد القرشي، كذبه يحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، ونسبه إلى الوضع)، وهو في المشكاة من رواية معاذ بن رفاعة عن إبراهيم بن عبد الرحمن العُذري مرسلا ح(٢٤٨)، ومعزو إلى البيهقي، وقال الشيخ الألباني في تحقيقه على المشكاة ـ بعد أن ذكر علل الحديث ـ: «لكن الحديث قد روي موصولا عن طريق جماعة من الصحابة، وصحح بعض طرقه الحافظ العلائي في "بغية الملتمس" (٣-٤)، وروى الخطيب في شرف أصحاب الحديث (٢/ ٣٥) عن مهنا بن يحيى قال: سألت أحمد بن حنبل عن حديث معاذ بن رفاعة عن إبراهيم هذا، فقلت لأحمد: كأنه كلام موضوع؟ فقال: لا، هو صحيح...». انظر: تحقيق الشيخ الألباني على مشكاة المصابيح ١/ ٨٢-٨٣، والسلسلة الصحيحة ١/ ٤٨٥، وذكره ابن طاهر المقدسي في ذخيرة الحفاظ، ح(٦٥٠٠) ٥/ ٢٧٧٧، وذكر طرقه كلها هناك.

الغالين، وانتحال المبطلين، وإلى الله الملاذ، وبه المعاذ، من وساوس النفس، وخواطر السوء، فما ضل من ضل، وما هلك من هلك إلا بأمثال ذلك، والله المستعان»[1].

فإذا تبين أن السلف يجرون نصوص الوحي على الحقيقة؛ فإنهم كذلك يجرونها على ظاهرها اللائق بها، دون القول بالباطن، وهذا ما أبينه في المطلب التالي.

(١) قواطع الأدلة ٣/ ٥٨.

المطلب الرابع: حمل القرآن على الظاهر.

إن من معتقد السلف أن القرآن يجب أن يعمل به على ما دل عليه، وينـزلون القرآن منـزلته؛ فلا يعملون فيه بالآراء، والأقوال التي تخرجه من الدلالة الظاهرة إلى المعاني المشكلة، والخيالات الفاسدة، ولهذا فهم يقولون: بظاهر القرآن اللائق به، ولا يقولون: بأن للوحي باطنا، كما تقوله بعض الفرق الضالة(١).

والمراد بالظاهر: ليس هو إمرار الألفاظ فقط، ولكن المراد وجوب إجراء نصوص الوحي على الظاهر الذي دلت عليه هذه الألفاظ من المعاني، وإلا فإن مجرد الحروف لا يمكن إجراؤها على ظاهرها إلا قراءة دون فهم، وعمل، واعتقاد؛ مع أن المقصود بالظاهر هو: الإمرار لفظا، ومعنى، واعتقادا(٢).

وهذا هو معتقد السلف، ولهذا نصوا على أن الكتاب والسنة يجريان على الظاهر، وكثيرا ما يعبرون فيقولون: "هذا ما تقتضيه ظواهر النصوص"، و"هذا ما دلت عليه ظواهر الكتاب والسنة"، فالمعول عليها، ويجب المصير إليها(٣)، وهذا الكلام منهم رد على المؤولة والباطنية.

قال الإمام الشافعي رحمه الله: «الأصل قرآنٌ، أو سنة؛ فإن لم يكن فقياس عليهما، وإذا صح الحديث فهو سنة، والإجماع أكبر من الحديث المنفرد، **والحديث على ظاهره، وإذا احتمل الحديث معاني فما أشبه ظاهره**»(٤)

---

(١) هناك فرق ضالة تعرف بالباطنية تقول بأن للقرآن ظاهرا وباطنا، وكذلك الصوفية تقول بأن للقرآن حقيقة وشريعة، وسيأتي الكلام والرد عليهم في الباب الرابع، وإنما هنا تقرير لمسألة أنه لا باطن في القرآن يُدَّعى.

(٢) انظر: نقض المنطق ص ٥٧.

(٣) انظر: الأم ٧/ ٣١، الفتح ١/ ٥٤٧، ١٣/ ٤٩٦، الفتاوى الكبرى ٥/ ١٤٨، الفواكه الدواني ١/ ٤٠، المرقاة شرح المشكاة لملا علي القاري ١/ ٢٩٢، فتاوى الدين الخالص ١/ ٢٥.

(٤) أورده الذهبي في السير ١٠/ ٢١، وقد ذكر محققه أن هذا منقول عن الإمام الشافعي مسندا، كما في كتاب مناقب الشافعي للبيهقي ٢/ ٣٠.

وقال أبو الحسن الأشعري رحمه الله: «والقرآن على ظاهره، وليس لنا أن نزيله عن ظاهره إلا لحجة، وإلا فهو على ظاهره»[(١)].

وقال أبو المظفر السمعاني رحمه الله: «وقد كانت الصحابة يتعلقون في تفاصيل الشرع بظواهر الكتاب والسنة»[(٢)].

فليس في ظواهر النصوص إلا الحق، وما قد يفهمه البعض من ظواهر النصوص، مما لا تدل عليه؛ فإن ذلك لكساد عقله، وسوء فهمه، وإلا فإن النصوص بليغة العبارات، واضحة الدلالات، إلا لمن تتبع المتشابهات، وترك المحكمات، وعمل في النصوص بحسب منهجه، لا بحسب منهجها، ولهذا يجب أن يفهم المعنى الصحيح المفهوم من ظاهر النص قبل مطالبته بفهم النص على المعنى الظاهر، حتى لا يفهم من الظاهر ما تبادر إلى ذهنه من المعاني الفاسدة[(٣)].

فالنصوص معصومة، ولهذا لا تدل على التشبيه، ولا على التعطيل، فهي في نفسها آيات بينات، تدل على الحق بأصرح العبارات[(٤)]، ولا تدل على ما يشبه الطلسمات؛ «فينبغي تدبر القرآن، ومعرفة وجوهه؛ فإن أكثر ما يتوهم الناس أنه قد خولف ظاهره، وليس كذلك؛ وإنما له دلالات يعرفها من أعطاه الله فهما في كتابه»[(٥)].

ومما يدل على أن القول بوجوب إجراء النصوص على ظاهرها، والعمل بما دل عليها هو الصواب، ما يأتي:

١- أن الله ﷻ أخبر أن كلماته صدق وعدل، كما قال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[الأنعام:١١٥]، وقال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ

---

(١) الإبانة ص ٦٨.

(٢) قواطع الأدلة ٣/ ٤٥.

(٣) انظر: الفتاوى الكبرى ٥/ ١٥٥، المجموع ١٣/ ٣٧٩-٣٨٠، شرح الواسطية للفوزان ص ١٢٣، ١٣٢.

(٤) انظر: الدرء ١/ ٢٤٩.

(٥) المجموع ٢٢/ ٩٢، بشيء من التصرف.

مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾[النساء:٨٧]، وقال: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾[النساء:١٢٢]، فمن صرف عنها فإنه لم يقبلها على أنها صدق، ومن عدل عنها فإنه لم يقبلها على أنها عدل، كيف وقد أخبر ﷻ أنه لا أحد أصدق منه حديثا.

٢- أن الله ﷻ أعلم وأحكم من أن يكون كلامه الذي وصف به نفسه لا يظهر منه إلا ما هو كفر وضلال[1]؛ فإذا كان كذلك فيجب المصير إلى الظاهر، وعدم القول بالتأويل أو المعنى الباطني.

٣- أن الرسول ﷺ أوتي جوامع الكلم، وأرسل بأفصح اللغات، وأبين الألسنة والعبارات؛ فكيف يقال: إنه تكلم بكلام المراد منه خلاف ظاهره!!! مع أنه ﷺ أنصح الأمة للأمة؛ إذ بين لنا آداب قضاء الحاجة، فكيف يقال بعد ذلك: إنه لم يبين لنا مسائل العقيدة[2].

٤- ادعاء أن للنصوص ظاهرا وباطنا قول من لم يعط النصوص حقها من الإجلال والاحترام، والدلالة والبيان، «إذ لو أعطي النصوص حقها من الدلالة لعلم أنها لا تدل إلا على حق»[3]، وهو ما ظهر منها، على حسب فهم المنـزل عليهم.

٥- أنه ما من نص يدعى فيه أن له معنى باطنا، إلا كان نقصا في بلاغة القرآن، إذ لم يأت بما تقوم به الحجة على العباد صريحة، وإنما تكون قد أتت بما قد يتوهم منها!! وهذا وحده دليل كاف على فساد القول بأن للنصوص ظاهرا وباطنا.

٦- أنه ما من نص يدعى فيه أنه على خلاف ظاهره إلا كانت اللغة العربية وفهم السلف مخالفين لذلك، فمن قال مثلا: بأن المراد بالبعوضة هو فلان من الناس؛ فإن قوله ظاهر البطلان لغة، وفقها[4].

---

(١) انظر: التدمرية ص ٦٩.

(٢) انظر: المجموع ٦/ ٣٦١، ٣٦٨.

(٣) التدمرية ص٧١، بشيء من التصرف.

(٤) تذكر الرافضة كما في بعض كتبهم، في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا =

٧- أن القول بالمعاني الباطنة - لو قيل بها - يدل على بطلانه سياق الآيات وسباقها، وأولها، وآخرها، فيعود القرآن الكريم متناقضا؛ مع أنه كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[النساء:٨٢]، فهذا دليل على بطلان القول بأن للقرآن باطنا، إذ المعلوم من دين المسلمين أنه ليس في القرآن شيء متناقض؛ فلا تناقض في القرآن مطلقا[١].

٨- أنه لم يقل أحد من السلف إن هذه الآية أو الحديث مصروف عن ظاهره، أو مؤول، مع أنهم قالوا في نصوص الأحكام: إن هذا النص عام، وهذا خاص...[٢].

٩- أن النصوص لو كان الظاهر منها غير مراد، لوجب التنبيه على ذلك من الشرع، ولم يوجد شيء من ذلك[٣].

١٠-أن السلف لم يستشكلوا نصا من النصوص التي هي في العقائد، مما يدل على فهمهم لها فهما تاما، وكونهم استشكلوا نصوصا في الأحكام دون العقائد فهذا دليل على ظهور معنى نصوص العقائد عندهم ظهورا تاما غير مشكل[٤].

١١-أن العمل بظواهر النصوص هو عمل الصحابة والتابعين، وعلى ذلك صار المتبعون لهم من المتأخرين[٥]، قال الشوكاني: «واعلم أن الظاهر دليل شرعي

= يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[البقرة: ٢٦] «عن أبي عبد الله أن هذا المثل: ضربه الله لأمير المؤمنين عليه السلام؛ **فالبعوضة أمير المؤمنين عليه السلام!!، وما فوقها: رسول الله ﷺ!!!...**، ويقطعون ما أمر الله به: **يعني مِن صلة أمير المؤمنين (ع) والأئمة»**. (من تفسير القمي ١/ ٣٥ كما في كتاب: علماء الشيعة يقولون:... ص٧٦). فالقول بأن عليًّا ﵁ هو المقصود بالمثل المضروب بالبعوضة!! فيه حط من شأنه ﵁ ومن شأن النبي ﷺ الذي مثلوه بما فوق البعوضة!!، ثم هو مخالف للغة وفقه السلف ﵃، **لكنه التفسير الباطني!!!**.

(١) انظر: المجموع ١٤/ ٢٤٨-٢٤٩.

(٢) انظر: الفتاوى الكبرى ٥/ ١٥٤، المجموع ٦/ ٣٦٧.

(٣) انظر: الفتاوى الكبرى ٥/ ١٥٤.

(٤) انظر: الفتاوى الكبرى ٥/ ١٥٤.

(٥) انظر: الفتاوى الكبرى ٥/ ١٥٢.

يجب اتّباعه، والعمل به، **بدليل إجماع الصحابة على العمل بظواهر الألفاظ**»[(١)].

١٢-أن القول بأن للوحي ظاهرا وباطنا هو قول الباطنية، بل لهذا سموا باطنية[(٢)].

١٣-أنه لو ساغ عدم العمل بظاهر القرآن والسنة، لبطل العمل بكثير من النصوص، بدعوى أن ظاهرها غير مراد، وأن المعنى الباطني للآية كذا وكذا...، وهذا يدل على فساد هذا القول، إذ كثير من الباطنية ادعوا أمورا هي معلومة البطلان من الدين بالضرورة، كقول بعضهم: إن المراد بالحج هو زيارة قبور أئمتنا، وأن المراد بالصوم، كتم أسرار نحلتنا، ونحو ذلك من الهذيان، الذي هو باطل لمخالفته ظاهر القرآن[(٣)].

١٤-لو قيل بأن هناك آية أو حديثا مصروفا عن ظاهره إلى معنى آخر؛ فإن هذا لا بد عليه من دليل إما آية أخرى، أو حديث عن المصطفي ﷺ، «ولا يجوز العدول عن الظاهر إلا بدليل مانع منه بإجماع المسلمين»[(٤)]، أما دعوى أن الآية ليست على ظاهرها مجردة عن الدليل، فهذا هو التأويل، الذي هو في حقيقته تحريف وتعطيل، ولهذا ذكر الراسخون في العلم أن صرف الكتاب والسنة عن الظاهر إلى معنى يخالفه، أو يخالف حقيقته ـ لو سلم به، **والأولى أن يقال**: إن اللفظ مصروف عن ظاهره بدليل ظاهر نص آخر أدل منه على المعنى، وأن لا يقال: بأن هناك للنصوص باطنا أو معنى مجازيًّا[(٥)] ـ **فلا بد فيه من شروط أربعة:**

---

(١) إرشاد الفحول ص ٢٩٩.

(٢) انظر: الفرق بين الفرق ص ٢٢٨.

(٣) وسيأتي أمثلة لهذا الهذيان في أقوال الصوفية والباطنية، في الفصل الثاني والرابع من الباب الرابع.

(٤) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير اليماني ص ١٥١.

(٥) انظر: الفتاوى الكبرى ٥/ ١٥٥، وقد ذكر شيخ الإسلام ؒ لهذا مثلا، بمسألة قرب الله ﷻ في قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[ق: ٧] قال: «وتحقيق الجواب هو أن يقال: إما أن يكون قربه بنفسه القرب اللازم ممكنا، أو لا يكون؛ فإن كان ممكنا لم تحتج الآية إلى تأويل، وإن لم يكن ممكنا، حملت الآية على ما دل عليه سياقها، وهو قربه بعلمه، وعلى هذا القول: فإما أن يكون هذا هو ظاهر الخطاب الذي دل عليه السياق، أو لا يكون؛ فإن كان هو ظاهر الخطاب فلا كلام، إذ لا تأويل حينئذ، وإن لم يكن ظاهر الخطاب: فإنما حمل على ذلك لأن الله تعالى قد بين في غير موضع من كتابه: أنه على العرش، وأنه فوق؛ فكان ما ذكره في كتابه في غير موضع أنه فوق

الأول: أن يكون هذا المعنى مستعملا في كلام العرب الذين نزل بلغتهم القرآن الكريم، ويجوز أن يُرَدَّ بهذا اللفظ ذاك المعنى المدعى بلغة العرب؛ فلا يجوز أن يدعى معنى من اللفظ غير معروف في لغة العرب؛ وإلا فإن أي مبطل سيفسر ما يريد بما يريد.

الثاني: أن يكون هذا الحمل بدليل، وهو الذي يسمى بالقرينة، وأما من غير دليل ولا قرينة، فهذا لعب بالنصوص، وصرف اللفظ عن المعنى الظاهر بدون دليل مخالف لإجماع العقلاء.

الثالث: أن يكون الدليل، أو القرينة، سالمًا عن معارض؛ لأنه متى كان الدليل أو القرينة معارَضًا بمثله وجب إبقاء النص على ظاهره.

الرابع: أنه إذا جاء نص، وكان المقصود خلاف الظاهر، أو ليس على حقيقته؛ فلا بد أن يكون قد بين في الشرع، وإلا كان تعمية على الأمة[1].

فما احتمل التأويل واختلف فيه« فهو على ظاهره، وعامِّه، **لا يصرف إلى باطن أبدا وإن احتمله، إلا بإجماع من الناس عليه؛ فإذا تفرقوا فهو على الظاهر... والأشياء على أصولها، حتى تجتمع العامة على إزالتها عن أصولها**»[2].

=

العرش مع ما قرنه بهذه الآية من العلم دليلا على أنه أراد قرب العلم؛ إذ مقتضى تلك الآيات ينافي ظاهر هذه الآية على هذا التقدير، والصريح يقضي على الظاهر، ويبين معناه، **ويجوز باتفاق المسلمين أن تفسر إحدى الآيتين بظاهر الأخرى، ويصرف الكلام عن ظاهره**، إذ لا محذور في ذلك عند أحد من أهل السنة، وإن سمي تأويلا، وصرفا عن الظاهر فذلك لدلالة القرآن عليه، ولموافقة السنة والسلف عليه؛ لأنه تفسير للقرآن بالقرآن؛ ليس تفسيرا له بالرأي؛ والمحذور إنما هو صرف القرآن عن فحواه بغير دلالة من الله ورسوله، والسابقين» (المجموع ٦/ ٢١).

(١) انظر: هذه الشروط بشيء من التصرف في المجموع ٦/ ٣٦٠، المرقاة شرح المشكاة ١/ ٢٩٢، فتاوى الدين الخالص ٢/ ٨٥، أصول الفقه الإسلامي لوهبة الزحيلي ١/ ٣١٥، وقد ذكر ابن قتيبة بابا فيما ليس على ظاهره من هذا الباب، أي مما دل عليه دليل آخر أدل على المعنى المفهوم من ظاهره، وذكر أمثلة لذلك. انظر: تأويل مشكل القرآن له ص ٢٧٥، وما بعدها.

(٢) جماع العلم للإمام الشافعي ص ٤٩، وهو من كلام خصم الإمام الشافعي، إلا أنه أقره عليها، كما في الرسالة المذكورة، وإنما اعترض عليه جوانب أخرى.

وحتى يتم فهم هذه المسألة؛ فإني أذكر أربعة تنبيهات:

التنبيه الأول: أن المقصود من إجراء النصوص على ظاهرها، هو الظاهر اللائق بها، لا الظاهر الذي يفهمه بعض الفرق، فالمقصود بالظاهر، هو ما يفهمه العربي الفصيح كالصحابة والتابعين، ومن صار على نهجهم من المتبعين، لا من تشوش ذهنه بمنهج بليد، وصار عن العربية في مكان بعيد(١).

ولهذا فإن السلف لا يفهمون من نصوص الكتاب والسنة التشبيه، كما فهمته المشبهة، وذلك لمعرفة السلف بظواهر الكتاب والسنة، وعدم معرفة هؤلاء بالظاهر، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وغيره من المحققين: لا بد من إجراء النصوص على ظاهرها اللائق بها، لا على الظاهر الذي يفهمه كل صاحب منهج وهوى(٢).

التنبيه الثاني: أن من أهل الضلال من يقول: يجب إجراء النصوص على ظاهرها، وهم يقصدون: أنا لا نعلم معانيها، ولا تفسيرها ـ أي يثبتون اللفظ دون أن يعرفوا المعنى المقصود من اللفظ!! وهم المفوضة ـ وهذا تناقض بين، إذ كيف يثبت الظاهر مع القول بعدم معرفة معناها؟(٣).

فليست ظواهر الكتاب والسنة ألفاظا مجردة عن المعاني الوضعية والالتزامية والتضمنية؛ فإن لها معاني عظيمة، ولا يعني ذلك أيضا الجمود على الدلالة التطابقية الوضعية دون الالتزامية والتضمنية(٤).

التنبيه الثالث: أن بعض الفرق تقول بوجوب إجراء النص على ظاهره، وهم

---

(١) انظر: الفتاوى الكبرى ٥/ ١٤٨، ١٥١، التدمرية ص ٧٧، المجموع ٣٣/ ١٧٥ وما بعدها.

(٢) انظر: المجموع ٦/ ٣٩٨، التدمرية ص ٦٩، وقد ذكر شيخ الإسلام في القاعدة الثانية أن لفظ الظاهر بعد ظهور الفرق أصبح من الألفاظ المجملة والمشتركة التي ينبغي التفصيل فيها، وذلك أن الظاهر في عرف السلف هو الظاهر اللائق بالنصوص، وأما الظاهر في عرف بعض الفرق فهو التمثيل والتشبيه أو نفي المعنى وعدم اعتقاد أنه يدل على معنى معلوم!! انظر: المجموع ٣/ ٢٠٧، ٦/ ٣٥٥، ٥/ ١٠٨، ١٣/ ٣٧٩، ٣٣/ ١٧٥ ـ ١٨١، وانظر: الفتح ١٣/ ٤١٨.

(٣) انظر: درء التعارض ١/ ١٦، الفتاوى الكبرى ٥/ ١٥١، معارج القبول ١/ ٤٧٣.

(٤) انظر: اعتقاد أئمة السلف أهل الحديث ص ٢٢٠-٢٢١.

يعنون أن ذلك لمصلحة الجمهور ليس إلا، قال شيخ الإسلام رحمه الله عن الفلاسفة: «وهؤلاء يقولون: الأنبياء قصدوا بهذه الألفاظ ظواهرها، وقصدوا أن يفهم الجمهور منها هذه الظواهر، وإن كانت الظواهر في نفس الأمر كذبا وباطلا، ومخالفا للحق!!، فقصدوا إفهام الجمهور بالكذب والباطل للمصلحة»(١).

التنبيه الرابع: ذكر مثالين لوجوب إجراء النص على الظاهر اللائق به، لا على ما قد يفهمه بعض أهل البدع، فقد جاء في نصوص الوحي: إثبات الاستواء لله جل جلاله، في أكثر من آية وحديث، ويجب إجراء هذا النص على ظاهره، فلا يؤول، ولا يقال بمعنى باطني يخالف المعنى العربي الذي تدل عليه الكلمة، وتصان عن الظنون والأوهام الكاذبة، فالاستواء معناه: العلو والارتفاع والاستقرار، وهو على ظاهره من حيث الإثبات والإطلاق، مع القطع بأنه ليس ظاهره في حق الله تعالى مساويا لظاهره في حق المخلوقين، فالله جل جلاله استوى على عرشه استواء يليق به، لا على ما هو متصور في المخلوقين؛ فإن علو الخالق واستواؤه لائق به، وعلو المخلوق واستواؤه لائق به(٢).

مثال آخر: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في علم الله وقدرته: «فإن الله تعالى لما أخبر أنه بكل شيء عليم، وأنه على كل شيء قدير، واتفق أهل السنة وأئمة المسلمين على أن هذا على ظاهره، وأن ظاهر ذلك مراد، كان من المعلوم أنهم لم يريدوا بهذا الظاهر أن يكون علمه كعلمنا، وقدرته كقدرتنا، وكذلك لما اتفقوا على أنه حي حقيقة، عالم

---

(١) الدرء ١/ ٩، وانظر منه ١٠/ ٢٧١.

(٢) انظر: الفتاوى الكبرى ٥/ ١٥٢-١٥٣، المجموع ٣/ ١٦٧، وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، كلام القرطبي في معنى الاستواء، حيث قال: «هذه مسألة الاستواء، وللعلماء فيه كلام - فذكر قول المتكلمين، ثم قال -: كان السلف الأول لا يقولون بنفي الجهة، ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله، كما نطق به كتابه، وأخبرت به رسله، قال: ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة؛ وإنما جهلوا كيفية الاستواء؛ فإنه لا تعلم حقيقته، - ثم قال بعد أن حكى أربعة عشر قولا -: **وأظهر الأقوال ما تظاهرت عليه الآي والأخبار**، والفضلاء الأخيار: أن الله على عرشه، كما أخبر في كتابه، وعلى لسان نبيه بلا كيف، بائن من جميع خلقه، هذا مذهب السلف الصالح فيما نقله الثقات عنهم» (المجموع ٣/ ٢٢٤، وانظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧/ ١٤٠-١٤١).

حقيقة، قادر حقيقة، لم يكن مرادهم أنه مثل المخلوق الذي هو حي عليم قدير»[١].

ولما كان المقصود بوجوب إجراء النصوص على ظاهرها، هو هذا الظاهر اللائق بها، بل الظاهر الذي فهمه الصحابة؛ فكان لا بد إذا من فهم النصوص على ضوء فهمهم، وهذا ما أجليه في المطلب الآتي.

(١) التدمرية ص٧٦.

المطلب الخامس: الاستعانة بفهم السلف الصالح في فهم القرآن.

إن فهم القرآن لا يجوز أن يكون بالظنون الكاذبة والأوهام المتخيلة، ولهذا كان متبعو السلف يجرون القرآن الكريم على حقيقته، وعلى ظاهره، ولا يقولون فيه بالتأويلات الكاذبة، ولا بالأقوال الباطنية الضالة، وذلك لأنهم يفهمون القرآن الكريم على ضوء فهم السلف الصالح من الصحابة ﷺ والتابعين.

ولا يلزم من فهم القرآن على ضوء فهمهم تعطيل فهومنا، ولكن المراد أن نفهم كفهمهم في المتنازع فيه، وأن لا تخالف فهومنا فهومهم، أما أن نفهم ما يوافق الأصول، ولا يخالف المنقول؛ فهذا فضل من الله يؤتيه من يشاء.

وإن السلف كانوا معاصرين لنزول الوحي، قريبي العهد به، مدركين لأسبابه، فهم أولى الناس بعلومه، وألصق الناس بمفهومه، لذا أوجب الله ﷻ علينا اتباعهم، وأمرنا بالسير على خطاهم.

وإنما أمرنا باتباع الصحابة لأنهم كانوا بعد النبي ﷺ «على نهجه المستقيم، وطريقه القويم، فجاءت كلماتهم كافية شافية، مختصرة نافعة، لقرب العهد، ومباشرة التلقي، ثم سلك آثارهم التابعون لهم بإحسان؛ فاقتفوا طريقهم، وركبوا منهاجهم، واهتدوا بهداهم، ودعوا إلى ما دعوا إليه، ومضوا على ما كانوا عليه»(١)، فإذا كان التابعون مع علمهم وجلالتهم لا يتعدون الصحابة، ولا يقصرون عنهم، فنحن في ذلك أولى وأجدر، كيف لا وقد «أجمع المسلمون على هدايتهم، ودرايتهم»(٢).

وكان من أساسيات المتبعين للسلف الأخذ بفهومهم لنصوص الشرع، خصوصا عند تعارض أقوال الناس، واختلاف نحلهم، ولأن الخير في اتباعهم، كما قال الشاعر:

---

(١) شفاء العليل ١/ ١٨، وانظر: نقض المنطق ص ٧١، ٧٩.

(٢) المجموع ٥/ ٦.

وكـن كما كان خيار الخلـــق حليف حلـم تـابعـا للحـق

فكل خير في اتباع من سلف وكـل شر في ابتداع من خلف...

فتابع الصالـــح ممن سلفـا وجـانـب البدعـة ممن خلفـا[(١)].

فتفسير القرآن[(٢)]، وفهم نصوصه يكون بما ورد عن النبي ﷺ وبما ورد عن أصحابه الكرام ﷺ، فإن لم نجد فعن التابعين ـ رحمهم الله ـ[(٣)].

فما جاء في الكتاب والسنة فلا بد من فهمها، والتصديق بهما «كما كان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، الذين رضي الله عنهم، ورضوا عنه؛ فإن هؤلاء هم الذين تلقوا عنه القرآن والسنة، وكانوا يتلقون عنه ما في ذلك من العلم والعمل»[(٤)].

ومن فسر القرآن الكريم، والسنة المطهرة، «وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة ﷺ، والتابعين؛ فهو مفتر على الله ﷻ، ملحد في آيات الله، محرف للكلم عن مواضعه، وهذا فتح لباب الزندقة والإلحاد، وهو معلوم البطلان من دين الإسلام»[(٥)].

قال عمر بن عبد العزيز ﷺ حاثا على اتباع السلف، ومحذرا من الابتداع: «إياك وما أحدث المحدثون؛ فإنه لم تكن بدعة إلا وقد مضى قبلها ما هو دليل عليها،

---

(١) جوهرة التوحيد للقاني ص ١٨-١٩، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر، وليته طبق هذا القول، لكنه سار على طريقة الخلف في كتابه!؟.

(٢) وقد ذكر العلماء الراسخون أن أفضل أنواع تفسير القرآن هو التفسير بالمأثور، وهو أن يفسر القرآن بالقرآن، وبالسنة، وبالآثار السلفية المروية، والنظر إلى اللغة العربية فيما لم يوجد من ذلك شيء. انظر: الانتصار ليحيى العمراني ٢/ ٣٧٥-٣٧٦، المجموع ١٣/ ٢٧-٢٩، ٣٦٣-٣٧٥، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٣-٥.

(٣) انظر: كشاف القناع ١/ ٤٣٤، مناهل العرفان ٢/ ٦٧.

(٤) المجموع ٥/ ١٥٦.

(٥) المجموع ١٣/ ٢٤٣، وانظر: ١٣/ ٣٦١، ١٥/ ٩٤، ١٦/ ٥١، وقال ﷺ في أهل البدع: «هؤلاء اعتقدوا رأيا، ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه، وليس لهم سلف من الصحابة، والتابعين لهم بإحسان، ولا من أئمة المسلمين، لا في رأيهم، ولا في تفسيرهم» (المجموع ١٣/ ٣٥٨).

وعبرة منها، **فعليك بلزوم السنة**؛ فإنها لك بإذن الله عصمة، وإن السنة إنما سنها من قد علم ما جاء في خلافها من الخطأ، والزلل، والحمق، والتعمق.

وارض لنفسك بما رضي به القوم لأنفسهم؛ فإنهم عن علم وقفوا، وببصر ناقد كفوا، وَلَهُمْ على كشف الأمور كانوا أقوى، وبفضل ـ لو كان فيها ـ أحرى، إنهم لهم السابقون؛ فلئن كان الهدى ما أنتم عليه، فقد سبقتموهم إليه!!، وإن قلتم حدث حدث بعدهم، ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم، ورغب بنفسه عنهم[(١)].

ولقد تكلموا منه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي؛ فما دونهم مقصر، ولا فوقهم محسر، لقد قصر دونهم أقوام؛ فجفوا، وطمح آخرون عنهم؛ فغلوا، وإنهم مع ذلك لعلى هدى مستقيم»[(٢)].

قال عباد بن عباد أبو عتبة الخواص ـ من أتباع التابعين[(٣)] ـ رحمه الله: «اعقلوا والعقل نعمة، فرب ذي عقل قد شغل قلبه بالتعمق فيما هو عليه ضرر عن الانتفاع بما يحتاج إليه، حتى صار عن ذلك ساهيا، ومن فَضْلِ عقلِ المرء ترك النظر فيما لا نظر فيه، حتى يكون فضل عقله وبالا عليه في ترك مناقشة من هو دونه في الأعمال الصالحة، أو رجل شغل قلبه ببدعة، **قلد فيها دينه رجالا دون أصحاب رسول الله** ﷺ، أو اكتفى برأيه فيما لا يرى الهدى إلا فيها!!، ولا يرى الضلالة إلا تركها!!،

---

(١) انظر: نقض المنطق ص٢، فقد ذكر مثل هذه الكلمات المضيئات أيضا.

(٢) طبقات الحنابلة ١/ ٦٨-٦٩، وانظر: العين والأثر ص ١٠٩، وقد نقل مثله عن ابن الماجشون من تابعي التابعين، فقال رحمه الله: «فارض لنفسك بما رضوا به لأنفسهم؛ فإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، ولهم كانوا على كشفها أقوى، وبتفصيلها لو كان فيها أحرى، وإنهم لهم السابقون، وقد بلغهم عن نبيهم ما يجري من الاختلاف بعد القرون الثلاثة؛ فلئن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه!!، ولئن قلت حدثَ حدثٌ بعدهم؛ فما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم، ورغب بنفسه عنهم، واختار ما تحته فكره على ما تلقوه عن نبيهم، وتلقاه عنهم من تبعهم بإحسان، ولقد وصفوا منه ما يكفي، وتكلموا منه بما يشفي؛ فمن دونهم مقصر، ومن فوقهم مفرط، لقد قصر دونهم أناس فجفوا، وطمع آخرون فغلوا، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم» (نقله شيخ الإسلام رحمه الله في نقض المنطق ص٦-٧).

(٣) وهو مشهور باسمه ونسبه، صدوق في رواية الحديث، روى له أبو داود. انظر: التقريب ص٢٣٣.

بزعم انه أخذها من القرآن!!، وهو يدعو إلى فراق القرآن!!، أفما كان للقرآن حَمَلَةٌ قبله، وقبل أصحابه يعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه؟؟، وكانوا منه على منار أوضح الطريق، وكان القرآن إمامُ رسولِ الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ إماما لأصحابه، **وكان أصحابه أئمة لمن بعدهم: رجال معروفون، منسوبون في البلدان، متفقون في الرد على أصحاب الأهواء، ـ مع ما كان بينهم من الاختلاف**[١] ـ، وتسكعَّ أصحاب الأهواء برأيهم في سبل مختلفة، جائرة عن القصد، مفارقة للصراط المستقيم؛ فتوَّهت بهم أدلاؤهم في مهامه[٢] مضلة؛ فأمعنوا فيها متعسفين في هيآتهم، كلما أحدث لهم الشيطان بدعة في ضلالتهم انتقلوا منها إلى غيرها، **لأنهم لم يطلبوا أثر السالفين، ولم يقتدوا بالمهاجرين،**... عليكم بالقرآن فأتموا به، وأمُّوا به، **وعليكم بطلب أثر الماضين فيه،**...»[٣].

وقال أبو الحسن الأشعري ـ رحمه الله في طوره السلفي ـ: «قولنا الذي نقول به، وديننا الذي ندين الله به، التمسك بكتاب ربنا، وسنة نبينا، وما روي عن الصحابة، والتابعين، وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون...»[٤].

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في معرض شرحه، في باب ما يستر العورة ـ: «فإن النبي ﷺ قد يتكلم بكلام من كلام العرب يستعمله في معنى هو أخص من استعمال العرب، أو أعم منه، ويتلقى ذلك حملة شريعته من الصحابة، ثم يتلقاه عنهم التابعون، ويتلقاه عنهم أئمة العلماء؛ فلا يجوز تفسير ما ورد في الحديث المرفوع إلا بما قاله هؤلاء العلماء الذين تلقوا العلم عمن قبلهم، ولا يجوز الإعراض عن ذلك، والاعتماد على تفسير من يفسر ذلك اللفظ بمجرد ما يفهمه من لغة العرب.

وهذا أمر مهم جدا، ومن أهمله وقع في تحريف كثير من نصوص السنة، وحملَها على غير محاملها»[٥].

---

(١) أي: في المسائل العملية الفقهية، وأما المسائل الاعتقادية فلا خلاف بينهم فيها.

(٢) مأخوذ من (هام) يهيم، إذا خرج ولم يدر ما يقصد. انظر: المصباح المنير للفيومي ص ٦٤٥.

(٣) رواه عنه الدارمي بسنده في سننه، المقدمة، باب/ في رسالة عباد بن عباد الخواص الشامي، ح(٦٤٩).

(٤) الإبانة لأبي الحسن الأشعري ص٨، وانظر: العين والأثر ص ١١٠.

(٥) فتح الباري لابن رجب ٢/ ٣٩٩.

فهؤلاء السلف من الصحابة والتابعين ينبغي أن يفهم ما اختلف فيه من المسائل على ضوء فهمهم حتى يرتفع الخلاف، ويكثر أتباع الأسلاف، فمن بشعاع طريقهم تبصر، وباقتفاء منهجهم تميز، وبسلوك سبيلهم تحيز، كان على الحق الأبلج المميز.

فالسلف علمهم أتم وأحكم، وأسد وأبين وأسلم، فلهذا كله صار أئمة الهدى على دربهم، ومصابيح الدجى على طريقهم، وهم القوم لا يشقى جليسهم، ولا يخاف تابعهم، ولا يضل متبعهم، ولا يهتدي مخالفهم.

وكانوا أعظم الناس قياما بدين الله ﷻ، لا تأخذ أحدهم في الله لومة لائم، ولا يصدهم عن سبيل الله العظائم؛ بل يتكلم أحدهم بالحق الذي عليه، ويعتقد ويموت عليه، ويتكلم في أحب الناس من أجله، فأنى يكون أحد أهدى منهم، وهذا حالهم، وكيف يترك سبيلهم، وهذا وضوحهم[1].

وأما الأدلة على وجوب اتباعهم، والسير على منهاجهم، فهي كثيرة منها:

١ - قول الله ﷻ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[النساء:١١٥]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيرها: «أي: ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول ﷺ؛ فصار في شق، وذلك عن عمد منه، بعد ما ظهر له الحق، وتبين له، واتضح له ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ هذا ملازم للصفة الأولى، ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع، وقد تكون لما اجتمعت عليه الأمة المحمدية؛ فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقا؛ فإنه قد ضمنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ تشريفا لهم، وتعظيما لنبيهم...»[2]؛ فالآية عطف مخالفة سبيل المؤمنين ـ وهم الصحابة ومن تبعهم ـ على مشاقة الرسول ﷺ، وهذا يدل على عظم شناعته، وقبح جنايته، ولهذا توعد على تلك المخالفة بالنار، وبئس القرار.

(١) انظر: المجموع ١/ ١٠، ١٣/ ٣٦٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٥٥٤-٥٥٥.

٢- قال ﷻ: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[البقرة:١٣٧] فالمراد من الإيمان المثلي: كإيمان الصحابة[١]، فلم يرض من مدعي الإيمان في زمن النبي ﷺ سواء كانوا كتابيين أو غيرهم، حتى يكون إيمانهم كإيمان الصحابة، ومعلوم أنه لا يمكن لمن بعدهم أن يتساووا معهم في كمية الإيمان؛ فلم يبق إلا أن المراد أن يكون الإيمان كالإيمان في الكيفية، وهو المنهج، والسبيل المذكور في آية النساء ـ والله أعلم ـ[٢].

٣- قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[التوبة:١٠٠]، «فجعل التابعين لهم بإحسان مشاركين لهم فيما ذكر من الرضوان، والجنة، وقد قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مِنكُمْ ﴾[الأنفال:٧٥]...، وقال تعالى: ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[الجمعة:٣]، فمن اتبع السابقين الأولين كان منهم»[٣].

٤- قوله ﷻ: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[الحشر:٨-١٠] فلقب الصحابة المهاجرين بالصادقين، ونحن مأمورون بأن نكون مع الصادقين، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾[التوبة:١١٩]، وأخبر في آية

---

(١) انظر: زاد المسير لابن الجوزي ١/ ١٥٠.

(٢) انظر: تفسير القرآن ـ بالبشتو ـ لشيخنا أبي زكريا عبد السلام الرستمي ص ٢١.

(٣) المجموع ١٣/ ٢٣-٢٤.

الحشر بأن الأنصار من المفلحين، ومن الذي لا يريد أن يحشر مع المفلحين؟ ولا يرغب عن نهجهم إلا من ضل سعيه، فإذا وجب أن نكون مع الصادقين، الذين حسنت وصدقت أعمالهم، ومع المفلحين الذين زكت قلوبهم، فاجتمع فيهم طهارة الأعمال والقلوب؛ ونقاوة العلم والعمل، ومن كان تابعا لهم فإنه يكون ثانِيًا عليهم، ساريًا على دربهم، داعيًا لهم بالخير، وإلا فإنه يخشى عليه أن يكون ممن وصفوا في الآيات التي بعدها، وهي في ذكر المنافقين والخاسرين، نسأل الله السلامة والمعافاة في الدنيا والدين.

٥- أن النبي ﷺ لم يأمر باتباع سنته فحسب، وإنما أمر باتباع سنة الخلفاء الراشدين ﷺ، فكيف إذا كان الصحابة مجتمعين يفهمون من النص أمرا معينا، أفيجوز بعد ذلك مخالفتهم؟ وقد أمرنا بسنة الخلفاء، فكيف بالصحابة جمعاء، قال ﷺ: [**فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا؛ فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة**][(١)].

٦- من الأدلة كونهم في خير القرون، وهم الذين شهد لهم الرسول ﷺ بالخيْريّة، فكيف لا يكونون أعلم الناس وأحكمهم وقد قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: [**خير الناس قرني...**][(٢)]، «ولهذا كانت معرفة أقوالهم في العلم، والدين، وأعمالهم خيرا...، فإنهم أفضل ممن بعدهم، كما دل عليه الكتاب، والسنة؛ فالاقتداء بهم خير من الاقتداء بمن بعدهم...، وذلك أن إجماعهم لا يكون إلا معصوما، وإذا تنازعوا فالحق لا يخرج عنهم؛ فيمكن طلب الحق في بعض أقاويلهم»[(٣)].

٧- من ذلك فعل الخلفاء الراشدين ﷺ، «فكان أبو بكر ﷺ إذا ورد عليه

---

(١) سبق تخريج الحديث بلفظ: [عليكم بسنتي...] ص٣١٩.

(٢) روى نحوه البخاري كتاب الشهادات، باب/ لا يشهد على شهادة جور إذا شهد، ح(٢٦٥١) عن عمران بن حصين ﷺ، ومسلم واللفظ له، كتاب فضائل الصحابة، باب/ فضل الصحابة الذين يلونه، ح(٢٥٣٣) عن ابن مسعود ﷺ.

(٣) المجموع ١٣/ ٢٤.

الخصم نظر في كتاب الله؛ فإن وجد فيه ما يقضي به بينهم قضى به، وإن لم يكن في الكتاب، وعلم من رسول الله ﷺ في ذلك الأمر سنة قضى بها؛ فإن أعياه خرج فسأل المسلمين، وقال: أتاني كذا وكذا، فهل علمتم أن رسول الله ﷺ قضى في ذلك بقضاء؟ فربما اجتمع إليه النفر كلهم يذكر عن رسول الله ﷺ فيه قضاء، فيقول أبو بكر: الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا؛ فإن أعياه أن يجد فيه سنة عن رسول الله ﷺ جَمَع رؤوس الناس وخيارهم، فاستشارهم؛ فإن أجمع أمرهم على رأي قضى به، وكان عمر ﷺ يفعل ذلك؛ فإن أعياه أن يجد في القرآن، والسنة، نظر هل كان لأبي بكر فيه قضاء؟ فإن وجد أبا بكر قضى فيه بقضاء قضى به، وإلا دعا رؤوس المسلمين؛ فإذا اجتمعوا على أمر قضى به»[1]، فهذا فيه اتباع أبي بكر وعمر ﷺ للكتاب والسنة، والأخذ عن الصحابة، وكان عمر يتبع قضايا أبي بكر ﷺ لأنه سلف له، وروي عن عليّ ﷺ أنه قال: [**فعليك أيها السائل بما دل عليه القرآن من صفته، وتقدمك فيه الرسل بينك وبين معرفته، فَأْتَمّ به، واستضئ بنور هدايته؛ فإنما هي نعمة وحكمة أوتيتها؛ فخذ ما أوتيت وكن من الشاكرين، وما كلفك الشيطان علمه مما ليس عليك في الكتاب فرضه، ولا في سنة النبي ﷺ، ولا عن أئمة الهدى أثره، فكِل علمه إلى الله سبحانه؛ فإنه منتهى حق الله عليك**][2].

٨- احتج ابن عباس ﷺ بالمهاجرين والأنصار لما كان يناظر الخوارج؛ وهذا دليل على وجوب اتباعهم، وإلا فلماذا يحتج بهم أو يوردهم في معرض المناظرة من دون أن يكونوا حجة؟؟ قال ﷺ: [**أتيتكم من عند المهاجرين والأنصار، ومن عند صهر رسول الله ﷺ، وعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بتأويله منكم..، وليس فيكم منهم أحد، وهم أعلم بتأويله**][3].

---

(١) ذكره السيوطي عن ميمون بن مهران ﷺ، كما في تاريخ الخلفاء ص٤٣.

(٢) أورده ابن الوزير الصنعاني في إيثار الحق ص٩٣، ولم أجده بحسب بحث جهدي المقل عند غيره.

(٣) رواه عبد الرزاق في مصنفه، برقم(١٨٦٧٨)، والحاكم برقم(٢٦٥٦) وصححه، ووافقه الذهبي، وأورده ابن الجوزي بسنده في تلبيس إبليس ص١٠٣.

٩- أن عدم الفهم على ضوء فهمهم يورث الخطأ في الاستدلال، والخطأ في فهم الدليل، قال عروة رحمه الله: [**سألت عائشة رضي الله عنها؛ فقلت لها: أرأيت قول الله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة:١٥٨]، **فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفا والمروة**] فهذا فَهْمُه رحمه الله من الآية، «احتج للإباحة باقتصار الآية على رفع الجناح؛ فلو كان واجبا لما اكتفى بذلك، لأن رفع الإثم علامة المباح»[(١)]، فردت عليه عائشة رضي الله عنها قائلة: [**بئس ما قلت يا ابن أختي، إن هذه لو كانت كما أولتها عليه كانت لا جناح عليه أن لا يتطوف بهما، ولكنها أنزلت في الأنصار، كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلل؛ فكان من أَهَلَّ يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة؛ فلما أسلموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، قالوا: يا رسول الله، إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة. فأنزل الله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ﴾ ٱللَّهِ]، فخطأت فهمه بدليل سبب النزول، ثم بينت وجوب السعي بدليل السنة[(٢)]؛ فقالت: [**وقد سن رسول الله ﷺ الطواف بينهما؛ فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما**][(٣)].

١٠- أنهم «نقلوا إلينا القرآن العظيم وأخبار رسول الله ﷺ نقل مصدق لها، مؤمن بها، قابل لها، غير مرتاب فيها، ولا شاك في صدق قائلها»[(٤)]، فإذا كان هذا حالهم؛ فهم أعلم منا بهذه النصوص.

١١- حرمان الحق يكون بسبب عدم اتباع طريقتهم، فالمشبهة والمعطلة «إنما

---

(١) الفتح ٣/ ٥٨٣.

(٢) وقد بوب لهذا البخاري فقال: باب/ وجوب الصفا والمروة، وجعل من شعائر الله. انظر: صحيح البخاري، كتاب الحج، باب (٧٩)، وقال ابن حجر رحمه الله: «ومحل جواب عائشة أن الآية ساكتة عن الوجوب وعدمه، مصرحة برفع الإثم عن الفاعل، وأما المباح فيحتاج إلى رفع الإثم عن التارك،... وأما الوجوب فيستفاد من دليل آخر، ولا يلزم من نفي الإثم عن الفاعل نفي الإثم عن التارك». الفتح ٣/ ٥٨٣.

(٣) رواه بطوله البخاري في صحيحه كتاب الحج، باب(٧٩)، ح(١٦٤٣).

(٤) نقض المنطق ص ٢.

أتوا من تعاطي علم ما لا يعلمون، ولو أنهم سلكوا مسالك السلف في الإيمان، بما ورد من غير تشبيه، لسلموا؛ فقد أجمعوا على أن طريقة السلف أسلم، ولكنهم ـ أي المعطلة والمشبهة ـ ادعوا أن طريقة الخلف أعلم!! فطلبوا العلم من غير مظانه، بل طلبوا علم ما لا يعلم؛ فتعارضت أنظارهم العقلية، وعارض بعضهم بعضا في الأدلة السمعية؛ فالمشبهة ينسبون خصومهم إلى رد آيات الصفات، ويدعون فيها ما ليس من التشبيه، والمعطلة ينسبون خصومهم وسائر أئمة الإسلام جميعا إلى التشبيه، ويدعون في تفسيره ما لا تقوم عليه حجة، والكل حرموا طريق الجمع بين الآيات والآثار، والاقتداء بالسلف الأخيار، والاقتصار على جليات الأبصار، وصحاح الآثار»[(١)].

وأما قول من يدعي أن السلف ـ في باب العقائد ـ طريقتهم أسلم فقط وأن طريقة الخلف أعلم وأحكم؛ فهذه فرية مكشوفة، وكذبة مفضوحة، رد عليها عدة من العلماء المتبعين لطريقة الأنبياء، والسالكين سبيل السلف الصلحاء، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «ثم من المحال أيضا أن تكون القرون الفاضلة ـ القرن الذي بعث فيهم رسول الله ﷺ، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ـ كانوا غير عالمين، ولا قائلين في هذا الباب بالحق المبين؛ فهذا لا يعتقده مسلم، ولا عاقل عرف حال القوم، ولا أن يعتقد أن الخلف أعلم من السلف، أو أن طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم، وأحكم!!!، ظنا أن طريقة السلف هي: مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه ذلك، وأن طريقة الخلف هي: استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات، فهذا الظن فاسدٌ أوجب تلك المقالة، وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها النصوص؛ فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر وكان مع ذلك لا بد للنصوص من معنى بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنى، وهي التي يسمونها طريقة السلف، وبين صرف اللفظ إلى معان بنوع تكلف، وهي التي يسمونها طريقة الخلف، وصار هذا الباطل مركبا من

---

(١) إيثار الحق ص ٩٣.

فساد العقل، والتكذيب بالسمع؛ فإن النفي إنما اعتمدوا فيه على أمور عقلية، ظنوها بينات، وهي شبهات، والسمع حرفوا فيه الكلم عن مواضعه؛ فلما انبنى أمرهم على هاتين المقدمتين، كانت النتيجة: استجهال السابقين الأولين، وأنهم لم يتبحروا في حقائق العلم بالله، ولم يتفطنوا لدقيق العلم الإلهي، وأن الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق في هذا كله!!.

وهذا القول إذا تدبره الإنسان وجده في غاية الجهالة بمقدار السلف؛ فكيف يكون الخلف أعلم بالله وأسمائه وصفاته، وأحكم في باب ذاته وآياته من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان من ورثة الأنبياء، وأعلام الهدى الذين بهم قام الكتاب، وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب، وبه نطقوا، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة، وأحاطوا من حقائق المعارف، وبواطن الحقائق، بما لو جمعت حكمة غيرهم إليها لاستحيا من يطلب المقابلة».

ثم قال: «ولم يقل أحد منهم قط إن الله ليس على العرش، ولا إنه في كل مكان، ولا إنه لا داخل العالم، ولا خارجه!!، ولا متصلا به، ولا منفصلا عنه!!، ولا إنه لا تجوز الإشارة إليه!!.

فإن كان الحق فيما يقوله هؤلاء النافون للصفات الثابتة في الكتاب والسنة من هذه العبارات، ونحوها، دون ما يُفهم من الكتاب والسنة، إما نصا، وإما ظاهرا؛ فكيف يجوز على الله، ورسوله، ثم على خير الأمة: أنهم يتكلمون دائما بما هو نص، أو ظاهر في خلاف الحق، ثم الحق الذي يجب اعتقاده، لا يبوحون به قط، ولا يدلون عليه حتى جاء المتوغلون في علوم الفلاسفة؛ فبينوا للأمة العقيدة الصحيحة!!، ودفعوا بمقتضى عقولهم ما دل عليه الكتاب والسنة نصا أو ظاهرا!!؛ فإن كان الحق في قولهم، فلقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم، وأنفع على هذا التقدير!!.

فإن حقيقة الأمر على ما يقوله هؤلاء: إنكم يا معشر العباد!! لا تطلبوا معرفة الله، وما يستحقه من الصفات، لا من الكتاب!!، ولا من السنة!!، ولا من طريق

سلف الأمة!!، ولكن انظروا أنتم فما وجدتموه مستحقا له من الصفات في عقولكم، فصفوه به، سواء كان موجودا في الكتاب، والسنة، أو لم يكن، وما لم تجدوه مستحقا له في عقولكم فلا تصفوه به!! »[١].

ومما يدل على أن طريقة السلف أسلم، وأعلم، وأحكم، أمور منها:

١- أن للسلف كلاما في جميع أبواب العقائد، هو من أوسط الكلام، ومن أسده، وكله موافق لنصوص الوحي، قال شيخ الإسلام رحمه الله: « إن أهل العناية بعلم الرسول، العالمين بالقرآن وتفسير الرسول ﷺ والصحابة والتابعين لهم بإحسان، والعالمين بأخبار الرسول والصحابة والتابعين لهم بإحسان، عندهم من العلوم الضرورية بمقاصد الرسول ومراده ما لا يمكن دفعه عن قلوبهم، ولهذا كانوا كلهم متفقين على ذلك من غير تواطؤ، ولا تشاعر »[٢].

٢- أن السلف لم يقع منهم أي بدعة؛ والمتبعين لهم لم يتبعوا أي نحلة، وهذا دليل على صحة منهجهم، وسلامة معتقدهم، خصوصا أن انتحال السلف ليس من شعائر أهل البدع، بل لا يعتز إليهم إلا سلفي، ومن عظمهم فإنما ذلك بقدر ما قام به من السنة[٣].

٣- أن المؤلفات الكثيرة التي ألفت في أقاويلهم، ونقلت تعبيراتهم أكثر من أن تحصر، وفيها بيان لمعتقدهم السليم، المشتمل على العلم العميم، والإتقان الحكيم، ومن أهمها: اعتقاد أهل السنة للالكائي[٤]، السنة للخلال[٥]، الإبانة لابن بطة[٦]،

---

(١) نقله الشيخ مرعي الحنبلي في أقاويل الثقات ص٢٢٦-٢٢٨، وهو موجود بنحو من ألفاظه في المجموع ٥/ ٧-١٠، وانظر: المجموع ٤/ ١٥٧، درء التعارض ٥/ ٣٧٨-٣٧٩.

(٢) درء التعارض ١/ ١٥٩، وانظر: الفتاوى الكبرى ٥/ ١٤٢.

(٣) انظر: تلبيس إبليس ص ٢٩، المجموع ٤/ ١٥٦.

(٤) مطبوع بتحقيق الشيخ/ أحمد بن سعد حمدان، في السعودية.

(٥) وقد طبع بتحقيق: د/ عطية الزهراني، في السعودية.

(٦) وقد طبع عدة طبعات.

والسنة لابن أبي عاصم[١]، والأسماء والصفات للبيهقي[٢]، والتوحيد لابن خزيمة[٣]، وغيرها من الكتب المصنفة في السنة، والرد على أهل البدع والأهواء، وكتب الاعتقاد.

ولهذا فلا أحد يسلم من البدعة ولا يسلم له عقيدة إلا بأن يسلم كما أسلموا، وأن يفهم النصوص كما فهموا، ويترك علم ما لم يكلف، وهذا هو مسلك أئمة السنة[٤].

وأما إذا اختُلِف في أمر من أمور الشرع؛ فإن الواجب على العبد النظر في الدليل الشرعي، دون تحيز إلى فئة، وتمايز إلى نحلة، قال ابن أبي العز رحمه الله: « فالواجب على من طلب العلم النافع أن يحفظ كتاب الله، ويتدبره، وكذلك من السنة ما تيسر له، ويطلع منها ويتروى، ويأخذ معه من اللغة، والنحو ما يصلح به كلامه، ويستعين به على فهم الكتاب والسنة، وكلام السلف الصالح في معانيها، ثم ينظر في كلام عامة العلماء: الصحابة، ثم من بعدهم ما تيسر له من ذلك من غير تخصيص؛ فما أجمعوا عليه لا يتعداه، وما اختلفوا فيه: نظر في أدلتهم بغير هوى، ولا عصبية »[٥]، وهذا لا يدخل فيه العقائد؛ لأن العقائد لا اختلاف بينهم فيها البتة.

فالشاهد على المتخاصمين النظر في حال السلف الصالحين، وهل كانوا يفهمون هذه النصوص على هذا النحو أم لا؟؟ « هل كانوا آخذين فيها؟ أم كانوا تاركين لها، أو غافلين عنها؟!!، مع القطع بتحققهم بفهم القرآن، يشهد لهم بذلك النبي ﷺ، والجم الغفير؛ فلينظر امرؤ أين يضع قدمه؟ »[٦].

وإذا حمل القرآن الكريم وفهم على ضوء فهم السلف الصالحين، علمنا أنهم لم

---

(١) وقد طبع بتحقيق وتخريج الشيخ الألباني.

(٢) وقد طبع مرات عدة.

(٣) وقد طبع مرات كثيرة.

(٤) انظر: إيثار الحق ص ١٢٢.

(٥) الإتباع له ص ٨٨، وانظر: الأم للشافعي ٧/ ٤٤، المجموع ٧/ ١١٦، ١٧/ ٣٥٣، ٣٢/ ٢٥٢.

(٦) الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٧٦، بتصرف يسير.

يختلفوا في أمور العقيدة بهوى متبع، ولا برأي مبتدع[١]، فكانوا على الوحيين، محتجين بهما، مستضيئين بنورهما، فكان الكتاب والسنة كالشمس والقمر لهم، سواء في الاعتقاد، أو في غيرها من المسائل العلمية، أو العملية، وكون القرآن حجة في باب العقائد هذا ما أبينه في المبحث التالي.

(١) انظر: حراسة العقيدة ص ٥٧.

المبحث الثاني: حجية القرآن عند السلف

إن من المسلمات الشرعية، والضروريات الدينية عند كل مسلم، الإيمان بأن القرآن الكريم هو الكتاب المنزل على نبينا محمد ﷺ، وأنه حجة الله على الخلق، في جميع ما يجب على المسلم اعتقاده، وما يجب عليه تطبيقه، واتباع تعاليمه في التشريع وشتى مجالات الحياة، وهذا ما أبينه في المطالب التالية.

المطلب الأول: الأدلة على حجية القرآن في العقائد.

لا شك أن الله ﷻ أنزل القرآن هداية للخلق، وإقامة للحجة عليهم بالحق، وكانت معجزات الأنبياء وقتيةً، ومعجزة خاتم الأنبياء باقية، وذلك لكونه خاتم الرسل؛ فكانت حجته وبرهانه باقيين، حتى لا يكون لأحد حجة على الله.

وهذا القرآن أخبر الله ﷻ أن فيه الهداية التامة، والنور الكامل الذي يستضاء به، وأن من تمسك به نجا وفاز، ومن تركه وأعرض عنه ضل وشقى، ومن أهم جوانب الهداية التي يشملها القرآن جانب العقيدة التي لم يترك الله تعالى فيها لنا مجالا للاجتهاد إلا في فهم نصوصها، وتدبر معانيها، واستخلاص دلالتها التي هي في غاية البيان والوضوح، وقد دل على ذلك أنواع من الأدلة، منها:

النوع الأول: الأدلة القرآنية نفسها، ومنها:

١ - قول الله ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ﴾[الأنبياء:٤٥]، وقال تعالى مخبرا عن نبيه محمد ﷺ: ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾[الأنعام:١٩] فكل

من بلَغه القرآن فقد أنذره رسول الله ﷺ[1]، وهو الوحي الذي أمر أن ينذر به؛ ولو كانت الحجة غير قائمة به؛ فكيف ينذرهم بما لا تقوم به الحجة؟!.

٢- قال الله ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴾[الحجر:٩١] أي جعلوه مجزءا، منه ما هو سحر ـ بزعمهم ـ ومنه ما هو شعر، أو آمنوا ببعض، وكفروا ببعض[2]، فمن ادعى أنه لا يحتج به في باب العقائد إلا إذا شهد له العقل فما آمن به.

٣- قال تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[البقرة:٥٨] فإذا كان من آمن ببعض الكتاب، وكفر ببعض كاليهود والنصارى لم يكن إلا مخزيا في الدنيا، مجزيا بالعذاب الشديد يوم القيامة؛ فكذلك من تشبه بهم من هذه الأمة[3].

٤- قال تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾[المائدة:٤٩] فالحكم أوجبه الله بالمنـزل، لا بالأهواء والمقالات، فكيف فيما يُعَرِّف بالله، ويقرب إلى الله ﷻ ؟! لا شك أنه من باب أولى يكون بالمنـزل، وقال ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[النساء:٥٩] فهذا دليل قاطع على أنه يجب حين التنازع، ردُّ الأمورِ كلها إلى الله والرسول، لا إلى أحد غير الله ورسوله؛ فمن أحال الرد إلى غيرهما ـ كالعقل، أو الذوق، أو الفلسفة ـ فقد ضاد أمر الله، ومن احتكم إلى غير الله ورسوله فقد دعا بدعوى

(١) انظر: الجواب الصحيح ١/ ٣٨٣، ٢/ ٢٣٩.
(٢) انظر: فتح القدير للشوكاني ٣/ ١٧٧.
(٣) انظر: الصفدية ٢/ ٢٤٦.

الجاهلية؛ فلا يدخل عبد في الإيمان حتى يرد كل متنازع إلى الله والرسول(١)، «وحسبك بهذه الآية القاصمة العاصمة بيانا وشفاء؛ فإنها قاصمة لظهور المخالفين لها، عاصمة للمتمسكين بها، المتمثلين لما أمرت به»(٢).

٥- قوله ﷻ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[النساء:٦٥] فإذا كان لا يتم الإيمان إلا بالإذعان لما جاء به محمد ﷺ ولو في سنته، فكيف بالقرآن؟ لا شك أنه: «آكد مما قضى به رسول الله ﷺ، وأبعد من كل ريب، فمن استراب في شيء منه، فهو فيما سواه أعظم ريبا، ومن ولع بالنظر في دقائق الكلام المختلف فيها بين أهله، وأعرض عن التدبر لكتاب الله، والفرق بين نصوصه، وظواهره، وخصوصه، وعموماته من غير أن يحكم دليل ما قطع به، ويستوثق من صحته، ثم يسمع نصوص القرآن تخالف ما هو عليه، فيعتقد فيها من تمحل وجوه المجاز ما لا يصلح مثله في العربية»(٣).

٦- قال ﷻ: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[الحشر:٢١] وقال: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ ﴾[الرعد:٣١] فإذا كان هذا وصفه ونفعه وقدره، فكيف لا يستفاد منه في أصل الأصول؟؟ والاحتجاج به في الدلالة على الله ﷻ(٤)، ومن سمع آيات القرآن علم أنها إنما ضمنت الفلاح والهدى والنجاح لمن اتبعه، دون من خالفه، والآيات في ذلك كثيرة(٥).

٧- قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي

---

(١) انظر: الرسالة التبوكية ص١٣٣.

(٢) الرسالة التبوكية ص١٣٤، وانظر: المجموع ٥/ ٦.

(٣) ترجيح أساليب القرآن لابن الوزير اليماني ص ١١.

(٤) انظر: ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير اليماني ص ٩.

(٥) انظر: درء التعارض ٥/ ٣٧٤.

ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[العنكبوت:٥١] فهذه الآية وأمثالها الواردة بصيغة الاستفهام متضمن معنى الإنكار؛ فيها مبالغة واضحة في وضوح كفايته، ودلالته على وجوب الإيمان، ولا يماثله شيء، ولا يدانيه(١).

٨- قوله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[الأعراف:٥٢]، فأي كتاب أعظم تفصيلا منه، فيما يقرب إلى الله، ويباعد عن النار(٢).

٩- قوله ﷻ: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾[طه:١٢٣-١٢٦] «فبين أن من اتبع الهدى الذي جاء من عنده...؛ فإنه لا يضل ولا يشقى، بل يكون من المهتدين المفلحين...؛ فأهل الهدى ـ الذي يتضمن العلم والسعادة ـ هم: المتبعون للكتاب المنـزل»(٣).

١٠- قوله ﷻ مخبرا عن ندم أهل النار، الذين لم يؤمنوا بالمنـزل على النبيين الأبرار: ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الملك:٨-١١] فمن ظن عدم اشتمال الكتاب والحكمة على بيان الشرع؛ فإنما هو ناقص في عقله وسمعه، وله نصيب من هذه الآية التي توعد بها الكافرين(٤).

النوع الثاني: الأدلة النبوية، فكل ما ثبت عنه ﷺ من الحث على اتباع كتاب الله ﷻ،

(١) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير اليماني ص ١٠.
(٢) انظر: ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير اليماني ص ١١.
(٣) الصفدية ٢/ ٢٤٦.
(٤) انظر: المجموع ٣/ ٢٩٦، ١٧/ ٤١٦.

والأخذ به، فهو دليل على وجوب الصدور عن القرآن، وحجيته على الإطلاق، ومن ذلك:

١- قوله ﷺ: [**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله**][١]؛ فلو كان القرآن لا يشتمل على الهداية التامة لما حصل به نفي الضلالة، فعلمنا أنه مشتمل على أصل الأصول، ومهمات الوصول، ولو لم يكن كذلك؛ «فهلا قال: من تمسك بالقرآن، أو بدلالة القرآن، أو بمفهوم القرآن، أو بظاهر القرآن في باب الاعتقاد: فهو ضال؟؟ وإنما الهدى رجوعكم إلى مقاييس عقولكم!! وما يحدثه المتكلمون منكم!! بعد القرون الثلاثة!!»[٢].

٢- قوله ﷺ: [**أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله**]؛ «فأحسن الحديث، وأصدقه كتاب الله: خبره أصدق الخبر، وبيانه أوضح البيان، وأمره أحكم الأمر»[٣].

٣- قوله ﷺ: [**القرآن حجة لك، أو عليك**]، ونحو ذلك من الأحاديث التي تدل على وجوب العمل بالكتاب.

النوع الثالث: دليل الإجماع، وهذه بعض الأقوال في ذلك:

١- إن متبعي السلف: «اتفقوا على أن أصول أحكام الشريعة: القرآن، والسنة، وإجماع السلف، وأكفروا من زعم من الرافضة أن لا حجة اليوم في القرآن... **فهذا بيان ما اتفق عليه أهل السنة**»[٤].

٢- قال ابن الوزير[٥] رحمه الله: «إجماع علماء الإسلام من جميع الطوائف على أن القرآن يفيد ما ادعيت من معرفة أدلة التوحيد، من غير ظن، ولا تقليد»[٦].

---

(١) سبق تخريجه ص ٥٧٣.

(٢) المجموع ٥/ ٢٠.

(٣) نقض المنطق ص ٧٢.

(٤) الفرق بين الفرق ص ٢٥٢.

(٥) هو الذاب عن السنة: محمد بن إبراهيم بن علي المرتضي بن الهادي بن يحيى الحسيني، المعروف بابن الوزير اليماني، تعلم بصنعاء ومكة، وبلغ الغاية في التصنيف، ومن مصنفاته: إيثار الحق على الخلق، القواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، توفي سنة ٨٤٠هـ. انظر: معجم المؤلفين ٨/ ٢١٠.

(٦) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير اليماني ص ١٥.

٣- قال الألوسي[(١)] رحمه الله: «اعلم أن مستند المسلمين في العقائد، ومرجعهم في أصول الدين وفروعه، إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وإجماع من سلف من علماء الأمة»[(٢)]، وقال: «إن العمدة عند المسلمين في مسائل أصول الدين، وفروعه: على كتاب الله وسنة رسوله، وإجماع أهل العلم، ولا تذكر أقوال أهل العلم إلا تبعا، وبيانا...، وما خالف ذلك فهو مردود على قائله، ويلزمه أهل العلم بصريح الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة»[(٣)].

النوع الرابع: أقوال علماء المسلمين: أما أقوالهم على التفصيل؛ فإن في ذكرها تطويلا، ويكفي اللبيب إشارة إلى ما استدل به السلف من آيات القرآن والسنة في كتبهم سواء في باب الصفات، أو غيرها من أمور التوحيد، والإيمان، والعبادات؛ فيحصل له العلم التام بأنهم لا يرون الاحتجاج إلا بالقرآن، والسنة النبوية، ومن هذه الأقوال السنية:

١- قال الإمام أحمد رحمه الله: «أصول الإسلام أربعة: دالٌّ، ودليلٌ، ومبيِّنٌ، ومستَدِلٌّ؛ فالدال هو الله، والدليل هو القرآن، والمبيِّن هو الرسول، والمستدل هم أولو العلم وأولوا الألباب الذين أجمع المسلمون على هدايتهم، ودرايتهم»[(٤)].

٢- قال القاضي أبو يعلى رحمه الله: «**والأدلة التي يدرك بها الحق** خمسة أشياء: كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله ﷺ، وإجماع الأمة، وما استخرج من هذه النصوص، وبني عليها بطريق القياس والاجتهاد[(٥)]، وحجج

---

(١) هو العالم المؤرخ الأديب: محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين محمود الألوسي الحسيني، أبو المعالي وهو حفيد صاحب التفسير، ولد ونشأ في بغداد، وأخذ العلم عن أبيه وآخرين، ودرس في المساجد، وحمل على أهل البدع، ورسائله كثيرة في نصرة السنة، منها: غاية الأماني في الرد على النبهاني، توفي سنة ١٣٤٢هـ. انظر: الأعلام ٧/ ١٧٢.

(٢) غاية الأماني في الرد على النبهاني ١/ ٥٥.

(٣) غاية الأماني في الرد على النبهاني ١/ ٥٥، ونقله من كلام الإمام العلامة الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ رحمه الله.

(٤) نقله شيخ الإسلام رحمه الله في الاقتضاء ١/ ٢٤٨.

(٥) والقياس الذي يستعمل في باب التوحيد ـ فيما يتعلق بصفات الرب المجيد ـ هو قياس الأولى، وأما قياس التمثيل، والشمول فلا يستعمل في هذا الباب، عند أهل السنة من غير ارتياب. انظر: النقض ص١٥٨، ٢٠٠، المجموع ١٢/ ٣٤٤، ١٣/ ١٤.

العقول»[١] فانظر ـ بعين البصيرة ـ كيف جعل كتاب الله أولا، وحجج العقول آخرا.

٣- قال الرازي الأشعري: «أقر الكل بأنه لا يمكن أن يزاد في تقرير الدلائل على ما ورد في القرآن»[٢].

٤- قال شيخ الإسلام رحمه الله: «الهدى والبيان والأدلة والبراهين في القرآن؛ فإن الله تعالى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، وأرسله بالآيات البينات؛ وهي الأدلة البينة الدالة على الحق»[٣].

٥- قال الإمام الشاطبي رحمه الله: «لا بد في كل مسألة يراد تحصيل علمها على أكمل الوجوه: أن يلتفت إلى أصلها في القرآن؛ فإن وجدت منصوصا على عينها، أو ذكر نوعها، أو جنسها فذاك...، وأعلى مراجع المقطوع به: القرآن الكريم؛ فهو أول مرجوع إليه»[٤].

٦- قال ابن الوزير اليماني رحمه الله مبينا حال الذين لا يحتجون بالقرآن بالحجج الواهية: «وإنما يستقبحون الظواهر بعقولهم؛ فيتكلفون لها معاني كثيرة يختلفون فيها، وكل منهم ينفرد بمعنى، ويأتي بمجرد احتمال، والكل من ذلك مما لم يستندوا فيه إلى شيء من السمع، وقد يكون مخالفا للمعلوم من الشرع؛ لأن تلك الآيات ظهرت على عهد رسول الله ﷺ، وعلم من المسلمين تلقيها بالقبول، ولم يخبر ﷺ، ولا أحد من أصحابه لها بتأويل، ولا نبه على ذلك مع ما في المسلمين من البله المحتاجين إلى البيان الذي لا يجوز تأخيره عن وقت الحاجة»[٥].

---

(١) المعتمد لأبي يعلى ص ٢٦.

(٢) هكذا ذكره هنا، في كتابه الأربعين، في الكلام على النبوات، كما نقله ابن الوزير في إيثار الحق ص٨٠، ولكن ليته عمل بمقتضاه، ولم يخالفه إلى القواعد المنطقية، المزعومة بأنها موازين عقلية!!. انظر: ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير اليماني ص ٢٠.

(٣) النبوات ٢/ ٦٣٩.

(٤) الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٧٥.

(٥) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير اليماني ص ١٢٥-١٢٦.

النوع الخامس: الأمثلة على اشتمال القرآن للأدلة العقائدية؛ معلومٌ أن إثبات شيء في الدين، سواء في المعتقد، أو غيره، لا يتوقف إلا على الشرع؛ فوجوب « تصديق كل مسلم بما أخبر الله ورسوله من صفاته، ليس موقوفا على أن يقوم دليل عقلي على تلك الصفة بعينها؛ فإنه يعلم بالاضطرار من دين الإسلام أن الرسول ﷺ إذا أخبرنا بشيء من صفات الله تعالى، وجب علينا التصديق به، وإن لم نعلم ثبوته بعقولنا »[(١)]، ومع هذا فإنه لم يأت شيء في الشرع إلا ودل عليه العقل بالتبع، قال شيخ الإسلام رحمه الله: « والقرآن يبين ما يستدل به العقل، ويرشد إليه، وينبه عليه، كما ذكر الله ذلك في غير موضع »[(٢)] وقد أرشد القرآن إلى الدلالات العقلية التي بها يعرف الحق من الباطل، وما يستحقه الرب الكامل، وهذه الدلالات العقلية كثيرة، ومنها:

١ – من ذلك إرشاده إلى النظر في الاستدلال ـ للمرتاب ـ على الخالق جل جلاله[(٣)]، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾[يونس:٣١-٣٢] وغير ذلك من الآيات، التي ترشد إلى الله عز وجل الخالق، وتبين أنه هو المعبود بحق، « وهي قريبة من خمسمائة آية، ينبغي للخلق أن يعرفوا جلال الله وعظمته، بقوله الصادق المعجز...؛ فإن الدلالات الشرعية الصادرة عن اللطيف الخبير، وعن رسوله البشير النذير ﷺ تقنع، وتسكن النفس، وتغرس في القلوب الاعتقادات الصحيحة الجازمة »[(٤)].

٢-وذكر الله عز وجل الدليل على وحدانيته[(٥)]؛ فقال: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ

---

(١) الأصبهانية ١/ ٣٠.

(٢) التدمرية ص١٤٦-١٤٧، وانظر: الصفدية ١/ ٢٩٦، درء التعارض ١/ ١٩٩، الأصبهانية ٢/ ٣٩٧.

(٣) انظر: نقض المنطق ص٤٧، وانظر: النبوات ١/ ٢٩٢، في بيان ما ذكره شيخ الإسلام رحمه الله في أحسن الطرق التي دل عليها القرآن في الاستدلال على الخالق عز وجل بخلق الإنسان.

(٤) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير اليماني ص ٢١، وانظر منه: ص ٧٠.

(٥) انظر: التدمرية ص ١٤٧، المجموع ٣/ ٣٠٢، ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير اليماني ص ٢١.

لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[الأنبياء:٢٢]، وقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[البقرة:٢٥٨] فدلت الآيات على أن المعبود بحق هو الله ﷻ الذي بيده تصاريف الأمور، ولو كان هناك من يستحق العبادة غيره، لكان خالقا، ولاختل ميزان السماوات والأرض؛ فلما لم يختل النظام في الكون، علم أن المعبود بحق هو الله ﷻ، المتصرف وحده.

٣- ومن ذلك الرد على منكري المعاد[(١)]، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾[يس:٧٧]، إلى آخر الآيات من سورة يس، حيث ذكر شبهة المنكرين للبعث، والرد عليها بأحسن عبارة، وأدل دلالة[(٢)].

٤- ومن ذلك دلالته على إثبات الخالق ﷻ، وصفاته[(٣)]، قال تعالى: ﴿ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[إبراهيم:١٠]، وقال في الدلالة على وصفه ﷻ: ﴿ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٧ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾[الشعراء:٧٧-٨١]، فكل ما أثبته الصفاتية[(٤)] من المتكلمين من صفات الله ﷻ بدلالة العقل ـ لا بالشرع!! ـ، دل عليها الشرع، وما لم يثبتوه مما ثبت بالشرع، يمكن إثباته بالعقل، إذ لا تنافي بين الشرع الثابت، والعقل

---

(١) انظر: التدمرية ص١٤٧.

(٢) انظر: المجموع ٣/ ٢٩٨، ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير اليماني ص ١٧.

(٣) انظر: المجموع ٣/ ٣٠١، الأصبهانية ٢/ ٣٧٩.

(٤) **الصفاتية اصطلاح المراد منه:** من أثبت الصفات، بغض النظر عن كونه أثبت كل الصفات، أو بعضها، وهل أثبتها على ما وردت من غير تشبيه، أم على ما فهموها، وهل أثبتوها لدلالة الشرع أم لدلالة العقل، فهذه أمور أخرى، يختلف فيها الصفاتية أنفسهم، والصفاتية هم: الكلابية، والأشاعرة، والماتريدية، والمشبهة الكرامية وغيرهم، وهؤلاء هم من أهل الكلام، وقد يضاف إليهم أهل السنة والأثر لأنهم يثبتون بغض النظر عن مخالفتهم لهم في أمور كثيرة في باب الصفات.

الثاقب، ولهذا ألف شيخ الإسلام رحمه الله كتابه الفذ "درء تعارض العقل والنقل" لبيان أنه لا تنافي بينهما.

٥- ومن ذلك دلالته على إثبات النبوة، والرد على منكريها[١]، قال عز وجل: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾[البقرة:٢٣-٢٤]. وهذه أمثلة، وإلا فإن القرآن كله في الدلالة على التوحيد، إما تطابقا، أو تضمنا، أو التزاما؛ «فأدلة القرآن، والسنة مثل الغذاء ينتفع به كل إنسان، بل كالماء الذي ينتفع به الصبي، والرضيع، والرجل القوي، ولهذا كانت أدلة القرآن سائغة جلية، ألا ترى أن من قدر على الابتداء فهو على الإعادة أقدر...، وأن التدبير لا ينتظم في دار واحدة بمدبرين؛ فكيف ينتظم في جميع العالم؟؟»[٢].

٦- ومن ذلك اشتمال القرآن على الأدلة الكاملة للرد على أهل البدع؛ فمن هذه الأدلة قوله عز وجل: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[الشورى:١١]؛ فقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ رد بليغ على الممثلة، وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ رد على أهل التعطيل بجميع فرقه[٣]؛ فالآية على جزالة لفظها، شملت معاني عظيمة، وقواعد كثيرة، يتضح أن القرآن مشتمل على جميع الدلالات الصحيحة النافعة، التي توصل إلى المطلوب سواء في التوحيد أو في غيرها؛ «فالواجب أن يجعل ما أنزله الله من الكتاب والحكمة -أي السنة- أصلا في جميع هذه الأمور، ثم يرد ما تكلم فيه الناس إلى ذلك»[٤].

٧- أن سورة واحدة من سور القرآن تشتمل على أصول الدين؛ فكيف بالقرآن كله؟ فهذه سورة البقرة «جمع فيها معالم الدين، وأصوله، وفروعه...، ذكر في أولها

---

(١) انظر: التدمرية ص ١٤٧، ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير اليماني ص ١٧.

(٢) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير اليماني ص٢١-٢٢.

(٣) انظر: الصفدية ١/ ١٠٣.

(٤) المجموع ١٧/ ٣٠٦.

أصناف الخلق، وهم ثلاثة: مؤمن، وكافر، ومنافق، أخذ بعد ذلك يقرر أصول الدين، فقرر هذه الأصول الثلاثة: الإيمان بالله، ثم الرسالة، ثم اليوم الآخر...»(١)، وفيها أركان الإيمان، والمسائل التي تكمل الإيمان: من الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وغيرها، فهذه السورة سورة جامعة لأحكام الدين علما وعملا.

فالقرآن احتوى من الدلائل العقلية، والإرشادات القطعية في المسائل العقدية، ما لم يحويه كتاب؛ «ففي القرآن من المحاسن التي تقتضيها القواعد الشرعية الكثير، يشهد بها شاهد الاعتبار، ويصححها نصوص الآيات والأخبار، ...وذلك أنه محتو من العلوم على **ثلاثة أجناس هي المقصود الأول**؛ **أحدها**: معرفة المتوجَّه إليه، وهو الله المعبود ﷻ، **والثاني**: معرفة كيفية التوجه إليه، **والثالث**: معرفة مآل العبد»(٢).

النوع السادس: الأدلة العقلية؛ ومنها:

١- أن الله ﷻ إنما أرسل الرسل ليبلغوا لنا الدين، فإذا كان ما معهم لا يفي في مسائل الدين؛ ولا يُشفي في معرفة رب العالمين فهذا يعني أنهم لم يأتوا لهداية البشر، حتى جاء أصحاب زبالات أفكار اليونان، وفلسفة أهل الهند وغيرهم من البلدان، فأكملوا الهداية للناس!!، وهذا معلوم بطلانه عقلا ونقلا؛ فثبت أن ما جاء به الرسل فيه الهداية التامة، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[التوبة:٣٣، الصف:٩]، وقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[الفتح:٢٨] فرسولنا ﷺ «قد أرسل بالبينات والهدى، بين الأحكام الخبرية والطلبية، وأدلتها الدالة عليها، بين المسائل والوسائل، بين الدين، ما يقال، وما يعمل، وبين أصوله التي بها يعلم أنه دين حق، وهذا المعنى قد ذكره الله تعالى في غير موضع، وبين أنه أرسل رسوله

(١) الأصبهانية ٢/ ٦٣٠.

(٢) الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٧٩-٣٨٠.

بالهدى، ودين الحق ليظهره على الدين كله...، والهدى: هو هدي الخلق إلى الحق، وتعريفه ذلك، وإرشادهم إليه؛ وهذا لا يكون إلا بذكر الأدلة، والآيات الدالة على أن هذا هدى...، وهو سبحانه إذا ذكر الأنبياء؛ نبينا وغيره، ذكر أنه أرسلهم بالبينات؛ وهي الأدلة، والبراهين البينة، المعلومة علما يقينيا، إذ كان كل دليل لا بد أن ينتهي إلى مقدمات بينة بنفسها، قد تسمى: بديهيات[(١)]، وقد تسمى ضروريات[(٢)]، وقد تسمى أوليات، وقد يقال: هي معلومة بأنفسها؛ فالرسل ـ صلوات الله عليهم ـ بعثوا بالآيات البينات»[(٣)]، وقد أخبر الله ﷻ في غير موضع من كتابه أنه أرسل رسوله تاليا للكتاب، وجعل حجته ما نزل؛ فقال: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[آل عمران:١٦٤] «فتلاوة الآيات يحصل بها العلم؛ فإن الآيات هي العلامات، والدلالات؛ فإذا سمعوها دلتهم على المطلوب»[(٤)].

٢- أن كفار قريش ـ وغيرهم ـ قامت عليهم حجج الرسالة بالقرآن، وفيه المسائل العقدية، ويأتيهم الجواب بكلام رب البرية، ولا يقول أحد منهم: إن هذا لا يصلح به الاحتجاج في الأمور العقدية، ونريد الدلائل المنطقية، أو الأصول الفلسفية، أو المنامات المرئية، أو الأذواق الوجدية، ولو كان ما ذهب إليه الذين لا يحتجون بالقرآن في المسائل الاعتقادية لكان الكفار أسبق إليه منهم، فـ« لم يزل رسول الله ﷺ يحتج عليهم بالقرآن، ويجعله العلم لنبوته، والدليل على صدقه، ويتحداه في موطن بعد

---

(١) البديهي أو البديهيات: هو الأمر الذي لا يتوقف معرفته على نظر وكسب، سواء كان فكرا أو تجربة أو عملا، وعلى هذا فهو قد يرادف الضروري. انظر: التعريفات ص ٤٣، ويمكن أن يقال: البديهيات: هي الأمور التي تكون معلومة دون توسط أمر آخر.

(٢) الضروريات هي الأمور التي يجد المرء ضرورة من غير كسب، ككون النار محرقة، والضرورية أنواع، انظرها في التعريفات ص ١٣٧.

(٣) النبوات ٢/ ٦٥٠-٦٥٢، وانظر ما بعدها من الصفحات، و المجموع ٥/ ١١٨.

(٤) النبوات ٢/ ٦٧١.

موطن... ولم يحك الله تعالى عنهم، ولا بلغنا في شيء من الروايات، أنهم جدبوه[(١)] من الجهة التي جدبه منها الطاعنون »[(٢)].

٣- ثم القرآن نقل إلينا متواترا، فثبت به العلم قطعا، ولما ثبت - بالتواتر - أنه كلام الله، ثبت أنه حجة موجبة للعلم قطعا، لعلمنا يقينا أن كلام الله لا يكون إلا حجة،[(٣)] « ومعلوم أن النقل المتواتر يفيد العلم اليقيني؛ سواء كان التواتر لفظيا، أو معنويا...، فمن ادعى في كلام الله ورسوله خلاف ما عليه أهل الإيمان، كان قوله أظهر بطلانا وفسادا؛ لأن هذا معصوم محفوظ »[(٤)]، والمنقول: إما لفظ، أو معنى، وألفاظ القرآن متواترة، وكذلك من السنة ما هو متواتر، ومعاني القرآن والسنة منها ما هو متواتر عند العامة والخاصة، ومنها: ما هو متواتر عند الخاصة[(٥)].

٤- أن كونه محفوظا، ليرجع إليه عند التخاصم، وتبقى حجة أبد الدهر في مسائل الشرع مطلقا، وقد هيأ الله أسباب حفظه، فـ « هذه الشريعة المباركة معصومة، كما أن صاحبها ﷺ معصوم، وكما كانت أمته فيما اجتمعت عليه معصومة، ويتبين ذلك بوجهين؛ **الأول**: الأدلة الدالة على ذلك تصريحا وتلويحا، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾[الحجر:٩]...، فأخبر أنه يحفظ آياته، ويحكمها حتى لا يخالطها غيرها، ولا يداخلها التغيير والتبديل...، **والثاني**: الاعتبار الوجودي الواقع من زمن النبي ﷺ إلى الآن، وذلك أن الله ﷻ وفر دواعي الأمة للذب عن الشريعة، والمناضلة عنها بحسب الجملة، والتفصيل، أما القرآن الكريم؛ فقد قيض الله له حفظة بحيث لو زيد فيه حرف واحد لأخرجه آلاف من الأطفال الأصاغر؛ فضلا عن القراء الأكابر؛ وهكذا

(١) أي عابوه، كما في اللسان ١/ ٢٤٩.

(٢) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٢٣.

(٣) انظر: أصول السرخسي ص٢٧٧-٢٧٩، المستصفى للغزالي ص ١١٥، وانظر: ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير اليماني ص ١٣.

(٤) درء التعارض ١/ ١٩٥-١٩٦.

(٥) انظر: درء التعارض ١/ ١٩٦-١٩٧.

جرى الأمر في جملة الشريعة؛ فقيض الله لكل علم رجالا حفظه على أيديهم »[١].

٥- أن الله ﷻ « أعلم بنفسه، وبغيره، وأصدق قيلا، وأحسن حديثا من خلقه، ثم رسله صادقون مصدقون »[٢]، « فإذا كان الله ﷻ أعلم بنفسه، وبغيره، وكان أصدق قولا، وأحسن حديثا من خلقه، وكان رسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ صادقين في كل ما يخبرون به عنه، والواسطة بينهم وبين الله ـ التي تأتيهم بالوحي من عنده ـ واسطة صادقة، من ملائكته الكرام، وجب التعويل إذا على ما قاله الله، ورسله... »[٣].

٦- ثبت بالدليل الشرعي تفضيل خير القرون على من بعدهم، وهم كانوا يأخذون أصول دينهم، وما به يتقربون إلى ربهم، من كتاب الله ﷻ، وسنة رسوله ﷺ، فعلم عقلا أن الوحي لو لم يكن حجة في ذلك، لما سلك ذلك خير القرون؛ « فطريقة السلف، والأئمة الموافقة للطرق التي دل القرآن عليها، وأرشدهم إليها، هي: أكمل الطرق، وأصحها، وأكثر الناس صوابا في العقليات أقربهم إليه، كما أن أكثرهم صوابا في السمعيات أقربهم إليهم »[٤] « فهم صفوة الأمة، وخيارها المتبعون للرسول علما وعملا، يدعون إلى النظر والاستدلال، والاعتبار بالآيات والأدلة والبراهين التي بعث الله بها رسوله، وتدبر القرآن، وما فيه من البيان »[٥]، ولم يقل أحد من السلف ـ وهذا وصفهم من العلم، والعمل، والإرادة ـ أن المسائل العقدية لا تستفاد من القرآن الكريم.

٧- أنه ثبت في الشرع كمال الدين؛ ويلزم هذا عقلا الاستسلام له؛ فإن قيل: إنه محتاج إلى الأدلة والبراهين التي وضعتها العقول اليونانية، والفلسفات الهندية؛ فإن هذا يعني عدم كمال الدين، و« من زاد فقد زعم أن الشريعة ناقصة؛ فهو يكملها بزيادته، وهذا من الجرأة على الله، وعلى ما شرعه »[٦].

---

(١) الموافقات للشاطبي ٢/ ٥٨-٩٥.

(٢) العقيدة الواسطية ص ٢١ المطبوع بهامش شرح الواسطية للشيخ محمد خليل هراس رحمه الله.

(٣) شرح الواسطية للشيخ صالح الفوزان ص ١٥.

(٤) الأصبهانية ٢/ ٤٠٨.

(٥) الاقتضاء ١/ ٢٩١.

(٦) من عبارات الأمير الصالح نور الدين زنكي، كما نقلها ابن كثير في البداية والنهاية ١٢/ ٨٠٥.

٨- أن الشرع الواجب في مسائل الاعتقاد لا يختلف فيه من زمن إلى زمن، ولهذا كان دين الأنبياء في المعتقدات واحدًا، وفي الشرائع مختلفًا، فكيف يقال بعد ذلك: إن هناك مسائل لم يجليها الشارع؟؟ مع أنه أوضح أمورا هي من المستحبات كالسواك، وآداب قضاء الحاجة، «والعقائد أولى بذلك؛ لأنه لا يجوز أن يتجدد فيها للخلف ما لم يكن واجبا على السلف، بخلاف الفروع، فقد تجدد الحوادث، ويقع للمتأخر فيها ما لم يقع للمتقدم»(١)؛ فالدين قد كمل، ولم يبق لقائل مقولا، فقبض الله نبيه إليه وقد بانت الحجة، ووضحت المحجة، واشتد أس الدين، وقوي عضده(٢)؛ فلا يعقل أن يبين ما لا يتجدد باختلاف الأزمنة والأمكنة، مثل العقائد، ويبين مسائل الفقه بالتفصيل:

ما باله حتى السواك أبانـه وقواعد الإسلام لم تتقرر!!.(٣)

٩- احتجاج العلماء به، وإنكارهم على الذين لا يرون الاحتجاج بالقرآن، فـ«من ترك العمل بآية، أو بكلمة من القرآن مما يجب العمل به، أو ترك قراءتها تكبرا كفر، ومن ترك عجزا أو كسلا أو ضعفا مع اعتقاد تعظيمه؛ فلا إثم عليه، أي بترك القراءة، ولكنه محروم»(٤).

١٠- النظر المفيد للعلم، إنما يكون في الدليل الهادي، وهو الوحي المعصوم، «والدليل الهادي ـ على العموم والإطلاق ـ هو كتاب الله، وسنة نبيه؛ فإن الذي جاءت به الشريعة... هو ما يفيد وينفع، ويُحصِّل الهدى، وهو بذكر الله، وما نزل من الحق»(٥).

١١- أن من قرأ القرآن الكريم من العرب؛ فهم يفهمونه، وأما العجم فيُفَهمون، وهو سهل ميسر لكل من عرف العربية، أو ترجم له(٦)، وأما هذه العلوم

---

(١) إيثار الحق ص ١٠٩.

(٢) انظر: الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٧٨.

(٣) ذكره ابن الوزير اليماني كتابه إيثار الحق ص ١٠٩، نقلا عن السيد الإمام يحيى بن منصور الهاروي المفصلي.

(٤) تحفة الأحوذي ٨/ ٢١٩، نقله عن الطيبي شارح المشكاة، وانظر: ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير اليماني ص ١٤.

(٥) نقض المنطق ص ٣٣، بشيء من التصرف، وانظر: المجموع ٣/ ٣٠٣.

(٦) انظر: الجواب الصحيح ٢/ ٦٦.

المنطقية، والأصول الفلسفية، والرياضات المعقدة البدعية؛ فهي صعبة على المختصين بها، فكيف بعامة الخلق؛ فكيف لا تكون الحجة قائمة على الخلق في أصول الدين بالميسر على المسلمين، وتقوم الحجة عليهم بعد ذلك بما هو من أعسر العلوم حتى على أبنائها المنتمين إليها!!.

وبهذا يتبين حتى من الناحية العقلية أن « طريقة القرآن جاءت في أصول الدين وفروعه في الدلائل والمسائل بأكمل المناهج »(١).

النوع السابع: ذكر شبهة والجواب عنها، قالوا: إن القرآن فيه من المتشابهات، خصوصا في مسائل الاعتقادات؛ فكيف يحتج به في المعقولات؟؟ قال ابن قتيبة رحمه الله: « وقد اعترض كتابَ الله بالطعن ملحدون، ولغوا فيه، وهجروا، واتبعوا: ﴿ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِ ﴾[آل عمران:٧]، بأفهام كليلة، وأبصار عليلة، ونظر مدخول؛ فحرفوا الكلام عن مواضعه، وعدلوه عن سبله »(٢).

والجواب عن هذا من أوجه:

١ - قولهم: إنه في كثير من المسائل العقدية من المتشابهات، فقول من لا يوقر القرآن، ولم يعرف ماذا يقول في كلام المنان، ويكفي فسادا من يحتج بغير القرآن، ويجعل القرآن تبعا، ويؤولها على حسب مذهبه، أن يقال له: أي هذه التأويلات التي ذكرتموها هي المرادة؟ أهي تأويلات المشبهة، أم تأويلات الجهمية أم تأويلات المعتزلة أم تأويلات غيرهم، أم تأويلات الباطنية؟؟؛ « فيا ليت شعري: بأي عقل يوزن الكتاب والسنة؟؟ »(٣)، ومن أوضح الأمثلة على بطلان القول بالتأويل بحجة المتشابه ما ذكره ابن رشد الفيلسوف، حيث قال: « ومثال من أول شيئا من الشرع، وزعم أن ما أوله هو ما قصد الشرع، وصرح بذلك التأويل للجمهور(٤) - أي عوام

---

(١) المجموع ٢/ ٨.

(٢) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٢٢.

(٣) أقاويل الثقات ص ٢٣٥، نقلا من كلام شيخ الإسلام رحمه الله.

(٤) وابن رشد وإن كان ينكر هنا التأويل بحجة التشابه، إلا أن إنكاره ليس مطلقا، بل إنما ينكر لأجل أنه لا =

الناس ـ مثال من أتى إلى دواء قد ركبه طبيب ماهر، ليحفظ صحة جميع الناس، أو الأكثر!!؛ فجاء رجل فلم يلائمه ذلك الدواء المركب الأعظم، لرداءة مزاجٍ كان به ليس يعرض إلا للأقل من الناس؛ فزعم أن بعض تلك الأدوية الذي صرح باسمه الطبيب الأول في ذلك الدواء العام المنفعة المركب لم يرد به ذلك الذي جرت العادة في اللسان أن يدل بذلك الاسم عليه، وإنما أريد به دواء آخر مما يمكن أن يدل عليه بذلك باستعارة بعيدة؛ فأزال ذلك الدواء الأول من ذلك المركب الأعظم، وجعل فيه بدل الدواء الذي ظن أنه الذي قصده الطبيب، وقال للناس: هذا هو الذي قصده الطبيب الأول؛ فاستعمل الناس ذلك الدواء المركب على الوجه الذي تأوله عليه المتأول؛ ففسدت به أمزجة كثير من الناس؛ فجاء آخرون شعروا بفساد أمزجة الناس من ذلك الدواء المركب فراموا إصلاحه بأن أبدلوا بعض أدويته بدواء آخر غير الدواء الأول؛ فعرض من ذلك للناس نوع من المرض غير النوع الأول؛ فجاء ثالث؛ فتأول في أدوية ذلك المركب غير التأويل الأول، والثاني، فعرض للناس من ذلك نوع ثالث من المرض غير النوعين المتقدمين؛ فجاء متأول رابع... حتى فسدت المنفعة المقصودة بذلك الدواء المركب في حق أكثر الناس، وهذه هي حال الفرقة الحادثة في هذه الطريقة مع الشريعة، وذلك أن كل فرقة منهم تأولت في الشريعة تأويلا غير التأويل الذي تأولته الفرقة الأخرى، وزعمت أنه الذي قصده الشرع حتى تمزق كل ممزق، وبعد جدا عن الموضوع الأول»[1].

٢- إن ما ذكرتموه من التشابه بحجة ترك الكتاب، وعدم اعتماده في المعتقدات، ناشئٌ من عدم معرفتكم بالمتشابه الوارد في القرآن الكريم، وحتى يتجلى ذلك؛ فلا بد من بيانه؛ فالله ﷻ وصف القرآن بأنه كله محكم، وبأنه متشابه، وبأنه محكم ومتشابه،

=

يجوز إطلاع العوام على هذا التأويل، وإلا فهو الواجب في حق العلماء!!، ولهذا قيده بقيد الجمهور الذين في نظره يجب عليهم التوهمات، واعتقاد المتخيلات، وأما العلماء فيجب عليهم الحقائق العلمية التي تعرف بالتأويلات الفلسفية!!!.

(١) انظر: مناهج الأدلة ص ٨٩-٩٠.

وذلك باعتبارات ثلاثة:

الأول: وصف بأنه كله محكم، وذلك باعتبار إتقانه(١): قال تعالى: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[هود:١]، وقال: ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾[يونس:١]؛ فالقرآن كله محكم باعتبار ضبطه، وإعجازه، ودلالته.

الثاني: وُصف بأنه كله متشابه، وذلك باعتبار توافقه، وتآلفه: وهذا لأن التشابه أصله مأخوذ من الشبه، وهو مشابهة اللفظ للفظ، والمعنى مختلف(٢)، قال الله ﷻ: ﴿ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗا ﴾[البقرة:٢٥]، فالقرآن يشبه بعضه بعضا من حيث اللفظ والحروف، أو مشابهة بعض معانيه البعض، وليس بين بعضها البعض أي تنافر، ولا تضاد، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ ﴾[الزمر:٢٣]؛ فأخبر أنه كله متشابه، وذلك لأنه لا اختلاف بين آياته وأحكامه، بل كله متناسب، يصدق بعضه بعضا، وهذا التشابه العام لا يخالف الإحكام العام؛ بل هو مؤكد لإحكامه؛ لأن ما كان متقنا حقا؛ فإنه لا اختلاف بينها، ولا تناقض(٣)، فالمتشابه يعلمه الراسخون في العلم بهذا الاعتبار(٤).

الثالث: وُصف بأنه محكم ومتشابه، وهذا باعتبار الإحكام الخاص، والتشابه الخاص؛ فالإحكام الخاص ضد التشابه الخاص؛ وهو مشابهة الشيء من وجه ومخالفته من وجه؛ فيشتبه على بعض الناس لهذا، والإحكام الخاص: هو الفصل بينهما بحيث لا يشتبه أحدهما بالآخر؛ فمن اهتدى للفرق بين المتشابهين: فقد حصل عنده علم في الوحيين؛ فيكون من الراسخين الذين علموا معنى المتشابه، ومن لم يعلم ذلك المعنى، واتبع ما ظنه بالهوى؛ فقد اتبع المتشابه الذي نهي عنه، قال ﷻ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي

---

(١) انظر: التدمرية ص ١٠٣.

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٨٩.

(٣) انظر: التدمرية ص ١٠٥.

(٤) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٨٩.

قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران:٧]؛ فالقرآن فيه المحكم الخاص، والمتشابه الخاص، ومن اتبع المحكم الخاص وفهم به معنى المتشابه الخاص، فقد اهتدى، ومن اتبع المتشابه الخاص بالظن والهوى، تردى وأردى.

والمتشابه الخاص نسبي، وليس مطلقا؛ ولهذا فإن العلماء فسروا القرآن كله، ولم يقفوا عند آية ما ـ متفقين ـ على أن هذا مما لا يعلم معناه إلا الله؛ فليس في القرآن متشابه مطلق من حيث المعنى؛ **نعم** فيه المتشابه من حيث كيفيات صفات الله، وما تؤول إليه من الأخبار، سواء المغيبات المستقبلية، مما يكون يوم القيامة، أو مما في الآخرة، فمن رام البحث في هذا المتشابه، كان من المذمومين، وهذا علم لم نُكلفه[(١)].

فإذا كان الأمر كذلك؛ فكيف يقال: بعد ذلك؛ إن القرآن الكريم لا يصح الاستدلال به، لأجل أن فيه متشابها، نعم لا يجوز الخوض في كيفيات الصفات، وكيفيات المغيبات الآخروية، وهذا يجب ترك الخوض فيه، أما أن يترك ما دل عليه من المعاني التي فسرها الراسخون في العلم مما هو من المتشابه النسبي، ويترك القرآن من أجل ذلك؛ فهذا لا يفعله إلا من ذكر الله وصفه في القرآن[(٢)]، والذين حذرنا رسول الله ﷺ من اتباعهم[(٣)].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن معنى الدلائل الكثيرة من الكتاب والسنة، وأقوال سلف الأمة: على أن جميع القرآن مما يمكن عمله، وفهمه، وتدبره، وهذا مما يجب القطع به، وليس معناه قاطعًا على أن الراسخين في العلم لا يعلمون تفسير

---

(١) انظر: التدمرية ص ١٠٥، وما بعدها.

(٢) انظر: التدمرية ص ١٠٦–١٠٧.

(٣) وذلك حيث قال ﷺ: **[إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه؛ فأولئك الذين سماهم الله فاحذروهم]**.

المتشابه؛ فإن السلف قد قال كثير منهم: إنهم يعلمون تأويله»[(١)(٢)].

٣- أن اشتمال القرآن على المتشابهات النسبية، فيها حكم باهرة، ولو لم يكن من ذلك إلا ابتلاء المبتغين الفتنة لكفى بها حكمة، ومنها: حتى يعرف العالم من الجاهل، والمتتبع لمعاني القرآن من الغافل عنها، قال ابن قتيبة رحمه الله: «وإغماض بعض المعاني حتى لا يظهر عليها إلا اللَّقِن[(٣)]، وإظهار بعضها، وضرب الأمثال لما خفي، ولو كان القرآن كله ظاهرا، مكشوفا حتى يستوي في معرفته العالم والجاهل؛ لبطل التفاضل بين الناس، وسقطت المحنة، وماتت الخواطر»[(٤)]، قال الله ﷻ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾[العنكبوت:٤٣].

٤- أن يقال: هب أن في القرآن من المتشابه الذي لا يعلم معناه!؛ فأين أنت من المحكمات، قال ابن الوزير اليماني رحمه الله:

تَنَزَّه الربُّ في الذِّكر المنزَّل: أن ... يُحيط علما به خلق من البشر
تَمدحاً، لم يكن في الذكر مختلفا ... قطعا، ولا غلطا من وَهْنِ ذي نظر
فإن يقولوا: كلامَ الله مشتبِهَه ... فأين قولهم في محكم السور
وكل مشتبهٍ فالمحكمات له ... أُمٌّ، كما جاءنا في أصدق الخبر[(٥)].

قال ابن حزم رحمه الله: «ولما تبين بالبراهين والمعجزات أن القرآن هو عهد الله

(١) المجموع ١٧/ ٣٩٠، وانظر: الدرء ١/ ٢٠٧ وما بعدها، وقد نقله ابن الوزير اليماني في كتابه (ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان) ص ١٢٤-١٢٩، وذكر أدلة من قال بأن الراسخين في العلم يعلمون التأويل من أوجه عدة، وذكر أدلة القائلين بأن الراسخين لا يعلمون التأويل كذلك من أوجه كثيرة.

(٢) وانظر حول المحكم والمتشابه ما يأتي من المراجع: درء التعارض ١/ ٢٧٤-٢٧٥، الجواب الصحيح ١/ ٣٧٧، الأصبهانية ١/ ١٠١، المجموع ١٣/ ١٤٤، ٢٧٢، ١٧/ ٣٩٠-٤١٦، إيثار الحق ص٨٦، أقاويل الثقات ص٥٠-٥٧، إرشاد الفحول ص ٦٤، التنبيه على المخالفات العقدية في الفتح ص ١١٨.

(٣) وفي اللسان ١٧/ ٢٥٧، (لقن): سريع الفهم.

(٤) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص٨٦.

(٥) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير اليماني ص١١٤.

قال ابن حزم ﵀: «ولما تبين بالبراهين والمعجزات أن القرآن هو عهد الله إلينا، والذي ألزمنا الإقرار به، والعمل بما فيه، وصح بنقل الكافة الذي لا مجال للشّكّ فيه أن هذا القرآن هو المكتوب في المصاحف، المشهورة في الآفاق كلها، وجب الانقياد لما فيه؛ فكان هو الأصل المرجوع إليه»[1].

وأرجو بهذا أن يزداد المؤمن إيمانا بأن «في القرآن والحكمة النبوية عامة أصول الدين، من المسائل والدلائل: التي تستحق أن تكون أصول الدين»[2]، وأنه لا يؤخذ شيء من أمر الدين إلا من الشرع[3]، لا من أحد من العلماء، فضلا عن الزاعمين أنهم حكماء، أو أهل المنطق ولو كانوا بلغاء، ولا عن أهل التصوف ولو كانوا من الأولياء، وأنا لا نحتاج مع استغنائنا بالقرآن والسنة إلى ما سواهما، سواء في هذا الباب، أو في باب التشريع، وفي المطلب التالي أبين أن القرآن مصدر التشريع.

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ١/ ٩٤.

(٢) المجموع ٣/ ٣٠٣.

(٣) انظر: المجموع ٣/ ١٦١، ١٣/ ٣٠٥، ١٩/ ٥.

المطلب الثاني: كونه مصدر التشريع.

من تنـزيل القرآن منـزلته أن تؤخذ الأحكام منه، وأن تصدر عنه، ولهذا فإن السلف كانوا لا يصدرون إلا عن الوحيين، فالدين عندهم ما شرعه الله ﷻ، أو سنه رسول الله ﷺ، أو ما أجمع عليه المسلمون، أو ما يفهم من النصوص الشرعية معنى إذا لم يكن فيه نص ظاهر في المسألة.

فأصول الإسلام محصورة في «الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس»(١)، ويصح أن يقال: أصول الإسلام: الكتاب والسنة؛ وذلك لأن الإجماع إنما ينعقد على نص، أو معنى مستفاد من النص، والقياس إنما هو مستفاد من الشرع، إذا كان صحيحا مستوفيا لشروطه.

وهذا مستفاد من عمل الصحابة ﷺ: «فإن العلم قد حصل بالتواتر أنهم إذا وقعت عليهم حادثة شرعية، من حلال أو حرام؛ فزعوا إلى الاجتهاد، وابتدؤوا بكتاب الله تعالى؛ فإن وجدوا فيه نصا، أو ظاهرا تمسكوا به، وأجروا حكم الحادثة على مقتضاه، وإن لم يجدوا فيه نصا أو ظاهرا فزعوا إلى السنة، فإن روي لهم في ذلك خبر أخذوا به، ونزلوا على حكمه، وإن لم يجدوا الخبر فزعوا إلى الاجتهاد»(٢).

قال ابن الجوزي رحمه الله «إن أصل العلوم: القرآن، والسنة»(٣).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «إن أصول الدين الذي بعث الله به رسوله محمدا ﷺ، قد بينها في القرآن أحسن بيان، وبين دلائل الربوبية والوحدانية، ودلائل أسماء الرب وصفاته، وبين دلائل نبوة أنبيائه، وبين المعاد، بين إمكانه، وقدرته عليه في غير موضع، وبين وقوعه بالأدلة السمعية والعقلية؛ فكان في بيان الله أصول الدين الحق؛

(١) الملل والنحل للشهرستاني ص ١٩٩.
(٢) الملل والنحل للشهرستاني ص ١٩٩.
(٣) تلبيس إبليس ص ٣٦٩، بشيء من التصرف.

وهو دين الله، وهي أصول ثابتة صحيحة معلومة؛ فتضمن بيان العلم النافع، والعمل الصالح»[١].

ويدل على أن القرآن الكريم مصدر التشريع في الدين أمور كثيرة، ودلائل غير يسيرة، وقد سبق وأن ذكرت من هذه الدلائل[٢] ما يغني عن الإعادة، وإنما أذكر هنا بعض المهمات، التي تزيد الأمر إيضاحا وبيانا، وهي:

١- أننا نفهم مراد الله ﷻ بما أنزله، وهذا قطعا لا يكون إلا بالوحي المنـزل.

٢- أن الله ﷻ جعل القرآن الكريم كتابا محفوظا، وذلك حتى يرجع إليه في أخذ الأحكام، وإصدارها فيما بين الأنام.

٣- أن الله ﷻ لما جعل محمدا ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، كان كتابه خاتم الكتب المنـزلة، ولذلك احتوى هذا الكتاب على القواعد، والأصول الحوامد، مما لا يوجد له نظير، يعرف ذلك كل بصير، ويجده في الأحكام الشرعية: العلمية منها والتعبدية.

٤- أن الصحابة إنما كانوا يعملون الفكر في كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، أو في قياس على قواعدهما، ولا يلتفتون إلى غيرهما من الأمور التي كانت حولهم في الشرق أو الغرب، وهم قدوتنا في ديننا، ويجب اتباعهم في ذلك، وعدم الالتفات إلى غير الكتاب والسنة.

٥- أن الفتوى لا يكون إلا به، أو بسنة رسول الله ﷺ، قال جابر رضي الله عنه: **[يا ابن زيد[٣] إنك من فقهاء البصرة، وإنك ستستفتى فلا تفتين إلا بقرآن ناطق، أو سنة ماضية؛ فإنك إن فعلت غير ذلك فقد هلكت وأهلكت]**[٤].

---

(١) النبوات ٢/ ٦١٣.

(٢) انظر: المطلب الأول من هذا المبحث، والمبحث الأول من الفصل الثاني في هذا الباب.

(٣) يعني أن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه ينصح جابر بن زيد أبا الشعثاء البصري التابعي الكبير. انظر: ترجمته في البداية والنهاية لابن كثير ٩/ ١١٥.

(٤) أورده ابن كثير رحمه الله في ترجمة أبي الشعثاء، في البداية والنهاية ٩/ ١١٥.

٦- أن الحكم لا يكون إلا بما شرعه الله ﷻ، وهذا معلوم من الدين بالضرورة.

٧- أن التحاكم لا يكون إلا إلى ما شرعه الله ﷻ، ولا يكون إلي غيره، لا القوانين الوضعية، ولا الدساتير الكفرية المستوردة[(١)].

٨- أن من أعمل فكره في الكتاب وجد في كل مسألة شرعية جوابا، إما نصا أو ظاهرا، قيل لعلي رضي الله عنه: هل عندكم كتاب؟؟ قال علي رضي الله عنه: **[لا، إلا كتاب الله، أو فهمٌ أُعطِيَهُ رجلٌ مسلم]**[(٢)]؛ فإذا كان الهم منصبا على حفظ النصوص وضبطها[(٣)]، والتدبر فيها، فتح الله على العبد واستخرج منها المسائل التي لا تتبين لغيره، ممن هو غافل عنه، أو معرض، أو منشغل عنه.

فالسلف الصالح علموا عمق مصادر الشرع وشموليتها؛ فارتووا منها، ونهلوا من معينها، ووردوا ماءها؛ فارتووا، ورووا[(٤)].

فإذا كان القرآن الكريم هو مصدر التشريع في العقائد، فهو مصدر التشريع في الأحكام العملية التعبدية، والمعاملات السلوكية اليومية، ولهذا كان كتابا حاويا لعلوم الماضين، مشتملا على العلوم النافعة؛ فإذا كان كذلك؛ فإنه لا يحتاج إلى كتاب آخر منـزل، فهوحاوٍ لما في الكتب السماوية السابقة من الحق، ومهيمن عليها، وهذا ما أبينه في المطلب الآتي.

---

(١) وقد بينت الأدلة على وجوب التحاكم إلى شرع الله ﷻ، وأن ذلك عبادة وقربة، كما في الفصل الثالث من الباب الأول.

(٢) رواه البخاري، كتاب العلم، باب/ كتابة العلم، ح(١١١).

(٣) انظر: نقض المنطق ص٧٩.

(٤) انظر: نقض المنطق ص ٧٩-٨٠، مناهل العرفان ١/ ٢٩٢.

المطلب الثالث: نسخ[(١)] القرآن للكتب السماوية.

من تنـزيل القرآن منـزلته اللائقة به أن يوقر فوق كل كتاب، ولهذا فإنه ليس في الدنيا كتاب إلا وهو دونه ـ بل لا مقارنة ـ، ومن جملة ذلك الكتب السماوية السابقة، فضلا عن غيرها من الكتب التي أنتجتها العقول البشرية، وأخرجتها أفكار الإنسانية.

ومن عقيدة السلف الصالح ﷺ أنهم يرون أن في القرآن كفاية وغنية عما في غيرها من الكتب السابقة[(٢)].

والمقصود بالكتب السابقة هي المعروفة التي ورد ذكرها في القرآن، وهي المعروفة في البلدان، مما تناوله أهل الأديان، وهي:

١. **صحف إبراهيم** ﷺ.

٢. **صحف موسى** ﷺ، وقد ورد ذكر صحف إبراهيم وموسى في القرآن الكريم، كما قال الله ﷻ: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۝ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾[النجم:٣٦-٣٧]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾[الأعلى:١٨-١٩]. ولا يعرف عن صحف إبراهيم ﷺ شيء، وأما صحف موسى، فقيل: هي التوراة، وقيل غير ذلك[(٣)].

---

(١) النسخ: لغة معناه: الإزالة والنقل، ومنه نسخت الكتاب، أي نقلته، ومنه قوله تعالى: ﴿ هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[الجاثية: ٢٩]، وأيضا معناه: إبطال الشيء وزواله، وإقامة آخر مقامه، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ وهذا المعنى هو المتضمن في معنى النسخ في الشرع وهو إقامة الحكم المتأخر مكان الحكم المتقدم، وقيل في تعريف النسخ شرعا: إزالة حكم شرعي بدليل شرعي متراخ عنه، وقيل غير ذلك، ولعل هذا التعريف هو أصلح التعاريف. انظر: المحرر الوجيز ١/ ١٩٠، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٤٣، ٤٥.

(٢) انظر: ما سبق في المطلب الأول، من المبحث الأول، من هذا الفصل.

(٣) انظر: الدر المنثور ٨/ ٤٨٩.

٣. **التوراة**: وهو الكتاب الذي أنزل على موسى ﷺ، قال تعالى: ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[آل عمران:٩٣] والتوراة متداول إلى الآن بين اليهود والنصارى، وتسمي النصارى التوراة بالعهد القديم.

٤. **الزبور**: وهو الكتاب الذي أوتيه داود ﵇ ، كما قال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾[النساء:١٦٣].

٥. **الإنجيل**: وهو الكتاب الذي أوتيه عيسى ﵇، كما قال الله تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[المائدة:٤٦] وقال: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ﴾[الحديد:٢٧] فالإنجيل جاء مصدقا لما في التوراة، وجاء بأحكام جديدة، وهذه الكتب ـ ما وجد منها ـ قد وقع فيها التحريف والتبديل.

وقد وقع الإجماع على أن شرع نبينا محمد ﷺ هو الذي يلزم الناس بعد بعثته ﷺ، وأن ما عداه من الأديان والكتب؛ فإنها لا تنجي صاحبها ما دام الإسلام قد بلغه، وهذا النوع من النسخ لم يختلف فيه أحد من المسلمين، **ويدل عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ومن هذه الأدلة:**

١- قول الله ﷻ : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[آل عمران:٨٥] وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[آل عمران:١٩]، وقوله: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[الأعراف:١٥٨].

٢- الأحاديث النبوية التي بلغت حد التواتر بمجموعها تواترا معنويا، ومنها

قوله ﷺ: [**والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**](١). قال النووي رحمه الله: «فيه نسخ الملل كلها برسالة نبينا محمد ﷺ... فكلهم يجب عليه الدخول في طاعته، وإنما ذكر اليهودي والنصراني تنبيها على من سواهما، وذلك لأن اليهود والنصارى لهم كتاب؛ فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتابا؛ فغيرهم ممن لا كتاب له أولى»(٢).

٣- إجماع أهل الإسلام على ذلك(٣)، قال ابن حزم رحمه الله: «ولا يحل لنا اتباع شريعة نبي قبل نبينا ﷺ... قال ﷺ [**...وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة**](٤)؛ فإذا صح أن الأنبياء لم يبعث أحد منهم إلا إلى قومه خاصة فقد صح أن شرائعهم لم تلزم إلا من بعثوا إليه فقط، وإذا لم يبعثوا إلينا فلم يخاطبونا قط بشيء، ولا أمرونا بشيء، ولا نهونا...؛ فإذا صح أنهم عليهم السلام لم يخاطبونا بشيء فقد صح يقينا أن شرائعهم لا تلزمنا أصلا»(٥)، قال النووي رحمه الله في تبويبه على صحيح الإمام مسلم: «وجوب الإيمان برسالة النبي ﷺ إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته»(٦).

فإذ ثبت نسخ الإسلام للأديان السابقة؛ فإن ذلك يعني عدم جواز العمل بتلكم الكتب التي أنزلت من قبل، وهذه الكتب المنـزلة الموجودة في زمن النبي ﷺ، وفي هذا الزمن، فشأنها لا يخلو من أمرين:

الأول: ما هو باطل، مما وضعته أيدي المحرفين، أو ليَّته ألسنة الملحدين، فهذا لا شك أن القرآن قد أبطله من كل وجه، وأنه لا يمت إلى الله ﷻ بصلة؛ بل هو مضاد لما في

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب/ وجوب الإيمان برسالة النبي ﷺ إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته، ح(٢٤٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) المنهاج على صحيح مسلم ابن الحجاج للنووي ٢/ ١٨٨.

(٣) انظر: ردود على أباطيل، للشيخ محمد الحامد رحمه الله ص ٢٥.

(٤) رواه البخاري واللفظ له، كتاب التيمم، باب/ ١، ح(٣٣٥)، ومسلم، كتاب المساجد، باب/ ابتناء مسجد النبي...، ح(٥٢١)، كلاهما عن جابر رضي الله عنه.

(٥) المحلى ١/ ٦٥-٦٦.

(٦) المنهاج على صحيح مسلم ابن الحجاج للنووي ٢/ ١٨٦.

القرآن؛ فهذا لا شك أنه باطل، وقد أخبر الله ﷻ في أكثر من آية أن أحبار السوء ورهبان الجهل غيروا هذه الكتب بأيديهم وألسنتهم: تحريفا لها، وتأويلا فيها، قال الله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾[البقرة:٧٩]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[آل عمران:٧٨] ففي الآية الأولى: بيان لتحريفهم الكتاب بأيديهم(١)، وهذا هو التحريف اللفظي للكلام المنـزل، وفي الآية الثانية: بيان لتحريفهم الكتاب بألسنتهم(٢)، وذلك هو التحريف المعنوي للكلام المنـزل بتغيير المعاني تأويلا وإلحادا، وإبطالا لمعانيها الصحيحة، فهذا كله منسوخ حقيقة، وذلك بإبطالها، وبيان أنها لا تنتسب إلى الدين الحق بشيء.

الثاني: ما هو صحيح؛ فهذا يشهد له القرآن، ويؤكده(٣)، وهذا لا نعرفه إلا بشهادة كتابنا له، فلا نحتاج إليه، ولهذا جاء في وصف القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[المائدة:٤٨] ففي الآية بيان: أن الكتاب الذي هو القرآن مصدق لما قبله من الكتب المنـزلة، وشاهد عليها بالحق، فما في الكتب السابقة مما هو في كتابنا فهذا حق لأن القرآن شهد له بذلك، ولذا لم يكن لنا أن نحكم أو نتحاكم إلا إلى كتابنا المنـزل

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم ١/ ١١٧-١١٨.

(٢) انظر المصدر السابق ١/ ٣٧٦.

(٣) **وهنا أنبه على أن الشرائع كلها متفقة على الأمور الاعتقادية في رب البرية** ﷻ سواء في باب الأسماء والصفات، أو في باب الربوبية، أو في باب الألوهية، فكل نبي جاء معرفا بالله ﷻ، داعيا إليه، وإلى عبادته، والكتب السابقة كانت كذلك قبل أن تحرف، ولهذا نجد أن الله ﷻ نص على أن دعوة الأنبياء في التوحيد واحدة فقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[الأنبياء: ٢٥] وإنما الاختلاف بينهم في الشرائع التي تسمى بالأحكام، ومع الاتفاق في الاعتقادات إلا أن الله ﷻ أغنانا بكتابنا عما سواه من الكتب.

علينا، وذلك لأنه مهيمن على الكتب السابقة، ناسخ لها، إذ جعل الله لكل نبي شرعة ومنهاجا، فشرعة أمة محمد ﷺ القرآن، ومنهجهم الوحي المنـزل من الرحمن، فليس لهم أن يلتفتوا إلي غيره.

قال الشوكاني رحمه الله: «إن القرآن صار شاهدا بصحة الكتب المنزلة، ومقررا لما فيها مما لم ينسخ، وناسخا لما خالفه منها، ورقيبا عليها، وحافظا لما فيها من أصول الشرائع، وغالبا لها لكونه المرجع في المحكم منها، والمنسوخ، ومؤتمنا عليها لكونه مشتملا على ما هو معمول به منها، وما هو متروك»[(١)].

وأما ما في كتبهم مما ليس في كتابنا كأخبار الأمم السابقة، وبعض ملح العلم، مما هو ليس من أساسيات الأديان؛ فهذه قال فيها ﷺ: [**لا تصدقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم،** و﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا ﴾][(٢)]، وذلك لأن التصديق قد يقع على المحرف، فنكون صدقنا بالباطل، أو يقع التكذيب بالمنـزل فنكون قد وقعنا في الحرج.

ومما يدل على أن القرآن ناسخ لما في الكتب السابقة أمور منها:

١. أن الله ﷻ أمرنا باتباع ما أنزل إلينا، ولم يأمرنا باتباع المنـزل على من قبلنا، وذلك في أكثر من آية[(٣)].

٢. أن النبي ﷺ أخبر بأن موسى بن عمران عليه السلام لو كان حيا لما وسعه إلا اتباعه، فقال ﷺ: [**لو كان موسى بن عمران حيا لما وسعه إلا أن يتبعني**].

٣. أنه ثبت النسخ في الكتب السماوية، كما نسخ الإنجيل بعضا مما في التوراة، وكذلك ثبت نسخ بعض آيات القرآن المتقدمة بآيات متأخرة، فإذا ثبت النسخ؛ فلا مانع عقلا من نسخ دين بدين متأخر عنه[(٤)].

---

(١) فتح القدير للشوكاني ٢/ ٦٠.

(٢) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب/ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا، ح(٤٤٨٥).

(٣) انظر: المجموع ١٩/ ٨٢.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٤٤، عون المريد ٢/ ٨١٠.

٤. أن دين محمد ﷺ هو خاتم الديانات، وبشرع محمد ﷺ نسخ الله جميع الشرائع والديانات، «وخاتم الرسل محمد ﷺ أنزل الله كتابه مصدقا لما بين يديه من الكتاب، ومهيمنا عليه؛ فهو الأمين على جميع الكتب، وقد بلغ أبين البلاغ، وأتمه، وأكمله»(١)، فإذا لا نحتاج بعد بلاغ نبينا ﷺ إلى كتاب آخر، بل نقول إن ما في ديننا هو الحق، وما سواه فإنا لا نحتاج إليه، وإن كان حقا في نفسه، وذلك لأن ما كان حقا في نفسه منه؛ فهو موجود عندنا، ومسطور في شريعتنا.

٥. أن من أصول المسلمين، ومما أجمعوا عليه من أمور الدين: «أن الله ﷻ قد أرسل محمدا ﷺ خاتما للنبيين، وناسخا لما قبله من شرائع اليهود والنصارى، والصابئين»(٢).

ونسخه لشرع غيره وقــع حتما أذل الله من له منع(٣)

فهذا قد أجمع عليه المسلمون، واتفق عليه المنتسبون إلى الإسلام إلا نحلا باطنية(٤)، وهي عن الدين غوية، ونسبتها إلى الإسلام لأسباب خفية، وإلا فهي ليست من الفرق الإسلامية.

٦. أن النسخ ليس هو من باب البداء(٥)، والبداء على الله ﷻ محال، والسلف الصالح يعتقدون أن الله ﷻ يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون؛ فعلى هذا لا يوصف ربنا ﷻ بالبداء، خلافا للرافضة، وليس البداء نوع نسخ، وقد

---

(١) نقض المنطق ص٢٤.

(٢) الإحياء للغزالي ١/ ١٨٢.

(٣) جوهرة التوحيد للقاني ص١٥، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

(٤) كالبهائية، والقاديانية، وسيأتي ذكرهم في الباب الرابع، الفصل الرابع.

(٥) البداء: اسم من (بدا، يبدو) تقول: بدا لي في الأمر كذا، أي: ظهر ما لم يكن ظاهرا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾[الزمر: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ﴾[يوسف: ٣٥] ولا شك أن البداء بهذا المعنى ممتنع في حق الله ﷻ المتصف بكمال العلم وكمال الإرادة، لأن البداء بهذا المعنى يلزم منه نقصان العلم والإرادة. انظر: المحرر الوجيز ١/ ١٩٠.

ضل في مسألة النسخ طائفتان، لم تفرقا بين النسخ والبداء؛ فأنكر النسخَ اليهودُ الذين زعموا أنهما ـ أي النسخ والبداء ـ سواء، والبداء على الله محال؛ فالنسخ عليه محال، قال ابن عطية ﷺ: «وجعلت اليهودُ النسخَ والبداءَ واحدا؛ ولذلك لم يجوزوه فضلوا»[(١)]، وطائفة لم تفرق بين النسخ والبداء، وقالت بهما معا!! وقالوا لا فرق بين النسخ والبداء!![(٢)]، ومعلوم الفرق بين النسخ والبداء، إذ الأول؛ في الأحكام الشرعية التي يعود نفعها على العباد، ومصلحتها متناول البلاد، وإن كان فيها حكمة لله ﷻ، وأما البداء فهو متعلق بالأخبار، وهو أن يخبر بشيء ثم بدا له أن هذا ليس كذلك، بل هو كذلك ـ ولهذا فإنه لا نسخ في الأخبار[(٣)] ـ، أو هو العزم على أمر، ثم تركه لعارض، وهذا يعني عدم العلم المحقق، وهو محال على الله ﷻ[(٤)]، قال ابن النحاس ﷺ: «النسخ تحويل العبادة من شيء إلى شيء قد كان حلالا فيحرم، أو كان حراما فيحلل، وأما البداء فهو: ترك ما عزم عليه»[(٥)]، فالنسخ لا يلزم منه محال في حق الله ﷻ، ولا في صفة من صفاته[(٦)]، فلا مانع منه عقلا، وقد ثبت به الشرع نصا.

٧. أن نسخ الشرائع السابقة فيها حكم باهرة، وفوائد عظيمة نافعة، حيث إنّها شرعت لأوقات معينة، ولأشخاص وأقوام معينين، في أماكن معينة، وقد تغير الوقت والزمان، والناس والمكان؛ فإذا كان شعار الأنبياء السابقين: (يا قوم)[(٧)]، أصبح شعار نبينا محمد ﷺ: (يا أيها الناس)، وكان كل نبي يخاطب قومه، ونبينا محمد ﷺ خطابه عام سواء ما جاء في القرآن الكريم، أو في سنته ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ[(٨)].

---

(١) المحرر الوجيز ١/ ١٩٠.

(٢) انظر: المحرر الوجيز ١/ ١٩٠ .الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٤٤.

(٣) انظر: المحرر الوجيز ١/ ١٩١.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٤٥.

(٥) نقله القرطبي في جامعه عن ابن النحاس، انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٤٤.

(٦) انظر: المحرر الوجيز ٢/ ١٩٠.

(٧) وجاء هذا مصرحا في أكثر من آية من كتاب الله ﷻ.

(٨) انظر: عون المريد ٢/ ٨٢١.

وبهذا يتضح أن نسخ كتابنا للكتب السابقة حق، وأن هذا القرآن هو المحكم الذي يجب العمل به، والتحاكم إليه، والإيمان بما فيه، ومن جملة الإيمان به اعتقاد أنه لا يُنسخ، وهذا ما أجليه في المطلب التالي.

المطلب الرابع: وجوب اعتقاد أن القرآن لا يُنسخ بعد انقطاع الوحي.

من العقائد السلفية، المبنية على الكتاب والسنة النبوية: أن القرآن لا يلحقه نسخ بعد انقطاع الوحي، وأن يُعتقد أنه كتاب جامع ومانع؛ فلا يحتاج إلى تكميل بعد تمام إنزاله، ولا إلى استدراك بعد تمام آياته، وتبيانه، ومن تمام الاستدلال به أن يعتقد أنه لا يُنسخ بعد انقطاع الوحي بوفاة رسول الله ﷺ، وعلى هذا إجماع المسلمين، ولهذا فإن المتبعين للسلف يعتقدون أن القرآن الكريم لا يُنسخ بعد انقطاع الوحي، إذ لما أكمل الله ﷻ الدين على المسلمين امتن عليهم بكماله، فقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾[المائدة:٣]، ولما أكمل الله ﷻ الدين، لم يكن هناك نسخ للقرآن بعد ذلك[١].

ومعلوم أن الوحي قد انقطع بوفاة النبي ﷺ، وهذا بإجماع أهل السنة، كما ثبت **[أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما دخلا على أم أيمن رضي الله عنها فتذاكروا النبي ﷺ فبكت فقال لها الصديق رضي الله عنه: ما يبكيك أما تعلمين أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ، قالت: بلى، ولكن أبكي لانقطاع خبر السماء؛ فبكيا لبكائها]**[٢].

قال ابن حزم رحمه الله: «وإن الوحي قد انقطع مذ مات النبي ﷺ، برهان ذلك أن الوحي لا يكون إلا لنبي، وقد قال ﷻ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[الأحزاب:٤٠]، والدين قد تم؛ فلا يزاد فيه، ولا ينقص منه، ولا يبدل، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[المائدة:٣]، وقال تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ﴾[يونس:٦٤]، والنقص والزيادة تبديل، وقد بلّغ رسول الله ﷺ الدين

---

(١) ونسخ القرآن ثابت كما هو معتقد أهل السنة والجماعة، ولكن لا يكون النسخ إلا في زمن النبوة، وأما بعد وفاته فهذا هو الذي لا يقع، ولا يكون. وانظر: أقوال أهل العلم في نسخ القرآن في زمن النبوة في: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٣٤.

(٢) روى نحوه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب/ من فضائل أم أيمن، ح(٢٤٥٤)، من رواية أنس رضي الله عنه.

كله، وبين جميعه كما أمره الله تعالى »[١].

وكون شرع النبي ﷺ لا ينسخ بعد وفاته، فإن ذلك معلومٌ من الدين بالضرورة، وقد قام الإجماع على منعه.

قال القرطبي رحمه الله بعد أن بين أن النسخ إنما يكون في حياة النبي ﷺ: « أما بعد موته، واستقرار الشريعة؛ **فأجمعت الأمة على أنه لا نسخ** »[٢].

وخص خير الخلق أن قد تمما   به الجميع ربنا وعمما
بعثته، فشرعه لا يُنسخ   بغيره، حتى الزمان ينسخ[٣].

فغير جائز في معتقد السلف نسخ شيء من القرآن بعد وفاة النبي الكريم ﷺ، لا رسمه، ولا حكمه، ولا خلاف بين الأمة أن نسخ القرآن، وسائر الأحكام لا يكون بعد موت النبي ﷺ[٤].

وأما النسخ الذي كان في زمن النبوة للقرآن الكريم؛ فهذا لا ينكر، بل هو من معتقد أهل السنة والجماعة، وهو على أقسام:

أولا: ما يقع النسخ فيه؛ وهو قسمان:

١ . نسخ في القرآن الكريم.

٢ . نسخ في السنة النبوية.

ثانيا: ما يقع النسخ به؛ وهو على الصحيح أربعة أقسام:

١ . نسخ القرآن بالقرآن، كنسخ آية العدة سنة ـ على قول ـ بالعدة أربعة أشهر وعشرا للمتوفى عنها زوجها، فالآية المنسوخة هي قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ

(١) المحلى ١/ ٢٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٤٦، ومثله قول ابن عطية قبله حيث نقل الإجماع على ذلك، انظر: المحرر الوجيز ١/ ٤٣٣.

(٣) جوهرة التوحيد للقاني ص١٥، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

(٤) انظر: الفصول في الأصول ٢/ ٢٥١.

مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾[البقرة:٢٤٠]، والآية الناسخة لها هي قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾[البقرة:٢٣٤] وهذه متأخرة في النـزول والحكم، وإن كانت في ترتيب الآيات متقدمة في التلاوة.

٢. نسخ القرآن للسنة، كما في استقبال بيت المقدس؛ فإنه ليس عندنا دليل على استقبال بيت المقدس إلا السنة، وقد نسخت بآيات سورة البقرة، حيث فيها الأمر باستقبال الكعبة، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾[البقرة:١٤٩].

٣. نسخ القرآن بالسنة[١]، ومثاله قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[البقرة:١٨٠]؛ فإنها نسخت بقوله ﷺ: [**لا وصية لوارث**][٢].

٤. نسخ السنة بالسنة، كما في قوله ﷺ: [**كنت نهيتكم عن زيارة القبور؛ فزوروها؛ فإنها تذكركم الآخرة**][٣]. فإن هذا الحديث نسخ ما كان من الأمر الأول من النبي ﷺ من النهي عن زيارة القبور.

ثالثا: النسخ في القرآن الكريم، وهو على ثلاثة أقسام، وهي:

١. نسخ التلاوة والحكم معاً، وهذا كما في قول عائشة رضي الله عنها في تحريم الرضاع: [**كان فيما أنزل "عشر رضعات معلومات"، فنسخن: "بخمس معلومات"**][٤]؛

---

(١) انظر: المحلى ١/ ٥٢ ـ ٥٣.

(٢) رواه أبو داود، كتاب البيوع والإجارات، باب/ في تضمين العارية، ح(٣٥٦٥) عن أبي أمامة رضي الله عنه، ورواه غيره، وقال الشيخ الألباني: صحيح، كما في الإرواء، ح(١٦٣٥)، وذكر طرقه تحت الحديث رقم(١٦٥٥).

(٣) رواه مسلم،كتاب الجنائز، باب/ استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه، ح(٩٧٧) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٤) رواه مسلم، كتاب الرضاع، باب/ التحريم بخمس رضعات، ح(١٤٥٢).

[كان فيما أنزل "عشر رضعات معلومات"، فنسخن: "بخمس معلومات"](١)؛ فالعشر الرضعات بالاتفاق مما نسخ تلاوته وحكمه.

٢. نسخ التلاوة دون الحكم، وهذا كآية الرجم؛ فإن تلاوتها منسوخة، وحكمها باق، قال عمر ﷺ: [**إن الله بعث محمدا ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله آية الرجم؛ فقرأناها، وعقلناها، ووعيناها، رجم رسول الله ورجمنا بعده؛ فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضل بترك فريضة أنزلها الله...**](٢)، فهذا منه إشارة إلى بقاء الحكم، بعد نسخ التلاوة.

٣. نسخ الحكم دون التلاوة، كما في آية العدة سنةً للمعتدة المتوفى عنها زوجها؛ فإنها منسوخة بأربعة أشهر وعشرا، حكما لا تلاوة.

وأما بعد موت النبي ﷺ فكل أنواع النسخ منتفية، فإذا رأينا إجماعا يخالف نصا، «فيعلم أن الإجماع استند إلى نص ناسخ لا نعلمه نحن، وأن ذلك النص المخالف متروك العمل به، وأن مقتضاه نُسخ، وبقي يقرأ ويروى، كما آية عدة السَّنة في القرآن تتلى ـ فتأمله فإنه نفيس ـ فيكون من باب نسخ الحكم دون التلاوة، ومثله صدقة النجوى(٣)، وقد تنسخ التلاوة دون الحكم، كآية الرجم، وقد تنسخ التلاوةُ، والحكم معاً، ومنه قول الصديق ﷺ: [**كنا نقرأ "لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر"**](٤).

وكل ما نسخ لا يجوز الاحتجاج به في العقائد، ولا في الأحكام، وبهذا نعلم أن دين محمد ﷺ مستمر لا يُنسخ إلى قيام الساعة، بل إن من عقيدة السلف أن عيسى ﷺ حين نزوله في آخر الزمان بحكم بشريعة الرحمن، ويُحكِّم السنة والقرآن، ولا يأتي

---

(١) رواه مسلم، كتاب الرضاع، باب/ التحريم بخمس رضعات، ح(١٤٥٢).

(٢) سبق تخريجه ص٣٤١.

(٣) كما في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[المجادلة:١٢-١٣].

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٤٦.

قال ﷺ في شأن عيسى ﷺ: [**والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينـزل فيكم ابن مريم ﷺ، حَكَمًا مقسطا؛ فيكسر الصليب، ويقتل الخنـزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد**][(١)].

قال الحافظ ابن حجر ﷺ في شرحه لهذا الحديث: «والمعنى أنه ينـزل حاكما بهذه الشريعة؛ فإن هذه الشريعة باقية لا تنسخ»[(٢)].

قال النووي ﷺ في نزول عيسى ﷺ: «ينـزل حكَمًا بهذه الشريعة، ولا ينـزل نبيا برسالة مستقلة، وشريعة ناسخة، بل هو حاكم من حكام هذه الأمة...»[(٣)].

وقد يشكل على بعض الناس ظاهر الحديث حيث ورد فيه التصريح بأنه لا يقبل الجزية، ولا يقبل إلا الإسلام، وقد قبل النبي ﷺ الجزية من أهل الكتاب؛ فيظنه نسخا، والجواب ما ذكره النووي ﷺ، حيث قال: «إن هذا الحكم ـ يعني قبول الجزية من الكتابي ـ ليس بمستمر إلى يوم القيامة، بل هو مقيد بما قبل عيسى ﷺ، وقد أخبرنا النبي ﷺ في هذه الأحاديث الصحيحة بنسخه، وليس عيسى ﷺ هو الناسخ، بل نبينا ﷺ المبين للنسخ؛ فإن عيسى يحكم بشرعنا، فدل على أن الامتناع من قبول الجزية في ذلك الوقت هو شرع نبينا محمد ﷺ»[(٤)].

فالنبي ﷺ ذكر لعيسى أمارات بها يُذكر، وذكر له صفاتا بها يشتهر، وجعل من صفاته هذا الحكم الخاص به، وقيده به، فالنبي ﷺ هو الذي قيد الحكم الشرعي في ذلك الزمن، وليس عيسى ﷺ، كما أن الله ﷻ هو الذي ينـزله في وقت معين، لا أنه هو الذي ينـزل متى ما أراد؛ فكذلك النبي ﷺ أعطاه هذه المزية، لا أنه هو الذي اختارها ـ والله تعالى أعلم ـ.

---

(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب/ نزول عيسى بن مريم ﷺ، ح(٣٤٤٨)، ومسلم واللفظ له، كتاب الإيمان، باب/ نزول عيسى ابن مريم ﷺ حاكما، ح(٢٤٢) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) فتح الباري ٦/ ٥٦٧.

(٣) المنهاج على صحيح مسلم ابن الحجاج للنووي ٢/ ١٩٠.

(٤) المنهاج على صحيح مسلم ابن الحجاج للنووي ٢/ ١٩٠، وانظر: فتح الباري ٦/ ٥٦٧.

وذكر ابن بطال رحمه الله معنى خاصا لهذا الحكم الخاص المتعلق بعيسى عليه السلام فقال: «إن مشروعية قبولها ـ أي الجزية ـ من اليهود والنصارى لما في أيديهم من شبهة الكتاب، وتعلقهم بشرع قديم بزعمهم، فإذا نزل عيسى عليه السلام زالت الشبهة بحصول معاينته، فيصيرون كعبدة الأوثان في انقطاع حجتهم، وانكشاف أمرهم، فناسب أن يعاملوا في عدم قبول الجزية منهم»(١)؛ فعيسى عليه السلام تابع لشرع محمد ﷺ، ومقرر لهذه الشريعة، ومجدد لها، ويؤكد هذا المعنى ما جاء في طريق آخر أنه ﷺ قال: [**كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم؛ فأَمَّكُم منكم**] فسرها بعض الرواة بما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه [وإمامكم منكم] فقالوا المعنى: أمكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى، وسنة نبيكم ﷺ(٢) وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: [**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينـزل عيسى ابن مريم ﷺ، فيقول أميرهم: تعال صلِّ لنا؛ فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة**](٣).

فالقرآن الكريم كتاب محكم لا يُنسخ، وقد تم إحكامه بانقطاع خبر السماء؛ ولهذا لا يمكن أن يُنسخ بكتاب سابق عنه، ولا لا حق به، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[فصلت:٤١-٤٢]، قال ابن عطية رحمه الله: «ليس فيما تقدمه من الكتب ما يبطل شيئا منه...، وليس يأتي بعده، من نظر ناظر، وفكرة عاقل، ما يبطل أشياء منه، والمراد باللفظ على الجملة: لا يأتيه الباطل من جهة من الجهات»(٤).

وفي قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[غافر:٣٥] «بيان أنه لا يجوز أن يعارض كتاب الله بغير كتاب الله، لا بفعل أحد، ولا أمره، ولا دولة،

---

(١) نقله الحافظ ابن حجر رحمه الله كما في: فتح الباري ٦/ ٥٦٧.
(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب/ نزول عيسى عليه السلام، ح(٢٤٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب/ نزول عيسى عليه السلام، ح(٢٤٧) عن جابر رضي الله عنه.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٩.

ولا سياسة؛ فإنه حال الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم، ولكن يجوز أن يكون في آيات الله ناسخ ومنسوخ»[١].

وبهذا يتبين أن السلف قد أعطوا القرآن منـزلته، وعرفوا قدره، وعظموه حق التعظيم، إذ عرفوا فضائله، ونشروا مآثره، وتبركوا بآثاره، وخصوه بخصائصه، واستغنوا به عما سواه، وفهموه على ضوء كلام المنـزَّل عليه والمعاصرين لزمن نزوله، وحملوه على ظاهره، ولم يؤولوه إلى معنى باطني يدعى فيه، واحتجوا به في العقائد، وجعلوه مصدر الشرائع في الحكومات وفي المساجد، واعتقدوا به نسخ الكتب السابقة، وأنه لا ينسخه الكتب اللاحقة، وتتجلى منـزلة القرآن عند السلف أكثر إذا عرفنا اهتمامهم وجهودهم في حفظ القرآن الكريم، وهذا ما أبينه في الفصل التالي.

---

(١) المجموع ١٩/ ٧٨-٧٩.

الفصل الثالث

جهود السلف في حفظ القرآن

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: عناية السلف بالقرآن.

المبحث الثاني: نهي السلف عن المراء، والتكلف في القرآن الكريم.

المبحث الأول: عناية السلف بالقرآن

مما سبق ذكره من المباحث والمطالب بيان صريح ودليل صحيح على أن السلف من أشد الناس تعظيما للقرآن الكريم، علما وعملا، ومن الأعمال الجليلة للسلف قديما، والمتبعين لهم حديثا خدماتهم الجليلة لكتاب الله ﷻ وعنايتهم به، وهذا يتبين من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: حفظ القرآن في الصدور.

القرآن كلام الله ﷻ غير مخلوق، وهو منـزل على أشرف الأنبياء والمرسلين، وفيه سعادة الدارين؛ ولما علم السلف الأول: من الصحابة والتابعين هذا، وتَيقّنوه، كان جل اهتمامهم حفظ كتاب الله والعمل به.

وكان النبي ﷺ يجتهد في حفظ القرآن الكريم؛ وقت نزوله فيردد الآية في نفسه؛ فأنزل الله ﷻ مبينا أن الله هو الذي يحفظه إياه في صدره، وأنه هو الحافظ لهذا الكتاب، قال ابن عباس رضي الله عنهما: [**كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل عليه بالوحي، وكان مما يحرك به لسانه وشفتيه؛ فيشتد عليه، وكان يعرف منه؛ فأنزل الله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ قال: علينا أن نجمعه في صدرك، وقرآنه؛ ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ فإذا أنزلناه فاستمع، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾**[القيامة:١٦-١٩] **علينا أن نبينه بلسانك، قال: فكان إذا أتاه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله**][(١)].

---

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب/ في تفسير سورة القيامة، ح(٤٩٢٩).

فالله ﷻ أخبر رسوله بأنه سيحفّظه القرآن، وأنه يحفظ له القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر:٩]، ولا ريب أن الله ﷻ: ﴿خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[يوسف:٦٤]، ومما يدل على ذلك أنه أخبر بحفظ القرآن الكريم؛ فقال ﷻ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ۝ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾[البروج:٢١-٢٢]؛ فالله ﷻ حفظ كتابه من أن يأتيه زيادة أو نقصان، لأنه ﷻ المتولي لحفظه من غير نكران، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤١-٤٢]، فرسول الله ﷺ حفظه الله القرآن، وحفظ النبي ﷺ أمته القرآن.

وكان من اجتهاد النبي ﷺ في حفظ القرآن مدارسته مع جبريل في كل عام مرة، وفي العام الذي توفي فيه مرتين، وكان في هذه العرضات يتبين له ما نسخ وما لم ينسخ، قالت فاطمة رضي الله عنها أسر إلي النبي ﷺ **[أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة، وإنه عارضني العامَ مرتين؛ ولا أُراه إلا حضر أجلي]**(١)؛ فكان النبي ﷺ يعرض وجبريل يستمع، وجبريل يقرأ والنبي ﷺ يستمع؛ فهذه مدارسة ومذاكرة للقرآن من الرسولين الكريمين(٢).

وكان النبي ﷺ يجتهد على أصحابه فيسمع منهم القرآن، ويستمع إلى قراءة بعضهم، ويشجع آخرين منهم، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **[اقرأ عليَّ. قلت: اقرأ عليك، وعليك أُنزِل؟، قال: فإني أحب أن أسمعه من غيري؛ فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت:** ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[النساء:٤١]، **قال: أمسك. فإذا عيناه تذرفان]**(٣).

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ، معلقا مجزوما به، وعنده مسندا.

عن أبي هريرة رضي الله عنه نحوه، برقم ح(٤٩٩٨).

(٢) انظر: فتح الباري ٨/ ٦٦٠.

(٣) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب/ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ الآية، ح(٤٥٨٢)، ومسلم، كتاب صلاة...، باب/ فضل استماع القرآن...، ح(٨٠٠).

وقد أخبر النبي ﷺ أنه لا حسد إلا في اثنتين، قال ﷺ: [**لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآنَ؛ فهو يتلوه آناء الليل، وآناء النهار؛ فسمعه جار له؛ فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلانٌ؛ فعملت مثل ما يعمل، ورجل آتاه الله مالاً؛ فهو يُهلكه في الحق؛ فقال: رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلانٌ؛ فعملت مثل ما يعمل**]، والمقصود بالحسد هنا الغبطة(١).

ومن تشجيع النبي ﷺ لحفاظ كتاب الله تعالى، أنه كان يشجع أمته على حفظ القرآن حتى أنه كان يزوج الحافظ بما معه من القرآن، قال البخاري ﷺ: «باب: القراءة عن ظهر القلب»(٢)، وذكر تحته حديث تزويج النبي ﷺ الرجلَ بما معه من القرآن(٣).

وأمر ﷺ بمراجعة القرآن حتى لا ينسى، قال ﷺ: [**بئس ما لأحدهم أن يقول: نَسِيتُ آية كَيْتَ، وكيت، بل: نُسِّيَ، واستذكروا القرآن؛ فإنه أشد تفصيا من صدور الرجال من النَّعَم**](٤).

كل هذه التوجيهات السديدة والإرشادات القويمة، كانت لها الدور البارز في جهد وعناية الصحابة بالقرآن الكريم، فنـزلت هذه التوجيهات في سويداء قلوبهم؛ فأنزلوها منازلها؛ فاهتموا بحفظ كتاب الله ﷻ .

وكان الحفاظ في عهد النبي ﷺ كثيرين، وبهم حصل التواتر، ولقد كان أصحاب بئر معونة كلهم حفاظا، وكانوا يسمون القراء(٥).

ومما يدل على كثرة حفاظ كتاب الله ﷻ ما جاء في وصفهم في الكتب السابقة،

---

(١) وهي تمنى النعمة من غير زوالها من الغير.

(٢) انظر: صحيح الإمام البخاري، ص ١٠٩٤.

(٣) انظر: ما رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ القراءة عن ظهر قلب، ح(٥٠٣٠)، عن سهل ابن سعد ﷺ.

(٤) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ استذكار القرآن وتعاهده، ح(٥٠٣٢)، ومسلم، كتاب صلاة...، باب/ الأمر بتعاهد القرآن، ح(٧٩٠)، كلاهما عن ابن مسعود ﷺ.

(٥) سيأتي كما في المطلب الثاني من هذا المبحث، وانظر: فتح الباري ٨/ ٦٦٤.

[أناجيلهم في صدورهم][(١)].

وامتن الله ﷻ على هذه الأمة؛ فقال لنبيها: **[وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء، تقرؤه نائما ويقظان]**[(٢)]، وهذا الحديث فيه إشارة إلى أن هذا القرآن لا يمحى من الأرض، ولا يرفع بفعل المخلوقين، وإنما يرفع متى ما أراد ذلك مُنْـزِلُه؛ إذ من عادة البشر قديما إذا أرادوا محو شيء غسلوه بالماء، حتى يذهب ويُزال.

قال شيخ الإسلام رحمه الله في شرح الحديث السابق: «يقول: ولو غسل بالماء من المصاحف لم يغسل من القلوب، كالكتب المتقدمة؛ فإنه لو عدمت نسخها لم يوجد من ينقلها نقلا متواترا محفوظة في الصدور، والقرآن ما زال محفوظا في الصدور نقلا متواترا»[(٣)].

ومما يدل على أن الحفاظ كانوا على عهد النبي ﷺ يبلغون حد التواتر بلا مرية، ما جاء في بعض الأحاديث المروية، ومنها قوله ﷺ: **[خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأبي بن كعب]**، وقال: أنس رضي الله عنه: **[أربعة كلهم من الأنصار جمع القرآن على عهد النبي ﷺ أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد]**[(٤)].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه مسلم، كتاب صفة الجنة ونعيمها، باب/ الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، ح(٢٨٦٥) عن عياض بن حمار رضي الله عنه.

(٣) الجواب الصحيح ٣/ ١٣، وانظر: المجموع ١٣/ ٤٠٠.

(٤) انظر هذه الأحاديث في صحيح الإمام البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ القرآء من أصحاب رسول الله ﷺ، ح(٤٩٩٩، ٥٠٠٣)، وحتى لا يبقى شك في أن القرآن نقل إلينا متواترا، بطريق الحفظ ـ فضلا عن كتابته ـ فأذكر الحفاظ من الصحابة رضي الله عنهم، وهم: الخلفاء الأربعة، وطلحة، وسعدٌ، وعبد الرحمن بن عوف، وابن مسعود، وحذيفة، وسالم، وأبو هريرة، وعبد الله بن السائب، والعبادلة (ابن عمر، ابن الزبير، ابن عمرو، ابن عباس)، وتميم بن أوس، وعقبة بن عامر، وعبادة بن الصامت، ومعاذ أبو حليمة، ومجمع بن حارثة، وفضالة بن عبيد، ومسلمة بن مخلد، وأبو موسى الأشعري، وأبو أيوب الأنصاري، وأبو الدرداء، وعمرو بن العاص، وأبو ذر الغفاري، وسعد بن عبادة، ومن النساء: عائشة، وحفصة، وأم سلمة، وأم ورقة رضي الله عنهم وآخرون. انظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ص٢٢٤-٢٢٧، الفهرست لابن النديم ص٤٣-٤٤، فتح الباري ٨/ ٦٦٩، ٦٧٠، طبقات الحفاظ للسيوطي ص١٣-١٩، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص٤٤.

فهؤلاء من الأنصار؛ وكذلك من المهاجرين قوم كثر، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وقد ثبت في الصحيح أنه جمع القرآن كله على عهد النبي ﷺ جماعة من الصحابة»[(١)].

ولا ريب أن الصحابة رضي الله عنهم كثير منهم حفظوا القرآن الكريم، منهم من حفظه كله، ومنهم من حفظ أكثره، ومنهم من حفظ بعضه[(٢)]، حتى وصل إلى التابعين بطريق التواتر، وعنهم إلى من بعدهم، وتخصيص الحفظ ببعض الصحابة، إنما هو في وقت معين، وعلى حسب علم الناقل، أو نسبة إلى قوم معينين لا أن الحفظة فيهم هم المذكورون فقط.

فمما لا شك فيه أن السلف يعلمون أن الله جل جلاله حفظ القرآن في صدور المؤمنين، حتى وصل إلى من بعدهم حجة على العالمين، وأن ذلك تم بطريق التواتر الذي لا يرتاب فيه إلا ملحد زنديق، أومنافق حقيق[(٣)].

ومما يدل على أن الصحابة كانوا يقيمون حروف القرآن ومعانيه، ويحفظونه في معانيه ومبانيه، قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾[البقرة:١٢١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر:٢٩-٣٠]، وقال: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ۝ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾[العنكبوت:٤٨]، «فبين أن القرآن آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم...، سواء أريد به أنه بين في صدورهم، أو أنه محفوظ في صدورهم، أو أريد به الأمران، وهو الصواب؛ فإنه محفوظ في صدور العلماء، بين في صدورهم، يعلمون أنه حق»[(٤)].

---

(١) المجموع ١٣/ ٤٠٠، وذكر الأربعة المذكورين في حديث أنس، وغيرهم.

(٢) انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجوزي ١/ ٦.

(٣) انظر: فتح الباري ٨/ ٦٦٩.

(٤) المجموع ١٤/ ١٩٠.

وكان السلف يتعاهدون القرآن، ويتدارسونه بينهم، حتى لا يُنسى، وأَمْرُ النبي ﷺ بتعاهد القرآن لم يغب عن ذِهنهم، وبهذا حُفظ القرآن في الصدور، كما حفظ في السطور[1].

وحِفْظُ كتاب الله ﷻ أساس كل علم، ومورد كل عز، ولهذا فالسلف كانوا يطلبون العلم بحفظه، وفهمه، وليس المقصود أن حفظ جميع القرآن واجب على طالب العلم؛ فـ « حفظ جميع القرآن، وفهم جميع معانيه، ومعرفة جميع السنة، لا يجب على كل أحد؛ لكن يجب على العبد أن يحفظ من القرآن، ويعلم معانيه، ويعرف من السنة ما يحتاج إليه »[2].

ومن عناية السلف بحفظ القرآن الكريم أنهم كانوا يحثون عليه، حتى كان من أقوالهم المشهورة: إن تعلم القرآن أفضل من صلاة التطوع[3].

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: « من حفظ القرآن عظمت حرمته،... ومن عرف الحديث قويت حجته »[4].

فحفظ اللهُ القرآنَ في صدور المؤمنين، حتى نقل من جيل إلى جيل، بحيث صار حفاظ كتاب الله ﷻ في كل عصر يبلغون حد التواتر، مع أنه مكتوب، ومحفوظ في السطور، في الشرق والغرب، وحفظه في الصدور نوع حفظ من الله ﷻ لكتابه؛ « فالمسلمون يحفظون القرآن في صدورهم حفظا يستغنون به عن المصاحف...، والقرآن ما زال محفوظا في الصدور نقلا متواترا، حتى لو أراد مريد أن يغير شيئا من

---

(١) وحفظهم للقرآن الكريم إنما كان باجتهاد، لا بتتبع الطرق السقيمة والأماني الوخيمة، وأما ما يفعله بعض أهل البدع من صناعة (خلطات من عند أنفسهم) أشياء هي من البدع المحدثات، كالأدعية التي وضعها الكذابون في حفظ القرآن، وفي بعضها التوسل بجاه الأنبياء؛ فهذا لا شك أنه موضوع. انظر: المجموع ١/ ٢٥٨-٢٥٩.

(٢) المجموع ١٥/ ٣٩١.

(٣) انظر: مختارات النوازل ص ٤٨٦.

(٤) انظر: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ص ١٢٧.

المصاحف، وعُرض ذلك على صبيان المسلمين لعرفوا أنه قد غير المصحف، لحفظهم للقرآن من غير أن يقابلوه بمصحف، وأنكروا ذلك...، ولهذا لا يمكن أحدا تغيير القرآن، مع كونه محفوظا في القلوب، منقولا بالتواتر»[(١)].

ومما يدل على اهتمام السلف بالقرآن الكريم حفظا أن قتادة بن دعامة السدوسي رحمه الله كان يعرض المصحف؛ فيقرأ سورة البقرة؛ فلا يخطئ فيها حرفا واحدا[(٢)]، فضلا عن أعمالهم السديدة، المبنية على الأحكام الشرعية الرشيدة من الكتاب والسنة الصحيحة.

فالحفاظ في زمن السلف كانوا حفاظا للقرآن: حدا ورسما، وأما في هذه الأزمان فـ«لم يبق لمعظم من طلب القرآن العزيز همة إلا في قوة حفظه، وسرعة سرده، وتحرير النطق بألفاظه، والبحث عن مخارج حروفه، والرغبة في حسن الصوت به، وكل ذلك وإن كان حسنا ولكن فوقه ما هو أهم منه وأتم، وأولى وأحرى، وهو فهم معانيه، والتفكر فيه، والعمل بمقتضاه، والوقوف عند حدوده»[(٣)].

ومن تمام حفظ الله للقرآن أن حفظه في السطور، وهذا ما أتكلم عنه في المطلب التالي.

---

(١) الجواب الصحيح ٣/ ١٣-١٥، وانظر: الصفدية ١/ ٢٢٣.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى ٧/ ٢٢٩.

(٣) المرشد الوجيز ص ١٩٣.

المطلب الثاني: كتابة القرآن الكريم.

من **العقائد** السلفية أن الله ﷻ هو الحافظ لكتابه المنـزل على نبيه محمد ﷺ، ولا شك في ذلك عندهم، وعند المتبعين لهم، وقد هيأ الله ﷻ لحفظ كتابه أمورا وأسبابا، ومن جملة ذلك كتابته.

وقد جاء ذكر كتابة القرآن الكريم في القرآن نفسه، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾[الطور:١-٣] وقد ذكر غير واحد من المفسرين: أن الله ﷻ أقسم بجبل الطور، وهو المكان الذي كلم الله فيه موسى، وأنزل عليه التوراة فيه، ثم أردف ذلك بالقسم بهذا الكتاب المنـزل على محمد ﷺ[1].

وقد ثبت بالدليل الصريح أن النبي ﷺ هو الذي كان يأمر بكتابة ما ينـزل من القرآن، ومن المتواتر المعنوي أنه ﷺ كان له كتبة يكتبون القرآن الكريم، ولأتحدث عن جهود الصحابة في كتابة القرآن الكريم؛ وأبين ذلك في مسائل:

المسألة الأولى: كتابة القرآن في عهد النبي ﷺ.

كان اهتمام الصحابة بالقرآن الكريم من أهم المهمات، ومن آكد الأمور، ولهذا كان الواحد منهم ما أن يُسلم حتى ينصرف إلى حفظ ما نزل من القرآن، فكان الاعتماد الأول في عهد النبوة على حفظ الصدور، وحتى يهتم الصحابة به أشد الاهتمام، ويحفظوه على الإتمام، نهى النبي ﷺ عن كتابة غير القرآن، قال ﷺ: [**لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه**][2]، فلم يكونوا يكتبون في أول الأمر أحاديث النبي ﷺ، ولا الغزوات، ولا السير، ولا الأشعار، وإنما كان ذلك كله يروى فقط معتمدين على الحفظ في الصدور، دون السطور، وأما القرآن الكريم فإنه كان يحفظ في الصدور والسطور[3].

---

(١) انظر: الجواب الصحيح ٤/ ٣٢٦.

(٢) رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب/ التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، ح(٣٠٠٤).

(٣) انظر: شرح السنة للبغوي ١/ ٢٩٥، رحلة المصحف الشريف ص٦١.

وقد كان للنبي ﷺ كتبة يكتبون بين يديه القرآن الكريم، سواء في العهد المكي، أو العهد المدني؛ فقد ذكر غير واحد من المؤرخين أن الصحابة كانوا يكتبون القرآن الكريم حتى في مكة(١)، فكانت الآيات تنـزل، ورسول الله ﷺ يملي لأصحابه، منهم من يحفظها، ومنهم من يحفظها ويكتبها، وكل يكتب بحسب ما تيسر له.

روى البراء بن عازب رضي الله عنه قال: [**لما نزلت:** ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[النساء:٩٥] **قال النبي ﷺ: ادع لي زيدا، وليجئ باللوح والدواة والكتف، أو الكتف والدواة، ثم قال: اكتب...**](٢).

ويمكن أن نلخص صوَرَ اهتمام الصحابة بالقرآن الكريم في عهد النبي ﷺ في هذه النقاط:

- أن جلهم كانوا يعتمدون على حفظهم، ولأن رسول الله ﷺ كان بين أظهرهم يرجعون إليه إذا ما أشكل عليهم شيء من آياته، فكانوا لا يعتمدون على الكتابة(٣).
- أن النبي ﷺ كان له كتبة في مكـة، وفي المدينة يكتبون بين يديـه ما ينـزل من الآيات(٤).

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٥/ ٣٥٣.

(٢) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ كاتب النبي ﷺ، ح(٤٩٩٠).

(٣) انظر مثلا مراجعة عمر وهشام بن حكيم حينما تنـزاعا في آية كيف تحاكما إلى رسول الله ﷺ، كما في البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ أنزل القرآن على سبعة أحرف، ح(٤٩٩٢).

(٤) والذين كانوا يكتبون للنبي ﷺ كثر، و **أشهر كتّاب النبي** ﷺ من المهاجرين هم:

أبو بكر الصديق رضي الله عنه	عمر بن الخطاب رضي الله عنه	عثمان بن عفان رضي الله عنه	علي بن أبي طالب رضي الله عنه
أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه	طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه	الزبير بن العوام رضي الله عنه	شرحبيل بن حسنة رضي الله عنه
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه	سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه	عبد الله بن عمرو رضي الله عنه	خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه
يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه	معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه	عبدالله بن أبي السرح رضي الله عنه	العلاء بن عقبة رضي الله عنه
أبان بن سعيد بن العاص رضي الله عنه	عبد الله بن الأرقم رضي الله عنه	أبو حذيفة بن عتبة رضي الله عنه	الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنه

=

- أن الأكثرين كانوا حفاظا، وأما الكتاب فكانوا قليلين، سواء من المهاجرين أو الأنصار، ومما يدل على كثرة الحفاظ أن النبي ﷺ بعث سبعين رجلا كلهم من القراء؛ فقتلوا عند بئر معونة[(١)]، وأيضا أكثر القتلى في اليمامة كانوا من القراء؛ فهذا يدل على كثرة حفاظ كتاب الله ﷻ[(٢)].
- أن الإمكانيات لم تكن متوفرة في تسهيل عملية الكتابة، فكانوا يكتبون على الجلود، ولخاف الحجارة، وكسر الأكتاف.
- أن القرآن كان محفوظا بطريق التواتر، حفظا في الصدور، وفي السطور، فلم يقبض النبي ﷺ إلا والقرآن كله مكتوب في السطور عند الصحابة، كما أنه محفوظ في الصدور[(٣)].
- أن النبي ﷺ إنما كان يأمر بكتابة ما نزل أولا بأول، فالمكي كتب بمكة، وهكذا.
- أن النبي ﷺ لم يجمع القرآن في مصحف لأن القرآن كان ينـزل، ويُنسخ منه؛ فلم يمكنه الجمع لذلك[(٤)].

=

وأشهر كتّاب النبي ﷺ من الأنصار، هم:

أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه — زيد بن ثابت رضي الله عنه — أبو عبس بن جبر رضي الله عنه — أبي بن كعب رضي الله عنه

أسيد بن حضير رضي الله عنه — ثابت بن قيس رضي الله عنه — معاذ بن جبل رضي الله عنه — أبو الدرداء عويمر رضي الله عنه

وبهذا يعلم أن كتاب النبي ﷺ أيضا قد كانوا كثيرين، ولكن منهم من كان مختصا بالكتابة، ومنهم من كان يكتب أحيانا. انظر: كتاب المصاحف ص١٠٥، شرح السنة للبغوي ٤/ ٥١٦-٥١٧، أصول التفسير للشيخ ابن عثيمين ص٣٢٧، رحلة المصحف الشريف ص٤٩-٥٧، كتاب النبي ﷺ لمحمد مصطفى الأعظمي.

(١) انظر ما رواه البخاري، كتاب المغازي، باب/ غزوة الرجيع...، ح(٤٠٦٨).

(٢) انظر: فتح الباري ٨/ ٦٢٩.

(٣) انظر: فتح الباري ٨/ ٦٢٩.

(٤) انظر: شرح السنة للبغوي ٤/ ٥١٩، فتح الباري ٨/ ٦٢٩.

المسألة الثانية: كتابة القرآن في عهد الصديق ﷺ.

تحقّقت كتابة القرآن في عهد أبي بكر ﷺ بمشورة عمر ﷺ، وذلك لما قتل كثير من حفظة كتاب الله ﷻ في حروب الردة ـ في غزو اليمامة على وجه التحديد، عام ١٢هـ ـ؛ فخاف عمر ﷺ ذهاب الحفاظ؛ فلا يبقى لهم شاهد إلا المكتوب مفرقا، دون ما في صدور الرجال شاهدا؛ فأراد كتب ذلك كله في محل واحد، فجاء إلى أبي بكر ﷺ. وهذه الحادثة هي التي نترك كاتب رسول الله ﷺ زيد بن حارثة يحدثنا عنها، حيث يقول: [**أرسل إليَّ أبو بكر الصديق مقتلَ أهل اليمامة؛ فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر رضي الله عنه: إن عمر أتاني، فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن؛ فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟؟، قال عمر: هذا والله خير.**

فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر، قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل، لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟؟ قال: هو والله خير. فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما؛ فتتبعت القرآن أجمعه من العسب[1] **واللخاف**[2] **وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري**[3]**، لم أجدها مع أحد غيره** ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا

---

(١) العُسُب: واحدة العسيب، وهو: سعف النخل، الذي يسميه أهل الحجاز بالجريد أيضا. غريب الحديث ٢/ ٢٥٤.

(٢) بكسر اللام ثم خاء معجمة خفيفة، وآخره فاء: جمع (لَخْفَة) بفتح اللام، وسكون المعجمة، وهي: الحجارة الرقاق، يكون فيها عرض ودقة، وقيل: هو الخزف الذي يكون من الطين المشوي.
انظر: غريب الحديث ٢/ ٢٥٤، فتح الباري ٨/ ٦٣١.

(٣) هو الصحابي الجليل: أبو خزيمة بن أوس بن زيد بن أصرم النجاري الأنصاري ﷺ، شهد بدرا وما بعدها، وهو غير خزيمة بن ثابت الأنصاري صاحب الشهادتين. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٤/ ٥٠.

عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾[التوبة:١٢٨-١٢٩]، **فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر طيلة حياته، ثم عند حفصة بنت عمر ﵄**][١].

فأبوبكر الصديق ﵁ أول من جمع القرآن في صحف، وقد كان قبل ذلك في اللخاف، وعسب النخل، وغير ذلك؛ فجمعها كلها في الصحف، وكان كاتبه زيد بن ثابت ﵁[٢]، قال زيد ﵁: [**أرسل إلي أبو بكر ﵁ قال: إنك كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فاتبع القرآن، فتتبعت حتى وجدت آخر سورة التوبة آيتين مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدهما مع أحد غيره**][٣]. فأبو بكر ﵁ اختاره لأنه كاتب الوحي لرسول الله ﷺ، ولِمَا ذُكر له من الصفات في الحديث السابق.

فالقرآن كله روي متواترا حفظا في الصدور، **وقَصْدُ زيد أنه لم يجد آخر آيتين من سورة التوبة**، أي لم يجدهما مكتوبتين، وإلا فإنه والكتبة كانوا يحفوظنها، وإلا كيف يبحثون عنها؟؟ أو كيف يعرفونها؟، قال البغوي ﵀ في قول زيد ﵁ لم أجدها: «ليس فيه إثبات القرآن بقول الواحد؛ لأن زيدا كان قد سمعها، وعلم موضعها...، وكذلك غيره من الصحابة؛ فمنهم من نسيها؛ فلما سمع ذكر، وتتبعه الرجال في جمعه كان للاستظهار، لا لاستحداث العلم»[٤]؛ فهذه الكتابة التي تمت في عهد الصديق ﵁

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ جمع القرآن، ح(٤٩٨٦)، وأما الصحف التي كانت عند حفصة ﵂ فقد كان عندها مدة حياتها، ولما توفيت حرقها مروان بن الحكم، وقد كان واليا على المدينة وقتها، كما قال سالم بن عبد الله بن عمر: [إن مروان كان يرسل إلى حفصة يسألها الصحف التي كتب منها القرآن؛ فتأبى حفصة أن تعطيه إياها، قال سالم: فلما توفيت حفصة، ورجعنا من دفنها، أرسل مروان بالعزيمة إلى عبد الله بن عمر ليرسلن إليه بتلك الصحف؛ فأرسل بها إليه عبد الله بن عمر؛ فأمر بها مروان؛ فشققت، فقال مروان: إنما فعلت هذا؛ **لأن ما فيها قد كتب وحفظ بالمصحف؛ فخشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب في شأن هذه الصحف مرتاب، أو يقول: إنه قد كان شيء منها لم يكتب**]. رواه ابن أبي داود في المصاحف، باب/ جمع عثمان ﵁ المصاحف، ح(٨٥)، وقال المحقق: إسناده صحيح، وانظر: فتح الباري ٨/ ٦٣٧.

(٢) انظر: تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٤٤٤.

(٣) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ كاتب النبي ﷺ، ح(٤٩٨٩).

(٤) شرح السنة للبغوي ٤/ ٥١٦، وانظر: فتح الباري ٨/ ٦٣٢.

إنما كان جمعا للقرآن في صحف[1]، ولم يكن قبل كله في الورق[2]، ثم لم يتعرض للقراءات والأحرف[3]، ولا لترتيب السور[4]؛ **فرحم الله أبا بكر ورضي عنه، فهو حقا** كما قال علي ﷺ: **[أعظم الناس في المصاحف أجرا أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر، هو أول من جمع كتاب الله]**[5].

المسألة الثالثة: كتابة القرآن في عهد ذي النورين عثمان ﷺ.

وكان هذا الجمع المبارك سنة (٢٥هـ)، وسببه ما ذكره أنس ﷺ حيث قال: **[إن حذيفة بن اليمان ﷺ قدم على عثمان ﷺ، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية[6]، وأذربيجان[7]، مع أهل العراق؛ فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى؛ فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك؛ فأرسلت بها حفصة إلى عثمانَ، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله ابن الزبير،**

---

(١) وهذا بوب له البخاري، فقال: (باب: جمع القرآن)، قال الحافظ ﷺ: «المراد بالجمع هنا جمع مخصوص، وهو جمع متفرقه في صحف». فتح الباري ٨/ ٦٢٨، ويؤكد أن المراد بجمع أبي بكر ﷺ هو هذا الذي ذهب إليه الحافظ، أمران: **الأول**: أن الصحابة لم يترك أحد منهم مصحفه الخاص، مع أنه مرتب على ترتيب معين في السور، مما يدل على أن جمع الصديق لم يراعى فيه الترتيب، **والثاني**: أن زيدا ﷺ قال: [**قبض النبي ﷺ ولم يكن القرآن جمع في شيء**] فهذا يعني أنه أراد جمعه في موضع واحد، لا كتابته ـ والله أعلم ـ، وانظر الموضع المشار إليه من فتح الباري.

(٢) انظر: فتح الباري ٨/ ٦٣٢.

(٣) انظر: أصول التفسير للشيخ ابن عثيمين ص٣٢٩.

(٤) انظر: فتح الباري ٨/ ٦٣٥.

(٥) رواه ابن أبي داود في كتاب المصاحف، باب/ جمع القرآن، ح(١٥ وما بعدها)، وقال محقق الكتاب: إسناده حسن.

(٦) إرمينية: بكسر أوله، ويفتح: اسم لناحية عظيمة في جهة الشمال (نسبة إلى العراق) والنسبة إليها أرمني على غير قياس، دخلها الإسلام على عهد عثمان ﷺ، وهي الآن معروفة بهذا الاسم كدولة. انظر: معجم البلدان ١/ ١٩١، أطلس التاريخ العربي الإسلامي ص ٤٠.

(٧) أذربيجان: منطقة في شمال العراق، وهي الآن معروفة بهذا الاسم كدولة. انظر: أطلس التاريخ العربي الإسلامي ص٤٠.

وسعيد بن العاص[(١)]، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام[(٢)]؛ فنسخوها في المصاحف، وقال: عثمان للرهط القرشيين: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش؛ فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة، أو مصحف أن يُحرق][(٣)].

وإنما تولى كتابته زيد بن ثابت ﷺ، دون غيره من الصحابة لأمور مهمة وأسباب جلية، وهي:

١. أنه كان كاتب الوحي لرسول الله ﷺ، فكان إماما في الرسم، وإماما في الأداء، وهذه ميزة له لم يتمنَّعْ بها غيره ممن كان كاتبا، ولم يكن يكتب لرسول الله ﷺ، فكان ابن مسعود إماما في الأداء دون الرسم[(٤)]. قال ابن أبي داود ﷺ: «عبد الله ابن مسعود بدري، وذاك ـ يعني زيدا ـ ليس هو ببدري؛ وإنما ولوه لأنه كان كاتب رسول الله ﷺ»[(٥)].

٢. أنه كان شابا فتيا، وما كان غيره ليستطيع القيام بهذا الأمر، لما يعتري الشباب من القوة، بخلاف العجزة وكبار السن.

٣. أنه كان ذهينا فاهما لبيبا.

٤. أنه كان حاضرا العرضة الأخيرة، مع رسول الله ﷺ[(٦)]، وهذا يفيد أنه

---

(١) هو الصحابي الجليل: سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي، قتل أبوه ببدر، وله تسع سنين، وذكر في الصحابة، ولي إمرة الكوفة لعثمان ﷺ، وإمرة المدينة لمعاوية ﷺ، مات سنة ٥٨هـ. انظر: التقريب ص١٧٧.

(٢) هو المخضرم الكبير: عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، أبو محمد المدني، قيل له رؤية، وكان من كبار ثقات التابعين، مات سنة ٤٣هـ. انظر: التقريب ص٢٨٠.

(٣) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ جمع القرآن، ح(٤٩٨٧).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٢/ ٤٤١.

(٥) كتاب المصاحف ص٨١.

(٦) انظر: شرح السنة للبغوي ٤/ ٥٢٥، سير أعلام النبلاء للذهبي ١/ ٤٨٨.

يعلم الناسخ والمنسوخ، وما يجب إبقاؤه في المصحف، وما لا يجب إبقاؤه.

٥. أنه كان كاتبا لأبي بكر ﷺ بإجماع الصحابة؛ فالإنكار بعد ذلك لاختيار عثمان ﷺ له لا معنى له[(١)].

وكتابة **الصحابة** ﷺ للمصحف على عهد عثمان ﷺ تم من غير خلاف؛ لأنه إنما فعل هذا بعد أن استشار الصحابة الموجودين في المدينة ـ منهم علي وبقية العشرة ﷺ ـ فهذا يعد منهم إجماعا، ولم يختلفوا في كتابة شيء منه، إلا ما ذكر من أنهم اختلفوا في كتابة لفظة (التابوت) هل يكتبونه بالتاء المفتوحة أم بالهاء ـ التي هي التاء المربوطة بدون نقط ـ؛ فقال عثمان ﷺ اكتبوه بلغة قريش[(٢)]، فارتفع الخلاف، واتفق على هذا الأسلاف، وصار على دربهم الأخلاف.

قال أنس ﷺ: [**قال عثمان ﷺ للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد ابن ثابت في شيء ـ عربية من عربية القرآن ـ، فاكتبوها بلسان قريش؛ فإن القرآن أنزل بلسانهم، ففعلوا**][(٣)].

ولم يفقد زيد ﷺ شيئا من القرآن مكتوبا إلا آية من سورة الأحزاب، وهي قوله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾[الأحزاب:٢٣] قال زيد ﷺ: [**فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها؛ فالتمسناها؛ فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري** ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ **فألحقناها في سورتها في الصحف**][(٤)]. فهذا الأثر يبين لنا منهجية الكتابة، حيث ما كان يكتب شيئا معتمدا على الحفظ فقط، بل حتى يشهد على الكتاب اثنان من المسلمين، ويوجد

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ١/ ٤٨٨، ٢/ ٤٤١.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٢/ ٤٤١.

(٣) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ نزل القرآن بلسان قريش والعرب، ح(٤٩٨٤)، وانظر منه ح(٣٥٠٦).

(٤) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ جمع القرآن، ح(٤٩٨٨).

ذلك مكتوبا[١]، وهذا يعني أنه صار على النهج الأول، حين كان يكتب لأبي بكر ﷺ.

فكتابة المصحف من عثمان ﷺ حسنة من حسناته ﷺ، وشعار على خلافته، وميزة من مميزاته، حيث جمع الله بفعله الأمة على كتابه، وعصم المسلمين من الاختلاف فيه، فله الحمد أولا وآخرا، وجزى الله عثمان ﷺ على هذا الفعل خيرا.

وكتابة الخلفاء للمصحف على هذا الوجه، إنما هي من باب سد الذرائع، حتى لا تختلف الأمة، ولا تتفرق كلمتها على كتاب الله ﷻ القرآن[٢].

وبهذا يتبين أن كتابة المصحف ليست أمرا مبتدعا[٣]، وذلك لأن النبي ﷺ أمر بكتابة القرآن الكريم، فهو أمر مشروع، لكن لم يجمعه في مصحف واحد؛ لأن نزوله لم يكن قد تم، وكانت الآية قد تنسخ بعد نزولها؛ فلوجود الزيادة والنقص لم يمكن جمعه في مصحف واحد حتى مات ﷺ[٤]، ثم قام الخلفاء الراشدون بضم بعضه إلى بعض وكتابته كما قرأه رسول الله ﷺ في العرضة الأخيرة، مشتملا على بعض الأوجه من الأحرف التي لم تنسخ، فاحتملوها في كتابتهم للمصحف، ومعلوم أن هذا ليس إحداثا في الدين لوجود الكتابة سابقا، ثم إنّ ما سنه الخلفاء الراشدون ليس بدعة شرعية ينهى عنها[٥].

وفي هذه الكتابة تمت مراعاة أمور مهمة، حتى يرتفع الخلاف عن الأمة، وهي:

١. أنه كُتِبَ مُرَتَّبَ السورِ حسب ما كان في العرضة الأخيرة، على الصحيح من أقوال أهل العلم، وإن قيل إنه باجتهادهم؛ فاجتهادهم من غير خلاف يعد إجماعا، وإن كان فيه خلاف في الأول، إلا أن الجميع أذعنوا له، وتيقنوا أنه الخير، وانضموا إلى

---

(١) انظر: رحلة المصحف الشريف ص ٦٣.

(٢) انظر: إعلام الموقعين لابن القيم ١/ ٢١٠، وقد ذكر ابن القيم (٩٠) دليلا لسد الذرائع وختمها بهذه، والأصح ـ والله تعالى أعلم ـ أن جمع المصحف على هذا النمط هو من باب سد الذرائع، لا أن الكتابة نفسها هي من باب سد الذرائع، كيف وقد كان مكتوبا في عهد النبي ﷺ فكتابته اتباع له ﷺ، فليتنبه.

(٣) انظر: الموافقات للشاطبي ٢/ ٤٠٩، ٣/ ٧٣.

(٤) انظر: الاقتضاء ٢/ ٥٩٥.

(٥) الاقتضاء ٢/ ٥٩٥، المجموع ١٣/ ٤٠٢، ٢١/ ٣١٨.

الجماعة، فحصل النفع الكثير، والذي هو من حسنات الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه[(١)].

٢. أنه روعي فيه ما بقي من الأحرف، ولم ينسخ مما يمكن للرسم أن يحتمله، وترك ما عدا ذلك.

٣. أنه أحدث شيء موافقة للعرضة الأخيرة، فلم يكتب فيه شيء مما نسخت تلاوتها من الآيات، قال البغوي رحمه الله: «فاستشار عثمانُ الصحابة في ذلك، فجمع الله تعالى الأمةَ بحسن اختيار الصحابة على مصحف واحد هو آخر العرضات... فأمر عثمان بنسخه في المصاحف، وجمع القوم عليه، وأمر بتحريق ما سواه قطعا لمادة الخلاف؛ فكان ما يخالف الخط المتفق عليه في حكم المنسوخ والمرفوع، كسائر ما نسخ ورفع منه باتفاق الصحابة، **والمكتوب بين اللوحين هو المحفوظ من الله** عز وجل **للعباد، وهو الإمام للأمة؛ فليس لأحد أن يعدو في اللفظ إلى ما هو خارج من رسم الكتابة والسواد، فأما القراءة باللغات المختلفة، فما يوافق الخط والكتاب فالفسحة فيها باقية، والتوسعة قائمة بعد ثبوتها وصحتها**»[(٢)].

٤. أن عثمان رضي الله عنه أرسل إلى الأمصار المشهورة في تلكم الأعصار، وأحرق ما عداه من المصاحف في الديار، ليرتفع الخلاف والشر، وكان هذا الإحراق عن جمع منهم، وإنما خالف بعضهم[(٣)] لما لم يظهر له العلة من فعل عثمان رضي الله عنه، أو لم يعلم باتفاق الصحابة رضي الله عنهم، فلما علم بذلك ثاب إلى قولهم[(٤)]، قال مصعب بن سعد رحمه الله: «أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف؛ فأعجبهم ذلك، وقال: لم ينكر ذلك منهم أحد»[(٥)].

---

(١) انظر: شرح السنة للبغوي ٤/ ٥٢١، أصول التفسير للشيخ ابن عثمين ص٣٢٩، وانظر ص٣٣٩.

(٢) شرح السنة للبغوي ٤/ ٥١١، وانظر: فتح الباري ٨/ ٦٤٧ حيث نقل هذه العبارات بشيء من التصرف.

(٣) كما روي ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه، كما في كتاب المصاحف لابن أبي داود ص٧٠ وما بعدها.

(٤) حتى ابن مسعود رضي الله عنه الذي كان من المخالفين في أول الأمر لهذا الجمع، رجع إلى فعل الجماعة، انظر: كتاب المصاحف ص٨٢ وما بعدها، قال ابن أبي داود: «باب: رضاء عبد الله بن مسعود لجمع عثمان رضي الله عنه المصاحف»، ثم ذكر الآثار عنه في ذلك.

(٥) رواه ابن أبي داود في كتاب المصاحف، باب/ اتفاق الناس مع عثمان على جمع المصاحف، (ح٤١)، وقال محققه: إسناده صحيح.

٥. أن عثمان رضي الله عنه حرم تداول ما سواه من المصاحف التي كتبت غير مراعى فيه ما كتب في المصحف المجمع عليه، ولهذا سمي هذا المصحف بعد ذلك بالمصحف (الإمام)[1]، وحرق ما عدا ذلك من المصاحف حتى لا تكون مثارا للفتنة.

ولهذا أثنى عليه كثير من الناس، قال الإمام عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله: «خصلتان لعثمان بن عفان ليستا لأبي بكر، ولا لعمر: صبره على نفسه حتى قتل مظلوما، وجمعه الناس على المصحف»[2].

قال علي رضي الله عنه: **[يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيرا في المصاحف، وإحراق المصاحف؛ فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا جميعا؛ فقال - أي عثمان رضي الله عنه -: ما تقولون في هذه القراءة؟ قد بلغني أن بعضهم يقول: إن قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد أن يكون كفرا، قلنا فما ترى؟ قال: نرى أن نجمع الناس على مصحف واحد؛ فلا تكون فرقة، ولا يكون اختلاف، قلنا: فنِعْمَ ما رأيت...، وجمع الناس على مصحف. قال علي رضي الله عنه: والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل]**[3].

قال الإمام الزهري رحمه الله: «فوفق الله عثمان رضي الله عنه فنسخ تلك الصحف في المصاحف؛ فبعث بها إلى الأمصار، وبثها في المسلمين»[4].

المسألة الرابعة: المحافظة على الرسم العثماني.

ومن تمام المحافظة على القرآن الكريم كتابته كما كتبه السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين، وذلك حفاظا على ما يحتويه من الأوجه في القراءة، وما يحتمله

---

(١) وإنما سمي مصحف الإمام بهذا الاسم؛ نسبة إلى عثمان رضي الله عنه، (انظر: رحلة المصحف الشريف ص١٣١)، ويمكن أن يكون نسبة إلى أنه الإمام الذي ينبغي أن يقتدى به كل كاتب للمصحف، - والله تعالى أعلم -، وقد تسمّى كتابة المصحف على الرسم الذي كتب في زمن عثمان رضي الله عنه بالرسم العثماني.

(٢) رواه ابن أبي داود في كتاب المصاحف، باب/ اتفاق الناس مع عثمان على جمع المصاحف، (ح٤٤).

(٣) رواه ابن أبي داود في كتاب المصاحف، باب/ جمع عثمان رضي الله عنه المصاحف، ح(٧٧).

(٤) رواه ابن أبي داود في كتاب المصاحف، باب/ جمع عثمان رضي الله عنه المصاحف، ح(٨١)، وانظر: فتح الباري ٨/ ٦٣٧.

من الأحرف في التلاوة[١]، **ومخالفة الكتابة خلاف ما كتبوه لا ينبغي لأسباب، منها:**

١. أن اتباع السلف في كل ما يتعلق بأمور الدين، ولو لم يكن في نفسه عبادة، هو الأفضل، بل هو اللازم في أمور الدين؛ لأنا أمرنا باتباعهم[٢].

٢. أن في اتباع رسمهم محافظة على الأوجه المروية في القراءات السبعية والعشرية المروية، بالأسانيد الصحية السوية، لأن من «أسباب تركهم المصاحف ـ أول ما كتبت ـ غير مشكولة، ولا منقوطة؛ لتكون صورة الرسم محتملة للأمرين، كالتاء والياء، والفتح والضم، وهم يضبطون باللفظ كلا الأمرين، وتكون دلالة الخط الواحد على كلا اللفظين المنقولين المسموعين المتلوين شبيها بدلالة اللفظ الواحد على كلا المعنيين المعقولين المفهومين»[٣].

٣. أن كتابتها على تلكم الصورة بمحضر من الصحابة، وفيهم العلماء والشعراء والكتباء المطلعون على كتب الأقوام المعاصرة لهم، والمجاورة منهم، ومع ذلك كتبوا جميع المصاحف بهذه الصورة، ولم يختلف مصحف من هذه المصاحف التي أرسلت إلى البلاد عن المصحف الآخر، حتى في صورة الكتابة، ثم من أرسل إليهم قبلوها، ولم يقولوا: هذا غلط فيه الكاتب، وهذا أخطأ فيه الكتاب؛ فهذا كله إجماع منهم على هذه الصورة الكتابية، فلا تجوز مخالفة إجماعهم[٤]، وما وجد من خلاف بين بعض المصاحف التي أرسلت؛ فإن ذلك كما قال أبو عمرو الداني رحمه الله: «السبب في ذلك أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه لما جمع القرآن في المصاحف ونسخها على صورة واحدة،وآثر في رسمها لغة قريش دون غيرها مما لا يصلح، ولا يثبت نظرا للأمة، واحتياطا على أهل الملة، وثبت عنده أن هذه الحروف من عند الله عز وجل، كذلك منـزلة، ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسموعة، وعلم أن جمعها في مصحف واحد على تلك

---

(١) انظر: المجموع ١٣/ ٤٠٢.

(٢) انظر: ما ذكرته في أهمية اتباع السلف ص٥٩٦.

(٣) المجموع ١٣/ ٤٠٢.

(٤) انظر: إعانة الطالبين ١/ ٦٨،

الحال غير ممكن إلا بإعادة الكلمة مرتين، وفي رسم ذلك كذلك من التخلط والتغيير للمرسوم ما لا خفاء به؛ ففرقها في المصاحف لذلك؛ فجاءت مثبتة في بعضها، ومحذوفة في بعضها لكي تحفظها الأمة كما نزلت من عند الله ﷻ، وعلى ما سمعت من رسول الله ﷺ؛ فهذا سبب اختلاف مرسومها في مصاحف أهل الأمصار»[1]، وهذا يبين أن ما يذكره القراء سواء العراقيون، أو الشاميون؛ فإن ذلك مأخوذ سماعا، ونظرا من المصاحف، ولهذا كان الأئمة يأمرون باتباع المصحف، سئل الإمام مالك رحمه الله «هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؟، فقال: لا، إلا على الكتبة الأولى، أي التي كتبها الإمام، وهو المصحف العثماني، قال أبو عمر ابن عبد البر رحمه الله: ولا مخالف له في ذلك من علماء الأمة»[2]، ومن كتب المصحف بغير الرسم العثماني فإنه جانب الصواب، ولا يحكم عليه بالكفر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأما اتباع رسم الخط، بحيث يكتبه بالكوفي؛ فلا يجب عند أحد من المسلمين، وكذلك اتباعه فيما كتب بالواو والألف، هو حسن لفظ خط[3] رسم الصحابة، وأما تكفير من كتب ألفاظ المصحف بالخط الذي اعتاده؛ فلا أعلم أحدا قال بتكفير من فعل ذلك، **لكن متابعة خطهم أحسن**، هكذا نقل عن مالك وغيره، والله أعلم»[4].

٤. أن في مخالفة السلف تجهيلا لهم، وهذا معلوم أنه لا يجوز، خصوصا في أمر ـ يزعم أن فيه تيسير القراءة!! ـ متعلق بالقرآن الكريم، وكانوا أحرص الناس في الدلالة على الخير[5]، والقرآن نزل بلغة قريش غير مكتوب، ولكن أهل مكة كانوا يكتبون، والله ﷻ يعلم ذلك، ورسوله ﷺ يملي عليهم، ولم ينكر على الكتبة ما كتبوه، وتحرى عثمان رضي الله عنه أن تكون هذه الكتابة بلغة قريش خاصة لكونه نزل بلغتهم، فاستمر

---

(١) انظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد(٦)، ص٤٣.

(٢) إعانة الطالبين ١/ ٦٨، وانظر: حاشية البيجوري ٢/ ١٨٩، المجموع للنووي ٩/ ٣٧٤.

(٣) هكذا في المطبوع، ولعل الصواب: (هو حسن للفظ خط رسم الصحابة)، أو (وكذلك اتباعه فيما كتب بالواو والألف حسن، للفظ رسم خط الصحابة) ـ والله أعلم ـ.

(٤) المجموع ١٣/ ٤٢١.

(٥) انظر: إعانة الطالبين ١/ ٦٨.

العمل على هذا قبل وضع قواعد الإملاء المعروفة؛ فكان فعلهم ذلك إجماعا، وأهل العصور يتابعونهم في ذلك؛ فصار بذلك سنة متبعة[(١)].

٥. أن لأنواع الخطوط والإملاء قواعد اصطلاحية من وضع البشر، ولربما تتغير، وتتبدل؛ فإذا عدلنا عن الرسم العثماني إلى الرسم الإملائي الموجود حاليا تسهيلا للقراءة!! قد يفضي ذلك إلى التغيير كلما تغير الاصطلاح في الكتابة لنفس العلة، وقد يؤدي ذلك إلى تحريف القرآن الكريم، بتبديل بعض الحروف من بعض، وزيادتها، أو نقصانها، ومن ثم تختلف القراءات أيضا، فتذهب بعضها لعدم موافقتها لرسم المصحف، وتندثر، وتختلط، ويجد أعداء الإسلام مدخلا في المصحف المعظم، المحفوظ صدرا وكتابا، فهذا الباب ينبغي غلقه، ليس فقط لكون ذلك اتباعًا للصحابة فحسب، بل لأنه من الباب العظيم الذي جاء به الشرع، وهو باب: سد الذرائع، محافظة على الدين، ومنعا للشر والفساد[(٢)].

٦. قال الشاعر مبينا أهمية اتباع الرسم العثماني في كتابة المصحف:

وبعده جـرَّده الإمـام — في مصحف ليقتدي الأنام
فينبغي لأجل ذا أن نقتفي — مرسُوم ما أصَّلَه في المصحف
ونقتدي بفعله وما رأى — في جعله لمن يخطُّ ملجَأً[(٣)]

أما تنقيط المصحف، وتشكيل حروفه: فـ «الصحابة لم يشكلوا حروفا، ولم ينقطوها؛ فإنهم كانوا عربا لا يلحنون، ثم بعد ذلك في أواخر عصر الصحابة لما نشأ اللحن، صاروا ينقطون المصاحف، ويشكلونها، وذلك جائز عند أكثر العلماء، وهو إحدى الروايتين عن أحمد، وكرهه بعضهم، والصحيح أنه لا يكره؛ لأن الحاجة داعية إلى ذلك، ولا نزاع بين العلماء: أن حكم الشكل والنقط حكم الحروف المكتوبة؛ فإن

(١) انظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد(٦)، ص٤٧، ٤٨.
(٢) انظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد(٦)، ص٤٨.
(٣) مناهل العرفان للزرقاني ١/ ٣٧٩.

النقط تميز بين الحروف، والشكل يبين الإعراب؛ لأنه كلام من تمام الكلام»[(١)]، فالتنقيط والتشكيل إنما تَـمَّا في المصاحف التي كتبت في أواخر عهد الصحابة ﷺ، وذلك لما كثر الأعاجم الذين كانوا لا يفرقون بين الكلمات المهملات، ولعدم سلامة لسانهم في اللغة العربية، وتأثر العرب بالعجم ـ خصوصا في العراق وأمصارها ـ[(٢)]؛ فكان لا بد من تيسير القراءة لهم حتى يفرقوا بين(ريب) و(زيت)؛ فوضعت هذه النقاط من أجل هذا التفريق، ومعلوم أن القرآن الكريم كان يقرأ هكذا من غير تنقيط؛ فالزيادة في التنقيط إنما هو في الكتابة والصورة، لا في الألفاظ والتلاوة.

ويذكر أن أول من وضع الشكل الإعرابي ـ مخافة التحريف، والتصحيف ـ أبو الأسود الدؤلي[(٣)] رحمه الله[(٤)].

وأما ما جاء من كراهة بعضهم للتعشير، كما روي عن عبد الله بن مسعود ﷺ: «أنه كره التعشير في **المصحف**»[(٥)] فذلك منه ﷺ حتى لا يختلط بالقرآن شيء مخافة أن يزاد فيه أو يحرف، وإلا فإن التعشير المعروف عليه المصاحف الآن، لم يكن معروفا في زمن ابن مسعود ﷺ[(٦)].

---

(١) المجموع ١٢/ ٥٧٦، رحلة المصحف الشريف ص٢٢.

(٢) انظر: رحلة المصحف الشريف ص٢٣.

(٣) هو المقرئ النحوي المشهور المخضرم: ظالم بن عمرو بن سفيان، ويقال: عمرو بن ظالم، واشتهر بكنيته: أبو الأسود الدؤلي، أو الديلي البصري، ثقة فاضل، روى له أصحاب الكتب، مات سنة تسع وستين. انظر: التقريب ص٥٤٦.

(٤) ويرى بعض الغربيين ـ كعادتهم في نسبة كل شيء إلى أنفسهم ـ أن النصارى هم أول من عرفوا التشكيل والتنقيط في الخطوط، انظر: رحلة المصحف الشريف ص٢٣. وهذا أمر بعيد ـ عندي ـ، وذلك لأن الكتب النصرانية لم تكتب إلا بالسريانية، وهي إلى الآن غير معجمة؛ فكيف يقال: إنها من اختراعهم، لفهم كتبهم!!.
وأما وضع الإعجام: وهي النقاط فهذا من وضع تلاميذ أبي الأسود الدؤلي ـ نصر بن عاصم الليثي ٨٩هـ، ويحيى بن يعمر ١٢٩هـ. انظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٦) ص٢١، رحلة المصحف الشريف ص٢٣، ٣٤.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الصلاة، باب/ التعشير في المصحف، ح(٨٥٣٦)، وانظر: ح(٨٥٥٨).

(٦) وانظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد(٦)، ص٢١.

ومن تمام اهتمامهم بكتابة القرآن الكريم أنهم كانوا يكرهون كتابة المصاحف الصغار؛ لأنها لا تقرأ، وربما تهان، عن علي ﷺ: [**أنه كره أن يكتب القرآن في المصاحف الصغار**][1] فهذا يدل على اهتمامهم بكتابة المصحف الشريف، قال البيهقي ﷺ: «من آداب القرآن أن يفخم فيكتب مفرجا، بأحسن خط؛ فلا يصغر، ولا تقرمط حروفه، ولا يخط به ما ليس منه...»[2].

فتنقيط المصاحف وتعريبها وكتابة التعاشير فيها، وأرقام الآيات وأسماء السور في أولها وكتابة علامات الوقف، وغير ذلك مما هو في مصاحف المسلمين، كان فيه ذلك الخلاف اليسير كما في التنقيط والتعشير، ولكن هذا الخلاف ارتفع بثبوت الاتفاق على جوازه، بعد استمرار العمل به إلى عصرنا[3].

قال الشيخ محمد رشيد رضا[4] ﷺ: «إن ديننا يمتاز على جميع الأديان بحفظ أصله منذ الصدر الأول؛ فالذين تلقوا القرآن عمن جاء به من عند الله حفظوه، وكتبوه، وتلقاه عنهم الألوف من المؤمنين، وتسلسل ذلك جيلا بعد جيل.

وقد أحسن التابعون وتابعوهم وأئمة العلم في اتباع الصحابة في رسم المصحف، **وعدم تجويز كتابته بما استحدث الناس من فن الرسم**، وإن كان أرقى مما كان عليه الصحابة ﷺ لأنه صنعة ترتقي بارتقاء المدنية، إذ لو فعلوا لجاز أن يحدث اشتباه في بعض الكلمات باختلاف رسمها، وجهل أصلها.

فالاتباع في رسم المصحف يفيد مزيد ثقة، واطمئنان في حفظه، كما هو يبعد الشبهات

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الصلاة، باب/ من كره أن يكتب القرآن في الشيء الصغير، ح(٨٥٥٢)، وانظر: ح(٨٥٥٤).

(٢) نقلا عن مجلة البحوث الإسلامية، العدد(٦)، ص٢١.

(٣) انظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد(٦) ص٢٤.

(٤) هو المفسر والأديب: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد البغدادي الأصل، المصري موطنا، رحل عدة رحلات، بسبب الأوضاع السياسية واستقر في مصر أخيرا، وأنشأ فيها مجلة المنار، وكان قد تأثر جدا بمحمد عبده المصري، ثم تأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، فأصبح من المناصرين لها، من مؤلفاته: تفسير المنار، الوهابيون والحجاز، توفي سنة ١٣٥٤هـ. انظر: معجم المؤلفين ٩/ ٣١٠.

أن تحوم حوله، وفيه فائدة أخرى وهي: حفظ شيء من تاريخ الملة وسلف الأمة كما هو.

نعم إن تغير الرسم واختلاف الإملاء يجعل قراءة المصحف على وجه الصواب خاصة بمن يتلقاه عن القراء، ولذلك أحدثوا فيه النقط والشكل، **وهي زيادة لا تمنع معرفة الأصل، على ما كان عليه في عهد الصحابة**، ثم إنه يجعل تعليم الصغار عسرا، ولذلك أفتى الإمام مالك بجواز كتابة الألواح ومصاحف التعليم بالرسم المعتاد كما نقل...»[(١)].

وبهذا العمل الجليل من السلف الذين عانوا الكثير في كتابة المصحف الشريف حتى يحافظوا عليه، يتبين لنا جليا «تحقق وعد الله ﷻ بحفظ الذكر الحكيم؛ فكان أحكم وأقدم وأوثق وثيقة عرفها الإنسان ناجية من كل تحريف وتبديل»[(٢)].

ويقول أحد الغربيين المنصفين عن القرآن الكريم: «إن المصحف الذي جمعه عثمان قد تواتر انتقاله من يد ليد حتى وصل إلينا دون تحريف، ولقد حفظ بعناية شديدة، بحيث لم يطرأ عليه أي تغيير يُذكر، بل نستطيع أن نقول: إنه لم يطرأ عليه أي تغيير على الإطلاق في النسخ التي لا حصر لها، والمتداولة في البلاد الإسلامية الواسعة؛ فلم يوجد إلا قرآن واحد لجميع الفرق الإسلامية المتنازعة، وهذا الاستعمال الإجماعي لنفس النص المقبول من الجميع حتى اليوم يعتبر أكبر حجة ودليل على صحة النص المنـزل الموجود معنا، والذي يرجع إلى الخليفة عثمان»[(٣)].

المسألة الخامسة: كتابة القرآن الكريم بالأحرف الأعجمية.

والمقصود كتابتها بغير الأحرف العربية، فهذا محرم بالإجماع، والأدلة على ذلك كثيرة، منها:

١. أنه مخالف لإجماع السلف، حيث فتحوا الأمصار، ولم يكتبوا المصحف بلغة تلكم الديار، وهذا منهم بالاتفاق، وإنما أرسل إليهم القرآن مكتوبا بالأحرف العربية،

---

(١) نقلا عن مجلة البحوث الإسلامية، العدد(٦)، ص٢٦ وما بعدها من الصفحات،وهو كلام نفيس على سؤال.

(٢) توثيق القرآن الكريم لأحمد العناني مجلة الدوحة العدد ٦١ ص٣١، نقلا عن رحلة المصحف الشريف ص٦٦.

(٣) ذكره موير في كتابه حياة محمد، نقلا عن رحلة المصحف الشريف ص٦٦.

وانتشر بينهم باللغة العربية، حتى إن كثيرا من تلكم الديار تعلموا اللغة العربية وأحرفها، لتشوقهم لتعلم لغة القرآن الكريم.

٢. أنه يؤدي إلى تغيير معاني كتاب الله ﷻ، إذا كتب القرآن بلغة، وبأحرف كل قوم وقبيلة؛ فإن في العربية أحرفا ليست في كثير من اللغات، مثل (الضاد)، و(الحاء)، (والقاف)، فكيف تكتب حينئذ الكلمات التي لا تحتوي على هذه الأحرف؟؟ فيقال في (الضالين): (الدالين)، وفي (الرحيم): (الرهيم!!)، وفي (الفلق): (الفلك!!)، وهكذا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٣. ولأن من شرط القرآن أن يكون موافقا لما في المصحف خطا ورسما، وموافقا لوجه من أوجه اللغة العربية، والكتابة بغير الأحرف العربية لا تشبه الأحرف العربية، فمن كتب القرآن باللغة اللاتينية مثلا،فإن قال: ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ، وكتبها باللاتينية فسيكتب هكذا **Al-hamdu lillahi** وسيقرؤها (الهمد لله) وحينئذ يكون قد غير اللفظ والمعنى، فهذا ممنوع قطعا؛ لأنه غيَّر القرآن لفظا ومعنى، فهذا لا يكون تفسيرا ولا ترجمة فيقال بجوازه، ولا هو قرآن فيترخص بكتابته.

٤. ولأن كتابته كحكم قراءته، وقراءته بغير العربية ممنوعة، فكيف بكتابته[1]، ولهذا حرمه غير واحد من أهل العلم، منهم الإمام المطلبي الشافعي رحمه الله[2].

٥. ولأنه مخل بالإعجاز، فإن «في كتابتها بالأعجمية تصرف في اللفظ المعجز، الذي حصل التحدي به، بل بما لم يرد، بل بما يوهم عدم الإعجاز، بل الركاكة؛ لأن الألفاظ الأعجمية فيها تقديم المضاف إليه على المضاف، ونحو ذلك مما يخل بالنظم، وتشويش للفهم»[3].

٦. أن ذلك يؤدي إلى الخلل في الألفاظ القرآنية، وتعلمه حينئذ يكون خطأ فادحا، فالأولى تعلم قراءته بالعربية حتى يكون النطق به سليما.

---

(١) انظر: إعانة الطالبين ١/ ٦٨، البرهان في علوم القرآن ١/ ٤٦١، حاشية الدسوقي ١/ ١٢٥.

(٢) انظر: إعانة الطالبين ١/ ٦٨.

(٣) إعانة الطالبين ١/ ٦٨.

٧. أن السلف منعوا كتابةَ القرآن الكريم باللغة العربية على خلاف المصحف؛ فمثلا: لا يكتب (الربو) في القرآن الكريم إلا بالواو، «مع أنه موافق للفظ الهجاء؛ فمنع ما ليس من جنس الهجاء أولى»(١).

٨. وأما ما ورد أن سلمان ﷺ كتب الفاتحة بالفارسية(٢)، فلا دليل فيه، لأن الخط الفارسي يكتب بالأحرف العربية، فلا يقال إنه كتب بغير العربية، وإنما يقال: كتب بخط فارسي، وإلا فالنطق لا يختلف عن كتابتها، لوجود الأحرف العربية في تلكم اللغة، كما لو كتب بالخط الكوفي أو الرقعة أو النسخ، وقيل: إن ذلك لم يثبت عن سلمان ﷺ، وعلى هذا فلا حجة فيه، ولو صح: فإن المراد أنه كتب معنى ذلك وتفسيره، لا لفظه.

وبهذا يتبين أنه لا تجوز كتابة القرآن بغير الأحرف العربية، أو ما يشابهها من الأحرف الأعجمية تماما، فلا تجوز كتابتها بالأحرف اللاتينية، أو الفرنسية، أو اليابانية، أو الصينية، أو التركية(٣).

تنبيه مهم: قد يوجد في بعض المصاحف المكتوبة سواء قديما في عهد السلف، أو في عهد الخلف بعض الزيادات اليسيرة غير النطق بالقراءات، كالواوات ونحوها، ولكن سرعان ما تكشف وتعرف، فينكرها القراء الحفظة في الأمصار، ويردون ما أخطأ فيه الكاتب إلى الصواب، وإلى المصحف الإمام، وهذا كله من تيسير الله ﷻ وحفظه لكتابه، فالحمد لله الذي حفظ كتابه، ولم يكل حفظه إلى أحد.

ومن تمام حفظ القرآن الكريم حفظ علومه، وقد كان للسلف جهود في ذلك، وهذا ما أبينه في المطلب التالي.

---

(١) إعانة الطالبين ١/ ٦٨، بتصرف يسير.

(٢) ذكر هذا الخبر بصيغة التمريض من دون إسناد السرخسي في المبسوط (١/ ٣٧) مستدلا به لقول أبي حنيفة ؒ على جواز قراءة القرآن بالفارسية! وهو لم يذكر له سندا، فلم يثبت من حيث السند، ولو ثبت فالمراد به ما ذكرت والله تعالى أعلم، أو أنه كتب لهم ترجمة القرآن الكريم لا القرآن نفسه.

(٣) وبهذا يعلم ضعف ترجيح الدكتور أحمد سالم، حيث رجح في أطروحته العلمية جواز كتابة القرآن الكريم بغير الأحرف العربية إذا وجدت الضرورة!! وضعف أدلةَ الجمهور القائلين بالمنع؟ انظر: فيض الرحمن في الأحكام الفقهية الخاصة بالقرآن ص٤٥ وما بعدها له.

المطلب الثالث: اهتمام السلف بعلوم القرآن.

لا شك أن السلف قد عرفوا للقرآن الكريم منـزلته، واحتجوا به على الوجه الأكمل، ولأجل ذلك كانوا مهتمين بعلوم القرآن، ومن أهم ذلك عمل السلف الصالح بالقرآن الكريم، وتعليمه للناس، والتحاكم إليه، وإقامة حدوده وحروفه، فإن المقصود الأعظم من القرآن الكريم هو أن يتخذ منهجا في طريق السير إلى الله ﷻ، وأن يتعبد به[1].

وقد اتخذت مظاهر عناية السلف بالقرآن الكريم طرقًا شتى؛ فهناك عناية بتدريسه وحفظه وتجويده وقراءاته وإعرابه، ومن اهتمام السلف بالقرآن الكريم عنايتهم بتفسيره حيث إنّهم كانوا أئمة في تفسير القرآن الكريم، ولهذا قال المتبعون للسلف: إن الواجب في فهم النصوص الاتباع لا الابتداع، أي: اتباع نهج المتقدمين من السلف، لا ابتداع مناهج جديدة[2].

ومن اهتمامهم بالقرآن الكريم عنايتهم بإظهار أوجه إعجازه، وبيان أنه معجز من نواحٍ شتى[3].

ومن عناية السلف بالقرآن الكريم اهتمامهم بحفظ كتاب الله ﷻ وضبطه وإتقانه حفظا في الصدور، كما هو محفوظ في السطور[4].

وهنا أذكر بعض الأمثلة ـ من غير حصر إذ الحصر باب لا يدرك منتهاه في هذا المجال ـ التي تدل على اهتمام السلف بالقرآن الكريم، كيف لا وهو الكتاب المبين، الذي أنزل من الرحمن الرحيم، ليكون حجة على العالمين، فهم عرفوا العلوم المختلفة التي توضح معاني كتاب الله المبين؛ فأذكر بعض هذه العلوم وأمثلة لاهتمامهم بها:

---

(١) وكل هذا سبق بيانه، في الفصل الثاني من الباب الأول.

(٢) انظر: ص ٥٩٦. ///

(٣) انظر: الفصل الخامس من الباب الأول.

(٤) انظر: المطلب الأول من هذا المبحث.

أولا: علم التفسير، وهو العلم الذي يحصل به المقصود الذي من أجله أنزل الله الكتاب، وهو فهمه، وإدراك معانيه، والعمل بها يقتضيه، وهذا عمر بن الخطاب ﷺ يعلمنا كيف يكون الحال في تفسير كتاب الله ﷻ، فقد «قرأ يوما هذه الآية: ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾[عبس:٣١]، قال: قد عرفنا ما الفاكهة؛ فما الأب؟ فقال: لعمرك يا ابن الخطاب إن هذا لهو التكلف»[(١)].

قال الحافظ ابن كثير ﷺ بعد قول عمر ﷺ: «وهذا محمول على أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه؛ وإلا فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض لقوله تعالى: ﴿ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضۡبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيۡتُونًا وَنَخۡلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلۡبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾[عبس:٢٧-٣١] »[(٢)] فهذا المنهج هو الذي يجب أن يتبع في تفسير القرآن الكريم، وهو فهم المراد دون التدخل فيما يكون بعيدا مراده، أو متعمقا فهمه.

والمفسرون من السلف معروفون، ولاشتهارهم يستغنى عن ذكرهم؛ فإمامهم من الصحابة، ورافع لواءه، والجالس لإلقائه هو حبر الأمة، وترجمان القرآن: عبد الله ابن عباس ﷺ، وغيره من الصحابة، وأتباعهم[(٣)].

فالصحابة ﷺ كانوا يفهمون معاني كتاب الله ﷻ ولهذا فسروه لمن بعدهم من التابعين ﷺ، ولم يقفوا في تفسير آية منه على اتفاق، وإن كان قد يحصل من بعضهم عدم إدراك لبعض ما في الآيات؛ فإن ذلك بالنظر إلى الانفراد لا من حيث المجموع[(٤)].

قال ابن مسعود ﷺ: **[والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورةٌ من كتاب الله إلا**

---

(١) رواه ابن جرير في تفسيره، ١٢/ ٤٥١، وذكر الحافظ ابن كثير ﷺ أنه رواه أبو عبيد عن الصديق في هذه الآية وأنه قال: [أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني: **إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم**]، ثم قال الحافظ: وهذا منقطع، وما رواه ابن جرير ـ أي أثر عمر ﷺ ـ قال: فهو إسناد صحيح. وانظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ص ٢٢٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٧٣، وانظر: ١/ ٥ منه.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٣-٥.

(٤) ونظرة عاجلة على طبقات المفسرين، يؤكد لك أن الصحابة والتابعين هم رافعوا لواء التفسير.

أنا أعلم أين أُنزلت، ولا أُنزِلت آيةٌ من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أُنزِلت، ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه](١). فهذا حال ابن مسعود ﷺ وغيره من الصحابة الذين رباهم النبي ﷺ وعلمهم.

قال عبيدة السلماني ﷺ: «ذهب الذين كانوا يَعلَمون فيم أُنزل القرآن»(٢)، وهو إنما يعني الصحابة ﷺ.

وأما ما روي عن بعضهم من كراهية القول في القرآن؛ فهو محمول على كراهة الخوض فيه من غير أثر، وإنما بمجرد الوهم دون اتباع يذكر.

قال الحافظ ابن كثير ﷺ عن بعض ما نقل عنهم من التوقف في بعض التفسير: «فهذه الآثار الصحيحة، وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم فيه؛ فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعا؛ فلا حرج عليه، ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير، ولا منافاة لأنهم تكلموا فيما علموه، وسكتوا عما جهلوه، وهذا هو الواجب على كل أحد؛ فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به؛ فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه»(٣).

ونظرة عابرة إلى طبقات المفسرين تنبئك عن جهود السلف في علم التفسير ـ الذي هو أهم علوم القرآن الكريم ـ، وقد ذكر السيوطي ﷺ طبقات المفسرين، وأولهم: «المفسرون من السلف والصحابة والتابعين، وأتباع التابعين»، ثم «المفسرون من المحدِّثين، وهم الذين صنفوا التفاسير مسنَدةً مورَدا فيها أقوال الصحابة، والتابعين بالإسناد»(٤).

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ القراء من أصحاب رسول الله ﷺ، ح(٥٠٠٢).

(٢) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن لأبي عبيد ص ٢٢٨، وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ١/ ٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٦.

(٤) انظر: طبقات المفسرين له ص٩، وما بعدها، وطبقات المفسرين للداودي؛ فإنه ذكر كثيرا من المفسرين المشهورين من الصحابة ومن بعدهم، وممن اشتهر بالتفسير من السلف: شعبة بن الحجاج، وسفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح، وقتادة بن دعامة السدوسي، ومجاهد بن جبر المكي، وعكرمة، وآخرون.

ومما يدل على اهتمام السلف بالقرآن الكريم ـ علما وعملا ـ أن العادة المطردة التي جبل الله ﷻ عليها بني آدم تورثهم الاهتمام بالقرآن المنزل عليهم، أشد من اهتمامهم بالعلوم التي هي مكملات له، أو ملح في العلم[(١)].

فهذا مجاهد إمام التفسير قد نقل عن ابن عباس ﷺ في التفسير الشيء الكثير، حتى قيل: إنه كان له صحيفة عنه، وغيره من تلاميذ ابن عباس كذلك يروون عنه في التفسير، حتى إن المدرسة المكية اشتهرت بالتفسير[(٢)].

ومن بعد الصحابة كان للتابعين جهد مشكور وسعي مبرور في تفسير كتاب الله ﷻ، وقد اشتهر في زمانهم أئمة فضلاء، وعلماء نبلاء، حتى وصل الأمر إلى إمام المفسرين في نهاية القرن الثالث الهجري ابن جرير الطبري ؒ؛ فكان تفسيره[(٣)] جامعا لتفاسير السلف، حاويا لآثارهم، ومشتملا على أقوالهم؛ فكان أعظم تفسير بالمأثور[(٤)].

بل إن المسلمين ينقلون عن نبيهم محمد ﷺ نقلا متواترا: ألفاظ القرآن، ومعانيه التي أجمع المسلمون عليها[(٥)].

والمؤلفات في أم علوم القرآن، أعني: التفسير، بلغت حد الكثرة بحيث لا تُحصى، ومنها: المطول، والمتوسط، والموجز، والتفسير بالمنقول، والتفسير بالمعقول، والتفسير الجامع بينهما، ومنها: تفسير القرآن كله، وتفسير جزء منه، أوسورة منه، أو آية منه[(٦)].

---

(١) انظر: المجموع ٥/ ١٥٧.

(٢) انظر: الفهرست لابن النديم ص ٥٣، البرهان للزركشي ١/ ٢٩.

(٣) وقد طبع تفسيره طبعات كثيرة جدا.

(٤) انظر: الفهرست لابن النديم ص٥٣، مناهل العرفان ١/ ٣٢، ولا شك أن من كتب التفسير المهمة تفسير ابن أبي حاتم وابن مردويه، وعبد الرزاق، وابن المنذر، وسعيد بن منصور في سننه، والحاكم في مستدركه، وكثير من أئمة السلف ضمنوا كتاب التفسير في مصنفاتهم، ثم من أشهر الكتب السلفية في تفسير كلام رب البرية، كتاب تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل الحافظ أبي الفداء إسماعيل ابن كثير ؒ، ومن التفاسير السلفية، ما جمع من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ؒ، وكذلك ما جمع من كلام ابن القيم ؒ، وتفسير الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ؒ، وغيرها.

(٥) انظر: الجواب الصحيح ٣/ ١٠.

(٦) انظر: مناهل العرفان ١/ ٣٣.

وألفت كتب في معاني مفردات القرآن، وهي المعروفة بكتب معاني القرآن وغريبه، وهي كثيرة، لا تعد ولا تحصى[(١)].

ومن اهتمام السلف بعلوم القرآن كتابتهم تفاسير مستقلة في بيان أحكام القرآن، وما يستخرج من آيات الأحكام من الحلال والحرام[(٢)].

ثانيا: علم القراءات[(٣)] وهو علم متعلق بالقرآن الكريم من حيث أدائه وفهمه، ولقد اهتم به السلف الصالح اهتماما بليغا، فقد كان الصحابة ﷺ كل يقرأ بما سمعه من رسول الله ﷺ، والقراءة سنة متبعة، ولهذا كان الصحابي إذا سمع رجلا يقرأ على خلاف ما سمعه هو ينكر هذه القراءة وذلك حفاظا على قراءة القرآن، حتى يبلغه أنه سمعه كذلك من النبي ﷺ، قال عمر ﷺ: [**سمعت هشام بن حكيم**[(٤)] **يقرأ سورة الفرقان في حياة الرسول ﷺ فاستمعت إلى قراءته؛ فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يُقرئنيها رسولُ الله ﷺ، فكدت أُساوِرُه في الصلاة، فتصبرت حتى سلَّم فلبَّبْتُه بردائه؛ فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ بها؟ قال: اقرأنيها رسول الله ﷺ؛ فقلت: كذبت فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت؛ فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ،**

---

(١) وقد ذكر ابن النديم في الفهرست ص٤٥-٥٥، الكثيرين من أهل العلم الذين خاضوا غمار هذا الفن، ومن أشهر المؤلفات السلفية في هذا الفن: معاني القرآن لأبي عبيدة، ومعاني القرآن لابن الأنباري، ومعاني القرآن للزجاج، ومفردات القرآن للراغب الأصبهاني، و كتاب غريب القرآن لأبي عبيدة، وغريب القرآن لابن قتيبة، وغريب القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام، وغريب القرآن لأبي بكر بن داود السجستاني. انظر: مناهل العرفان ١/ ٣٣.

(٢) ومن أشهر هذه المؤلفات: كتاب أحكام القرآن للإمام الشافعي، كتاب أحكام القرآن لأبي ثور، كتاب أحكام القرآن لداود بن علي. انظر: الفهرست لابن النديم ص ٥٩.

(٣) وعلم القراءات، المقصود به: ما يروى من الأحرف في القراءات المشهورة الصحيحة، وغير الصحيحة، وما يتعلق به من الأمور، ومن أشهر الكتب المؤلفة في علم القراءات ـ وهي كثيرة ـ: كتاب القراءات لأبي عبيد القاسم بن سلام، كتاب القراءات لابن قتيبة، كتابا: القراءات الكبير والصغير لابن مجاهد. انظر: الفهرست لابن النديم ص ٥٥، والقراءات المنقولة عن الصحابة، والمقروء بها القرآن اليوم هو أيضا منقول بالتواتر. انظر: مقدمة ابن خلدون ص٧٨٣.

(٤) هو الصحابي الجليل: هشام بن حكيم بن حزام بن خويلد الأسدي القرشي، صحابي وابن صحابي، مات قبل أبيه. انظر: التقريب ص٥٠٣.

فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تُقرئنيها؛ فقال رسول الله ﷺ: أرسِله، اقرأ يا هشام. فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: كذلك أنزلت. ثم قال: اقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التي أقرأني؛ فقال رسول الله ﷺ: كذلك أُنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه][١].

فيتضح لنا من هذا الحديث كيف كان عمر رضي الله عنه يهتم بقراءة القرآن الكريم، وقد كان أبو عبد الرحمن السلمي أحد الذين جلسوا في مسجد النبي ﷺ أكثر من ثلاثين سنة يقرأ الناس القرآن الكريم[٢].

وقد كان كثير من السلف مهتمين بإقراء الناس القراءة الصحيحة، وتعليمهم القراءات[٣].

ومن ذلك اهتمامهم بعلم رسم المصحف[٤]، ويتمثل أوّل الاهتمامات السلفية في كتابة الآيات القرآنية في قول عثمان رضي الله عنه للكتاب الذين كانوا يكتبون القرآن في عهده: **[إذا اختلفتم في عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش؛ فإن القرآن أنزل بلسانهم، ففعلوا]**[٥].

ومن ذلك اهتمامهم بمعرفة أسباب نزوله ومكيه ومدنيه، وقد كان ابن مسعود رضي الله عنه يحلف أنه يعلم الآية فيم نزلت، وأين نزلت، ويسمعه الصحابة رضي الله عنهم ولا ينكرون عليه[٦]،

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ أنزل القرآن على سبعة أحرف، ح(٤٩٩٢).

(٢) انظر: صحيح الإمام البخاري، كتاب العلم، باب/ ٢١، ح(٥٠٢٧).

(٣) انظر: العناية بالقرآن الكريم وعلومه من بداية القرآن الرابع الهجري إلى عصرنا الحاضر، د. نبيل بن محمد آل إسماعيل ص٣ وما بعدها، **ومن أشهر هؤلاء**: أبو بكر بن مجاهد، مكي بن أبي طالب، أبو عمرو الداني، الشاطبي، علم الدين السخاوي، الذهبي، ابن الجزري، ملا علي القاري الحنفي.

(٤) وهذا علمٌ قد اهتم به السلف أي اهتمام، وقد ذكرت في المطلب السابق ما يدل على هذا، وأشير إلى أشهر الكتب المؤلفة التي اهتمت بهذا العلم، وهي: كتاب الخليل في النقط، كتاب ابن الأنباري في النقط والشكل. انظر: الفهرست لابن النديم ص ٥٥.

(٥) سبق تخريجه، بلفظ: "قال عثمان..".

(٦) انظر: الأثر السابق عن ابن مسعود رضي الله عنه كما مر قريبا.

ومن أوائل من ألف في هذا الفن شيخ الإمام البخاري المحدث المشهور علي بن المديني رحمه الله[(١)].

ومن ذلك اهتمامهم بمعرفة ناسخه ومنسوخه، وقد كان الأئمة من السلف ينهون عن تفسير القرآن والخوض في أحكامه من غير معرفة بالناسخ والمنسوخ[(٢)].

ومن ذلك اهتمامهم بعلم فضائل القرآن الكريم، وقد صنفوا في ذلك مصنفات، وكتبوا في ذلك مؤلفاتٍ[(٣)].

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وغيره من العلماء المتبعين للسلف كتب كثيرة تنافح وتدافع عن كتاب الله ﷻ، وهذه عناية مهمة منهم لفضح عدوان الغاشمين على القرآن الكريم[(٤)].

والعلوم المضافة إلى القرآن الكريم قسمان؛ **قسم هو كأداة لفهمه**، واستخراج ما فيه من الفوائد، ومعين على معرفة مراد الله تعالى منه؛ كعلوم اللغة العربية التي لا بد منها، وعلم القراءات، والناسخ والمنسوخ، وقواعد أصول الفقه، وما أشبه ذلك[(٥)].

ولكن قد يدعى فيما ليس بوسيلة أنه وسيلة إلى فهم القرآن، وأنه مطلوب، ولا يكون كذلك[(٦)].

---

(١) انظر: مناهل العرفان ١/ ٣٣.

(٢) وعلم الناسخ والمنسوخ قد اهتم به السلف، وكتبوا في ذلك المؤلفات المشهورة والمجلدات المزبورة، ومنها: كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام، وأبي بكر ابن أبي داود السجستاني، ومقاتل بن سليمان. انظر: الفهرست لابن النديم ص٥٨-٥٩.

(٣) ومن أشهر هذه المؤلفات السلفية: فضائل القرآن لأبي عبيد، فضائل القرآن لابن أبي شيبة، (بل كل من صنف في الأحاديث، وضع كتابا بعنوان: فضائل القرآن، ثم ذكر ما ورد تحت هذا الباب، ومن أشهر هؤلاء: البخاري، ومسلم، وأبو داود، وغيرهم)، وكتاب: فضائل القرآن لابن كثير.

(٤) انظر: العقود الدرية ١/ ٥٣.

(٥) الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٧٥.

(٦) كجعل الرازي علم الهيئة وسيلة إلى فهم القرآن، وجعل ابن رشد الفلسفةَ مطلوبة في فهم القرآن!!. انظر: الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٧٥-٣٧٦.

وقسم هو: أساس المقصد من إنزال القرآن الكريم، كمعرفة المعبود، ومعرفة المرسِل، ومعرفة المرسَل، ومعرفة ما أرسِل به، وهو مأخوذ من جملته، من حيث هو، كفهم معرفة صفات الله تعالى وأسمائه، ومعرفة أمور الإيمان، ومعرفة أنه معجزة الرسول ﷺ وأنه دليل على نبوته، وما يفهم منه من القواعد العامة من مجموع ما يفهم من الآيات، وما يستخرج من المقاصد الشرعية[١]، وهذا معلوم أنه لم يهتم به على الوجه الأكمل إلا السلف الصالح، ومن تبعهم بإحسان.

وبهذا يتبين أن الصحابة والتابعين وسائر الأئمة قد كان لهم في نصوص القرآن وتفسيرها الجهد المشكور، والبذل الكبير المبرور[٢].

فالسلف ـ رحمهم الله ـ لهم في هذه الفنون اليد الطولى، والباع الكبير؛ فمن نور الله قلبه وبصيرته هداه بما يبلغه من ذلك، ومن عمي عنه فإن كثرة العلوم والكتب لا تزيده إلا حيرة وضلالا[٣].

واهتمام الأمة بالقرآن الكريم فوق التصور، وفوق الوصف؛ إذ لا زال الناس يحفونه بالعناية والاهتمام حتى أصبح كل فن من فنون العلم له متعلق بالقرآن الكريم، ـ بل إن أي علم من العلوم إن لم يكن منتزعا من القرآن فلا برهان له ـ[٤]، وتسابق الناس في استخراج مخدَّرات فنونه[٥]، حتى أصبح هناك مؤلفات في «إقسام القرآن، وأمثال القرآن، وبدائع القرآن، ورسم القرآن، وما أشبهها مما يروعك تصوره ـ بَلْه الاطّلاع عليه ـ، ومما يملأ خزائن كاملة من أعظم المكتبات في العالم، ثم لا يزال

---

(١) انظر: الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٧٦ وما بعدها، وقد نقل حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم وأن منها علومًا أصلية ـ وهي المقصودة ـ، وعلومًا فرعية. انظر: كشف الظنون ١/ ١١-١٥.

(٢) انظر: المجموع ١٣/ ٣٠٧.

(٣) انظر: المجموع ١٠/ ٦٦٥.

(٤) انظر: البرهان للزركشي ١/ ٢٨.

(٥) قال الزركشي ﷺ عن القرآن الكريم وما فيه من العلوم:

هذا وكم فيه من مـزايا وفي زوايـاه من خبـايـا

البرهان للزركشي ١/ ٢٢.

المؤلفون إلى عصرنا هذا يزيدون، وعلوم القرآن ومؤلفاته تنمو وتزدهر وتزيد، بينما الزمان يفنى والعالَم يبيد! أليس هذا إعجازا آخر للقرآن يريك إلى أي حد بلغ علماء الإسلام في خدمة التنـزيل؟! ويريك أنه كتاب لا تفنى عجائبه، ولا تنقضي معارفه»[(١)]، **ويزداد المرء تعجبا إذا نظر إلى مؤلفات من سلف، إذ يجدها** تستقصي في مجالها، وتستوعب الموضوعات التي ألفت فيها، وحتى تكون هذه المؤلفات معلومة للناس، بعد أن كانت مشتتة بأسماء العلوم نفسها؛ اشتدت الحاجة إلى فهرسة لها، فكانت مؤلفات العلماء في فن جديد يعرف بـ"علوم القرآن"[(٢)]، ويعتبر هذا الاسم جديدا من حيث التأليف، وأما من حيث معرفته فهو قد كان مجموعا في صدور العلماء السابقين[(٣)]، وبهذا نعلم أن السلف قد كانت لهم جهود مشكورة في خدمة القرآن الكريم وعلومه، حتى وصلت إلينا.

وقام المتبعون للسلف في العصر الحديث بجهد مشكور في خدمة القرآن الكريم، وهذا ما أبينه في المطلب التالي.

---

(١) مناهل العرفان ١/ ٣٣، ويؤكد لك هذا المعنى نظرة إلى كتاب: البرهان للزركشي ١/ ٣٠-٣٢، حيث ذكر خطة سيره في كتابه المذكور؛ فذكر من علوم القرآن (٤٧) فنا من الفنون المتعلقة بعلوم القرآن الكريم، وكذلك السيوطي في كتابه: التحبير في علوم التفسير ذكر (١٠٢) فنا من فنون العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم، وذكر في كتابه: الإتقان في علوم القرآن (٨٠) نوعا من أنواع العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم.

(٢) ومن أجل الكتب المؤلفة في هذا الفن: كتاب جمال القراء لعلم الدين السخاوي، والبرهان في علوم القرآن للزركشي، والإتقان للسيوطي.

(٣) انظر: مناهل العرفان ١/ ٣٤-٣٥.

المطلب الرابع: اهتمام أهل السنة بالقرآن في العصر الحديث.

لازال المتبعون من الخلف سائرين على درب السلف في تعظيم القرآن الكريم وتنـزيله منـزلته اللائقة به، والاهتمام بعلومه.

ومَن برز من **علماء أهل الحديث** فذلك لكونه على درب السلف، وكل من كان بالقرآن أشد علما وعملا كان جهده في علوم القرآن بارزا، وسيرته بين الأنام معروفة، حتى لُقبوا بأئمة الإسلام، ومجددي الدين للأنام، ومن أشهر هؤلاء الأعلام:

- إمام أهل السنة الهمام: الإمام أحمد بن حنبل عَلَمُ الأعلام، وفخر الإسلام، والمنافح عن القرآن في المحنة المعروفة بمحنة خلق القرآن.

- شيخ الإسلام، مجدد السنة، ومجدد عقيدة السلف بين الأنام: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، وقد كان جهده منصبا لخدمة القرآن والسنة، لم يعرف بالتحزب إلا إليهما، ولا بالتمذهب إلا عليهما، ولا بالجهاد إلا عنهما، لم يدع إلا إليهما، نبذ الطرق الصوفية والمناهج الكلامية، وهجر الراحة في الدنيا الدنية، ونبذ ما فيها من الزخارف الوقتية، وكان جل وقته في خدمة كلام رب البرية.

- المجدد لما اندرس من معالم الإسلام، شيخ الإسلام: الإمام محمد بن عبد الوهاب، الذي دعا إلى دعوة القرآن في توحيد الله ﷻ، وكان جل همه تجلية الآيات التي وضع حولها أهل البدع الحجب الكثيرات؛ فكشف الشبهات، ودعا إلى توحيد رب البريات؛ فأظهر الله دعوته، ونشر بين الأنام طيب سيرته، وأصبح المتبعون للسلف يهتمون بكتبه، وينتهجون نهجه في العقيدة والسلوك إذ كان نهجه القرآن، متبصرا بسيرة سيد ولد عدنان.

ولا زال المتبعون للسلف على هذا الدرب حتى العصر الحاضر، ولأهل الحديث والأثر مساعٍ مشكورة في الذب عن كتاب الله ﷻ والدعوة إلى ما دعا إليه، ونشر السنة في كل مكان، وأشمل ذلك وأكمله ما تقوم به هذه الدولة المباركة التي ما

نحن إلا ثمرة من ثمراتها، ولا نبتنا إلا بين جنباتها، وترعرعنا في خيراتها، وتروينا من مياهها، ولهذا فسأبين بشيء من التبيان، ما قامت به هذه الدولة في خدمة القرآن، على صورة نقاط معينة، تبرز الجهود المشكورة والأموال المبذولة، وهي مظاهر ملموسة(١)، **وأما غيرها من الدول فجهودها في نشر السنة لا تذكر، وفي بث عقيدة السلف لا تعرف، وإن كان فيها شيء فذلك لجهد فرعي أو نشاط اجتماعي من قبل بعض الأفراد والمؤسسات، ولهذا فإني اقتصرت على جهود هذه الدولة التي عملها في نصرة الكتاب والسنة ظاهرة، وذلك من خلال ما يأتي:**

١- **الدستور هو القرآن الكريم**: هكذا أنشئت هذه الدولة المباركة(٢)، التي أقامها المؤسسان الأولان: محمد بن عبد الوهاب العالم الرباني ﵀، والأمير محمد بن سعود الإمام المجاهد ﵀، فكان الدستور في البلاد، وما إليه المرجع بين العباد: القرآن والسنة، وهذا كان شأن القضاة، وهكذا حتى كان عهد المؤسس الثالث للدولة السعودية الثالثة: الملك عبد العزيز ﵀ فأعلن أن دستور البلاد ما كان عليه السلف الأول: من انتهاج نهج السنة والقرآن، في جميع الأمور التي تكون في البلدان، ومن جملة ذلك أن وجه كثيرا من الأموال في صرف حفظ القرآن الكريم وتعليمه، وللبلدان في المعمورة دساتير وضعية، وقوانين غربية، وأما الدولة السعودية الأبية؛ فهي تحكم القضاء الشرعي، وتراعي في ذلك نصوص الوحيين: الكتاب والسنة(٣)، وعلى هذا صار أبناؤه، الذين ولاهم الله زمام الأمور، نسأل الله أن يوفقهم لما فيه الحبور، وأن يجنبهم الغرور والشرور.

---

(١) انظر: هذه المظاهر في كتاب: عناية المملكة العربية السعودية بطباعة المصحف الشريف، وتسجيل تلاوته، وترجمة معانيه، ونشره. للأستاذ د/ محمد بن سالم العوفي ص٤ وما بعدها.

(٢) انظر: بحث الشيخ د/ صالح بن غانم السدلان، والشيخ د/ صالح بن حميد، والبحثان بعنوان: اتخاذ القرآن الكريم أساسا لشؤون الحياة والحكم في المملكة العربية السعودية، مقدم لندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه، وقضايا عقدية معاصرة ص١٣٣.

(٣) انظر: عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم، إعداد: مركز البحوث والدراسات، بوزارة الأوقاف والدعوة والشئون الإسلامية ص٣٦-٣٨.

٢- **تعليم القرآن الكريم**: لقد اهتمت المملكة العربية السعودية في تعليم القرآن الكريم للنشأ على وجه الخصوص، ومن الجهود المباركة ما تبذله الإدارة العامة للمناهج بوازرة المعارف السعودية في مجال العناية بكتاب الله تعالى وحفظه[١]، ومن ذلك جملة مدارس خاصة في وزارة المعارف، وتعليم البنات تعرف بمدارس تحفيظ القرآن الكريم، وتبين هذه الأرقام الإنجازات الكبيرة في تعليم القرآن الكريم، ففي عام ١٤٠١هـ، كان عدد المدارس الخاصة لتحفيظ القرآن الكريم (٩٩) مدرسة، وعدد الطلاب (١٣.٧٠٥) طالبا، بينما ارتفع هذا الرقم بشكل ملحوظ فوصلت هذه المدارس عام ١٤٢٠هـ إلى (٣٨٦) مدرسة، وعدد طلابها (٤٦.٠٥٢) طالبا[٢]، ويتمتع الطلاب فيها بمزايا خاصة[٣]، بالإضافة إلى مدارس تحفيظ القرآن الكريم التابعة للحرس الوطني، ولا ريب أن القرآن الكريم يرفع من شأن معنويات الجنود، والإقبال على هذه المدارس في الحرس الوطني كبير ـ ولله الحمد ـ[٤]، ولا ريب أن المدارس العامة في المملكة لها جهود مبذولة حيث هناك مقررات للحفظ في جميع مراحل التعليم العام، والتعليم الجامعي[٥]، ومن تعليم القرآن الكريم ما يتم داخل السجون حيث توجد هناك حلقات لتعليم القرآن الكريم[٦]، ومن يحفظ القرآن

---

(١) وقد كتب أ.د/ محمد بن معجب الحامد بحثا قيما بعنوان: جهود الإدارة العامة للمناهج في وزارة المعارف في مجال العناية بكتاب الله تعالى وحفظه، ومن أهم المحاور التي بحثها: وجود المدارس الليلية والنهارية لتحفيظ القرآن الكريم، وبيان المقررات العامة في التعليم العام: تلاوة وحفظا، وبيان المقرر من تفسير القرآن الكريم، وبيان طرق تدريس القرآن الكريم في مختلف المراحل...

(٢) انظر: عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم ص ٤٩.

(٣) انظر: المدارس الخاصة لتحفيظ القرآن الكريم، والكليات الجامعية للقرآن وعلومه (تقرير) د/ محمد الأمين الحسين ص٢١.

(٤) انظر: عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم ص٥٠، وما بعدها.

(٥) انظر: حفظ القرآن الكريم وتعليمه في جميع مراحل التعليم العام والتعليم الجامعي(تقرير) د/ حمد بن ناصر العمار ص٢٩ وما بعدها.

(٦) انظر: تدريس القرآن الكريم في السجون ودور الملاحظة الإجتماعية للشيخ محمد حبيب أحمد ص٢٨ وما بعدها.

الكريم منهم يخفف عنه السجن، تكريما لحفظة كتاب الله ﷻ[١]، وكذلك يتم تحفيظ القرآن الكريم في دور الملاحظة الاجتماعية[٢]، ولقد اهتمت المملكة العربية السعودية بعلوم القرآن الكريم تعليما، وتفسيرا وترجمة،و هذا كله من باب التعليم[٣].

٣- إقامة الجمعيات الخيرية: قام السلفيون في مختلف البلدان بجهود ملحوظة لتحفيظ كتاب الله ﷻ، ومن ذلك إنشاء مراكز تهتم بحفظ كتاب الله ﷻ، وهذا ملاحظ في المراكز السلفية ذات العقيدة السنية، في البلدان المختلفة المتحضرة والنائية، ومن أعظم هذه الجهود الظاهرة ما تقوم به المملكة العربية السعودية من جهود مشكورة، ومساعٍ مبرورة في إقامة حلقات تحفيظ القرآن الكريم، تحت مسميات الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم[٤]، ويكفي أن تعلم أن عدد الدارسين في هذه الجمعيات خلال عام ١٤٠٠هـ، كان أقل من (خمسين ألف) طالب، وبلغ عدد المشاركين في هذه الجمعيات عام ١٤٢٠هـ (٣٢٠.٠٠٥)، وهذا وحده يكفي دليلاً أكيدًا على الاهتمام بالقرآن الكريم وعلومه[٥].

٤- إقامة المسابقات الداخلية والدولية: والمملكة العربية السعودية بما لها من دور بارز في خدمة القرآن الكريم، وما حباها الله من ضم جنباتها الحرمين الشريفين؛ فهي تقوم بإقامة المسابقات الداخلية والدولية التي تدل على الاهتمام بالقرآن الكريم،

---

(١) انظر: عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم ص٩٢، وانظر: تدريس القرآن الكريم في السجون ودور الملاحظة الاجتماعية للشيخ محمد حبيب أحمد ص٣٤ وما بعدها.

(٢) انظر: تدريس القرآن الكريم في السجون ودور الملاحظة الاجتماعية للشيخ محمد حبيب أحمد ص٤٥ وما بعدها.

(٣) انظر: عناية المملكة العربية السعودية بتفسير القرآن الكريم وترجمة معانيه، أعده د/ مانع بن حماد الجهني ص٤ وما بعدها.

(٤) يوجد في المملكة العربية السعودية (١٦) جمعية خيرية متخصصة في حفظ القرآن الكريم، ومركزٌ خيريٌ لتعليم القرآن الكريم وعلومه في الرياض، والمدرسة الصالحية في حريملاء، وغيرها. انظر: عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم ص٤٢، وانظر: الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، تقرير أ.عبد الله بن حمد المزروع ص١ وما بعدها.

(٥) انظر: المصدر السابق.

وقد رصدت لذلك مبالغ كبيرة، وقد بلغ عدد الطلاب المشاركين في المسابقة الدولية حتى الآن (٣٢٩٦) طالبا[١].

٥- **إنشاء إذاعة تهتم بالقرآن الكريم وعلومه**: لا شك أن الإعلام له دور بارز، ولهذا اهتم القائمون على الإعلام من المتبعين للسلف على نشر القرآن الكريم مسموعا ومرئيا، وعلى نشر علومها[٢]، وكان قدم السبق لـ "إذاعة القرآن الكريم"[٣] في المملكة العربية السعودية، والتي تبث عبر موجات مختلفة، وإلى بلدان شتى، وجل اهتمامها بالقرآن الكريم، ويبث القرآن منها بنسبة (٧٠%)، وعناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم في إعلامها إنما هو تعبير عن هويتها الإسلامية، ورسالتها في خدمة الإسلام والمسلمين، «وتهدف إذاعة القرآن الكريم إلى إيصال القرآن الكريم إلى أذن كل مسلم ومسلمة، بكل صفاء، وإتقان، لفهمه، وتدبر معانيه، والعمل بأوامره، واجتناب نواهيه، وذلك عن طريق بثه مرتلا ومجودا إلى المستمعين كمصاحف متكاملة من الفاتحة إلى الناس، أو كتلاوات متفرقة، كما تبث الإذاعة كذلك برامج التفسير، وعلوم القرآن والسنة المطهرة...»[٤]، فهذه الإذاعة تقوم مشكورة على مختلف البرامج

---

(١) انظر: الجدول الذي يبين عدد المشاركين، وعدد الدول في كتاب: عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم ص١١٢، ومن أهم هذه المسابقات: المسابقة الدولية لحفظ القرآن الكريم وتلاوته، وتفسيره، مسابقة وزارة التربية والتعليم، مسابقة خادم الحرمين في إندونيسيا، المسابقة المحلية لتحفيظ القرآن الكريم وتلاوته وتفسيره، مسابقة...، وهناك مسابقات دولية ومحلية في الدول الأخرى حذت حذو المملكة العربية السعودية في إقامتها ورعايتها، ولمن سن السنة الحسنة الأجر. انظر: المسابقات القرآنية المحلية والدولية، تقرير: أ.عبد العزيز بن عبد الرحمن السبهين، ص٥ وما بعدها.

(٢) وكل إناء بما فيه ينضح؛ فهناك إذاعات للقرآن الكريم في أكثر من دولة عربية وإسلامية، وتبث في أوقات معدودة مختلفة، ولكنها تنفث السم الزعاف باسم القرآن الكريم؛ فكم سمعت من إذاعة القرآن الكريم في الدولة الفلانية... من السموم الصوفية، والخرافات الأشعرية، وتسمع من آخر الاعتزالات الغوية؛ وتسمع من إذاعة أخرى المسبات العلنية من الرافضة الغوية؛ فإلى الله المشتكى.

(٣) أنشأت هذه الإذاعة عام ١٣٩٢هـ في مكة المكرمة، ومثلها في الرياض، ثم تم دمجها عام ١٤٠٣هـ. انظر: عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم ص ٥٥.

(٤) جهود إذاعة القرآن الكريم في خدمة القرآن الكريم وعلومه، لمحمد بن علي الصفار، ص٧.

التي تخدم الكتاب والسنة[(١)]، بل وتشجع من يقوم بتسجيل إذاعي بدفع مكافأة مالية له[(٢)]، وهذا لا يعني أن الإذاعات الأخرى في المملكة سواء المسموعة أو المقروءة منها خاوية عن خدمة القرآن الكريم وعلومه، بل إن لها جهدا ملموسا في ذلك[(٣)]، ولا ننسى جهود الإعلام الخاص في خدمة القرآن الكريم، سواء عن طريق التسجيلات أو المكتبات[(٤)]، أوالصحف والمجلات[(٥)].

٦- **طبع المصاحف وتسجيل الأشرطة السمعية:** قامت جهات عدة بطبع المصحف الشريف وتوزيعه، ولكن لم تكن على المستوى المطلوب في أي من هذه الجهات، وتعد من مفاخر الدولة السعودية ـ وهي تخدم نشر علوم القرآن الكريم ـ أن أنشأت " مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف"[(٦)] والذي يطبع سنويا الملايين من المصاحف[(٧)]، ويوزّعها بالمجان على الحجاج والمعتمرين، وعلى المساجد، وفي السفارات

(١) ونظرة واحدة إلى هيكل برامج إذاعة القرآن الكريم تُنْبِئُك عن مدى اهتمامها بعلوم القرآن الكريم؛ فمن برامجها الثابتة: ناشئ في رحاب القرآن، وبرنامج: فقه القرآن الكريم، وبرنامج: من أحكام القرآن الكريم، وبرنامج: علم القراءات، وبرنامج: دروس من القرآن الكريم،... . انظر: جهود إذاعة القرآن الكريم في خدمة القرآن الكريم وعلومه، لمحمد بن علي الصفار ص٢٣-٢٤ وما بعدها.

(٢) انظر: جهود إذاعة القرآن الكريم في خدمة القرآن الكريم وعلومه، لمحمد بن علي الصفار ص٣١.

(٣) انظر: عناية الإعلام السعودي بالقرآن الكريم (مع دراسة تحليلية لبرامج القناة الأولى)، د/ إسماعيل أحمد النزاري ص١٣ وما بعدها.

(٤) انظر: عناية الإعلام السعودي بالقرآن الكريم (مع دراسة تحليلية لبرامج القناة الأولى)، د/ إسماعيل أحمد النزاري ص٧ وما بعدها.

(٥) انظر: عناية الإعلام السعودي بالقرآن الكريم (مع دراسة تحليلية لبرامج القناة الأولى)، د/ إسماعيل أحمد النزاري ص٢٣ وما بعدها.

(٦) انظر: أهداف إنشاء المجمع في كتاب، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة صرح إسلامي لخدمة القرآن والسنة، ص٥ وما بعدها.

(٧) وللعلم فقد طبع من المصاحف في هذا المجمع المبارك حتى عام ١٤٢٠هـ، (١٥٠) **مليون مصحف** بأحجام وألوان مختلفة، تم توزيع (١٣٥) مليون منها على المسلمين إهداء. انظر: عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم ص٥٨، وانظر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة صرح إسلامي لخدمة القرآن والسنة، ص ١٢ وما بعدها.

السعودية ومن ثم يتم توزيعها على حسب الحاجة، فتقوم هذه الدولة السنية في نشرها لكتاب الله ﷻ على أكمل وجه[١]، وكذلك يقوم المجمع بنسخ الأشرطة السمعية بأصوات المقرئين المعروفين، ومن ثم يتم توزيعها، وبيعها ـ بسعر رمزي ـ في مختلف البلدان[٢]، ومن ذلك طباعة المجمع للتفاسير المختلفة باللغات المختلفة الحية الموجودة في العالم، وتختار أرقى التفاسير وأصحها لغة ومعنى، دراية ورواية، ويتم توزيعها بعد ذلك على أصحاب اللغات، ويباع بسعر منخفض[٣]، ونظرة متأمل تطلعك على الأهداف السامية التي أنشئ المجمع من أجلها[٤]، ومن أهم ما يذكر في باب خدمة القرآن الكريم وعلومه ما قامت به المملكة العربية السعودية من طباعة المصحف الشريف للمكفوفين بطريقة (برايل)، وقد استفاد من هذا العمل العظيم أناس كثيرون كانوا محرومين من قراءة القرآن الكريم[٥].

٧- **الجهود في تحفيظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين:** وقد بذلت الجهات السنية في مختلف البلدان جهودا لا بأس بها في تحفيظ القرآن الكريم والاهتمام بعلومها في هذا العصر، ولكن كان قدم السبق للملكة العربية السعودية في تشجيع أبناء المسلمين إلى هذا الخير، ومن ذلك دعم المملكة العربية السعودية السخية للجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم في العالم الإسلامي لتواصل مسيرتها الدعوية والتوعوية والتعليمية[٦]، وصرف أموال طائلة لدعم هذه الجمعيات التحفيظية سنويا[٧]،

---

(١) انظر: مجلة الجامعة الإسلامية، ص١١، العدد (١١٨)، السنة ٣٥، ١٤٢٣هـ.

(٢) انظر: عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم ص٨٧.

(٣) انظر: عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم ص٨٦

(٤) انظر: هذه الأهداف، في عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم ص٨١.

(٥) انظر: جهود المملكة العربية السعودية في مجال طباعة القرآن الكريم للمكفوفين بطريقة (برايل) تقرير، د.ناصر بن علي الموسى ص٧ وما بعدها.

(٦) انظر: جهود المملكة العربية السعودية في رعاية تحفيظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين في الخارج (تقرير) أعده: د/ عبد الله بن علي بصفر ص١٢-١٣.

(٧) انظر: جهود المملكة العربية السعودية في رعاية تحفيظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين في الخارج (تقرير) أعده: د/ عبد الله بن علي بصفر ص ١٦.

وبذلت مساعدات سخية في دعم حلقات التحفيظ في الخارج[١]، وكذلك تجتهد في حث الطلاب في الخارج على الحفظ عن طريق إقامة مختلف المسابقات[٢]، وبذلت مساعي حميدة في إقامة دورات لمعلمي القرآن الكريم[٣]، وتنمية القدرات في الجامعات والكليات المهتمة بالقرآن الكريم وعلومه[٤]، وبذلت في نشر المصاحف لهم جهدا عظيما[٥]، وكذلك سعت في نشر البحوث[٦] والدراسات والندوات التي تخدم القرآن الكريم وعلومه[٧].

ولا أنسى ـ وأنا من أبناء هذه الجامعة المباركة ـ كلية القرآن الكريم؛ فقد أسست في الجامعة الإسلامية ـ ولأول مرة في التاريخ ـ كليةُ القرآن الكريم التي فيها تدرس علوم القرآن الكريم من تفسير وقراءات...، وهذا لا شك يدل على اهتمام بالغ بالقرآن الكريم[٨].

---

(١) انظر: جهود المملكة العربية السعودية في رعاية تحفيظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين في الخارج (تقرير) أعده: د/ عبد الله بن علي بصفر ص ١٧ وما بعدها.

(٢) انظر: جهود المملكة العربية السعودية في رعاية تحفيظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين في الخارج (تقرير) أعده: د/ عبد الله بن علي بصفر ص ٢٣ وما بعدها.

(٣) انظر: جهود المملكة العربية السعودية في رعاية تحفيظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين في الخارج (تقرير) أعده: د/ عبد الله بن علي بصفر ص ٣٢ وما بعدها.

(٤)انظر: جهود المملكة العربية السعودية في رعاية تحفيظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين في الخارج (تقرير) أعده: د/ عبد الله بن علي بصفر ص ٤٥وما بعدها.

(٥) انظر: جهود المملكة العربية السعودية في رعاية تحفيظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين في الخارج (تقرير) أعده: د/ عبد الله بن علي بصفر ص ٤٨وما بعدها.

(٦) انظر: جهود مركز البحوث والدراسات الإسلامية في مجال العناية بالقرآن الكريم (تقرير)، د/ مساعد بن إبراهيم الحديثي.

(٧) انظر: جهود المملكة العربية السعودية في رعاية تحفيظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين في الخارج (تقرير) أعده: د/ عبد الله بن علي بصفر ص ٥٠وما بعدها.

(٨) جهود كلية القرآن الكريم في خدمة القرآن، (محاضرة) بتاريخ ١٧/ ٨/ ١٤٢١هـ، في قاعة المحاضرات الكبرى في الجامعة الإسلامية، وانظر: المدارس الخاصة لتحفيظ القرآن الكريم، والكليات الجامعية للقرآن وعلومه (تقرير) د/ محمد الأمين الحسين ص٥٦ وما بعدها، عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم من خلال المدارس الخاصة لتحفيظ القرآن الكريم والكليات الجامعية للقرآن وعلومه. د/ محمد بن سيدي محمد ص٤٧ وما بعدها.

وجهود المتبعين للسلف في هذا العصر معلومة في إقامة الندوات العلمية المختلفة التي تبحث عن الأمور المتعلقة بالقرآن الكريم سواء ما كان متعلقا بطباعته، أو برسمه، أو بتفسيره وتراجمه، أو بعلومه[١].

ومن أهم ما يميز السلف ومتبعيهم من الخلف في جهودهم للقرآن الكريم نهيهم عن المراء في القرآن، ونهيهم عن التكلف فيه، وهذا ما أبينه في المبحث التالي.

---

(١) ومن هذه الندوات: ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم ١٤٢١هـ"، وندوة "ترجمة معاني القرآن الكريم تقويم للماضي، وتخطيط للمستقبل ١٤٢٣هـ" والتي نظمتها مجمع الملك فهد للمصحف الشريف في المدينة النبوية.

المبحث الثاني
نهي السلف عن المراء[١]، والتكلف[٢] في القرآن الكريم

السلف الصالح ومن تبعهم عرفوا منـزلة القرآن الكريم، وعظموه حق التعظيم، ولهذا نهوا عن كل ما قد يقلل من منـزلته أو تعظيمه، ومن جملة ذلك نهيهم تبعا لنبيهم ﷺ عن المراء في القرآن الكريم، وعن التكلف فيه، حتى يبقى عبادة غضة لله ﷻ، متلوّا مستغنيا عن التطريب المبتدع، وأبين هذا في مسألتين:

المسألة الأولى: نهي السلف عن المراء في القرآن الكريم.

وردت أدلة تنهى عن المراء في القرآن الكريم والمجادلة في آياته[٣]، ومن هذه الأدلة قوله ﷻ: ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[غافر:٤] وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[غافر:٣٥]

---

(١) المراء: اختلف علماء اللغة في معنى هذه الكلمة، ولكنها لا تخرج عن معنى: الشك، والمجادلة، والإنكار، قال البغوي ﵀: «واختلفوا في تأويله؛ فقيل: معنى المراء: الشك، كقوله ﷻ: ﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٍ مِّنۡهُ ﴾ [هود: ١٧] أي: في شك، وقيل: المراء هو: الجدال المشكك، وذلك أنه إذا جادل فيه، أداه إلى أن يرتاب في الآي المتشابهة منه؛ فيؤديه ذلك إلى الجحود،... وتأوله بعضهم على المراء في قراءته، وهو أن ينكر بعض القراءات المروية، وقد أنزل الله القرآن على سبعة أحرف؛ فتوعدهم بالكفر لينتهوا عن المراء فيها؛ والتكذيب بها، إذ كلها قرآن منـزل يجب الإيمان به،... وقيل: إنما جاء هذا في الجدال بالقرآن من الآي التي فيها ذكر القدر والوعيد، وما كان في معناهما على مذهب أهل الكلام والجدل». شرح السنة ١/ ٢٦١-٢٦٢، وهذا بعينه هو كلام الخطابي منقول بنصه من معالم السنن، انظر ٤/ ٢٩٧، وانظر: عون المعبود ١٢/ ٢٣١.

(٢) المراد بالتكلف: التنطع في القراءة، والتمطط في التلاوة، والتشبه بلحون الأعاجم.

(٣) انظر: الدرء ١/ ٤٧.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾[غافر:٥٦] وقال: ﴿وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ﴾[الشورى:٣٥]، فالمؤمنون لا يجادلون ولا يمارون في كتاب الله ﷻ، بل يجزمون في معتقدهم أنه كلام الله ﷻ، وأنه منـزل من الله ﷻ، وأنه معجزة محمد ﷺ، ولهذا فهم لا يقبلون المجادلة والمناقشة في آيات الله القرآن، سواء من حيث العلم أو العمل، أو من حيث الخبر والتطبيق، فهم في يقين من أمرهم، ولهذا لما اختلف التابعون ـ مع توافر الصحابة ـ في القراءات؛ فإن حذيفة ﷺ لم يقبل ذلك؛ لأنه لا يقبل الاختلاف في القرآن الكريم(١)، ولهذا بوب السلف في كتب الاعتقاد والرقائق أبوابا في: النهي عن الخصومات في الدين، ومجانبة أهل الخصومات(٢).

قال شيخ الإسلام ﷫ في بيان معرض عقيدة أهل السنة والجماعة: «وينكرون الجدل والمراء في الدين، والخصومة والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون فيه من دينهم، ويسلمون الروايات الصحيحة كما جاءت به الآثار الصحيحة...»(٣).

وكانت الخصومات والاختلافات في القرآن الكريم ـ على وجه الخصوص، وفي الدين على وجه العموم ـ سببا للشر والاختلاف الكبير الذي بسببه أصبح المسلمون فرقا شتى، ولهذا نهى الشارع الحكيم عن كل ما يكدر هذا الصفو؛ فنهى عن الاختلاف في الدين، وعن المراء في القرآن الكريم(٤).

والنهي عن المراء في القرآن الكريم والنهي عن الاختلاف فيه يشمل الاختلاف في أحرفه وتنـزيله، كما قد يختلف في القراءة؛ فجمع الله المسلمين بجمع عثمان ﷺ الناس على مصحف واحد؛ فارتفع هذا الخلاف، وقد يكون الاختلاف في التأويل،

---

(١) سبق تخريج الأثر، وقصة اختلافهم في الثغر، في الفصل الثالث، من الباب الثالث.

(٢) انظر: الحجة في بيان المحجة ١/ ٣٠٤ وما بعدها، وانظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ص٢١٠ وما بعدها.

(٣) المجموع ٥/ ٩١.

(٤) انظر: ترجيح أساليب القرآن ص٤٦.

وهو الذي تعاني منه الأمة إلى يومنا هذا[(١)].

ومن المراء في القرآن الكريم «تكذيب القرآن بالقرآن، ليدفع بعضه ببعض؛ فينبغي أن يجتهد في التوفيق بين المتخالفين، على وجه يوافق عقيدة السلف؛ فإن لم يتيسر له فليكله إلى الله تعالى»[(٢)].

ويمكن أن تُقَسَّمَ المناقشة والمجادلة في كتاب الله ﷻ إلى أربعة أقسام، ثلاثة منها مذمومة، والرابع ممدوح، وهي:

١- **مجادلة بالحق للحق:** وهذا كمن يريد أن يؤكد ما جاء به القرآن الكريم بآيات أخرى تؤكد الأمر وتجليه؛ فهدفه حق، أعني أنّ غايته ووسيلته حسنتان، وهي حق في نفسها، وهذا ممدوح، وهو المطلوب من أهل العلم، ولهذا ألف العلماء قديما وحديثا في بيان هذا الأمر وتجليته، ومن ذلك كتب تأويل مشكل القرآن[(٣)]، وكتاب: دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب[(٤)].

٢- **مجادلة بالحق لا للحق:** كمن يجادل بآيات القرآن الكريم ليثبت علمه، ومهارته، وإبداعه الاستدلال، والمناظرة؛ فهذا هدفه وغايته سيئة، وإن كانت الوسيلة حسنة، وهذا منهي عنه؛ لأنه يدخل في المراء في القرآن الكريم، وهو يؤدي إلى الاختلاف.

٣- **مجادلة بالباطل للحق:** وهذا كمن يريد نصر الحق بالباطل، كمن يريد أن يثبت شيئا مما جاء به القرآن بالآراء والنظريات الباطلة أو الأحاديث الضعيفة والمكذوبة؛ فهذا لاشك أن القرآن في غنى عنه، لأنه في نفسه حق، ولا يحتاج إلى باطل لنصرته وتجليته، وبيان الحق الذي جاء فيه، فـ «يحرم المراء في القرآن الكريم، والجدال فيه بغير حق»[(٥)].

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ١٤١.

(٢) عون المعبود ١٢/ ٢٣١، ونقله من كلام الطيبي.

(٣) وههنا عدة مؤلفات بهذا الاسم من أشهرها كتاب ابن قتيبة، وهو من أفضلها، وأتقنها.

(٤) وهو للشيخ محمد الأمين ﷫ صاحب الأضواء، وهو مطبوع مستقلا، ومع تفسيره أضواء البيان تبعا.

(٥) التبيان للنووي ص١٥٥.

٤- **مجادلة بالباطل للباطل**: وهذا كمن يستشهد بالآيات التي لا تدل إلا على الحق على بدعته وضلالته؛ فهو يستشهد بوجه باطل ليؤكد شيئا باطلا، فهو يورده لا لقصد الاهتداء به، وإنما لأجل اعتضاد مذهب قد ارتآه أو يراه؛ فيجعل آيات الكتاب تبعا لمذهبه!! قال ﷺ: [**اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم؛ فإذا اختلفتم فقوموا عنه**][1]، فـ «ضلال من ضل من أهل الكلام، والنظر في النوع الخبري **بمعارضة خبر الله عن نفسه، وعن خلقه بعقولهم ورأيهم!!** وضلال من ضل من أهل العبادة والفقه في النوع الطلبي، بمعارضة أمر الله الذي هو شرعه بأهوائهم وآرائهم»[2]، ولأن هذا يؤدي إلى ضرب القرآن بعضه ببعض، وقد جاء النهي عن الاختلاف في القرآن الكريم، وضرب بعضه ببعض، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[آل عمران:١٠٥-١٠٦]، وقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾[البقرة:١٧٦]، وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: [**هجّرت إلى رسول الله ﷺ يوما، قال: فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية؛ فخرج علينا رسول الله ﷺ يعرف في وجهه الغضب؛ فقال: إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب**][3]، وقال: [**إنما هلك من كان قبلكم بهذا، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما نزل الكتاب يصدق بعضه بعضا، لا ليكذب بعضه بعضا، انظروا ما أمرتم به فافعلوا، وما نهيتم عنه فاجتنبوا**][4]، وكذلك لا يجوز إنشاء خلاف بين القرآن والسنة؛ فإن سنة رسول الله ﷺ توافق كتاب الله، ولا تخالفه، فليس بينهما نزاع ولا اختلاف[5].

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، ح(٥٠٦١)، من رواية جندب رضي الله عنه.

(٢) الدرء ٥/ ٢٠٦، وانظر ما بعدها.

(٣) رواه مسلم، كتاب العلم، باب/ النهي عن اتباع متشابه القرآن، ح(٢٦٦٦).

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده، ح(٦٦٦٨)، وفي غير هذا الموضع، ورواه الترمذي، وابن ماجة في المقدمة، باب/ في القدر.

(٥) انظر: المجموع ٣/ ٣١٠.

فهذه الأقسام الثلاثة الأخيرة كلها مذمومة، ويخشى على صاحبها الهلاكُ، قال ﷺ: [المراء في القرآن كفر][(١)]، قال الله ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[آل عمران:٧]، وقال ﷺ في تفسير هذه الآية [إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه؛ فأولئك الذين سماهم الله فاحذروهم][(٢)].

ومن المراء في القرآن الكريم عدم العمل به، قال البخاري رحمه الله: « بابٌ: إثم من راءى بقراءة القرآن، أو تَأَكَّل به، أو فَجَرَ به »[(٣)]، وصنيع البخاري رحمه الله هذا يدل على أن هذا الفعل وهو: التآكل بالقرآن، والمراء فيه، وعدم العمل به من الذم الذي ورد في أحاديث النبي ﷺ فيما ذكره من أوصاف الخوارج، والمنافقين.

فالأحاديث تدل على أن عدم العمل بالقرآن ـ مع قراءته ـ من المراء، وهي كثيرة، منها: قوله ﷺ: [يخرج فيكم قوم ...يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر في النصل[(٤)] فلا يرى شيئا، وينظر في القِدح فلا يرى شيئا، وينظر في الريش فلا يرى شيئا، ويتمارى في الفوق][(٥)]، وقوله ﷺ: [ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب،

(١) رواه الإمام أحمد في المسند، ح(٧٤٩٩)، وأبو داود، كتاب السنة، باب/ النهي عن الجدال في القرآن، ح(٤٦٠٣)، ورواه الحاكم، في مستدركه، كتاب التفسير، ح(٢٨٨٢)، قال الذهبي في التلخيص بحاشية المستدرك ٢/ ٢٤٣: على شرط مسلم.

(٢) رواه البخاري، كتاب التفسير سورة آل عمران، ح(٤٥٤٧)، ومسلم، كتاب العلم، باب/ النهي عن اتباع متشابه القرآن، كلاهما عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) صحيح الإمام البخاري ص١٠٩٩.

(٤) النصل: طرف السهم الأدنى، والقدح: الذي يرمى به القوس، والسهم: يكون أولا قِطع، ثم بريا، قِدحا، ثم يراش ويركب نصله؛ فيسمى سهما. انظر: النهاية في غريب الحديث ٤/ ٢٠.

(٥) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ إثم من راءى بقراءة القرآن...، ح(٥٠٥٨)، من رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وطعمها مُرّ]،[١] كل هذا يدل على أن من نوع المراء عدم العمل بالقرآن الكريم: اعتقادا، ونهجا، كما هو حال المنافقين و الخارجين عن الشريعة الغراء.

والاختلاف في آيات الكتاب سبب للهلاك والاختلاف، فعن ابن مسعود ﷺ قال: [**سمعت رجلا قرأ آية، سمعت من النبي ﷺ خلافها؛ فأخذت بيده، فأتيت به رسول الله ﷺ؛ فقال: كلاكما محسن، لا تختلفوا؛ فإن من كان قبلكم اختلفوا؛ فهلكوا**][٢].

ومن كمال تعظيم القرآن الكريم ترك المراء فيه ولو كان في الأداء، ومن جملة ذلك التكلف.

المسألة الثانية: نهي السلف عن التكلف في القرآن الكريم.

جاء النهي عن التكلف في القرآن الكريم من أقوال النبي الكريم ﷺ، ومن جملة ذلك نهيه ﷺ عن الغلو، قال ﷺ: [**إياكم والغلو؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو**][٣].

« **وهذا عام** في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال »[٤]، فيدخل فيه الغلو في القراءة، والتكلف فيها.

ومن هذا الباب ما جاء من التحذير عن التنطع، حيث قال ﷺ: [**هلك المتنطعون**] قالها ثلاثا[٥]، والتنطع: التعمق في الكلام، والمبالغة في إخراجه من أقصى الحلق، مأخوذ من النطع وهو الغار الأعلى من الفم، ثم استعمل في كل متعمق قولا وفعلا[٦][٧].

وأما المخالفون للسلف فمراؤهم في القرآن ظاهر، وتكلفهم في القرآن باهر، وبيان منـزلة القرآن الكريم وتعظيمه عند المخالفين أبينه في الباب التالي.

---

(١) سبق تخريجه بلفظ: "مثل المؤمن...".

(٢) رواه البخاري، كتاب الخصومات، باب/ ما يذكر في الأشخاص...، ح(٢٤١٠).

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند ١/ ٣٤٧، ح(٣٢٤٨)، وابن ماجه في سننه، كتاب الحج، باب/ قدر الحصى، ح(٣٠٢٩) كلاهما عن ابن عباس ﷺ، وإسناده على شرط مسلم، كما في فيض القدير للمناوي ٣/ ١٢٦.

(٤) انظر: تيسير العزيز الحميد ص٣١٧.

(٥) رواه مسلم، كتاب العلم، باب/ هلك المتنطعون، ح(٢٦٧٠) عن ابن مسعود ﷺ.

(٦) انظر: تيسير العزيز الحميد ص٣١٨.

(٧) قد مضى شيء من ذكر آداب القراءة في الفصل الثالث، من الباب الأول.

البَابُ الرَّابِعُ

مَنزلَة القُرآن الكَريم عِند المخَالفين للسَّلف

وفيه ستة فصول:

الفصل الأول: منزلته عند الفلاسفة.

الفصل الثاني: منزلة القرآن عند الصوفية (القائلين بأن للقرآن ظاهرا وباطنا).

الفصل الثالث: منزلة القرآن عند الرافضة.

الفصل الرابع: منزلة القرآن عند الباطنية.

الفصل الخامس: منزلته عند أهل الكلام.

الفصل السادس: منزلة القرآن الكريم عند بعض المعاصرين (العقلانيين ومنكري السنة "القرآنيين).

الفصل الأول

منزلة القرآن الكريم عند الفلاسفة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالفلاسفة.

المبحث الثاني: عدم تعظيم الفلاسفة للقرآن الكريم.

المبحث الثالث: عدم رجوع الفلاسفة إلى القرآن والصدور عنه في العقائد والرد عليهم.

مـدخـل:

إن من أهم مميزات المتبعين للسلف كونهم متمسكين بالكتاب والسنة،وما عليه سلف الأمة، وأما المخالفون فإنهم لا يبالون بالكتاب والسنة، ولا بما عليه سلف الأمة، وهؤلاء الخلف فرق شتى، ونحل تترى، وهم مختلفون فيما بينهم، إلا أن هناك أمورا تجمعهم، وهي:

١- اتفاقهم على جعل المنقول عن الرسول ﷺ في باب العقائد فرعا، وأن الأصل عند كل طائفة ما تزعم أنه من البراهين: فالفلاسفة يقدمون الأصول الفلسفية، وأهل الكلام يقدمون المقدمات الكلامية، وأهل التصوف يقدمون الأذواق الوجدية، والرافضة يقدمون ما يزعمون أنه من كلام الأئمة المعصومين، وهكذا، قال ابن الوزير رحمه الله: «المبتدعة يرون تصانيفهم أهدى منه ـ أي من القرآن ـ لبيانهم فيها على زعمهم المحكم من المتشابه؛ فمنهم من صرح بذلك، وقال: إن كلامه أنفع من كلام الله تعالى، وكتبه أهدى من كتب الله!!»[(١)].

٢- أن جميع هذه الفرق إذا استشهدت بالأدلة النقلية؛ فإنها تستدل بالمتشابهات، وتترك المحكمات: قال الإمام أحمد رحمه الله: «وكذلك الجهم وشيعته، دعوا الناس إلى المتشابه من القرآن والحديث، وأضلوا بشرا كثيرا»[(٢)].

٣- أن كتبهم مليئة بأقوال رجال نحلتهم، وبالمقدمات الفلسفية والمنطقية والمنامات، كل حسب منهجه: وكل الكتب التي صنفوها في باب العقائد تخلو من الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فضلا عن الآثار السلفية، «فالكتب المصنفة في مقالات الطوائف التي صنفها هؤلاء ليس فيها ما جاء به الرسول، وما دل عليه القرآن»[(٣)].

---

(١) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٩٤.

(٢) الرد على الجهمية للإمام أحمد ص ١٩، المجموع ٤/ ٢١٨.

(٣) النبوات ص٢٤٦، وانظر: شرح الأصبهانية ص٢٨٤، ونظرة متأنية إلى كتب ابن سينا، والرازي، وأم البراهين، والعقائد النسفية، تنبيك على أن القوم لا يحتجون بالقرآن والسنة إلا تبعا، وأن الأصل عندهم أصولهم.

٤- عدم معرفتهم بحقيقة ما جاء به الأنبياء من البراهين والأدلة والمعجزات[(١)]: فلهذا هم يجتهدون في بيان البراهين التي يظنون أنها تؤكد ما جاء به الأنبياء، وكل واحد يزعم أن برهانه آكد، وأن دليله أقوى، والحال: أن ما جاء به الأنبياء فيه الشفاء من كل عي، والدواء من كل داء.

٥- عدم علمهم بما عليه سلف الأمة من العقيدة المجمع عليها، بل وأحيانا يدعون الإجماع فيما يذهبون إليه، وعندما تتحرى تجد أن الإجماع على ضد ذلك ونقيضه، وأنى يكون لهم علم بالإجماع، وهم لا يعرفون أقوال السلف، ولا يهتمون بها، قال شيخ الإسلام ﷺ: «كتب أهل الكلام مشحونة بذلك، يحكون إجماعا ونزاعا، ولا يعرفون ما قال السلف في ذلك البتة، بل قد يكون قول السلف خارجا عن أقوالهم، كما تجد ذلك في مسائل أقوال الله وأفعاله وصفاته، مثل مسألة القرآن...»[(٢)]، وقال في موضع آخر: و« عامة هؤلاء المختلفين في الكتاب، لم يعرفوا القول السديد، قول السلف، بل ولا سمعوه، ولا وجدوه في كتاب من الكتب التي يتداولونها؛ لأنهم لا يتداولون الآثار السلفية، ولا معاني الكتاب والسنة»[(٣)].

٦- أن جميع الفرق لا تنتسب إلى السلف الصالح، ولا إلى أهل العلم المعروفين بالعلم والتقى، من الصحابة والتابعين وتابعيهم، ومن انتسب منهم إلى أحد العلماء المعروفين، فذلك ليس لكونه مذهبا له، وإنما فعل ذلك ترويجا لبضاعته[(٤)].

٧- أن جميع أهل البدع عملت بمعول هدم الدين بتحريف وليِّ الأدلة الظاهرة، التي تدل على بطلان قولهم ومذهبهم: فإذا عمدوا إلى الأدلة النقلية؛ فإنهم يعملون على تحريفها، وتغيير معانيها؛ ولا يرجعون إلى السلف في فهم هذه النصوص؛ « لأنهم لا يتداولون الآثار السلفية، ولا معاني الكتاب والسنة إلا بتحريف بعض المحرفين

---

(١) انظر: النبوات ص٢٤٦.
(٢) المجموع ١٣/ ٢٥.
(٣) المجموع ١٢/ ٣٠٩.
(٤) انظر: المجموع ٥/ ٧٩.

لها»[١]؛ فأهل الضلال والبدع «يجعلون الألفاظ التي أحدثوها ومعانيها هي الأصل، ويجعلون ما قاله الله ورسوله تبعا لها؛ فيردونها بالتأويل والتحريف إلى معانيهم، ويقولون: نفسر القرآن بالعقل واللغة، يعنون أنهم يعتقدون معنى بعقلهم ورأيهم، ثم يتأولون القرآن عليه، بما يمكنهم من التأويلات والتفسيرات المتضمنة لتحريف الكلم عن مواضعه»[٢].

٨- أن ما يستشهدون به؛ يختلفون فيه، فهذا يؤوله على معنى، والآخر يرده، سواء كان دليلا عقليا ـ وهو الأصل عندهم ـ أو نقليا: فصدق فيهم أنهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾[الحجر:٩١] فكل واحد ادعى في آياته ما ينفيه الآخر؛ فهذا يوجب التأويل، وهذا يحسنه، وهذا يأمر بالتفويض، وهذا يأمر بالتخييل، وهذا ينهى عنه، وهذا يخبر بالتجهيل ويأمر به!!![٣]، ويصدق على أهل البدع قول الله ﷻ: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾[الذاريات:٨-١٠] «يعلم الذكي منهم، والعاقل: أنه ليس هو فيما يقوله على بصيرة، وأن حجته ليست ببينة، وإنما هي كما قيل فيها:

حجج تهافت كالزجاج تخالها حقا، وكلٌّ كاسر مكسـور[٤]

٩- أنهم حين النـزاع لا يردون الأمر إلى الكتاب والسنة: كما أمرنا الله ﷻ، بل كل واحد يدعي وجوب الرجوع إلى قواعده، وما عليه نحلته، فلا يعملون بقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[النساء:٥٩] فلا يرفع الخلاف إلا الكتاب والسنة، وأما الآراء العقلية، والأذواق النفسية، والمنامات

---

(١) المجموع ١٢/ ٣٠٩.

(٢) المجموع ١٧/ ٣٥٥، وانظر منه ١٧/ ٤٤٥.

(٣) انظر: الصفدية ١/ ٢٩٤، شرح الأصبهانية ص٣٧٨، ٣٨٤، ٣٨٨، النبوات ص٢١٨، المجموع ١٢/ ٢٤.

(٤) المجموع ٥/ ١١٩.

الخيالية؛ فإنها تزيد من الفرقة، وقد قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[الأنعام:١٤٣] « فهذه النصوص وغيرها، تبين أن الله أرسل الرسل، وأنزل الكتب لبيان الحق من الباطل، وبيان ما اختلف فيه الناس، وأن الواجب على الناس اتباع ما أنزل إليهم من ربهم، ورد ما تنازعوا فيه إلى الكتاب والسنة، وأن من لم يتبع ذلك كان منافقا، وأن من اتبع الهدى الذي جاءت به الرسل فلا يضل ولا يشقى »[١] فغالب أهل البدع « لا يعلمون معاني القرآن، فضلا عن الحديث، بل كثير منهم لا يحفظون القرآن أصلا؛ فمن لا يحفظ القرآن، ولا يعرف معانيه، ولا يعرف الحديث، ولا معانيه، من أين يكون عارفا بالحقائق المأخوذة عن الرسول!! وإذا تدبر العاقل وجد الطوائف كلها كلما كانت الطائفة إلى الله ورسوله أقرب كانت بالقرآن والحديث أعرف وأعظم عناية، وإذا كانت عن الله وعن رسوله أبعد، كانت عنهما أنأى، حتى تجد في أئمة علماء هؤلاء من لا يميز بين القرآن وغيره، بل ربما ذكرت عنده آية؛ فقال: لا نسلم صحة الحديث، وربما قال: لقوله ﷺ كذا، وتكون آية من كتاب الله، وقد بلغنا من ذلك عجائب، وما لم يبلغنا أكثر »[٢].

١٠- **أن جميع أهل البدع ليسوا على قدم ثابت في المعتقد:** ولا على رسوخ في دينهم؛ فاليوم يماني، وغدا شامي، فتجده مع الجهمية يوما، ومع المعتزلة أخرى، ومع الفلاسفة تارة، ومع المتكلمين تارة[٣]، ومع المتصوفة تارة، ومع أهل السنة أحيانا، فهذا الغزالي لما ألف كتابه المسمى بإحياء علوم الدين[٤] لم يستقر فيها مع أحد؛ « فتكلم في علوم الأحوال، ومرامز الصوفية، وكان غير أنيس بها، ولا خبير بمعرفتها؛

---

(١) المجموع ١٧/ ٣٠٣.

(٢) نقض المنطق ص٨٢، وانظر نقض المنطق ص٦٠، النبوات ص٢٤٧، وقد وقع لي هذا مع بعض أهل البدع، يستشهد بآية ويظنها حديثا، والعكس بالعكس!!.

(٣) انظر: الصفدية ٢/ ١١٣.

(٤) وهو بإماتة علوم الدين أشبه، كما نقل ذلك الذهبي في السير ١٩/ ٤٩٥.

فسقط على أم رأسه؛ فلا في علماء المسلمين قرّ، ولا في أحوال الزاهدين استقر، ثم شحن كتابه بالكذب على رسول الله ﷺ، فلا أعلم كتابا على وجه بسيط الأرض أكثر كذبا على الرسول ﷺ منه، ثم شبكه بمذاهب الفلاسفة، ورموز الحلاج، ومعاني رسائل إخوان الصفا...»(١).

١١- أن عامة هؤلاء أصحاب البدع واقعون في الحيرة والشك: بل منهم من يقر بالصواب الذي عليه السلف؛ كما حصل لكثير منهم حال النـزع(٢)، وهذا يدل على صحة معتقد السلف وبطلان مذهب الخَلف، أيا كان هذا الخُلف، يقول ابن بدران ﵀: «لما من الله علي بطلب العلم هجرت له الوطن والوسن، وكنت أبكر فيه بكور الغراب، وأطوف المعاهد لتحصيله، وأذهب فيه كل مذهب، وأتبع فيه كل شعب، ولو كان عسرا، أشرف على كل يفاع كل غور؛ فتارة أطرح بنفسي فيما سلكه ابن سينا في الشفاء والإشارات، وتارة أتلقف ما سبكه أبو نصر الفارابي من صناعة المنطق وتلك العبارات، وتارة أجول في مواقف المقاصد والمواقف، وأحيانا أطلب الهداية ظنا مني أنها تهدي إلى رشد؛ فأضم إليها ما سلكه ابن رشد، ثم أردد في الطبيعي والإلهي نظرا، وفي تشريح الأفلاك أتطلب خُبرا أو خَبرا، ثم أجول في ميادين العلوم مدة كعدد السبع البقرات العجاف؛ فأرتد إلى الطرف خاسئا وهو حسير، ولم أحصل من معرفة الله ﷻ إلا على أوهام، وخطرات وساوس وأشكال، تنشأ من البحث والتدقيق؛ فأدفعه بها أقنع نفسي بنفسي؛ فلما هِمت في تلك البيداء... ناداني منادي الهدى الحقيقي: هلم إلى الشرف والكمال، ودع نجاة ابن سينا الموهومة إلى النجاة الحقيقية، وما ذلك إلا بأن تكون على ما كان عليه السلف الكرام من الصحابة والتابعين لهم بإحسان؛ فإن الأمر ليس على ما تتوهم، وحقيقة الرب لا يمكن أن يدركها المربوب، وما السلامة إلا بالتسليم، وكتاب الله حق، وليس بعد الحق إلا

(١) السير ١٩/ ٤٩٥، وهو منقول من كلام الإمام الطرطوشي ﵀.

(٢) انظر: نقض المنطق ص٦٠.

الضلال؛ فهنالك هدأ روعي، وجعلت عقيدتي: كتاب الله، أَكِل علم[(١)] صفاته إليه بلا تجسيم[(٢)]، ولا تأويل، ولا تشبيه، ولا تعطيل، وانجلى ما كان على قلبي من ران، أورثته قواعد أرسطوطاليس...»[(٣)].

١٢- أن جميع المخالفين عندهم نوع إقرار بالشرع: وإلا عدوا من الكفار، ولهذا الإقرار تجدهم لما بنوا عقائدهم على ضلالات، وكانت تخالف القرآن والسنة ـ وهم آمنوا بها، ولو تنـزيلا ـ سعوا إلى الجمع بينها، تارة بالتأويل، وتارة بالتجهيل، وتارة بالتخييل، وتارة بنوع رد، ومعارضة بأخرى[(٤)]، فكل مخالف من أهل البدع عنده نوع إقرار، مع أن الإعراض هو الغالب عليه.

١٣- أن جميع هذه الفرق المخالفة للسلف، إنما كان سبب نشوءها أحد ثلاثة أمور: الأول: قصد إفساد الدين، وكثير من هؤلاء منافقون زنادقة[(٥)]. **الثاني:** الزيادة في الدين بإثبات ما لم يرد في الشرع. **الثالث:** النقص من الدين بنفي بعض ما ورد في الشرع[(٦)]، وبعد ذكر أهم ما يجمع هؤلاء؛ فإني أشرع في بيان تفاصيل خباياهم، والتعريف بأهم الفرق وبيان دعاواهم ـ في الفصول التالية ـ، وأبدأ بأقدمهم سلفا، وهم الفلاسفة.

---

(١) ظاهره أنه يريد ﵀ علم كيفيات الصفات، بدليل السياق بعد، ولا يقصد علم معاني الصفات؛ لأنها معلومة.

(٢) لفظ الجسم من الألفاظ المجملة، فلا ينبغي إثباتها بإطلاق، ولا نفيها بإطلاق، وإنما ينظر إلى المعنى ثم يثبت المعنى إن كان حقا، وينفى المعنى إن كان باطلا، ويتمسك بالألفاظ الشرعية الواردة في وصف الله تعالى.

(٣) المدخل لابن بدران ص٤٢، ولقصة رجوعه إلى عقيدة السلف تكملة، انظرها في الموضع المشار إليه.

(٤) انظر: نقض المنطق ص٧٥.

(٥) انظر: المجموع ١٢/ ٤٩٧.

(٦) انظر: إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص٨٥.

المبحث الأول: التعريف بهم، وبيان قسامهم

التعريف بالفلاسفة وبيان أقسامهم يمهد الطريق لبيان معرفتهم، ومعرفة منـزلة القرآن عندهم، ولبيان معرفتهم أقسم هذا المبحث إلى مطلبين:

المطلب الأول: التعريف بالفلاسفة.

الفلاسفة اسم جنس يشمل كل من اشتغل بالفلسفة وأحبها(١)، فهو عَلَمٌ على طائفة تنتسب إلى "الفَلْسَفَة"، وهي كلمة أعجمية(٢)، وقد "تفلسف"، أي صار "فيلسوفا"، واسم الفاعل منه: "فَيْلَسُوف".

وأصل الفلسفة عند الأعاجم اليونانيين معناها: «محبة الحكمة، والفيلسوف هو: فيلا وسوفا، وفيلا هو الحب، وسوفا: الحكمة؛ أي هو محب الحكمة»(٣).

وقيل: «اشتقاق كلمتي فلسفة وفيلسوف مأخوذتان من: "فيلوس" ومعناها: محب، و"سوفيا" ومعناها: الحكمة؛ فمعنى فيلسوف: محب الحكمة»(٤)، وهذا أدق من الأول، إذ وصف الحب إنما يكون لاسم الفاعل، وهو الفيلسوف، ولا يكون المحب وصفا لاسم الشيء نفسه، وهو هنا المفعول.

وقيل: معنى «يتفلسف: أنه يبحث في ماهية الأشياء وأصولها، وعلاقة بعضها ببعض»(٥)، وإذا كان هذا التعريف صحيحا ـ وهو كذلك ـ، فكم سيكون ضلال هذه

(١) انظر: دلائل التوحيد لجمال الدين القاسمي ص١٢٠.
(٢) انظر: لسان العرب ١٠/ ٣١٩.
(٣) انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص٣١٢، دلائل التوحيد لجمال الدين القاسمي ص١١٩.
(٤) مبادئ الفلسفة لأحمد أمين ص١٩.
(٥) مبادئ الفلسفة لأحمد أمين، ص١٦.

هذه الفرقة الفلسفية، إذ هي تبحث عن ماهية الأشياء، ومعنى ذلك أنها ستبحث عن ماهية ذات الله ﷻ الذي أمرنا أن لا نبحث في ماهيته، وإنما نعرفه بصفاته، وأسمائه، وأفعاله، وأوامره، وشرعه، وأما ذاته فغيب محجوب، وماهيته فسر غير مكشوف، ومهما بلغ العقل فإنه لا سبيل له إلى أن يدرك حقيقة ذات الله ﷻ، وكيفيته، قال شاعر أهل السنة:

لا تفتكر في ذات ربك، واعتبر فيما بـه يتصـرف الملـوان
والله ربـي مـا تُكيـف ذاتـه بخـواطر الأوهـام والأذهـان[(١)]

وقال شيخ الإسلام ﷺ في بيان معنى الفلسفة: «الفلسفة لفظ يوناني، ومعناها: محبة الحكمة، والفيلسوف في لغتهم محب الحكمة، ولهذا يقولون: "سوفستيا"، أي: **حكمة مموهة**، ثم كثرت في الألسنة؛ فقيل: سفسطة، أي: **حكمة مموهة**»[(٢)].

وهذا يعني أن الفلسفة تعني الحكمة المشوبة، ولا ريب أن في الفلسفة بعض ما يحمد كما هو الحال في الطبيعيات، والرياضيات، وفيها باطل مشوب بالحق، كما هو الحال في الإلهيات.

وأما الفلسفة في اصطلاح القوم فهي: «التَشَبُّه بالإله بحسب الطاقة البشرية، لتحصيل السعادة الأبدية...»[(٣)].

وبناء على أن الحكمة هي الفلسفة عرفت بتعريف آخر، وهو أن الفلسفة: «خروج النفس الإنساني إلى كماله الممكن في جزأي العلم والعمل»[(٤)][(٥)].

---

(١) نونية القحطاني ص٤٦.

(٢) الصفدية ٢/ ٣٢٣.

(٣) التعريفات للجرجاني ص ١٦٩، دستور العلماء٣/ ٣٢.

(٤) من كلام ابن سينا، كما نقله الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ص٤٢٨.

(٥) وتسمية الفلسفة بالحكمة معروفة عند قدماء اليونان وغيرهم، وسار عليه فلاسفة المسلمين، ولذلك يبدؤون كتبهم بذكر الآية التي فيها ذكر الحكمة، كما فعل محقق كتاب: النجاة لابن سينا ١/ ص (ج)، =

وقيل في تعريف المنتسبين إليها اصطلاحا، هم: أصحاب المنطق، والبرهان!!(١).

ونخلص من هذا، أن الفلاسفة هم: **المتشبهين بالإله عن طريق المنطق والبرهان العقلي**، وهم أقسام وأبينها في المطلب التالي.

= وغيره، ويؤولون الآية على الحكمة اليونانية. انظر: دستور العلماء ٢/ ٣٢، ومعلوم أن الحكمة في الكتاب والسنة؛ المقصود بها: السنة النبوية المطهرة، وما جاء به النبي المبارك ﷺ، وما يفهم من الآيات والسنن، والحكمة في الآيات مقصورة على ذلك؛ فكأنه إشارة ـ والله أعلم ـ إلى أن هذا هو الحكمة التي ينبغي أن يعرفها الحكماء، وأن يتنافس فيها العقلاء، لا الحكمة ـ المزعومة ـ اليونانية العجماء، أو الفلسفة اليونانية الصماء، قال تعالى مخبرا عن إبراهيم ﷺ أنه دعا فقال: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[البقرة:١٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٣١] ففي الآية الأولى إخبار بأن التزكية إنما تحصل بحكمة الأنبياء، لا بحكمة الفلسفة ولو كانوا بلغاء، وفي الآية الثانية أمر بتذكر الحكمة الإلهية التي أظهرها الله ﷻ بواسطة الأنبياء. وانظر: دلائل التوحيد لجمال الدين القاسمي ص١١٩.

(١) انظر: المنقذ من الضلال للغزالي ص٨٩، المجموع ٢/ ٥٥، وشرح الأصبهانية ص٥٠٩.

المطلب الثاني: بيان أقسام الفلاسفة.

إن بيان الأقسام إنما يكون باعتبارات عدة، ولهذا ينبغي أن نبين الأقسام باعتباراتها؛ فالفلسفة باعتبار أنها تبحث عن الحكمة؛ فهي تنقسم إلى قسمين[١]:

الحكمة القولية: وهي العقلية؛ ويدخل فيها الحدود والتعريفات وبراهين الاستقراء، وقد اختلف الفلاسفة في هذه الحكمة القولية العقلية اختلافا كبيرا، مع أن الأوائل منهم كانت تعريفاتهم محصورة في الطبيعيات والإلهيات، ثم زادوا الرياضيات، **وهؤلاء قسموا العلوم إلى ثلاثة أنواع: الأول**: علم الماهية، وهو ما يطلب فيه ماهيات الأشياء، وهو العلم الإلهي. **الثاني**: علم الكيفيات، وهو: العلم الذي يطلب فيه كيفيات الأشياء، وهو العلم الطبيعي. **الثالث**: علم الكميات، وهو: العلم الذي يطلب فيه كميات الأشياء، وهو العلم الرياضي. ونشأ عن هذا العلم علم المنطق، الذي سمي بالتعليمات، أو آلة العلوم!! وهذا الذي انبهر به الفلاسفة المتكلمون، وصاروا عليه سواء منهم الفلاسفة البحتة، أو الفلاسفة المناطقة.

الحكمة الفعلية: وهي كل ما يفعله الحكيم لغاية كمالية، وهذا الذي صار عليه الفلاسفة الصوفية.

وينقسم الفلاسفة من حيث نشأتهم وبلدانهم إلى أقسام[٢]:

١- **فلاسفة الهند**، من البراهمة، وهم لا يقولون بالنبوات أصلا، وهم الذين عرف عنهم الفلسفة في حب الخير ونشره والتشبه بالإله!![٣].

٢- **فلاسفة الفرس** (المجوس).

٣- **فلاسفة العرب**، وهم قليلون، وربما قالوا بالنبوات.

---

(١) انظر: هذا التقسيم بشيء من التفصيل في الملل والنحل للشهرستاني ص ٣١٢ وما بعدها.

(٢) الأقسام استفدتها من كتاب الملل والنحل للشهرستاني ص ٣١٤.

(٣) وقد ترجم ابن المقفع كتاب كليلة ودمنة مع أنه كتاب فلسفي بحت يدعو إلى الفلسفة الهندية.

٤- **فلاسفة اليونان** (الروم)، وهم أصل فلاسفة اليوم، وقد ترجمت كتبهم، ودرست، وراجت في كثير من المدارس والمناهج.

٥- **فلاسفة المسلمين**(١).

وينقسم الفلاسفة إلى قسمين من حيث نظرهم إلى العقائد والدين(٢):

١- **الفلاسفة الطبيعيون**، أو (الدهريون) وهم الذين ينكرون وجود الخالق، ويعتقدون بأنه لا إله والحياة مادة، وقد يسمون بالماديين.

٢- **الفلاسفة الإلهيون**، وهم (المشاؤون)،وهم أتباع أرسطو، وكان يلقي الدروس وهو يتمشى فقيل لهم: المشاؤون، وهؤلاء يثبتون وجود الخالق إثباتا كليا، لا إثباتا حقيقيا، فيقولون: «إن للعالم مبدعا، لا تدرك صفته العقول من جهة هويته، وإنما يدرك من جهة آثاره!! وهو الذي لا يعرف اسمه!! فضلا عن هويته إلا من نحو أفاعيله وإبداعه وتكوينه الأشياء؛ فلسنا ندرك له اسما من نحو ذاته، بل من نحو ذاتنا!!»(٣)، وربما قالوا بالحلول، لأنهم يقولون بالتشبه بين الخالق والمخلوق(٤)، إذا صفى عن الأكدار!! فـ «ما من موجود في العالم العقلي، والعالم الحسي إلا وفي ذات

---

(١) **وهؤلاء هم الذين يهمنا أمرهم، ومجادلة أقوالهم، ومن أشهر هؤلاء**: ١ـ يعقوب الكندي٢٦٠هـ. ٢ـ أبو نصر الفارابي٣٣٤هـ. ٣ـ إخوان الصفا (منتصف القرن الرابع الهجري). ٤ـ أبو علي بن سينا ٤٢٨هـ. ٥ ـ أبو حامد الغزالي (في طور) ٥٠٥هـ. ٦ ـ أبو بكر بن طفيل ٥٣١هـ، صاحب كتاب "حي بني يقظان". ٧ـ محمد بن أحمد بن رشد "الحفيد" القرطبي ٥٩٥هـ. ٨ـ عبد الرحمن ابن خلدون ٨٠٨هـ، صاحب المقدمة. انظر: مبادئ الفلسفة لأحمد أمين، ص ١٢٣-١٣٧. وهناك آخرون يتأرجحون بين الفلسفة وعلم الكلام؛ فلا تستطيع أن تصنفه إلا باعتبار مؤلَّف، أو فترة زمنية من حياته.

(٢) وقسمهم صاحب كتاب: مبادئ الفلسفة ترجمة أحمد أمين، ص ١٧٠، إلى أربعة أقسام، وهي: ١ـ مذهب الجوهر الفرد. ٢ ـ مذهب المؤلهة. ٣ ـ مذهب العقليين. ٤ ـ مذهب الحلول. ولا شك أن الأول والثالث واحد في المآل، وهو القول بإنكار الإله حقيقة، وإن كانوا يثبتونه اسما. وكذلك الثاني والرابع قولهما واحد، وهو إثبات الإله مع اختلاف في ماهيته.

(٣) الملل والنحل للشهرستاني ص ٣١٥، وانظر: مبادئ الفلسفة لأحمد أمين، ص ١٤٦ وما بعدها.

(٤) انظر: مبادئ الفلسفة لأحمد أمين، ص ١٦٦، ١٦٨.

العنصر صورة له، ومثال عنه»[1]، وهؤلاء الإلهيون اشتهر عنهم: القول بأن العقل الأول الواحد لا يصدر عنه إلا واحد، والقول: بأن الخالق والمادة أزليتان[2].

وأما فلاسفة المسلمين فيزعمون أنهم على طريقة الإلهيين، وهؤلاء الفلاسفة ـ أعني المنتسبين إلى الإسلام ـ ينقسمون إلى ثلاثة مناهج[3]، وهي:

١- أصحاب الفلسفة المحضة[4].

٢- أصحاب الفلسفة الرافضية[5].

٣- أصحاب الفلسفة الصوفية[6].

والفلاسفة المتمسلمون هم الذين سعوا في الخلط بين الفلسفة والدين، وإلا كان أول الأمر معزولا إذ غالب كلام الفلاسفة في الطبيعيات، وكلام الشرع في الإلهيات، فمنهم ابن سينا[7]، وابن رشد الحفيد، وأمثالهما أصول هؤلاء بطريقة الأنبياء، ويظهرون أن أصولهم لا تخالف الشرائع النبوية، وهم في الباطن لا يقرون إلا أن ما جاء في الشرع تخيلات تسييرية وتصورات تقريبية، وليست بحقيقية[8]، فهم

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ص ٣١٦.

(٢) انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص ٣٧٩، ٣٨٣ وما بعدها، ٤٣٧، ٤٤٣.

(٣) انظر: الدرء ١٠/ ٢٨٢، معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، لشيخنا أ.د.محمد بن خليفة التميمي ص١٣، ومقالة التعطيل له أيضا، ص٢٤.

(٤) وأشهر من يمثل هذه المدرسة هو الفارابي، والسهروردي، قال شيخ الإسلام ﷫: «والسهروردي الحلبي المقتول، سلك النظر والتأله جميعا؛ لكن هذا صابئ محض، فيلسوف لا يأخذ من النبوة إلا ما وافق فلسفته». المجموع ٢/ ٥٧.

(٥) ومن أشهر هؤلاء الحسين بن سينا، وإخوان الصفا.

(٦) ومن أشهرهم، بل هو رئيسهم: ابن عربي النكرة، وابن سبعين، وابن التلمساني، وهم النكرات.

(٧) قال ابن القيم ﷫:

وأتى ابن سينا القرمطي مصانعا ... للمسلمين بإفك ذي بهتان...

ومضى على هذي المقالة أمة ... خلف ابن سينا فاغتذوا بلبان

منهم نصير الكفر في أصحابه ... الناصرين لملة الشيطان

نونية ابن القيم بشرح الشيخ محمد خليل هراس ١/ ١٤٥، ١٤٩.

(٨) انظر: الصفدية ١/ ٢٣٧، دعوة التوحيد للشيخ محمد خليل هراس ص٢٢٩.

راموا الجمع بين أقوال المتفلسفة المخالفين للرسل، وبين ما جاءت به الرسل[(١)]، **وزعموا أن الفلسفة مهمة**، كما يقوله ابن رشد: «إن كان فعل الفلسفة ليس شيئا أكثر من النظر في الموجودات[(٢)]، واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع، أعني من جهة ما هي مصنوعات، فإن الموجودات إنما تدل على الصانع لمعرفته صنعتها، وأنه كلما كانت المعرفة بصنعتها أتم كانت المعرفة بالصانع أتم»[(٣)]، **ومعلوم أن الفلسفة ليست من الدين في شيء، ولهذا فهو من المحدثات**، فالفلسفة التي يسميها أهلها بالحكمة لا يمكن أن تجتمع مع الشرع أبدا، بل هي متعارضة معه ندا، ولذا شُنعت عليهم الأقوال، وصرح بكفر الفلسفة وآرائها رجال، يقول ابن رشد مبينا عدم توافق الشرع والفلسفة: «فصار الناس بسبب هذا التشويش والتخليط فرقتين: فرقة انتدبت لذم الحكماء والحكمة، وفرقة انتدبت لتأويل الشرع، وروم صرفه إلى الحكمة، وهذا كله خطأ[(٤)]، بل ينبغي أن يقرر الشرع على ظاهره، ولا يصرح للجمهور بالجمع بينه وبين الحكمة؟؟ لأن التصريح بذلك هو تصريح بنتائج الحكمة لهم، دون أن يكون عندهم برهان عليها، وهذا لا يحل، ولا يجوز»[(٥)].

فإذا كان هذه هي الفلسفة التي ينتسب إليها فلاسفة المسلمين، وهذا حالهم؛ فكيف يكون تعظيمهم للقرآن الكريم، هذا ما أبينه في المبحث التالي.

---

(١) انظر: المجموع ١٧/ ١٦٥.

(٢) لكن يتبين من التعريفات الماضية أن الفلسفة لم تقف عند حد النظر في ماهية الطبيعيات، بل قد نظرت في الأديان والإلهيات؛ مجردة بعقولها عن الشرعيات؛ فلذلك ضلت، وأضلت.

(٣) فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ١١.

(٤) فالفلسفة والشرع لا يجتمعان؛ وكيف يمكن الجمع بين ما فيه حياة الروح وما فيه موته وهلاكه، وأما قول ابن رشد بعد هذا النص: إن الواجب إقرار الشرع على ظاهره للعوام، واعتقاد الفلسفة في الباطن للحكماء!! فهذا نوع جمع صار إليه هو وأمثاله، وهو من باب التلبيس، حتى لا يظهر حالهم في التدليس، وأنهم دعاة إلى النار مع إبليس، إذ قالوا: الفلسفة للخاصة، والشرع للعامة!!

(٥) مناهج الأدلة لابن رشد ص٩١-٩٢.

المبحث الثاني: عدم تعظيمهم للقرآن

إن فلاسفة المسلمين يقرون بأصل الرسالة، لكن يجعلون النبي ﷺ بمنزلة الملك العادل الذي وضع قانونا لشعبه، أو يقولون: «إن الرسالة للعامة دون الخاصة، أو في الأمور العملية دون العلمية!! أو في الأمور التي يشترك فيها الناس دون الخصائص التي يمتاز بها الكمّل.

ويقرون برسالة محمد ﷺ من حيث الجملة ويعظمونه، ويقولون: اتفق فلاسفة العالم على أنه لم يرد إلى الأرض ناموس أعظم من ناموسه، لكنهم يكفرون ببعض ما جاء به: مثل أن يسوغوا اتباع غير دينه من اليهودية والنصرانية، وقد يسوغون الشرك أيضا للعامة أو للخاصة...، وقد يكذبون في الباطن بأشياء مما أخبر بها...

وقد يزعمون أن حقيقة العلم بالله تؤخذ من غير ما جاء به الرسول، وإن من الناس من يكون أعلم بالله منه، أو أفضل منه!!»[(١)].

وقد يعترفون بفضل القرآن الكريم، ويقولون: إنه أفضل من غيره ـ وإن كانوا يقولون: إنه كقول البشر، ـ كغيره من الكتب ـ كما أن بعض البشر أفضل من بعض، وهذا الذي جعلهم لا يعظمون القرآن حق تعظيمه، حتى قال التلمساني[(٢)]: «كلامنا يوصل إلى الله، والقرآن يوصل إلى الجنة...، ويقول كثير منهم: إن القرآن للعامة، وكلامنا للخاصة!!!»[(٣)].

---

(١) المجموع ١٢/ ٣٣٦-٣٣٧، وانظر: الصفدية ١/ ٢٠٣.

(٢) هو الصوفي الكبير، والحلولي الخطير: سليمان بن علي بن عبد الله بن علي العابدي المعروف بالعفيف التلمساني!!، من مؤلفاته: شرح فصوص الحكم، المواقف في التصوف، توفي سنة: ٦٩٠هـ انظر: معجم المؤلفين٤/ ٢٧٠.

(٣) المجموع ١٢/ ٢٤.

ويقولون بأن القرآن جاء بما هو خيال حتى لا ينفر العوام[١]، **ومنهم من يقول**: بأن القرآن ظاهره للعوام، وأما الخواص فلم يُكلفوه، يقول الغزالي: «لم يكلف الشرع أجلاف العرب أكثر من التصديق الجازم بظاهر هذه العقائد؛ فأما البحث والتفتيش، وتكلف نظم الأدلة فلم يكلفوه أصلا»[٢].

فالمبتدعة عموما، وأهل الفلسفة والمنطق خصوصا: تعلموا القواعد المنطقية والفلسفات، قبل تعلمهم لكتاب رب الأرض والسماوات، وقبل تعلمهم لسنة خير البريات، ولهذا كان منهم نفي الصفات، والوقوع في تحريف الآيات[٣]، ويدل على عدم تعظيم الفلاسفة للقرآن الكريم أمور منها:

١- أن القرآن الكريم ثبت فيه ذكر أن هناك ملائكة، وأن هناك جنا، وهؤلاء لا يثبتون شيئا من ذلك، فخالفوا طوائف المسلمين، وصريح ما دل عليه القرآن المبين، حيث قالوا: «الملائكة عبارة عن العقول المجردة والنفوس الفلكية»[٤]، و«هؤلاء يلزمهم إقامة دليل على النفي، ولا دليل لهم: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [يونس:٣٩]، وهذا مما ينبغي أن يعرف؛ فإن عمدة هؤلاء النفي والتكذيب بلا علم»[٥].

٢- يسمون ما تنتجه العقول من القواعد والأصول: براهين، وأما نصوص الشرع الواردة، فإنما تكون براهين إذا لم تخالف هذه الأصول الموضوعة، التي جاؤوا بها مخالفين لكلام رب العالمين، يقول ابن رشد: «فواجب أن نجعل نظرنا في الموجودات بالقياس العقلي، وبينٌ أن هذا النحو من النظر الذي دعا إليه الشرع، وحث عليه، هو أتم أنواع النظر، بأتم أنواع القياس، **وهو المسمى برهانا**»[٦]. ثم بدأ

---

(١) انظر: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ٢٧.

(٢) الإحياء للغزالي ١/ ١٥٢.

(٣) انظر: المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري ٢/ ٤٨٥.

(٤) الدر النضيد لابن الحفيد ص ٣٤٧، وانظر: الصفدية ١/ ٢٠١.

(٥) الصفدية ١/ ١٦٦ بشيء من التصرف.

(٦) فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص١٢، ويؤكد بأن القياس البرهاني الفلسفي المنطقي يقيني، وأنه لا يقبل الخطأ!! انظر: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ١٨.

يذكر كيف تعرف البراهين، وأنواع الأقيسة، وما هو القياس، حتى يتوصل بزعمه إلى معرفة الصانع[١]، بل أوجب النظر في كتب المتقدمين حتى يحصل اليقين في رب العالمين!! وهو يعني بكتب المتقدمين كتب الفلاسفة اليونانيين[٢]، وهذا يعني أن معرفة رب العالمين لا تحصل بما دل عليه القرآن الكريم؛ فأي تعظيم هذا لكتاب الله ﷻ المنـزل؟؟.

٣- **ولأجل عدم العار عليهم والشنار** في أقوالهم البدعية الفلسفية، وما قاله مشايخهم من الأصول الكفرية، تراهم يبررون أقوالهم بشتى الآراء، ولو خالفت صريح القرآن، ومن ذلك مخالفة الفلاسفة للقرآن الكريم في إثبات المعاد، فهم يرون أن المعاد وبعث الأجساد لا يكونان إلا على سبيل التخييل، لا على الحقيقة[٣]، **وأراد ابن رشد** أن يخفف من وطأة هذه المسألة التي شنع العلماء بها على الفلاسفة، فزعم أن المعاد الجسماني أمر مختلف فيه!!! مع أن صريح القرآن والسنة، بل والشرع كله، بل الأديان الموروثة من الأنبياء كلها تقر بالبعث الجسدي، وأنه على الحقيقة دون الخيال العقلي؛ فهذا ابن رشد بعد أن بين أن من الشرع ما يجب تأويله!! ومن الشرع ما لا يجوز تأويله وقسم مختلف فيه!!، ذكر مسألة المعاد فقال: «فمن أي المراتب الثلاث، هو عندكم ما جاء في صفات المعاد، وأحواله؟، فنقول:**إن هذه المسألة الأمر فيها بين أنها من الصنف المختلف فيها...، ويشبه أن يكون المخطئ في هذه المسألة من العلماء معذورا...، وأما من كان من غير أهل العلم فالواجب في حقه حملها على الظاهر،** وتأويلها في حقه كفر؛ لأنه يؤدي إلى الكفر، ولذلك نرى أن من كان من الناس فرضه الإيمان بالظاهر، فالتأويل في حقه كفر؛ لأنه يؤدي إلى الكفر»[٤]، وصرح الغزالي أن المؤول للقرآن ليس بكافر، وإن خرق الإجماع في التأويل، فليفعل الباطنية والصوفية ما

---

(١) انظر: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ١٣.

(٢) انظر: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ١٥.

(٣) انظر: دستور العلماء ٢/ ٣٥.

(٤) فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ٢٨.

يشاءون في نصوص الوحيين، بعد هذه الفتوى التي خرجت من الغزالي من غير روية أو بينة[1]، **كذلك الفلاسفة يزعمون** أن الأنبياء جاؤوا بالأعمال التي «تفيد السعادة، وتجنب الأفعال التي تفيد الشقاء»[2]، وهذا يعني أن الأنبياء لم يأتوا لبيان المعاد والبعث والنشور والجنة والنار حقيقة، وأن الأنبياء هم رجال كمل جاؤوا بما يحقق السعادة، وإن كان مع ذلك عندهم شيء من التخييل، فإن ذلك تبع لغلبة العوام، وليس ذلك مقصودا استقلالا!!!.

٤- **ومن المعلوم** أن القرآن بل الشرع كله دل على أن ما سوى الله من العالَم فهو محدَث مخلوق، وهؤلاء يزعمون أنه ليس محدَثا مخلوقا!!، يقول ابن رشد: «فأما أن يقال لهم ـ أي لجمهور الناس ـ: **إن عقيدة الشرع في العالم هي: أنه محدَث، وأنه خلق من غير شيء، وفي غير زمان، ذلك شيء لا يتصوره العلماء فضلا عن الجمهور!!**»[3].
كيف لا يتصور الجمهور أن العالَم مخلوق لله، وهو شيء يجده عامة الناس: مسلمهم وكافرهم في صدورهم من غير استدلال عليه، لكن إذا دنست العقول بالأفكار الفلسفية فيصعب تصور ذلك، ولو كان المتصور له عالِما، ولا ريب أن العالَم محدث مخلوق لله ﷻ خلقه في زمن، وأن هذا الزمن ليس قديما مع الله، والمادة المخلوقة منها العالَم ليست قديمة مع الله كما تزعمه الفلاسفة، بل هو خلق لله ﷻ، **فهؤلاء إذا رأوا آية من القرآن** فضلا عن الأحاديث مخالفة لقواعدهم الفلسفية يقولون: «مقصود الرسول أن يخيل إلى الجمهور اعتقادا ينتفعون به في الدنيا، وإن كان كذبا وباطلا...، وحقيقة قولهم أن الرسل كذبت فيما أخبرت به عن الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر؛ لأجل ما رأوه مصلحة الجمهور في الدنيا»[4].

---

(١) انظر: مناهج الأدلة لابن رشد ص٩٢.
(٢) فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ٣٠، وانظر إليه كيف يقسم الناس إلى أهل الظاهر، ويسميهم بأهل التخييل، وأهل البراهين وهم أهل العلم بالحقيقة، ص ٣٣.
(٣) مناهج الأدلة لابن رشد ص ١١١.
(٤) منهاج السنة ٢/ ١٠٩.

٥- **ومن عدم تعظيمهم للقرآن** القول بأنه لا وجود لما جاء به القرآن من ذكر الجنة والنار...، فهم لا بألفاظ القرآن والسنة أذعنوا، ولا لمعانيه انقادوا، فحرفوا الكلم عن مواضعه، بظن أن هذه الألفاظ غير مقصودة، وأن المراد بها المعاني البعيدة، فـ «لا يقرون بألفاظ القرآن والسنة المشهورة؛ فإنهم يحرفون الكلم عن مواضعه، ويقولون: هذه أمثال ضربت لنفهم المعاد الروحاني، وهؤلاء مثل القرامطة الباطنية، الذين قولهم مؤلف من قول المجوس والصابئة، ومثل المتفلسفة الصابئة المنتسبين إلى الإسلام، وطائفة ممن ضاهوهم من كاتب أو متطبب أو متكلم أو متصوف، كأصحاب رسائل إخوان الصفا، وغيرهم، أو منافق، وهؤلاء كلهم كفار يجب قتلهم باتفاق أهل الإيمان»[1].

٦- **كيف يكون الفلاسفة معظمين للقرآن** وهم يعتقدون أنه جاء بالتخييل، وما يفيد الوهم[2]، وأنه لا حقيقة في أعظم قضاياه وهو الإيمان بالبعث والنشور، ونشر الأجساد من القبور، والمصير من دار الغرور إلى دار النار أو الحبور، **ومن جملة مقالاتهم** في بيان أن ما أخبر به الرسل إنما هي تخييلات: «النفوس إذا فارقت، وقد رسخ فيها نحو من الاعتقادات في العاقبة على مثل ما **يخاطب به العامة**، ولم يكن لهم معنى جاذب إلى الجهة التي فوقهم لإكمالها؛ فتسعد تلك السعادة، ولا عدم كمال فتشقى تلك الشقاوة، بل جميع هيئاتهم النفسانية متجهة نحو الأسفل، منجذبة إلى الأجسام، **ولا بد لها من تخييل، ولا بد للتخييل من أجسام...، فلا بد لها من أجرام سماوية تقوم بها القوة المتخيلة؛ فتشاهد ما قيل لها في الدنيا من أحوال القبر والبعث والخيرات الأخروية!!!** وتكون الأنفس الرديئة أيضا تشاهد العقاب المصور لها في الدنيا وتقاسيه؛ **فإن الصورة الخيالية ليست تضعف عن الحسية، بل تزداد تأثيرا كما تشاهد في المنام، وهذه هي السعادة والشقاوة**»[3]، **فانظر بعين البصيرة**، كيف جعل ما

---

(١) المجموع ٤/ ٣١٤، وانظر: المجموع ٥/ ١٦٨، ١٦/ ٤٤١.

(٢) انظر: النجاة في المنطق والإلهيات لابن سينا ٢/ ١٦٦-١٦٧، والصفدية لشيخ الإسلام ١/ ٢٠١.

(٣) من كلام ابن سينا كما نقله الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ص٤٥٤.

أخبر به الرسل وما أجمع عليه أهل الملل تخييلا، وجعلها كالمنامات، وأن هذه هي السعادة، وهي الشقاوة!!، **ويقولون فيما جاء به النبي ﷺ**: «يدعو إلى التوحيد، ويمنعهم من الشرك، ويسن لهم الشرائع والأحكام، ويحثهم على مكارم الأخلاق، وينهاهم عن التباغض والتحاسد، ويرغبهم في الآخرة وثوابها، **ويضرب لهم للسعادة والشقاوة أمثالا تسكن إليها نفوسهم!!**، **وأما الحق فلا يلوح لهم منه إلا أمرا مجملا!!**»[(١)]؛ **فإذا لم يكن القرآن قد بين الحق شافيا كافيا؛ فأي كتاب في الدنيا**، وأي شيء يمكن أن يبين الحق!؟، أهم هؤلاء أذناب الفلسفة اليونانية، أو الهندية!!؟.

٧- **ويسخرون من العبادات التي جاء بها الأنبياء، وما يحصل لهم بها الأجر عند العقلاء؛ فيقولون عن الصلاة والصيام**: «ثم تكريره عليهم العبادات ليحصل لهم بعده تذكر المعبود بالتكرير، والمذكرات: إما حركات، وإما أعدام حركات تفضي إلى حركات؛ فالحركات كالصلوات، وما في معناها، وأعدام الحركات كالصيام، ونحوه، **وإن لم يكن لهم هذه المذكرات، تناسوا جميع ما دعاهم إليه مع انقراض قرن أو قرنين**»[(٢)]، **وهذا** يفيد أن الصلوات إنما هي للتذكير بالمتخيلات، حتى لا تُنسى، وليقوم العامة بالمصالح التي دعا إليها الأنبياء فحسب، وأما المعاد فأمرها تخييل!![(٣)].

٨- **تسويتهم بين الرسول النبي والحكيم الفلسفي**، قال الشهرستاني مبينا عقيدة الفلاسفة في تفريقهم بين النبي والحكيم الفلسفي!!: «الأنبياء عليهم السلام أُيدوا بأمداد عقلية تقريرا للقسم العملي، ولطرف ما من القسم العلمي، والحكماء تعرضوا لأمداد عقلية تقريرا للقسم العلمي، ولطرف من القسم العملي؛ فغاية الحكيم هو أن يتجلى لعقله كل الكون، ويتشبه بالإله الحق تعالى وتقدس بغاية الإمكان!! وغاية النبي أن يتجلى له نظام الكون؛ فيقدر على ذلك مصالح العامة حتى يبقى نظام العالم، وتنتظم

---

(١) من كلام ابن سينا كما نقله الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ص٤٥٥، وانظر: المجموع ١٧/ ٣٥٦، ١٩/ ١٥٦.

(٢) من كلام ابن سينا كما نقله الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ص٤٥٥-٤٥٦.

(٣) انظر: شرح الأصبهانية ص٦٣٤.

مصالح العباد!!، وذلك لا يتأتى إلا بترغيب وترهيب، وتشكيل وتخييل!!!»[(١)].

٩- ومما يدل على عدم تعظيمهم لكتاب الله ﷻ وخطابه أنهم سعوا بالتأويلات الفاسدة، ومن تأويلاتهم الفاسدة التي تدل على عدم تعظيمهم للقرآن، وأن معاملتهم معها معاملة من يتعامل مع شيء ثانوي لا أساسي، يقول ابن رشد[(٢)] ـ بعد أن بين سبب إخفاء التأويلات الفلسفية، ووجوب ذلك ـ: «فقد تبين لك من هذا أنه ليس يجب أن تثبت التأويلات الصحيحة في الكتب الجمهورية، فضلا عن الفاسدة، **والتأويل الصحيح هي الأمانة التي حملها الإنسان، فأبى أن يحملها، وأشفق منها جميع الموجودات، أعني المذكورة في قوله ﷻ**: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب:٧٢]، **فانظر ـ رعاك الله ـ كيف أول الآية تأويلا فلسفيا لم يعرفه علماء الإسلام** قاطبة، فضلا عن السلف الصالح ومن اتبعهم من البقية الباقية، فهل الأمانة هي التأويلات الفاسدة!؟؟ سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم. هذا الكلام يصدر من فيلسوف من علماء الإسلام، مع أنه يعرف أن السلف الصالح ما عرفوا التأويل في آيات الكتاب العزيز، فكيف يسوغ لغيرهم ذلك، بل ويوجبه على الخاصة، فهل هم أعلم من أولئك!؟؟ **وانظر إليه وهو يقرر أن السلف ما عرفوا ذلك فيقول** ـ رادا على نفسه، ومناقضا نفسه ـ: «**فإن الصدر الأول إنما صار إلى الفضيلة الكاملة والتقوى باستعمال هذه الأقاويل دون تأويلات فيها**، ومن كان منهم وقف على تأويل لم ير أن يصرح به، **وأما من أتى بعدهم؛ فإنهم لما استعملوا التأويل قل تقواهم، وكثر اختلافهم، وارتفعت محبتهم، وتفرقوا فرقا**»[(٣)]، **وقطعا السلف لم يعرفوا التأويل**، فعاشوا كما وصفهم ابن رشد بنفسه، والخلف لما عرفوا التأويل الفاسد، والفلسفة والمنطق عاشوا شذر مذر كما نطق به قلمه.

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ص ٣١٣.

(٢) فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ٣٥.

(٣) فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ٣٧.

١٠- **ومما يدل على عدم تعظيمهم للكتاب العزيز وما دل عليه،** أنهم يساوونه بزبالات الأفكار، وما أنتجته آراء الفلاسفة الأشرار، يقول ابن رشد عن الفلسفة التي يسميها بالحكمة: «**الحكمة هي صاحبة الشريعة، والأخت الرضيعة،** فالأذية ممن ينسب إليها أشد الأذية مع ما يقع بينهما من العداوة والبغضاء والمشاجرة، **وهما المصطحبتان بالطبع، المتحابتان بالجوهر والغريزة!!**»[1]؛ فأي تعظيم للقرآن بعد الجمع بين زبالات الأفكار وما جاء منـزلا من الله العزيز الغفار!؟.

١١- **ومن استهانتهم بآيات القرآن الكريم** ما يعتقدون من أن النبي بقوته المتخيلة يغير مجريات الأمور في العالم، ولهذا تظهر المعجزات، لا أن الله ﷻ فعل ذلك، يقول ابن سينا: «وقد تبلغ نفس إنسانية في الشرف إلى حد يناسب تلك النفوس؛ فتفعل فعلها، وتقوى على ما قويت هي!! فتزيل جبلا عن مكانه، وتذيب جوهرا فيستحيل ماء، وتجمد جسما سائلا فيستحيل حجرا...»[2]، **ويكفيك ما قد عرفت** من أنهم يقولون في القرآن: إنه فيض يفيض على النبي ﷺ، من جهة العقل الفعال!!، لا أن هناك كلاما تكلم الله به، قائم به[3]، فهل هذا القول يصدر عمن يحترم آيات الله ﷻ، ويوقر معانيه، ويقف عند مبانيه؟؟.

وأما ما يظهرونه من تعظيم القرآن، فذلك ليس لكونه كلام الله ﷻ، وإنما لاعتبارات أخرى، ومنها:

أ- أنه جاء بخطاب جمهوري فيه سعادة البشر، وهذا يعني أنه كأي دستور، وكتاب فيه منافع عظيمة، فينبغي أن يعظم، لا لحقيقة نفسه، مع أن أهل السنة معظمون للقرآن لحقيقة كونه كلام الله ﷻ، وليس فقط لكونه دالا على ما فيه سعادة البشر.

(١) فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ٣٨.

(٢) من كلام ابن سينا كما نقله الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ص٤٨٥.

(٣) انظر: شرح الأصبهانية ٣٢٩.

ب- أنهم يعظمون القرآن لكونه دالا على كلام الله أو مؤشرا عليه، يقول ابن رشد: « وأن اللفظ الدال عليه مخلوق..، وأما الحروف التي في المصاحف، فإنما هي من صنعنا بإذن الله، **وإنما وجب لها التعظيم لأنها دالة على اللفظ المخلوق لله، وعلى المعنى الذي ليس بمخلوق** »[1]؟؟؟.

ت- أن من منع منهم التأويل في آيات القرآن الكريم، حتى يُظن أنهم معظمون له، وأنهم يردون على أهل الكلام المتأولين؛ فهذا ليس « لأجل الإيمان، والتصديق بمضمونها، بل لعلمهم بأنه ليس لها قانون مستقيم، وفي إظهارها إفساد الخلق؛ فيرون الإمساك عن ذلك مصلحة، وإن كان حقا في نفسه!!! وهؤلاء قد يقولون: الرسل خاطبوا الخلق بما لا يدل على الحق؛ لأن مصلحة الخلق لا تتم إلا بذلك!!»[2].

فإذا كان هكذا تعظيم القرآن عندهم: تأويل لنصوصه وتحريف لمعانيه وعدم اعتماد عليه؛ فكيف يكون استدلالهم به، هذا ما أبينه في المبحث التالي.

---

(١) مناهج الأدلة ص ٧٣.

(٢) درء التعارض ٥/ ٣٨٠.

المبحث الثالث
عدم الرجوع إلى القرآن والصدور عنه في العقائد والرد عليهم

إن من الأمور الواضحة عند فلاسفة المسلمين عدم الرجوع إلى القرآن؛ والصدور عنه؛ فهم يرون أن القرآن والسنة بل جميع الأنبياء إنما جاؤوا بالتخييل، وهذا يعني أنه في جميع أموره لا حقيقة له، وأن كل ما جاء من علو الله ﷻ ونزول وحيه، والملائكة، والبعث والنشور، والجنة والنار، يرون أن ذلك كله من باب التخييل!!.

بل ـ بعد قراءة لبعض مقالات القوم ـ أجزم بأنهم لا يوافقون القرآن إلا في الرسم، وأما فيما يسمونه الإلهيات فلا؛ فكل مسألة عقدية لهم فيها كلام، اعتقادهم فيها على خلاف ما جاء في القرآن، حين التمعن والنظر الدقيق، كما بين ذلك علماء المسلمين.

وعلى أساس أن القرآن جاء بالتخييل!!، ويسمونه: الأسلوب الخطابي، أو الوعظي، بنى ابن رشد كتبه فهو يصرح بأن كل ما خالف الفلسفة (ويسميها: الحكمة) فإن ذلك تخييل لمصلحة الجمهور، ويعني به عامة الناس، ونظرة واحدة إلى كتابيه: فصل المقال، ومناهج الأدلة تدلك على شدة اعتقاده بالتخييل في نصوص القرآن، فضلا عن السنة، وقد سقت فيما مضى نصوصا تدل على ذلك.

وإذا تبين هذا فكيف يطلب منهم بعد ذلك أن يأخذوا عقائدهم من القرآن، وهم يصرحون أن هذا للجمهور البسطاء، والعامة الغوغاء، وليس للحكماء!!؟.

ويحتجون على أن القرآن لا يؤخذ منه شيء لأن ما فيه تصورات وتخييلات!!!.

ولما اعتقدوا أن نصوص الوحي جارية على التخييل، صاروا هم يعملون فيه بالتحريف ـ للخاصة ـ، زاعمين أن هذا هو الطريق السديد، ويسمونه بالتأويل الرشيد!!.

ويستدلون بالقرآن لنشر تلبيساتهم، فهم يستدلون بوجوب مخاطبة الجمهور بالتخييل بقول الله ﷻ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[الإسراء:٨٧] فيقولون: لا سبيل للجمهور إلى فهمها!! يعنون بذلك أنّ الصحابة العلماء الراسخين في العلم هم من الجمهور الذين تجب مخاطبتهم بالخيال!!، وأما هؤلاء الفلاسفة أذناب اليونان فلا يروق لهم إلا التأويل الذي هو واجب العلماء!!.

ويقول ابن رشد بعد أن ذكر ما سبق: « **وههنا أيضا ظاهر يجب على أهل البرهان تأويله، وحملهم إياه على ظاهره كفر، وتأويل أهل غير البرهان له، وإخراجه عن ظاهره كفر في حقهم، أو بدعة**، ومن هذا الصنف آية الاستواء، وحديث النـزول، **ولذلك قال ﷺ في السوداء، إذ أخبرته أن الله في السماء [اعتقها فإنها مؤمنة]**[1] **إذ كانت ليست من أهل البرهان!!** »[2].

عجبا لابن رشد كيف يوجب التأويل على أهل البرهان ويقول: إن عدم التأويل في حقهم كفر، ثم يرى رسول الله ﷺ لا يؤول أم أنه ﷺ لم يكن عنده من أهل البرهان؟؟! أو أنه لم يكن بحجة وقوة أهل البرهان في البيان، فخاف على المرأة الافتتان، فسكت عن التأويل والبيان!!، ثم كيف يكون في نفس الوقت التأويل لغير أهل البرهان كفر أو بدعة!! إلا إذا اعتقد أن القرآن والسنة فيهما دينان، دين لعامة الناس، ودين للخواص!! ثم مَن هؤلاء الخواص هل هم الصوفية الغلاة، أم المتفلسفة أشباه المسلمين، أم المتكلمون المتهوكون؟.

ومن تأويلاتهم الفاسدة التي تدل على أنهم لا يقيمون لما دلت عليه النصوص الشرعية اعتبارا، أن الله ﷻ في أكثر من آية أخبر بأن النفخ في الصور كائن يوم القيامة،

---

(١) رواه مسلم، كتاب المساجد، باب/ تحريم الكلام في الصلاة..، ح(٥٣٧) عن معاوية بن الحكم السلمي ﷺ.

(٢) انظر: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ٢٧.

وأن ذلك إيذان بنهاية العالم، **وهؤلاء يزعمون: «أن النفخ في الصور الذي هو سبب الصعقة وقوف الفلك!!»**[١].

ومن مخالفاتهم الصريحة للآيات والأحاديث الصحيحة أنهم يقولون: بأن الوحي يمكن أن يدرك إذا صفيت النفس، كما يقول ابن سينا: «إن بعض النفوس يقوى قوة لا تشغله الحواس، ولا تمنعه، بل يتسع بقوته للنظر إلى عالم العقل، والحس جميعا؛ **فيطلع إلى عالم الغيب؛ فيظهر له بعض الأمور مثل البرق الخاطف، وبقي التصور المدرك في الحافظة بعينه، وكان ذلك وحيا صريحا»**[٢].

فإذا كان هذا معتقدهم في الوحي؛ فكيف يحتجون به بعد ذلك؟ طبعا، لا يمكن الاحتجاج بما هو من باب المتخيلات!!.

ولا يحتجون بالقرآن ـ في المسائل التي هي للخاصة ـ بزعم أن القرآن جاء بالطريقة الخطابية، وهو عري عن الطريقة البرهانية، أو مشتمل على قليل منها!![٣]، يقول ابن سينا: «الشرائع واردة بخطاب الجمهور بما يفهمون، مقربا ما لا يفهمون إلى أوهامهم **بالتمثيل والتشبيه**، ولو كان غير ذلك لما أغنت الشرائع البتة؛ **فكيف يكون ظاهر الشرائع حجة في هذا الباب؟!!... ـ فهذا للخاصة ـ: أن ظاهر الشرع غير محتج به في مثل هذه الأبواب!!!»**[٤].

والجواب عن هذا من وجوه:

١ - أن هذا مخالف للقرآن كله، من أوله إلى آخره، فالقرآن ملزم للناس كافة، وليس للعامة دون الخاصة، وفيه الهداية التامة للعامة والخاصة، والإيمان به واجب للعامة والخاصة؛ فكل من ادعى أنه يمكنه أن يخرج عن طريق وشرع محمد ﷺ؛ فهو

---

(١) مناهج الأدلة لابن رشد ص ١٠٤.

(٢) من كلام ابن سينا كما نقله الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ص٤٨٤.

(٣) انظر: المجموع ٢/ ٤٦.

(٤) الأضحوية ص٥٠.

مرتد عن الإسلام، وقد ناقض شرعة الرحمن[١].

٢- أن هذا الكلام بعينه هو كلام الجهمية ـ بل وأشد منه ـ وقد علم القاصي والداني أن الجهمية لما عملت بمعول التأويل في النصوص تيقن العلماء أنهم زنادقة يريدون هدم الدين، وتخريب دين المسلمين، وأن منهم منافقون، وآخرين مغرورون، ولهذا قالوا: "الرد على الزنادقة والجهمية"[٢]؛ فعاب الأئمة عليهم «أنهم يفسرون القرآن بغير ما هو معناه، ولم يقل أحمد ولا أحد من الأئمة: إن الرسول ﷺ لم يكن يعرف معاني آيات الصفات وأحاديثها، ولا قالوا: إن الصحابة والتابعين لهم بإحسان لم يعرفوا تفسير القرآن ومعانيه»[٣]، فكيف بالفلاسفة الذين يقولون: إن القرآن ليس إلاَّ متصورات خيالية، وليس فيها حقائق علمية؟؟، أو كيف يطيب لهم أن يقرّروا أنّه للجمهور دون الخاصة!!؟.

٣- كيف لا يكون القرآن حجة ـ في العقائد وغيرها ـ؟! والقول بالتخييل باطل ـ كما سيأتي ـ، ثم بأي شيء قامت الحجة على الصحابة الفضلاء، وهم الأئمة الحكماء ـ بحق ـ؟؟.

٤- أليس الله قد أمرنا بتدبر القرآن الكريم، مما يعني أن لألفاظه معاني، وأن هذه المعاني ظاهرة، وأن من موجبات التدبر، العمل والتفكر، لا التحريف والتضجر، وقد أمر الله بتدبر كتابه في أكثر من آية فقال ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[ص:٢٩] وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[النساء:٨٢]، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[محمد:٢٤] فهذه الآيات وأمثالها فيها الدلالة على وجوب تدبر القرآن، وأخذ الأحكام منها، ولم يأمر الله ﷻ بتدبر بعض آياته، ولم يستثن من القرآن شيئا؛

(١) انظر: الدرء ٥/ ١٦ وما بعدها.

(٢) هكذا سمى الإمام أحمد كتابه، والإمام البخاري، والإمام ابن مندة، وآخرون، ـ رحمهم الله ـ.

(٣) نقض المنطق ص٥٨ بتصرف يسير.

فدل أنه في جميع آياته يتدبر، ويؤخذ منها الأحكام العلمية والعملية، قال شيخ الإسلام رحمه الله بعد أن سرد تلكم الآيات ـ: «وأمثال ذلك في النصوص التي تبين أن الله يحب أن يتدبر الناسُ القرآن كله، وأنه جعله نورا وهدى لعباده، ومحال أن يكون ذلك مما لا يفهم معناه...، ومن يقول في الرسول، وبيانه للناس: إنه لم يفهم القرآن، ولم يعرف معناه، إنما هو من قول الملاحدة»[1].

٥- أن هؤلاء الفلاسفة ومن تبعهم ليس لهم مستند في طرح آيات الكتاب، إلا التخيلات والظنون الكاذبات، فهم فيما يقولونه في رب البريات، أو فيما يدعونه في النبوات، أو فيما يتعلق بالمعاد والنار والجنات، ليس لهم مستند من خبر الأنبياء، «**لا الكتاب، ولا السنة، ولا أقوال السلف، ولا مستندهم فطرة العقل، وضرورته؛ ولكن يقولون: معنا النظر العقلي!!**، وأما أهل السنة...؛ فيقولون: إن ذلك ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، مع فطرة الله التي فطر العباد عليها، وضرورة العقل، ومع نظر العقل واستدلاله»[2].

٦- أن القرآن لا يشتمل إلا على ما هو حق ويقين، مشتمل على المقدمات المشهورة، أو المسلمة؛ فلا بد أن تكون نتائجها يقينية، وأما مجرد الاكتفاء بالمقدمات المسلمة من المنازع من غير كونها صادقة، أو بمجرد كون المقدمة مشهورة، وإن لم تكن صادقة؛ فمثل هذه المقدمات لا يشتمل عليها كلام الله ﷻ الذي كله حق وصدق، وهو أصدق الكلام وأحسنه، ولقد اشتمل القرآن في جميع مقدماته على الطريقة البرهانية، وتكون تارة خطابية، وتارة جدلية، مع كونها برهانية[3]، و«الناس ثلاثة أقسام: إما أن يعترف بالحق ويتبعه؛ فهذا صاحب الحكمة؛ وإما أن يعترف به لكن لا يعمل به؛ فهذا يوعظ حتى يعمل؛ وإما أن لا يعترف به؛ فهذا يجادل بالتي هي أحسن،

---

(١) نقض المنطق ص٥٩.

(٢) المجموع ١٦/ ١١٠.

(٣) انظر: المجموع ٢/ ٤٦.

لأن الجدال في مظنة الإغضاب؛ فإذا كان بالتي هي أحسن: حصلت منفعته بغاية الإمكان، كدفع الصائل»[١]، فالقرآن فيه المقدمات اليقينية البرهانية التي لا تنتج إلا الصدق والحق، وقد يكون مصوغا بالأسلوب للخطابي، أو الوعظي، أو الجدلي مراعاة لحال المخاطَبين، ولا يشتمل القرآن على المقدمات الوعظية والجدلية البحتة.

٧- أن بعض الفلاسفة قد اعترفوا بأن العقول تكل فيما وراء الطبيعة ـ الغيب ـ؛ فلا تستطيع أن تدرك الحقائق، يقول أحدهم[٢]: «نرى ما بعد الطبيعة علما مستحيلا، وراء الطبيعة، وراء حواسنا، فيجب أن يترك بمضيعة، ويُعد من سقط المتاع»[٣]، فهذا اعتراف صريح بعدم إدراك العقول المجردة لماهية ما وراء الطبيعة؛ فلم يبق إلا النص، ومعلوم أن النصوص لا تخالف العقول، ولكن العقول قد تحار فيها؛ فيجب المصير إليها.

٨- أن الفلاسفة المسلمين رأوا أن القرآن والسنة حق؛ فآمنوا بها ـ من حيث الجملة ـ وأن الفلسفة حق، والحق لا يتعدد؛ فراموا الجمع بينها، ويؤخذ عليهم« أنهم لم ينظروا إلى الفلسفة اليونانية ـ كما كان ينبغي أن ينظروا إليها ـ من أنها مجموعة أقوال ومذاهب قد يناقض بعضها بعضا، وأن ما يذهب إليه "أرسطو" في مسألة، قد يكون مناقضا لما يذهب إليه "أفلاطون" فيها، بل نظروا إليها كأنها حقيقة واحدة ملتئمة... ـ واعتقدوا الخلاف بين الفلاسفة أنفسهم: خلاف تنوع، لا خلاف تضاد ـ؛ وعدوا أقوال الفلاسفة المختلفة شرحا لحقيقة واحدة؛ فبذلوا جهدا عظيما في التوفيق بين أقوال "أفلاطون" و"أرسطو" وزاد عليهما المتدينون "القرآن"!!!... فمزج اللوح والقلم، والكرسي، والعرش، والملائكة، والسماوات السبع، بتعاليم اليونانيين الوثنيين مع ما بين أجزائها من التناقض»[٤]، فهذا قول متفلسف يشهد بخطأ شيوخه وأساتذته.

---

(١) المجموع ٢/ ٤٥.

(٢) وهو مؤلف كتاب: " القوة المادية" لـ "بخنر".

(٣) مبادئ الفلسفة لأحمد أمين، ص ٢٦.

(٤) مبادئ الفلسفة لأحمد أمين، ص ١٢٩-١٣٠.

٩- أن الظنون والأوهام الكاذبة هي التي تؤدي إلى جعل القرآن فرعا في العقائد، وذلك بظنهم أنها مشوبة، كما يقولون: «إن الشريعة قد دنست بالجهالات!!، واختلطت بالضلالات!!، ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة!!؛ لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية!! وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال!!»[(١)]، وهذا كمن يجمع بين الثرى والثريا؛ فضياء الشرع ونور القرآن لا يجتمعان في قلب امرئ مع فلسفة اليونان، أهل الوثنية والبهتان، خصوصا أن أهل الفلسفة لم يكونوا مستضيئين بنور النبوة[(٢)].

١٠- أن المنهج الذي سلكه الفلاسفة في الأمور الإلهية منهج عقلي، لا يرجعون في شيء منها إلى المنـزَّل، وإنما يعرفون ما قاله أوائلهم، وزادوا عليها بعضا من المقدمات المنطقية[(٣)].

فهؤلاء الفلاسفة لا يقيمون للقرآن وزنا في باب الاعتقاد، إذ «يقولون: إن الرسل خاطبوا خطابا قصدوا به التخييل إلى العامة!!...، لا أنهم قصدوا الإخبار بالحقائق!!»[(٤)].

قال ابن الوزير اليماني رحمه الله: «ولا شك أن الحق في خلاف هذا فقد نص الله على أن الرسل إنما أرسلت لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل»[(٥)].

والفلاسفة من أهل التخييل، سواء قلنا أنهم من أهل التخييل المكذبة، وهم الذين يقولون: بأن هذا تخييل من الرسول وهو يعلم أنه تخييل، أو من أهل التخييل المجهلة، وهم الذين يقولون: بأن هذا تخييل والرسول لا يعلم بها، وإنما يعلمها نظارنا[(٦)]، وقد

---

(١) مبادئ الفلسفة لأحمد أمين، ص ١٣١.

(٢) ابن تيمية السلفي للشيخ محمد خليل هراس ص٣٧.

(٣) انظر: منهاج السنة ١/ ٩٦، ابن تيمية السلفي للشيخ محمد خليل هراس ص٣٨.

(٤) نقله شيخ الإسلام رحمه الله عنهم كما في النبوات ص٢٥٢.

(٥) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٨٥.

(٦) انظر: الدرء ١/ ٩.

اتفقوا على أن الشرع لم يصرح للجمهور الأمور التي لا يستطيعون إدراكها؛ فأتاهم بما هو خيال أو توقف في المقال!![١].

ومن **الأسباب** التي من أجلها لا يستشهدون بالآيات القرآنية في باب العقائد، ولا يعتمدون عليها في الاحتجاج، **اعتقادهم أنها تدل على التشبيه**، الذي جاء به الأنبياء من أجل الجمهور!!، ويقولون: «يجب على الرسول أن يدعو الناس إلى اعتقاد التجسيم مع أنه باطل، وإلى اعتقاد معاد الأبدان مع أنه باطل!!، ويخبرهم بأن أهل الجنة يأكلون ويشربون، مع أن ذلك باطل!! قالوا: لأنه لا يمكن دعوة الخلق إلا بهذه الطريق التي تتضمن الكذب لمصلحة العباد؛ فهذا قول هؤلاء في نصوص الإيمان بالله واليوم الآخر، وأما الأعمال؛ فمنهم من يقرها، ومنهم من يجريها هذا المجرى»[٢].

وما احتج به هؤلاء على التخييل والتجهيل هو بعينه ما احتج به الدهريون والملاحدة على إنكارهم للنبوات والمعاد، حتى قالوا إن ما جاء به الأنبياء لا يستفاد منه العلم؛ وأن ما جاء به الأنبياء من الشرائع إنما هو تزكية للنفوس ليس إلا، وذلك في حق العامة لا الخاصة!![٣].

قال شيخ الإسلام رحمه الله عن الفلاسفة: «وهؤلاء يقولون: الأنبياء قصدوا بهذه الألفاظ ظواهرها، وقصدوا أن يفهم الجمهور منها هذه الظواهر، وإن كانت الظواهر في نفس الأمر كذبا وباطلا ومخالفا للحق!!، فقصدوا إفهام الجمهور بالكذب والباطل للمصلحة!!»[٤].

فكيف يطلب منهم أن يحتجوا بالقرآن الكريم إذا كان هذا حالهم!!؟ ومعلوم أن الرسول ﷺ بلغ البلاغ المبين، بل أخذ الله الميثاق على العلماء للبيان؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ

---

(١) انظر: الدرء ١٠/ ٢٦٦.

(٢) المجموع ٥/ ٣٢.

(٣) انظر: الدرء ٥/ ٣.

(٤) الدرء ١/ ٩، وانظر منه ١٠/ ٢٧١، المجموع ١٩/ ١٦٣.

﴿وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ﴾[آل عمران:١٨٧]، فكيف بالأنبياء؟! ولعن الله كاتم العلم؛ فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾[البقرة:١٥٩] فأخبر ﷻ أنه بين للناس في الكتاب البينات والهدى؛ فكيف يكون بعد ذلك عدم بيان من الأنبياء والصلحاء إما بكتمان أو بعدم العلم، ويعلمه هؤلاء المدعون للحكمة من أهل الفلسفة!؟؟[1].

إن هؤلاء الفلاسفة لا يعرفون المقصد العظيم الذي جاء به الأنبياء، ودعا إليه الأصفياء، وظهرت فيه الأدلة، واهتم به علماء الملة، ألا وهو عبادة الله وحده لا شريك له؛ ففي «فلسفتهم المبتدعة ليس فيها الأمر بعبادة الله وحده والنهي عن عبادة المخلوقات، بل كل شرك في العالم إنما حدث برأي جنسهم...، وهم إذا ادعوا التوحيد؛ فإنما توحيدهم بالقول لا بالعبادة والعمل»[2]؛ فهذا يدل على أن الأصل عندهم ما جاءت به فلسفتهم، ولهذا لا تكاد تجد في كتبهم ذكرا لتوحيد العبادة.

ومن جملة الأسباب التي من أجلها تركوا الاحتجاج بالقرآن الكريم ظنهم أن الشرع جاء بالتخييل، والقول بأن الأنبياء جاؤوا بالتخييل من أشنع الأقوال على دين الأنبياء، ومن أعظم المفتريات على شرعة الحنفاء، وللرد على هذه الفرية الباطلة والكذبة الفاضحة فإني أذكر أهم الوجوه، وإلا فإن المسألة مكشوفة، **ومما يُرد عليهم به ما يأتي:**

١- أن الله ﷻ أثبت أن هناك ملائكة، ووصفهم بأوصاف يستحيل في العقل ـ مع تأييد النقل له ـ أن تكون تلك خيالا أو تخييلا من النبي ﷺ[3].

٢- أن الله ﷻ إنما أرسل الرسل لكافة الورى، وليس للعامة دون أهل الحجى، كما تقوله الفلاسفة فيما يدعون أنه مخالف لمذهبهم بأن هذا فرض العوام، وأما فرض

---

(١) انظر: المجموع ١٣/ ٢٦٥.

(٢) نقض المنطق ص١٧٧.

(٣) وقد ذكرت الأدلة على إثبات الملائكة، ونزول جبريل بالوحي من السماء، والرد على المنكرين، في الفصل الثاني، من الباب الثاني ص٤٦٥///، وانظر: النبوات ص٢٧٧، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص٨٠، والمجموع ٢/ ٤٩، ١١/ ٢٣٢-٢٣٣.

العلماء فشيء آخر لا يعلمه كل الأنام!![1].

٣- أن القول بالتخييل قول بلا دليل، بل هو «كلام يسيء الظن بمعتقد قائله، ولا قول أسوأ من قول من قال: إن الله تعالى شبه على عباده فيما أراد منهم وفيما كلفهم، وأن رسول الله ﷺ لم يبين تلك الأشياء، وتركها مهملة!!»[2].

٤- قالوا: إن إظهار الحقائق يفسد العامة، فالمتفلسفة: «تقول: إن الرسل لم يتمكنوا من بيان الحقائق لأن إظهارها يفسد الناس!!، ولا تحتمل عقولهم ذلك، ثم قد يقولون: إنهم قد عرفوها، وقد يقول بعضهم: لم يعرفوها، أو أنا أعرف بها منهم!!»[3]. فسبحان الله كيف يصح أن يقال: إن الفلاسفة تمكنوا من إظهار الحقائق، وأما الأنبياء الذين أوتوا الفصاحة البالغة والنية الخالصة والقصد الحسن لا يستطيعون إظهارها!؟ ثم كيف يكون الأنبياء لا يعرفون حقائق ما أرسلوا به!؟ وعرفها آحاد الناس ممن ليسوا بشيء في أي جهة من جهات المقارنة بالأنبياء.

٥- أن جمهور المسلمين من السلف والخلف يعتقدون أن ما نزل من الله ﷻ فيه الهداية التامة والحق الأبلج، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة:٢]، وغير ذلك من الآيات التي تدل على أن القرآن هداية وبيان، وبه تحصل العصمة من الضلال والنجاة من الشقاوة، ولهذا كان من أوليات عقيدة السلف أن العلم الذي جاء به الأنبياء علم كامل[4].

٦- القول بأن الأنبياء علموا معاني النصوص المتخيلة ولم يعلِّموها أحدًا أو علَّموا بعضهم من الأقوال الضعيفة المردودة؛ فإنه من «الأمور العظيمة، التي معرفتها والتكلم بها من أعظم ما تتوفر الهمم، والدواعي عليه، ألا ترى أن الباطنية، ونحوهم أبطنوا خلاف ما أظهروه للناس، وسعوا في ذلك بكل طريق، وتواطؤوا عليه ما شاء الله، حتى

---

(١) انظر: نقض المنطق ص٩٠.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٢/ ٤٢١ بشيء من التصرف.

(٣) نقض المنطق ص٧٦، وانظر منه ص٥٧.

(٤) انظر: المجموع ٢/ ٤.

التبس أمرهم على كثير من أتباعهم، ثم إنهم مع ذلك اطلع على حقيقة أمرهم جميع أذكياء الناس من موافقيهم ومخالفيهم، وصنفوا الكتب في كشف أسرارهم، ورفع ستارهم، ولم يكن لهم في الباطن حرمة عند من عرف باطنهم، ولا ثقة بما يخبرون به، ولا التزام طاعة لما يأمرون، وكذلك من فيه نوع من هذا الجنس؛ **فمن سلك هذه السبيل، لم يبق لمن علم أمره ثقة بما يخبر به، وبما يأمر به، وحينئذ فينتقض عليه جميع ما خاطب به الناس؛ فإنه ما من خطاب يخاطبهم به إلا ويجوزون عليه أن يكون أراد به غير ما أظهره لهم، فلا يثقون بأخباره وأوامره؛ فيختل عليه الأمر كله؛ فيكون مقصوده صلاحهم؛ فيعود ذلك بالفساد العظيم**، بل كل من وافقه فلا بد أن يظهر خلاف ما أبطن، كاتباع من سلك هذه السبيل من القرامطة الباطنية وغيرهم، لا تجد أحدا من موافقيهم إلا ولا بد أن يبين أن ظاهره خلاف باطنه...، وإذا كانت الرسل تبطن خلاف ما تظهر؛ فإما أن يكون العلم بهذا الاختلاف ممكنا لغيرهم، وإما أن لا يكون؛ فإن لم يكن ممكنا كان مدَّعي ذلك كذابا مفتريا؛ فبطل قول هؤلاء الملاحدة الفلاسفة والقرامطة وأمثالهم، وإن كان العلم بذلك ممكنا علم بعض الناس مخالفة الباطن للظاهر، وليس لمن يعلم ذلك حد محدود؛ بل إذا علمه هذا علمه هذا وعلمه هذا؛ فيشيع هذا ويظهر، ولهذا كان من اعتقد هذا في الأنبياء كهؤلاء الباطنية من الفلاسفة والقرامطة ونحوهم معرضين عن حقيقة خبره وأمره، لا يعتقدون باطن ما أخبر به، ولا ما أمر به، بل يظهر عليه من مخالفة أمره والاعراض عن خبره ما يظهر لكل أحد...، وأيضا فمن كانت هذه حاله كان خواصه أعلم الناس بباطنه، والعلم بذلك يوجب الانحلال في الباطن، ومن علم حال خاصة النبي ﷺ كأبي بكر وعمر، وغيرهما من السابقين الأولين، علم أنهم كانوا أعظم الناس تصديقا لباطن أمر خبره وظاهره»[(١)].

٧- أن القول بأن الجنة والنار وما جاء به الأنبياء متخيلات كفر صريح، أوليس في القرآن الكريم «تحاور أهل الجنة وأهل النار وتخاصمهم بتلك الحجج التي لا

---

(١) المجموع ١٣/ ٢٥٠-٢٥١، وانظر منه ٧/ ٥٠٢ وما بعدها، الصفدية ٢/ ٢٣٩، نقض المنطق ص٧٧.

تصدر إلا عن أكمل الناس عقلا، وأوفر الخلائق فهما، وما يذكرونه من حالهم الذي كانوا عليه في أهليهم»[١]، كل هذا يدل على أنها حقيقة لا خيال، بل إن الأنبياء ما جاؤوا إلا لإثبات المرسِل، وأُيدوا بما يدل على صدق المرسَل، وبالإيمان بما جاء به الرسول من البعث والنشور وغير ذلك.

٨- أن العلماء الربانيين وأهل السنة السلفيين، وأصحاب العقول المتمسكين بسنة خير المرسلين، حرَّموا الفلسفة ودراستها، ومنعوا الناس من الانشغال بها، فكيف يكون ذلك أهدى من الكتاب والسنة ثم يمنع الناس منها؟؟، قال ابن الصلاح[٢] رحمه الله لما سئل عن حكم الاشتغال بالفلسفة والمنطق ـ: «الفلسفة رأس السفه والانحلال، ومادة الحيرة والضلال، ومثار الزيغ والزندقة، ومن تفلسف عميت بصيرته عن محاسن الشريعة المؤيدة بالحجج الظاهرة والبراهين الباهرة، ومن تلبس بها تعليما وتعلما قارنه الخذلان، والحرمان، واستحوذ عليه الشيطان، وأي فن أخزى من فن يُعمي صاحبه؟؟!»[٣].

٩- ومن زعم منهم أن الإسلام بحاجة إلى الفلسفة؛ فهذا يبطل النص والإجماع، فإن الإجماع منعقد على كمال الدين وتمام الشريعة، ودل على ذلك النصوص الكثيرة، ثم ما هذا الذي تدعون أن الإسلام يكمل به؟؟، فـ« ما مثل من نصر الإسلام بمذاهب الفلاسفة والآراء المنطقية، إلا كمن يغسل الثوب بالبول، ثم يسوق الكلام سوقا، يرعد فيه، ويبرق، ويمنِّي ويشوق، حتى إذا تشوفت له النفوس، قال: هذا من علم المعاملة، وما وراءه من علم المكاشفة، لا يجوز تسطيره في الكتب، ويقول هذا سر من سر الصدر الذين نهينا عن إفشائه، وهذا فعل الباطنية أهل الدغل والدخل في

---

(١) أبجد العلوم ١/ ١٦.

(٢) هو الفقيه المحدث: أبو عمرو عثمان بن المفتي صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكردي الشهرزوري الموصلي الشافعي، المعروف بابن الصلاح، من مؤلفاته: علوم الحديث الشهير بـ "مقدمة ابن الصلاح"، توفي سنة ٦٤٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٤٠.

(٣) فتاوى ابن الصلاح، ص٧٠، وانظر فتوى قريبة منه للسبكي في الفلاسفة، في مغني المحتاج ٣/ ٦١.

الدين، يستقل الموجود، ويعلق النفوس بالمفقود، وهو تشويش لعقائد القلوب، وتوهين لما عليه كلمة الجماعة؛ فلئن كان الرجل يعتقد ما سطره لم يبعد تكفيره، وإن كان لا يعتقده فما أقرب تضليله »[(١)].

١٠- أن القول بأن هذه النصوص جاءت للتخييل جناية على النصوص أي جناية[(٢)]؛ فكأنها جاءت للتمويه وإظهار ما ليس حقيقة على أنه هو الحق!!، وتصبح ألفاظ الشرع معدومة المعنى في حقيقة الأمر عند هؤلاء!! ثم أيضا ظنهم أن هذه النصوص الشرعية قد أتت على ما يستحيل في العقل قبوله ظن سيء آخر قد ظنوه في ربهم المتكلم بالقرآن، وكفى بذلك خزيا وعارا.

١١- أن الفلاسفة بإنكارهم لوجود الرب ﷻ إلا وجودا مطلقا عن الأوصاف والأسماء قد خالفوا النصوص المستفيضة في إثبات الأسماء والصفات لله ﷻ « وقد علم بصريح العقل أن هذا ـ أي الوجود المطلق بشرط الإطلاق ـ لا يكون إلا في الذهن، لا فيما خرج عنه من الموجودات »[(٣)].

١٢- أن القرآن والسنة قد ثبت فيهما ـ بما لا يدع مجالا للشك ـ أن العالم بأجرامه محدَثات لله ﷻ، وأنها مخلوقة بعد أن لم تكن، وهؤلاء المدّعون للإسلام يزعم أساتذتهم صراحة بأن العالم قديم، وهم يلمحون بذلك[(٤)].

١٣- أن من كفرياتهم وضلالاتهم وانحرفات بعضهم: أنهم « أسقطوا حرمة المصحف، وربما داسوه، ووطئوه، وربما كتبوه بالعذرة!! »[(٥)].

---

(١) السير ١٩/ ٤٩٥، بتصرف، وهذا الكلام قاله الإمام الطرطوشي رحمه الله عن الغزالي وكتابه الإحياء، وهذا الكلام منطبق على كل من زعم أن الفلسفة وغيرها من المحدثات أنفع في أمور الإلهيات.

(٢) انظر: التدمرية ص٨٠.

(٣) التدمرية ص١٧.

(٤) انظر: منهاج السنة ٢/ ٤١٥.

(٥) المجموع ١٢/ ٣٨٢.

فإذا تبين للمنصف أن النصوص الشرعية قوالب لمعانٍ عربيةٍ صحيحةٍ، وأنها تدل على المعاني المفهومة الجلية؛ يظهر له كم بعد الفلاسفة عن الإسلام، وبعد الإسلام عنهم، ونشأ للفلاسفة أذناب لم يقولوا بالتخييل، لكنهم ظنوا أن للنصوص ظاهرا وباطنا، وعن هؤلاء سيكون البيان في الفصل التالي.

الفصل الثاني

منزلة القرآن الكريم عند الصوفية
(القائلين بأن للقرآن ظاهرًا وباطنًا)

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بمن سلك هذا المسلك.

المبحث الثاني: أقوال الصوفية في الظاهر والباطن.

المبحث الثالث: استخفاف الصوفية بظاهر القرآن الكريم والرد عليهم.

المبحث الرابع: عدم تعظيم الصوفية للقرآن الكريم.

المبحث الخامس: عدم اعتمادهم عليه في باب الاعتقاد.

المبحث الأول: التعريف بمن سلك هذا المسلك

الصوفية فرق شتى ونحل تترى، فلكل قطر طريقة، ولكل شيخ منهم قريحة؛ ولكن يجمعهم أمرٌ مهم، ألا وهو القول بالظاهر والباطن(١)، أو القول بالحقيقة والشريعة، وأن الظاهر أو الشريعة للعوام، وأن الباطن أو الحقيقة للمشائخ الأعلام!! والظاهر أو الشريعة هي الأمور الفقهية العملية، والباطن أو الحقيقة أمور وراء ذلك!!(٢).

ولقد اختلف الناس قديما وحديثا في تعريف الصوفية وأحوالهم، خصوصا وأن لفظ الصوفية لم يكن معروفا في القرون المفضلة، وإنما اشتهر بعد ذلك(٣)، ولأبين من سلك هذه الطريقة في الاستدلال وإظهارهم البدع؛ فإني أذكر معنى الصوفية واشتقاقها لغة، واصطلاحا:

أولا: بيان اشتقاق كلمة "الصوفي" لغة:

كلمة "الصوفي" في الميزان الصَرفي من مباني أسماء النسب(٤)، كالقرشي والمدني(٥)، واختلف في المنسوب إليه على أقوال كثيرة، ونعرض أهمها:

---

(١) الباطنية الخارجون عن نحل الإسلام أيضا يدعون الظاهر والباطن، ولكن الفرق بين هؤلاء الصوفية القائلين بالظاهر والباطن، وأولئك الباطنية في نوع هذا القول فإن الصوفية أقوالهم في الظاهر والباطن شطحات، وهي كبائر وكفريات، ولكنها ليست كأقوال الباطنية الظاهرين في الضلال، والمنغمسين في الانحلال، مع أن أولئك يزعمون أن تحريفاتهم الباطنية هي المرادة قطعا، أما هؤلاء الصوفية؛ فإن منهم من يرى أن التفسير بالباطن، أو بالحقيقة، نوع مراد، وليس هو المقطوع به. انظر: الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٩٨، وسيأتي بيان حال الباطنية في الفصل الرابع من هذا الباب.

(٢) انظر: الصوفية نشأتها وتطورها لمحمد العبده وطارق عبد الحليم ص٥٦.

(٣) انظر: المجموع ١١/ ٥.

(٤) ولهذا ذكره السمعاني في الأنساب ٣/ ٥٦٦.

(٥) انظر: المجموع ١١/ ٦.

قيل: إنه نسبة إلى "الصوف"، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «والنسبة في "الصوفية" إلى الصوف؛ لأنه غالب لباس الزهاد»[(١)]، وقال ابن خلدون رحمه الله: «والأظهر إن قيل بالاشتقاق: أنه من الصوف، وهم في الغالب مختصون بلبسه، لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب إلى لبس الصوف»[(٢)].

«وقيل: نسبة إلى "صوفة" بن مراد بن أد بن طابخة، قبيلة من العرب، كانوا يجاورون حول البيت»[(٣)]، وهذان الاشتقاقان أقرب إلى الصناعة الصرفية؛ إذ بينهما توافق في الاشتقاق الأصغر، وهو مراعاة الحروف والترتيب، خصوصا إذا ضم إليه واقعة الحال، وهو أن الزهاد كانوا يشتهرون بلبس الصوف والترفع عن لباس الترفه، ثم هذه النسبة هي المعروفة، وكذلك الثاني: حيث إن غالب الصوفية يجاورون المساجد والتكايات والخلوات، كمجاورة أولئك القوم للبيت، وضُعف النسبة الثانية لأمور، وهي: أ ـ أن هذه القبيلة لم تكن مشهورة، حتى ينتسب إليها. ب ـ أنها لم تكن معروفة عند النساك والصوفية أنفسهم. ت ـ أنه لو نسب إليها النساك لانتسب إليها الصحابة وهم خير النساك والزهاد. ث ـ إن "الصوفية" لا يرضون النسبة إليها لأنها قبيلة جاهلية ـ والله أعلم ـ[(٤)].

وقيل: نسبة إلى "الصُفَّة"، والمقصود الصفة ـ فناء المسجد ـ التي كان للصحابة في المدينة في مؤخرة مسجده ﷺ[(٥)] وهذا لا يصح؛ لأن النسبة إليه تكون: صُفِّيَّة[(٦)]، وصُفِّيٌّ[(٧)]، وأيضا لا يعرف الانتساب إلى هذا المكان من أحد من الصحابة فلم يُحْكَ أن أحدهم انتسب إليها، ولا من التابعين، ثم كان أهل الصفة في وقت الحاجة سكنوا

---

(١) المجموع ١٠/ ٣٦٩، وانظر: تفسير ابن عربي للقرآن حقيقته وخطره للدكتور/ محمد حسين الذهبي ص٥.
(٢) مقدمة ابن خلدون ص٨٣٦.
(٣) المجموع ١٠/ ٣٦٩، وانظر: الأنساب للسمعاني ٣/ ٥٦٦.
(٤) وانظر: المجموع ١١/ ٦.
(٥) انظر: تفسير ابن عربي للقرآن حقيقته وخطره للدكتور/ محمد حسين الذهبي ص ٥.
(٦) انظر: المجموع ١٠/ ٣٦٩.
(٧) انظر: المجموع ١١/ ٦.

هذا الفناء، فلما فتح الله ﷻ على نبيه ﷺ استغنى الصحابة وبنوا لأنفسهم دورا[١].

وقيل: نسبة إلى "الصفا"، «وذلك لصفاء قلب المريد، وطهارة باطنه وظاهره عن مخالفة ربه»[٢]، فالقوم يبحثون عن التصفية!!، وهذا أيضا لا يصح؛ لأن حقه أن يقال: صفائِيَّة[٣]، وصفائي، وصفاوي، وصفوي، ثم لم ير بعد التدقيق أنه تحصل التصفية بالطرق الصوفية، وهذه هي الطرق الصوفية المختلفة، انظر إليها تجد أتباعها قديما وحديثا من أبطل الناس علما، وأجهل الناس عملا بالشرع، فأنى يحصل لهم التزكية والتصفية.

وقيل: نسبة إلى "الصَفَى" مقصورا، وهذا لا يصح أيضا؛ لأن حقه أن يقال: صَفَوِية[٤]، وصَفَوِي.

وقيل: نسبة إلى "الصفوة"، وذلك لأنهم صفوة الناس، وهذا كسابقه لا يصح، إذ النسبة إليه: صَفْوِية[٥]، وصَفْوِي[٦]، ثم إن صفوة الناس ليسوا صوفية؛ فهؤلاء أئمة العلماء الربانيون وأئمة الحديث المهديون، ومن قبل الصحابة البررة والتابعون الخيرة، لم يكن أحد منهم يلقب بهذا، مع أنهم صفوة الناس.

وقيل: نسبة إلى "الصف المتقدم"، فالصوفية لملازمتهم المسجد يكونون في الصفوف المتقدمة، وكذلك هم مقدّمون في الصفوف الأولى عند الله!!، وهذا أيضا لا يصح، وذلك لأن النسبة إليه: صَفِّيَّة[٧]، وصَفِّيٌّ[٨].

---

(١) الفرقان ص ١١١.

(٢) تفسير ابن عربي للقرآن حقيقته وخطره للدكتور/ محمد حسين الذهبي ص ٥.

(٣) انظر: المجموع ١٠/ ٣٦٩.

(٤) انظر: المجموع ١٠/ ٣٦٩.

(٥) انظر: المجموع ١٠/ ٣٦٩.

(٦) انظر: المجموع ١١/ ٦.

(٧) انظر: المجموع ١٠/ ٣٦٩.

(٨) انظر: المجموع ١١/ ٦.

ويرى شيخ الإسلام ﷺ أن هذه النسب ـ غير الأولين لو قيل بها ـ تصح إذا روعي فيها الاشتقاق الأكبر، والاشتقاق الأوسط، دون الأصغر.

فمراعاة الحروف دون الترتيب هو الاشتقاق الأوسط؛ ويمكن أن تكون المراعاة في جنس الحروف دون أعيانها، وهو الاشتقاق الأكبر، وعلى هذا يمكن أن يكون من "الصفة" أو "الصف"؛ لأن جنس الحروف مراعى فيهما؛ فقيل: صوفي[(١)].

ولشدة الاختلاف في نسبة الصوفي قال السبكي: «تشعبت الأقوال فيهم تشعبا ـ ناشئا عن الجهل بحقيقتهم!! ـ لكثرة المتلبسين بها...، والصحيح أنهم: المعرضون عن الدنيا!!، المشتغلون في أغلب الأوقات بالعبادة...

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا   قديما وظنوه، مشتقا من الصوف

ولست أنحل هذا الاسم غير فتى   صاف؛ فصوفيَ، حتى لُقِّب الصوفي[(٢)]

وربما كان هذا الاختلاف ناشئا عن كثرة طرقها وشعبها، وأيضا لكونهم يخفون حقيقة حالهم، فخفي على كثير نسبتهم ـ والله أعلم ـ.

وقيل: إن كلمة "الصوفية" أو "التصوف" لقب غير مشتق، قال القشيري[(٣)] ﷺ: «ولا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية، ولا قياس، والظاهر أنه لقب، ومن قال باشتقاقه من الصفاء، أو الصفة، فبعيد من جهة القياس اللغوي[(٤)]...، وكذلك من الصوف؛ لأنهم لم يختصوا به»[(٥)]، وهذا ضعيف؛ لأن كونهم لم يختصوا به لا يلزم منه نفي التلقيب والنسبة؛ لأن النسبة أغلبية، ولا يلزم أن تكون كلية، ألا ترى الرجل ينسب إلى مدينة لكونه لبث فيها مدة، ولو لم يكن من أهلها؛ فكذلك الصوفية نسبوا

(١) انظر: المجموع ١٠/ ٣٦٩.

(٢) معيد النعم ومبيد النقم للسبكي ص١١٩-١٢٠.

(٣) هو العالم الصوفي: أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري الشافعي الصوفي المفسر، من مؤلفاته: الرسالة القشيرية، توفي سنة ٤٦٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٢٧.

(٤) وهذا القول يصح إذا قصد به القياس على الاشتقاق الأصغر، وإلا فإنه يصح من جهة الاشتقاق الأكبر أو الأوسط.

(٥) مقدمة ابن خلدون ص ٨٦٣.

نسبوا إلى الصوف، ليس للاختصاص، ولكن لكون هذا غالب لباسهم، وإن أشركهم فيه غيرهم، ويمكن أن يقال: إنهم نسبوا إلى ذلك ـ مع كون غيرهم يلبسون الصوف ـ لأنهم يلبسونه تعبدا وتفقرا، وغيرهم يلبسونه حاجة وفقرا ـ والله تعالى أعلم ـ.

ثانيا: المراد بالصوفية اصطلاحا.

إن اختلاف الناس في نسبة التصوف انبنى عليه اختلافهم في تعريفهم من حيث الاصطلاح، وأيضا يرجع اختلاف الناس في تعريفهم إلى اختلافها في نفسها، وفي طرقها، وكثرة ما فيها من التناقضات والخرافات، وأيضا لعدم إظهار ما عندهم على الحقيقة حتى لا يعرفوا، **ولهذا فكل عالم** أو كاتب؛ فإنه يعرف من عرفهم، وخابرهم، وما ظهر منهم له، أو ما يريدون أن يظهر منهم للناس، ولكن أذكر بعض هذه التعاريف، مع التعليق المختصر، ثم أذكر التعريف الذي يكون جامعا ومانعا.

فقيل التصوف: «إرسال النفس مع الله على ما يريده»[(١)]، لكن هذا التعريف لا ينطبق عليهم؛ لأن حقيقة التصوف هي: أنهم يرسلون نفوسهم من غير قيد بالشرع، وإنما يرسلون نفوسهم على ما تريده هي، لا على ما يريده هو.

وقال ابن عربي ـ معرفا الصوفية ـ: «التصوف: الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرا وباطنا، وهي الخلق الإلهية، وقد يقال: بإزاء إتيان مكارم الأخلاق وتجنب سفسافها»[(٢)].

وقيل التصوف: «هو مناجاة القلب ومحادثة الروح، وفي هذه المناجاة طهرة لمن شاء أن يتطهر، وصفاء لمن أراد التبرؤ من الرجس والدنس، وفي تلك الحادثة عروج إلى السماء والملائكة!!، وصعود إلى عالم الفيض والإلهام!!»[(٣)].

---

(١) تفسير ابن عربي للقرآن حقيقته وخطره للدكتور/ محمد حسين الذهبي ص ٥.

(٢) كتاب اصطلاح الصوفية له ص ١٧، وانظر: الشاهد لابن عربي ص ١٧

(٣) درس في تاريخ الفلسفة د/ بيومي مدكور يوسف ص١٤٠، نقلا عن كتاب: تفسير ابن عربي للقرآن حقيقته وخطره للدكتور/ محمد حسين الذهبي ص ٦.

وهذا التعريف وحده كاف في تصور هذه النحلة الضالة، والفرقة الناشئة التي نشأت في الإسلام، وترعرعت باسم الإسلام، وكيف أنها تدعي العروج إلى السماء، وإلى الملائكة، وإلى الوحي!!.

وقيل: الصوفية هم من يدعون أنهم خواص الحضرة، وأهل المكاشفة والمشاهدة!![1].

ويمكن أن يقال عنهم: أنهم أصحاب الرياضة والتجرد، وهذا يصدق على الصوفية؛ فإنهم لم يعرفوا إلا طريقة الرياضة والتجرد والتصوف[2].

ولكن يجمعهم منهجيا: أنهم يقسمون الدين إلى شريعة وحقيقة ـ وهذا أجمع تعريف لفرق الصوفية ـ قال ابن عقيل رحمه الله: «جعلت الصوفية الشريعة اسما، وقالوا: المراد منها الحقيقة، وهذا قبيح؛ لأن الشريعة وضعها الحق لمصالح الخلق، وتعبداتهم فما الحقيقة بعد هذا سوى شيء واقع في النفس من إلقاء الشياطين، وكل من رام الحقيقة في غير الشريعة فهو مغرور، مخدوع»[3].

وأما إن قيل: إن التصوف معناه الزهد والعبادة والورع، أو هو العلم والعمل؛ فهذا ما كان عليه الصحابة والتابعون وتابعوهم، وهذا لا ينبغي أن يسمى تصوفا، بل يسمى بأسمائه الشرعية الواردة في الكتاب والسنة[4].

ولو كان المراد بالتصوف هو هذا فقط، لما كان النـزاع في الاصطلاح قط، ولكن القوم تحت هذا الاسم أتوا بدين مبتدع مخلوط، فالتصوف مكون من: «اليهودية والمجوسية، والوثنية، ومبادئ إسلامية، والإسلام اسم فقط، وهم إخوان المستعمر»[5].

---

(١) انظر: المنقذ من الضلال ص٨٩، المجموع ٢/ ٥٥، شرح الأصبهانية ص٥٠٩.

(٢) انظر: المجموع ٢/ ٥٧.

(٣) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٣٦٨.

(٤) انظر: تفسير ابن عربي للقرآن حقيقته وخطره للدكتور/ محمد حسين الذهبي ص ٦.

(٥) المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري ٢/ ٤٨٨.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «التصوف عندهم له حقائق معروفة، قد تكلموا في حدوده وسيرته وأخلاقه، **كقول بعضهم**: الصوفي من صفا من الكدر، وامتلأ من الفكر، واستوى عنده الذهب والحجر[١]، **التصوف**: كتمان المعاني وترك الدعاوي...، ولأجل ما وقع في كثير منهم من الاجتهاد والتنازع فيه، تنازع الناس في طريقهم؛ فطائفة ذمت الصوفية والتصوف، وقالوا: إنهم مبتدعون خارجون عن السنة، ونقل عن طائفة من الأئمة في ذلك من الكلام ما هو معروف، وتبعهم على ذلك طوائف من أهل الفقه والكلام، **وطائفة غلت فيهم**، وادعوا أنهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء، وكلا طرفي هذه الأمور ذميم، **والصواب**: أنهم مجتهدون في طاعة الله، كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله؛ ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده[٢]، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين[٣]، وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ، وفيهم من يذنب، فيتوب أو لا يتوب، ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه، عاص لربه، وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة»[٤].

فهذا ينبئك أن القوم نحل شتى وطرق تترى[٥]؛ فلا بد في الحكم عليهم من النظر إلى أقوالهم ودعاويهم واعتقاداتهم.

وبعد هذا السرد لأقوال الناس في تعريف الصوفية، يمكن أن يقال: إن الصوفية قوم لهم طريقة معينة في العبادة، وحصول تزكية النفس.

فالمتصوفة لهم طرق معينة، سواء في العبادة، من ذكر وقراءة وورد، أو في تزكية النفس من خلوة وجوع...

---

(١) وهذا كان في الصوفية الأول الذين خالطوا علماء السلف، ولما انفردوا بهواجسهم، واختلوا بطريقتهم ظهر فيهم التخبط، والتشبع في الفلسفة وغيرها، وتأثروا بالتصوفات الهندية، والفارسية، واليونانية.

(٢) كأوائلهم، ومن قصد الزهد والورع من غير ابتداع.

(٣) كعوام الصوفية الذين كانوا قرب زمن الوحي.

(٤) المجموع ١١/١٦-١٨.

(٥) انظر: الطرق الصوفية ونشأتها في كتاب: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة لعبد الرحمن عبد الخالق ص٥٣٩ وما بعدها.

وهذا التعريف يجمع التعاريف السابقة، ويجمع فرق الصوفية كلها، إذ هي تشترك في هذا المضمار، وهي التعبد لله ﷻ بطريقة معينة؛ فتجد في سابقيهم من يأتي إلى شيخ ويقول: أريد أن أتنسك على يديك، وأن أتعبد على طريقتك[(١)] ـ وكأن طريقة النبي ﷺ قاصرة فاحتاج إلى طريقة شيخ!! وأما في المتأخرين فالفرق الصوفية، ذات الأوراد المختلفة البدعية، معروفة في البلاد الإسلامية، والصوفية بجميع فرقها لها أوراد معينة وأذكار مبتدعة.

ولا يحسن في التعريف الحكم على الصوفية، وذلك كما سبق ـ من كلام شيخ الإسلام ـ أن منهم من يكون مجتهدا؛ فالحكم عليهم لا يكون واحدا.

وكذلك لم أذكر نوع بدعتهم، وذلك لكون الصوفية أصحاب بدع مختلفة؛ فمنهم من بدعته كفرية، ومنهم من بدعته فسقية، ومنهم من يكون مخطئا.

وبهذا يظهر أن التصوف دعوة إلى «محاولة تحويل وجهة المسلمين من علم التوحيد إلى التصوف تأييدا لدينهم، وتثبيتا لعقائدهم، تشبه محاولة إحداث نوع من بعثة الأنبياء بعد انقضاء عهد النبوات»[(٢)].

ويمكن أن يقسم الصوفية باعتبار عظم بدعتهم إلى قسمين[(٣)]:

١- **أصحاب البدع الكفرية:** وهؤلاء كأتباع ابن عربي، وابن سبعين، والقونوي[(٤)]، والتلمساني، «فهؤلاء ضلال جهال، خارجون عن طريق الاسلام؛ فضلا عن العلماء»[(٥)]، وقد يتوقف بعض الناس في بدعة هؤلاء ويظنهم على طريقة الصفاء، وذلك لكثرة تلبيساتهم، ولشدة تمحلاتهم، وزيادة تقلباتهم[(٦)]، ولهذا تبعهم في

(١) انظر: دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب بين مؤيديها ومعارضيها في شبه القارة الهندية ص١٥٤.
(٢) موقف العقل والعلم والعالم ١/ ٢٦٢.
(٣) مغني المحتاج ٣/ ٦١، وذكر أن هذا التقسيم من السبكي.
(٤) هو الحلولي الضال: محمد بن محمد بن الحسين بن أحمد البلخي القونوي جلال الدين الرومي الصوفي، صاحب الطريقة المولوية، من مؤلفاته: المثنوي ـ بالفارسية ـ توفي سنة: ٦٧٢هـ. انظر: الأعلام للزركلي ٧/ ٣٠.
(٥) مغني المحتاج ٣/ ٦١ نقلا من كلام السبكي.
(٦) انظر: المصدر نفسه.

ظاهر أقوالهم دون أن يكون لهم غور في كفرهم، وعلم بحالهم عوام الصوفية المعظمون لابن عربي وغيره، **وقد تجد** من الجهال «الذين يحسنون الظن بقول هؤلاء ـ الاتحادية، وأصحاب وحدة الوجود ـ، ولا يفهمونه، ويعتقدون أنه من جنس كلام المشايخ العارفين، الذين يتكلمون بكلام صحيح لا يفهمه كثير من الناس؛ فهؤلاء تجد فيهم إسلاما وإيمانا ومتابعة للكتاب والسنة، بحسب إيمانهم التقليدي، وتجد فيهم إقرارا لهؤلاء وإحسانا للظن بهم، وتسليما لهم بحسب جهلهم وضلالهم، ولا يتصور أن يثني على هؤلاء إلا كافر ملحد أو جاهل ضال»[(١)]، وكثير من «عوام أهل الدين والخير والعبادة ينشد قصيدة ابن الفارض[(٢)]، ويتواجد عليها ويعظمها، ظانا أنها من كلام أهل التوحيد والمعرفة، وهو لا يفهمها، ولا يفهم مراد قائلها، وكذلك كلام هؤلاء يسمعه طوائف من المشهورين بالعلم والدين؛ فلا يفهمون حقيقته؛ فإما أن يتوقفوا عنه، أو يعبروا عن مذهبهم بعبارة من لم يفهم حقيقته؛ وإما أن ينكروه إنكارا مجملا من غير معرفة بحقيقته، ونحو ذلك، وهذا حال أكثر الخلق معهم»[(٣)]، هذا الصنف هم الصوفية الغلاة.

٢- **أصحاب البدع المضللة**: وهذا غالب حال الصوفية، سواء منهم أصحاب الطرق وغيرهم.

ويجمع الصوفية شيء آخر، ألا وهو القول بالحقيقة والشريعة، أو القول بالظاهر والباطن، وهذا ما أبينه في المبحث التالي.

---

(١) المجموع ٢/ ٣٦٧، وانظر منه: ٣٥/ ١٤٤.

(٢) هو الحلولي الضال: عمر بن علي بن المرشد بن علي الحموي الأصل المصري، المعروف بابن الفارض، صاحب التائية المعروفة التي بث فيها الحلول، توفي سنة ٦٣٢هـ انظر: معجم المؤلفين: ٧/ ٣٠١.

(٣) المجموع ٢/ ٣٧٩.

المبحث الثاني: أقوالهم في الظاهر والباطن

الصوفية: الذين عرفوا بالتفريق بين الشريعة والحقيقة اختلفت أقوالهم في الظاهر والباطن، أو في الشريعة والحقيقة، وتحديد الفارق بينهما، ولكن يجمعهم في ذلك أن الحقيقة وجد وذوق وخيال وكشف!!، والأمر بدأ صغيرا، ثم أصبح كبيرا، بدأ بصور وأوضاع، وانتهى بالحلول والاتحاد.

« **وقد فرق كثير من الصوفية بين الشريعة والحقيقة**، وهذا جهل من قائله، لأن الشريعة كلها حقائق »[(١)]، ولما بدؤوا في التفريق بين الحقيقة والشريعة، والظاهر والباطن أصبح « الأمر ينمي، والأشياخ يضعون لهم أوضاعا، ويتكلمون بواقعاتهم، ويتفق بعدهم عن العلماء، لا بل رؤيتهم ما هم فيه، أو في العلوم، حتى سموه العلم الباطن، وجعلوا الشريعة العلم الظاهر، ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة؛ فادعى عشق الحق والهيمان؛ فكأنهم تخيّلوا شخصا مستحسن الصورة؛ فهاموا به، وهؤلاء بين الكفر والبدعة، ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق؛ ففسدت عقائدهم؛ فمن هؤلاء من قال بالحلول، ومنهم من قال بالاتحاد، وما زال إبليس يخبطهم بفنون البدع حتى جعلوا لأنفسهم سَننا »[(٢)]، « فأول ما وضعوا أسماء، وقالوا: حقيقة وشريعة، وهذا قبيح لأن الشريعة ما وضعه الحق لمصالح الخلق، فما الحقيقة بعدها سوى ما وقع في النفوس من إلقاء الشياطين، وكل من رام الحقيقة في غير الشريعة فمغرور مخدوع »[(٣)].

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٣٦٧.

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١٨٤.

(٣) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص٤١٩، وهو من كلام ابن عقيل رحمه الله.

فسموا الظاهر قشرا، والباطن لبا[١]، أو الشرع ظاهرا، والتصوف باطنا!!، والاتباع دين العامة، والابتداع دين الخاصة!! والسير على نصوص الشرع جمودا، والسير على الخيال والكشف جميلا مفيدا!! وقالوا: إن أهل الظاهر هم العوام، أو هم الذين حرموا الحقائق!! وجعلوا يميزون أنفسهم بلا دليل من الكتاب أو السنة؛ فزعموا أنهم "خاصة الخلق"[٢].

ويرون أن الشرع ظاهر وباطن، والظاهر الأحكام، والباطن الحقيقة!! وقد يعبرون فيقولون: الشريعة والحقيقة[٣].

يقول ابن عربي في بيان موقفهم من ظاهر الشرع: «الشرع أمانة، والحقيقة أمن»[٤]، ويقول: «الطاعة تجر إلى النور، والمعصية تجر إلى النار، والنور أشد إحراقا!!!»[٥]، فلا فرق بين الجنة والنار حقيقة عندهم، ولكن الفرق في الظاهر لأهل الظاهر!!.

وربما قالوا: «والعلم الذي بقي من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ نوعان: علم الأحكام، وعلم الأسرار!!؛ فالعالم الوارث من يكون له سهم من نوعي العلم»[٦].

«وقال سهل التستري[٧]: للعالم ثلاثة علوم!!: علم ظاهر يبذله لأهل الظاهر، وعلم باطن لا يسعه إظهاره إلا لأهله، وعلم هو بينه وبين الله تعالى لا يظهره لأحد!!. وقال بعض العارفين: إفشاء سر الربوبية كفر، وقال بعضهم: للربوبية سر لو أظهر لبطلت النبوة!! وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم!! وللعلماء بالله سر لو أظهروه

(١) انظر: الإسراء في مقام الأسرى لابن عربي الصوفي ص٥٦.
(٢) انظر: معيد النعم ومبيد النقم للسبكي ص١٢٣.
(٣) التراجم لابن عربي ص ٢٨، السنوسية ص٢٢١.
(٤) الإعلام بإشارات أهل الإلهام لابن عربي ص٧.
(٥) الإعلام بإشارات أهل الإلهام لابن عربي ص٧.
(٦) موقف العقل والعلم والعالم ٣/ ٢٧٦، نقلا من كلام أحمد السرهندي صاحب "المكتوبات".
(٧) هو العابد الصوفي: سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى أبو محمد التستري الصوفي، من مؤلفاته: رقائق المحبين، ومواعظ العارفين، قيل: توفي سنة ٢٨٣هـ. انظر: معجم المؤلفين٤/ ٢٨٤.

لبطلت الأحكام!!»[(١)]، وهذا الكلام في حد ذاته ينبئك عن مدى ضلال الصوفية في قولهم بالباطن والظاهر، والحقيقة والشريعة، حتى وصلوا إلى أن كشف علم الباطن يبطل الربوبية والنبوة والأحكام!!، ألا فليهنأ الملاحدة بهذا القول؛ فإنه مقصودهم.

وقال الغزالي ـ في شرح أن للقرآن ظاهرا وباطنا ـ: «قال بعض العلماء: القرآن يحوي سبعة وسبعين ألف علم، ومائتي علم، إذ كل كلمة علم، ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف إذ لكل كلمة ظاهر وباطن، وحد ومطلع!!»[(٢)].

ومن تفضيلهم الشنيع لما سموه باطنا على الظاهر أن جعلوا الدين دينين، وفضلوا الباطن على الظاهر، يقول ابن عربي: «وربما يقام لك في بعض هذه المواطن الدين المستقيم، الحكم النبوي الاختصاصي الخالصي ـ ويعني به الباطن ـ، والدين غير المستقيم الحكمي الممزوج الفكري العقلي ـ يعني: الظاهر ـ **وتميز بينهما**، وترى غاية كل منهما الحق سبحانه، من حيث سعادتك، لا من حيث الشقاوة!! **فاسلك دين الاختصاص الخالص النبوي!! فإنه أرفع وأنفع**، وإن كان الآخر رفيع المنار، **ولكن بوجود هذا، الآخر يضمحل رسمه، وإن كان حقا من وجه**»[(٣)]. ثم ادعى بأن الباطني قد ينسخ الظاهري!!![(٤)].

قال الغزالي: «إن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام بنقل عن صاحب الشرع، وبغير ضرورة تدعو إلى ذلك من دليل العقل[(٥)]، اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ...، والباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر[(٦)]...، ثم بهذا

---

(١) الإحياء للغزالي١/ ١٦٠ ـ ١٦١.

(٢) الإحياء للغزالي ١/ ٤٤٨.

(٣) الفناء لابن عربي ص ٦.

(٤) الفناء لابن عربي ص ٦.

(٥) دليل العقل وحده لا يكون كافيا في صرف الألفاظ عن معانيها، ما لم يكن ذلك مؤيدا بنص. انظر: تعليق الشيخ عبد الرحمن الوكيل على هذه العبارة في كتاب: مصرع التصوف أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي للبقاعي ص٦٦.

(٦) قال الشيخ الوكيل ﷀ: «هذا حق لا مرية فيه، بيد أن من قرره لا يؤمن به إلا حين يخاطب عوام الناس =

الطريق توصل الباطنية إلى هدم جميع الشريعة »[١].

أما الصوفية المتقدمون فهم « مصرحون بأن كل حقيقة يردها الشرع زندقة، وأنه ليس في أسرار المعرفة شيء يناقض ظاهر الشرع، بل باطن الشريعة يتم بظاهره، وسره يكمل صريحه، ولهذا إذا انكشفت على أهل الحقيقة أسرار الأمور على ما هي عليه نظروا إلى الألفاظ الواردة في الشرع؛ فما وافق ما شاهدوه قرروه، وما خالف أولوه بما يطابق الشرع »[٢].

والصوفية قد « تزعم أن الإسلام شريعة وحقيقة، تعني بالشريعة: ما أوحاه الله إلى رسوله، وبالأخرى وساوس الأبالسة النافثين لبدع الصوفية »[٣].

بل إن من الصوفية من يقول: إن الظاهر شرك، فقد « كتب الحلاج إلى بعض تلامذته: يا ولدي ستر الله عنك ظاهر الشريعة!! **وكشف لك حقيقة الكفر؛ فإن ظاهر الشريعة شرك خفي!! وحقيقة الكفر معرفة جلية!!** »[٤]، وأقر هذا الهراء ابن عربي الحلولي، وزاد عليه فقال: « وتلقي علم الله الباطن كان أولى بك؛ لأنك تزيد حسنا وجمالا في روحانيتك »[٥].

ومن أقوالهم في الباطن: أنه يظهر لهم بواسطة الكشف أمور لا تظهر بمجرد العلم!! وهم في خلواتهم يصيبهم « القوة الوهمية؛ فقد تعمل الأوهام أعمالا لكنها باطلة، كالمشيخة الذين لم يسلكوا الطرق الشرعية النبوية؛ نظرا أو عملا؛ بل سلكوا الصابئية. ويشبه هؤلاء من بعض الوجوه... خلق كثير من المتصوفة، والمتفقرة بأرض المشرق »[٦].

= في زعمه، أما في كتابه "المظنون به على غير أهله"؛ فهو باطني يجرد اللفظ من معناه بجرأة بالغة، وحسبك أن من أساتذة الغزالي "إخوان الصفا"... ». المصدر السابق.

(١) مصرع التصوف أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي للبقاعي ص ٦٦.

(٢) مصرع التصوف أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي للبقاعي ص١٦٨-١٦٩.

(٣) هذه هي الصوفية للعلامة عبد الرحمن الوكيل ص٢٠.

(٤) رسالة ابن عربي للرازي ص١٣.

(٥) رسالة الأنوار لابن عربي ص٤.

(٦) المجموع ٢/ ٥٨.

فلو كان مقصود هؤلاء بالباطن ما يجب من الإيمان في القلب، وبالظاهر ما يجب من الإيمان والأعمال بالجوارح لاستقام تقسيمهم، لكن القوم راموا الفصل بين الشريعة التي عنوا بها الظاهر، وهو الذي جاء به محمد ﷺ، وبين الحقيقة التي عنوا بها الباطن، وهو الذي يجدونه بأذواقهم ومكاشفاتهم!!.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «والظاهر لا بد له من باطن يحققه، ويصدقه، ويوافقه؛ فمن قام بظاهر الدين من غير تصديق بالباطن فهو منافق؛ ومن ادعى باطنا يخالف ظاهرا فهو كافر منافق، بل باطن الدين يحقق ظاهره، ويصدقه، ويوافقه، وظاهره يوافق باطنه، ويصدقه، ويحققه؛ فكما أن الإنسان لا بد له من روح وبدن، وهما متفقان؛ فلا بدّ لدين الإنسان من ظاهر وباطن يتفقان؛ فالباطن للباطن من الإنسان، والظاهر للظاهر منه، والقرآن مملوء من ذكر أحكام الباطن والظاهر»[1]، لأن الدين لا يستقيم إلا باعتقاد في الباطن، وقول في الظاهر، وعمل بالجوارح، لكن هؤلاء الصوفية أصحاب الحقيقة لم يروموا في تقسيمهم هذا، أو ليس حالهم هو هذا، بل حالهم ادعاء علم في الباطن لم يرد به الشرع؛ ومن «ادعى علما باطنا، أو علما بباطن، وذلك يخالف العلم الظاهر كان مخطئا، إما ملحدا زنديقا؛ وإما جاهلا ضالا»[2].

وقد استدل هؤلاء بأدلة لما راموه من التقسيم البدعي، وظنوا أن هناك أدلة على الفصل بين روح الشريعة وجسدها، أعني العلم والعمل، أو الأعمال القلبية والبدنية، وأذكر بعض شبهاتهم، مع الرد عليها، ومنها:

قال الغزالي: «مسألة: فإن قلت: هذا الكلام يشير إلى أن هذه العلوم لها ظواهر وأسرارا... وهذا يكاد يكون مخالفا للشرع، إذ ليس للشرع ظاهر وباطن، وسر وعلن، بل الظاهر والباطن، والسر والعلن، واحد فيه. فاعلم أن انقسام هذه العلوم إلى خفية وجلية لا ينكرها ذو بصيرة، وإنما ينكرها القاصرون، الذين تلقفوا في أوائل الصبا

(١) المجموع ١٣/ ٢٦٨.

(٢) المجموع ١٣/ ٢٣٦.

شيئا وجمدوا عليه، فلم يكن لهم ترق إلى شأو العلاء ومقامات العلماء والأولياء، وذلك ظاهر من أدلة الشرع»[١]، وذكر: [**إن للقرآن ظاهرا وباطنا، وحدا ومطلعا**][٢]، وأحاديث أخرى نحو هذا، وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾[العنكبوت:٤٣].

وذكر شبهات أخرى، وتلك أهمها، والجواب عن ذلك من وجوه:

١- أن الحديث بأن للقرآن ظاهرا وباطنا... لا يثبت، فقد قال غير واحد من العلماء: إنه لا يصح، قال الذهبي رحمه الله: «لا يصح إسناده»[٣]، وممن رواه الحكيم الصوفي الترمذي وهو متهم بالوضع[٤]، وفي بعض أسانيده من هو ضعيف، وذكر الشاطبي رحمه الله أنه مرسل[٥]، فهذه علل اجتمعت فكيف يحتج بالحديث الذي لا يثبت؟!.

٢- أن الحديث لو ثبت فالمراد بالظاهر ما دل عليه من الأعمال الظاهرة، ومن الباطن ما دل عليه من الأعمال الباطنة، من الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر وغير ذلك، «وما من آية إلا وتوجب الأمرين جميعا؛ لأن وجوه القرآن أمر ونهي، ووعد ووعيد، ومواعظ وأمثال، وخبر ما كان وما يكون، وكل وجه منها يجب الإيمان به، والتصديق له، والعمل به؛ فالعمل بالأمر: إتيانه، وبالنهي: الاجتناب عنه، وبالوعد: الرغبة فيه، وبالوعيد: الرهبة عنه، وبالمواعظ: الاتعاظ، وبالأمثال: الاعتبار»[٦].

٣- أن المراد بالظاهر: اللفظ، وبالباطن: المعنى التفسيري، لا المعنى الباطني أو الإشاري، الذي لا يدل عليه السباق والسياق؛ فالظهر: التلاوة، والبطن: التفهم[٧].

---

(١) الإحياء للغزالي ١/ ١٦٠.

(٢) روى نحوه البغوي في شرح السنة١/ ٢٦٢، عن الحسن البصري مرسلا، قال محققه: مرسل، وإسناده ضعيف.

(٣) ميزان الاعتدال ٣/ ٤٠٩.

(٤) انظر: لسان الميزان لابن حجر ٥/ ٣٠٩.

(٥) انظر: الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٨٢، ٣٨٤.

(٦) شرح السنة للبغوي ١/ ٢٦٤، و انظر: الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٨٩.

(٧) انظر: شرح السنة للبغوي ١/ ٢٦٤، الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٩٤.

٤ - قال أبو عبيدة[(١)] ﷺ: «إن القصص التي قصها الله تعالى عن الأمم الماضية، وما عاقبهم به، ظاهرها: الإخبار بهلاك الأولين، وحديث حدث به عن قوم، وباطنها: وعظ الآخرين، وتحذيرهم أن يفعلوا كفعلهم؛ فيحل بهم مثل ما حل بهم»[(٢)].

٥ - أن المراد بالحد: الغاية التي ينتهي عندها، وما أراده الله بها، كما في إخبار الله عما يأتي جليا؛ «فحد في التلاوة ينتهي إليه، فلا يجاوزه، وكذلك في التفسير، ففي التلاوة: لا يجاوز المصحف الذي هو الإمام، وفي التفسير: لا يجاوز المسموع»[(٣)]، وأيضا لكل حكم مقدار من الثواب والعقاب.

٦ - المراد بالمطلع ما يتوقف عليه معرفة الشيء، ويوصل إلى إدراكه[(٤)]، فهذه بعض المعاني للظاهر والباطن، والحد والمطلع ـ لو صح الحديث ـ، ولم يذكر العلماء الراسخون إن من معانيها المعنى الإشاري الصوفي، أو الباطني الحلولي.

٧ - قال الإمام الشاطبي ﷺ: «وفسر بأن الظهر والظاهر هو: ظاهر التلاوة، والباطن: هو الفهم عن الله لمراده...، وإليه يرجع تفسير الحسن للحديث إذ قال: الظهر هو الظاهر، والباطن هو السر، وقال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[النساء:٨٢] فظاهر المعنى شيء، وهم عارفون به، لأنهم عرب، والمراد شيء آخر، وهو الذي لا شك فيه أنه من عند الله، وإذا حصل التدبر لم يوجد في القرآن اختلاف البتة، فهذا الذي من جهته يفهم الاتفاق، وينـزاح الاختلاف هو الباطن المشار إليه...، وحاصل هذا الكلام أن المراد بالظاهر هو الفهم العربي، والباطن هو مراد الله تعالى من كلامه وخطابه؛ **فإن كان مراد**

---

(١) هو العالم اللغوي: معمر بن المثنى التيمي مولاهم أبو عبيدة البصري من مؤلفاته: غريب الحديث، مجاز القرآن، توفي سنة ٢٠٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٩/ ٤٤٥.

(٢) مناهل العرفان ٢/ ٨٨، وقد حكى البغوي في شرح السنة ١/ ٢٦٣ قريبا من هذا القول، ونسبه إلى الحسن البصري؛ فالحديث لو ثبت؛ فإنا نفهمه على ضوء أفهامهم، لا أن نقبل منهم ما رووا، ونرد منهم ما فهموا.

(٣) شرح السنة للبغوي ١/ ٢٦٤.

(٤) انظر: هذه الوجوه في شرح السنة للبغوي ١/ ٢٦٤.

من **أطلق هذه العبارة** ما فسر فصحيح، ولا نزاع فيه، وإن أرادوا غير ذلك فهو إثبات أمر زائد على ما كان معلوما عند الصحابة ومن بعدهم؛ فلا بد من دليل قطعي يثبت هذه الدعوى، لأنها أصل يحكم به على تفسير الكتاب؛ فلا يكون ظنيا»[(١)].

٨- وهو تفصيل في المسألة؛ فيقال: ما المراد بعلم الباطن؟ فإنه إذا كان مجرد اصطلاح ولا يخالف الظاهر، وأن المقصود به ما يخفى على كثير من الناس؛ فهذا لا ينكر، وإن كان المقصود به الباطن الذي يخالف الظاهر، ولا يعرفه إلا من تمرس بالرياضة والطرق الصوفية؛ فهذا باطل ولا ريب[(٢)]؛ فدعوى الظاهر والباطن في النصوص فيها إجمال[(٣)]؛ **فالباطن:إما أن يقال**: المراد به الأمور الباطنة، مما هي في القلوب من المعارف والعلوم والغيوب التي أخبر بها الرسل. **وإما أن يراد بالباطن**: ما يقصر عن فهمه أكثر الناس؛ **فالأول**: منه **ما** هو متعلق بالجوارح، ومنه ما هو متعلق بالباطن كأعمال القلوب، من الإيمان بالله، وأسمائه، وصفاته، وملائكته... والناس متفاوتون مختلفون في هذا وهذا، **ويكون هذا المعلوم باطنا لهم من وجهين: الأول**: من جهة كون المعلوم غير ظاهر. **الثاني**: من جهة كونه لا يعلمه أكثر الناس. **وأما الثاني: وهو أن يراد بالباطن العلم الخفي الذي يخفى على أكثر الناس فهو أيضا على وجهين: الأول**: باطن يخالف العلم الظاهر؛ فهذا باطل، ومدعيه إما ملحد زنديق، أو جاهل بالعلم غير حقيق، وهذا الذي سار عليه الباطنية ومن وافقهم. **الثاني**: باطن لا يخالف العلم الظاهر؛ فالكلام فيه كالكلام في العلم الظاهر، منه ما هو حسن، ومنه ما هو حق، ومنه ما هو صواب، ومنه **ما** ليس كذلك، ويوزن الكل بالكتاب والسنة[(٤)].

٩- قال شيخ الإسلام رحمه الله ـ في بيان أن الصوفية منهم من يقول ـ: «لنا

---

(١) الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٨٢-٣٨٤.

(٢) انظر: المجموع ١٣/ ٢٣٥-٢٣٦.

(٣) انظر: المجموع ١٣/ ٢٣٢-٢٣٦.

(٤) انظر: المصدر السابق.

شريعة، ولنا حقيقة تخالف الشريعة!! والذين يتكلمون بهذا الكلام لا يميزون ما المراد بلفظ الشريعة في كلام الله وكلام رسوله، وكلام سائر الناس، ولا المراد بلفظ الحقيقة، أو الحق»[(١)]، «فكل شريعة ليس لها حقيقة باطنة؛ فليس صاحبها من المؤمنين حقا، وكل حقيقة لا توافق الشريعة التي بعث الله بها محمدا ﷺ فصاحبها ليس بمسلم؛ فضلا عن أن يكون من أولياء الله المتقين، وقد يراد بلفظ الشريعة ما يقوله فقهاء الشريعة باجتهادهم، وبالحقيقة ما يذوقه ويجده الصوفية بقلوبهم، ولا ريب أن كلا من هؤلاء مجتهدون: تارة مصيبون، وتارة مخطئون، وليس لواحد منهما تعمد مخالفة الرسول ﷺ»[(٢)].

١٠- أن جل ما ذكروه لا يصح؛ ففيما لا يصح لا يكون دلالة ـ إلا إذا كان كشفا!!ـ، وأما ما صح سندا فلا وجه للدلالة فيها لهم ـ اللهم إلا أن يكونوا فهموها ذوقا![(٣)].

١١- أن المراد من الآية التي أوردها الغزالي: ليس العلم الكشفي الذوقي، وإنما المراد منه الاعتبار[(٤)].

١٢- ومما يرد عليهم به: اختلافهم فيما بينهم فيما يدعون أنه من علم الباطن؛ «فكل منهم يفسره بما يدعيه من الضلالات الكفرية التي يزعم أنها "علم الأسرار والحقائق"»[(٥)].

١٣- ومما يرد عليهم به أن يقال لهم: كيف يكون الظاهر مرادا وما في القرآن كله تخيلات وتمثيلات، وإشارات على زعمكم؟!!؛ فهذا دليل على أنكم لا ترون الظاهر موجبا، والعمل به واردا، وذلك لأنه إشارات وتخيلات!! فدل على أن القول بأن الظاهر شرع إنما هو لإسكات الناس، والتستر وراءها حتى لا ينكشف الزيف، وتروج الطريقة.

---

(١) المجموع ٨/ ٣١٤.

(٢) المجموع ٨/ ٣١٦، وانظر منه ١٣/ ٢٣٦.

(٣) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة لعثمان بن علي حسن ١/ ٤٠٧، وما بعدها.

(٤) انظر: شرح السنة للبغوي ١/ ٢٦٤، الموافقات للشاطبي ٣/ ٤٠٣.

(٥) المجموع ١١/ ٥٤.

١٤- أن القول بالفصل بين الشريعة والحقيقة والظاهر والباطن مبتدع، وسأذكر ما يدل على ذلك، من وجوه أخرى متعددة:

أ- أنهم زعموا بهذا التقسيم أن في الدين سرا وجهرا، وظاهرا ومكتوما، قال ابن حزم ﷺ: «ولا سر في الدين عند أحد، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾[البقرة:١٥٩] وقال الله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾[آل عمران:١٨٧]»[١].

ب- أن تقسيم الدين إلى قشر ولباب، أو ظاهر وباطن ليس عليه دليل من الكتاب أو السنة، أو من هدي سلف الأمة، فهو إذا مردود، وقد ذكر ابن عربي الطائي الصوفي نفسه أن الواجب في الخلافات الرجوع إلى الشرع، فقال: «وكان الواجب أن لا يهملوا جناب الحق، ولا يطلقون عليه من **الألفاظ والنعوت إلا ما أطلقها على نفسه في كتابه، أو على لسان نبيه**»[٢]، **فهذا شهادة صوفي حلولي على وجوب الاتباع في الشرع، وقال شيخ الإسلام** ﷺ: «لفظ الشرع والشريعة إذا أريد به الكتاب والسنة لم يكن لأحد من أولياء الله، ولا لغيرهم أن يخرج عنه، ومن ظن أن لأحد من أولياء الله طريقا إلى الله غير متابعة النبي ﷺ باطنا وظاهرا فلم يتابعه باطنا وظاهرا؛ فهو كافر»[٣].

ت- قال ابن العربي المعافري المالكي ﷺ ردًّا على أصحاب الظاهر والباطن، ممن يدعون القشر واللباب، ويختلفون في تفسير آيات الكتاب: «نبغت ـ طائفة ـ يقال: لهم أصحاب الإشارات، جاؤوا بالألفاظ الشرعية من بابها، وأقروها على نصابها، **لكنهم زعموا أن وراءها معاني غامضة خفية، وقعت الإشارة إليها من ظواهر هذه الألفاظ، فعبروا إليها بالفكر، واعتبروا منها في سبيل الذكر**...، ومتعلقهم في ذلك أن السلف ما زالوا يبطنون مثل هذا المعنى، ويجعلونه **من باطن علم القرآن الذي قالوا فيه:**

---

(١) المحلى ١/ ١٣.

(٢) الأزل لابن عربي ص٤.

(٣) الفرقان ص١١٠، المجموع ١١/ ٢٦٣-٢٦٤.

إن للقرآن ظاهرا وباطنا، وحدا ومطلعا»، وذكر شبههم، ثم قال مبينا عوارهم، وكاشفا أغوارهم: « والذي تحرر بعد تحرير الافتكار، في سبيل النظر والاعتبار، أن الصريح عام في الدين، به جاء البرهان، وعليه دار البيان، فلا يجوز أن يعدل بلفظ صريح معناه إلى ما سواه، فإن ذلك تعطيل للبيان، وقلب له إلى الإشكال، فإذا تقرر الصريح في نصابه، فالإشارة بعد ذلك إلى الأمثال والأشباه، والتنبيه لوجه التشبيه أصل عظيم في العقل، وباب متسع في الدين، وسبيل واضحة في الشريعة، فإن كانت في الأحكام فهو باب القياس، وإن كانت في التذكير والوعظ، فالعبرة مباحة، وإن كانت في التوحيد، ولم يذكر في معرض المثل، فهي على حقيقتها... »[١]. ثم قال عن هذه الإشارات التي زعموا أنهم فهموها من العبارات:« هذا من الفن الذي لا يحتاج إليه، وإنما هو احتكاك بتلك الأغراض الفلسفية، وهي عن نهج الشريعة قصية، كادت بها الدين طائفة خبيثة »[٢].

ث- أن دين النبي ﷺ كامل، لا يحتاج إلى إكمال ببيان طرق محدثة لا عد لها، بدعوى ظهور شيء من الباطن لم يظهر للأول، وكل واحد من هؤلاء يأمر أتباعه بما لم يأمر النبي ﷺ أتباعه قطعا، فانظر إلى أحدهم وهو يقول لمريده: « فاغلق بابك دون الناس!! وكذلك باب بيتك بينك وبين أهلك!! واشتغل بذكر الله بأي نوع شئته من الأذكار، وأعلاها الاسم، وهو: الله، الله، الله، لا تزيد عليه شيئا!!!...، وتحفظ في غذائك، واجتهد أن يكون دسما، ولكن من غير حيوان!! »[٣].

ج- أن القول بتقسيم الدين إلى الظاهر والباطن قول للفلاسفة، وتلقفها هؤلاء الصوفية، وادعى الفلاسفة الإجماع على ذلك التقسيم كقول الصوفية، يقول ابن رشد: « **أجمع المسلمون على أنه ليس يجب أن تحمل ألفاظ الشرع كلها على ظاهرها**، ولا أن تخرج كلها من ظاهرها بالتأويل »[٤]، **والجواب عن هذا الادعاء من وجوه أيضا:**

---

(١) العواصم من القواصم لابن العربي ص ٢٦١-٢٦٣، بتصرف يسير.

(٢) العواصم من القواصم لابن العربي ص ٢٧٠، وانظر: قانون التأويل لابن العربي ص ٥١٨ وما بعدها.

(٣) رسالة الأنوار لابن عربي ص٦.

(٤) فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ١٨-١٩.

أ- أن الذي ذكره ابن رشد نفسه من ادعاء الإجماع نقضه بقوله أن البرهان العقلي مقدم على الإجماع؛ فكيف يحتج بالإجماع إذاً ـ لو صح ـ ؟؟، قال في مسألة: إذا خالف الإجماعُ البرهانَ العقلي، وهل يتصور ذلك ويصح؟ فقال: «أما لو ثبت الإجماع بطريق يقيني لم يصح، وإن كان الإجماع فيها ظنيا، فقد يصح»[١]، فيقال: كذلك دعواه أن المسلمين أجمعوا على أنه ليس يجب حمل الشرع كله على ظاهره، دعوى للإجماع بدون يقين، إذ لم يسبق إلى هذه الدعوى إلا أمثالُهُ، ممن يرون أن للشرع ظاهرا وباطنا، أما السلف فهم كانوا مقرين بالشرع ظاهرا وباطنا، ولا يؤولون شيئا منه عن ظاهره الذي سيق له الدليل.

ب- أن الإجماع قد يصح إذا كان يقينيا ـ ولو فرض أنه خالف البراهين العقلية!! ـ، أفلا يصح حينئذ العمل بظاهر نص الشارع ـ ولو كانت البراهين العقلية مخالفة!!؟ ـ، ثم إنّ القائلين بالباطن والحقيقة يؤولون نص ظاهر الشرع حتى يكون موافقا للبراهين[٢] ما دام خالف البراهين العقلية!! أفلا يصح حينئذ العمل بالظاهر، ولو كانت البراهين العقلية يقينية؟ ثم إنكم تبحثون عن التأويلات للإجماع حتى يكون موافقا للبراهين[٣]، فهلا بحثتم تأويلا للبراهين حتى توافق القرآن الثابت؟؟.

ت- أنهم بسبب هذه القواعد المنطقية، والعبارات الفلسفية لا يكفرون الرجل ولو وقع في الكفر المخالف للقرآن والسنة، فأي تعظيم يكون للقرآن والسنة حينئذ، بحجة أنهم لم يخالفوا شيئا قطعيا!!، فهذا ابن رشد يدافع عن ابن سينا وأبي نصر الفارابي ـ مع أن الغزالي كفرهم ـ بحجة أنهم لم يخالفوا شيئا مجمعا عليه!! مع دعواهم بقدم العالم، وأن الله لا يعلم الجزئيات، وتأويلهما لحشر الأجساد والأرواح!![٤] ومع هذا الكفر الصراح، لا يعتبرون مخالفين للكتاب والسنة ما داموا على الأصول الفلسفية؟؟.

---

(١) فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ١٩.

(٢) انظر: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ١٩.

(٣) انظر: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ١٩.

(٤) انظر: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ٢٠.

ث- أن دعوى الظاهر والباطن منقوضة بأقوال الأئمة الراسخين في السنة النابذين للبدعة، ومن وافقهم من أهل الملة، حيث أنكروا أن يكون للشرع ظاهر وباطن، وشريعة وحقيقة، وأقوالهم في ذلك مشهورة، وآثارهم مذكورة، وقد تقدم بعض أقوالهم في إيجابهم العمل بالشرع وأنه هو الظاهر، وأنه لا سر فيه(١).

ج- أن كبار الصوفية القدامى قالوا: احفظوا السواد على البياض؛ فما أحد ترك الظاهر إلا تزندق...، وقالوا: كل باطن يخالف ظاهرا فهو باطل،... وقيل: كل حقيقة لا تتبعها الشريعة فهي كفر، وقالوا: من قال: إن الحقيقة تخالف الشريعة أو الباطن يخالف الظاهر؛ فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان(٢).

ومن شبهاتهم أنهم يقولون: إن الشرع ورد فيه الظاهر والباطن لاختلاف أذواق الناس واختلاف فطرهم!! وكما سبق أنهم يقولون: إن العوام لا يعرفون إلا التشبيه والجري على الظواهر. فأتى الشرع كذلك!!، يقول ابن رشد(٣): «إن الشريعة قسمان: ظاهر ومؤول، وأن الظاهر منها فرض الجمهور!!، وأن المؤول هو فرض العلماء!!»(٤)، وهذا قول بعض المتكلمين، يقول الكرمي الحنبلي(٥) رحمه الله: «وإذا كانت الظواهر تثبت وجود القرآن، وأنه كلام الله حقيقة، فقال قائل: ليس كذلك؟؟ فقد نفى الظواهر التي تعب الرسول ﷺ في إثباتها، وقرر وجودها في النفوس، وهل للمخالف دليل إلا أن يقول: قال اللهُ فيثبت ما نفى؟ فليس الصواب لمن وُفق إلا

---

(١) انظر: بعض هذه الأقوال في الفصل الثاني من الباب الثالث ص٥٨٩./ / /

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٣٦٧-٣٦٨.

(٣) وإنما ذكرت قول ابن رشد، وحقه أن يذكر في الفلاسفة لأن القول بالظاهر والباطن من أقوال الفلاسفة أصلا ثم تبعهم على ذلك الصوفية تبعا مع شيء من التطور؛ فأولئك يقولون: إن النصوص هكذا أصلا تدل على هذه المعاني، وكلها متخيلات، والباطن: أن هذا الظاهر كله غير مراد اصلا!!، وأن الباطن أنه لا شيء من هذا حقيقة!! وأما الصوفية فيقولون: ظاهره ما يفهمه العامة (أي أهل السنة) وباطنه: ما يفهمه الخاصة ـ أي من أتباعهم أهل الكشف ـ!! وكلا المعنيين مراد في النص، ظاهره وباطنه.

(٤) مناهج الأدلة لابن رشد ص ٤٣.

(٥) هو العالم الفقيه: مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الحنبلي، من مؤلفاته: أقاويل الصفات في تأويل الأسماء والصفات، توفي بفلسطين سنة ١٠٣٣هـ. انظر: معجم المؤلفين ١٢/ ٢١٨.

الوقوف مع ظواهر الشرع...، وإثبات الإله بظواهر الآيات والأحاديث ألزم للعوام من تحديثهم بالتنـزيه، وإن كان التنـزيه لازما!!!.

وقد كان ابن عقيل يقول: الأصلح لاعتقاد العوام ظواهر الآيات والأحاديث؛ لأنهم يأنسون بالإثبات!!! فمتى محونا ذلك من قلوبهم زالت السياسة والخشية!! وتهافت العوام في التشبيه أحب إلي من إغراقهم في التنـزيه!!! لأن التشبيه يغمسهم في الإثبات، فيطمعوا ويخافوا شيئا قد تخايلوا مثله يرجى ويخاف!! وأما التنـزيه فإنه يرمي بهم إلى النفي، ولا طمع ولا مخافة من النفي»[(١)].

وهذا الذي ذكره ابن رشد، وتبعه بعض المتكلمين فيه تلبيس وتدليس، إذ ليس ظواهر القرآن والسنة دالة على التشبيه، بل هذه النصوص تدل على الإثبات مع التنـزيه، وأما تنـزيههم فهو تعطيل للرب، يؤدي إلى تعطيل التعبد في العبد.

وهذا القول هو قول بعض الصوفية أيضا؛ فإن منهم من يعتقد أن الشريعة الظاهرة واجبة على العوام، فيدخلون في كثير من أقوالهم في العلوم، أو في العلوم والأعمال إلى أقوال الباطنية[(٢)]، ولهذا تجد كثيرا منهم في الخلوات، لا يظهرون للجمع والجماعات، ولا يتطهرون بزعم تكميل المكاشفة في الظلمات، في سراديب تحت الأرض لا يرى منها نور السماوات[(٣)].

واستدلوا على القول بالظاهر والباطن بما روي عن علي ﷺ **[حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله]**[(٤)]، واستدلوا[(٥)] بقوله ﷺ: **[إنا معاشر**

(١) أقاويل الثقات ص ٢٢٤.

(٢) انظر: الصفدية ١/ ٥.

(٣) وقد سمعت عن أحد الأمكنة المزعومة بأنها خلوة فلان!!؛ فإذا هي عميقة، وكان لا يخرج منها حتى لقضاء الحاجة، ويتم أربعين يوما في مكانه!!، وكانوا يعتقدون فيه المعتقدات الخرافية!! وأشد من هذا ما كان يحصل من الغزالي (حجة الإسلام!!) حيث كان في خلوته، والصليبيون يدكون أسوار بيت المقدس، ولم يخرج منها، ولم يدع إلى جهاد، بل ولم يذكر الغزوات الصليبية لا من قريب ولا من بعيد، مع أنه عاشها قرابة (١٢) عاما!!!. انظر: كتاب مصرع الشرك والخرافة للشيخ خالد محمد الحاج ص٤٦٩.

(٤) رواه البخاري معلقا مجزوما به، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا، ص٣٣.

(٥) انظر: مناهج الأدلة لابن رشد ص ٩٩.

الأنبياء أمرنا أن ننـزل الناس منازلهم، وأن نخاطبهم على قدر عقولهم][(١)]، والجواب عن هذا من وجهين:

١- «ما ذكره البخاري عن علي ﷺ أنه قال: [حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله] قد حمله أبو الوليد بن رشد الحفيد الفيلسوف، وأمثاله، على علوم الباطنية الفلاسفة نفاة الصفات، وهذا تحريف ظاهر؛ فإن قول علي ﷺ... دليل على أن ذلك مما أخبر به النبي ﷺ، وأقوال النفاة من الفلاسفة والجهمية والقرامطة والمعتزلة لم ينقل فيها مسلم عن النبي ﷺ شيئا لا صحيحا ولا ضعيفا؛ فكيف يكذب الله ورسوله في شيء لم ينقله أحد عن الله ورسوله... فعلم أن الصحابة لم يكونوا يبطنون خلاف ما يظهرون، ولا يظهرون الإثبات ويبطنون النفي، ولا يظهرون الأمر ويبطنون امتناعه، بل هم أقوم الناس بتصديق الرسول فيما أخبر، وطاعته فيما أمر»[(٢)].

٢- أن قول الإمام البخاري ﷺ: «باب: من خص قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا»[(٣)] فيه دليل على أن المقصود بقول علي ﷺ العلمَ ليس إلا، والدليل أنه معلوم للعلماء، وليس لعامة الدهماء، وقد أبهم عنهم خشية أن يفقهوه على غير وجهه، ويؤكد هذا الفهم تبويبه السابق على هذا التبويب حيث قال: «باب: من ترك بعض الاختيار مخافة أن تقصر فهم بعض الناس عنه؛ فيقعوا في أشد منه»[(٤)]، أي يترك الأفضل مخافة عدم الفهم من بعض الناس[(٥)]، وليس المراد أنه لا يبلغ ما يتعلق بأصول الدين، وما يقرب إلى رب العالمين، ومما يؤكد هذا الفهم فهم السلف الصالح؛ فإن ابن مسعود وأبا هريرة وغيرهما لم يحدثا ببعض الأخبار والأمور التي سمعوها من رسول الله

---

(١) روى نحوه أبو داود، كتاب الأدب، باب/ في تنـزيل الناس منازلهم، ح(٤٨٤٢)، عن ميمون بن أبي شبيب عن عائشة ﷺ، قال أبو داود: (ميمون لم يدرك عائشة)، فالحديث منقطع.

(٢) المجموع ١٣/ ٢٦٠.

(٣) صحيح الإمام البخاري، كتاب العلم، ص ٣٣.

(٤) صحيح الإمام البخاري، كتاب العلم، ص٣٣.

(٥) انظر: الفتح ١/ ٢٧١.

ﷺ لأنه لم يكن متعلقا بالدين، وإنما هي أمور متعلقة بالدنيا، وما سيقع فيها، وتقع كراهة التحديث لمن يتخذها ذريعة إلى فعل مشين، أو قول منكر مبين، ظنا منه أن هذا الحديث يدل عليه، وضابط ذلك: أن يكون ظاهر الحديث ـ عند من لا يفهمه ـ يقوي البدعة، وهذا الظاهر غير مراد؛ فالإمساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ به مطلوب[(١)].

وقالوا مستدلين لقولهم بالباطن والظاهر: إن الأنبياء لم يعلموا أصحابهم الباطن، لكونهم مشغولين بالجهاد، وخاف النبي أن يشتغلوا بالباطن عن الجهاد!![(٢)]. فهل النبي ﷺ يترك شيئا مهما يتعلق بالنصوص الشرعية، من أجل اشتغالهم بالجهاد!!؟ ولم يترك الإنكار عليهم في مسألة عقدية واحدة ـ هي في نظر كثير من الناس ـ صغيرة في أحلك الظروف وأصعبها؛ فكيف يترك أمرا عظيما يتعلق بفهم كتاب الله ﷻ ؟، انظر إليه ﷺ وهو يغضب على مسلمة الفتح في طريقه إلى غزوة حنين لما قالوا: [**اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط!**]؛ فقال ﷺ من غير مجاملة ولا مسايرة: [**قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنوا إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، قال إنكم قوم تجهلون...**][(٣)]؛ فما منعه الجهاد من إظهار تبرك شركي فكيف بأمر عظيم يتعلق بفهم كلام الشرع في الاعتقاد!!؟ فهم يقولون: إن المراد من بعث الأنبياء حصول الحكمة والمصلحة، ـ وهذا لا شك أنه مقصد عظيم وصحيح ـ وأن في بعث الأنبياء صلاحًا للعباد والبلاد، في المعاش والمعاد، لكن ليس في هذا ما يوجب سقوطها عن بعض العباد، كما يدعيه أهل الفسق والعناد، أو أهل البدعة والاتحاد، أو من يسمون أنفسهم بالأقطاب والأوتاد.

ومن شناعاتهم الشنيعة وأقوالهم السخيفة في بعث الأنبياء، قالوا: إن «المراد منها ضبط العوام، ولسنا نحن العوام»، **ولا ريب**: «أن الكلمة الأولى: زندقة ونفاق،

---

(١) انظر: الفتح ١/ ٢٧٢.

(٢) انظر: النبوات ص٢٤٨.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده، ح(٢٢٢٤٢)، والترمذي، كتاب الفتن، باب/ لتركبن سنن من كان قبلكم، ح(٢١٨٠) عن أبي واقد الليثي ﷺ، وقال الترمذي: هذا حديث صحيح.

والثانية: كذب واختلاق؛ فإنه ليس المراد من الشرائع مجرد ضبط العوام؛ بل المراد منها الصلاح باطنا وظاهرا، للخاصة والعامة، في المعاش والمعاد»[١].

وربما **قالوا**: إن الوحي والإلهام عام، وأن العلم بالباطن يحصل بصفاء الذهن ونوع رياضة، وإذا أوحي إلى النحل فغيره كذلك، وبهذا يعلم أن الكشف صحيح!! **ومعلوم** أن الإيحاء العام ليس كالإيحاء الخاص للأنبياء، وقد فرق الله ﷻ بين ذلك، وإلا عد النحل رسولا!! فالفهم الذي يظهر في قلوب العلماء العاملين، والصلحاء الصادقين: ليس إلا إدراكا يقع في قلوبهم لما لهم من معارف شرعية؛ جعل الله ذلك وسيلة إلى إدراك الحقائق على ما هي عليه، لا أنهم يرون ما حجب وستر وكان غيبا؛ فجعل هؤلاء الصوفية «الإيحاء والإلهام الذي يحصل في اليقظة والمنام مثل سماع موسى كلام الله، سواء لا فرق بينهما!!»[٢]، ومعلوم أنه «لو كان أحد يأتيه من الله ما لا يحتاج إلى عرضه على الكتاب والسنة، لكان مستغنيا عن الرسول ﷺ في بعض دينه، وهذا من أقوال المارقين الذين يظنون أن من الناس من يكون مع الرسول كالخضر مع موسى، ومن قال هذا فهو كافر»[٣].

ومنهم من يستدل بالمفتريات على المبتدعات؛ فيتقوّل على سيد البريات، ويدعي العلم الباطن وسماع الوحي!! وذلك كقولهم: «إن أهل الصفة سمعوا ما خاطب الله به رسوله ليلة المعراج؛ وأن الله أمره أن لا يعلم به أحد؛ فلما أصبح وجدهم يتحدثون، فأنكر ذلك؛ فقال الله تعالى: أنا أمرتك أن لا تعلم به أحدا، لكن أنا الذي أعلمتهم به!! إلى أمثال هذه الأكاذيب التي هي من أعظم الكفر، وهي كذب واضح؛ فإن أهل الصفة لم يكونوا إلا بالمدينة؛ لم يكن بمكة أهل صفة؛ والمعراج إنما كان بمكة...، ومما يشبه هذا من بعض الوجوه: رواية بعضهم عن عمر أنه قال: كان النبي ﷺ يتحدث هو و أبو بكر، وكنت كالزنجي بينهما. وهذا من الإفك المختلق، ثم إنهم مع هذا

---

(١) المجموع ١١/ ٤١٥-٤١٦.

(٢) المجموع ٦/ ١٨٠.

(٣) المجموع ١١/ ٦٦.

يجعلون عمر الذي سمع كلام النبي ﷺ وصديقه، وهو أفضل الخلق بعد الصديق لم يفهم ذلك الكلام!! بل كان كالزنجي!! ويدعون أنهم سمعوه وعرفوه!!»[(١)].

وقد يحتجون لعلم الباطن بقول أبي هريرة ﷺ: [**حفظت من رسول الله ﷺ جرابين؛ فأما أحدهما فبثثته فيكم؛ وأما الآخر فلو بثثته لقطعتم هذا البلعوم**][(٢)]، «ولكن ليس في هذا من الباطن الذي يخالف الظاهر شيء؛ بل ولا فيه من حقائق الدين، وإنما كان في ذلك الجراب الخبر عما سيكون من الملاحم والفتن؛ فالملاحم: الحروب التي بين المسلمين والكفار، والفتن: ما يكون بين المسلمين»[(٣)].

ومن هؤلاء من يحتج بقصة موسى والخضر: والذي فعله الخضر كان «مصلحة، وهو شريعة أمره الله بها، ولم يكن مخالفا لشرع الله، لكن لما لم يعرف موسى الباطن كان في الظاهر عنده أن هذا لا يجوز؛ فلما بين له الخضر الأمور وافقه؛ فلم يكن ذلك مخالفا للشرع، وهذا الباب يقال فيه: قد يكون الأمر في الباطن بخلاف ما يظهر، وهذا صحيح، لكن تسمية الباطن حقيقة، والظاهر شريعة أمر اصطلاحي»[(٤)].

ومن احتج بقصة موسى مع الخضر على أن هناك حقيقة وشريعة، أو باطنا وظاهرا، أو يسوغ الخروج عن ظاهر الشرع؛ فهو مخطئ من وجهين[(٥)]:

الأول: أن موسى لم يبعث إلى الخضر، ولم يكن على الخضر اتباعه؛ فإن موسى بعث إلى بني إسرائيل؛ وأما محمد ﷺ فرسالته عامة للإنس والجن، ولو أدركه من هو أفضل من الخضر كإبراهيم وموسى وغيرهما وجب عليهم اتباعه؛ فكيف بآحاد أمته.

الثاني: أن موسى لم يعلم سبب الفعل، ولهذا وقع منه الإنكار، ولما علم السبب

---

(١) المجموع ١١/ ٥٤، وانظر منه ١١٠.

(٢) روى نحوه البخاري، كتاب العلم، باب/ حفظ العلم، ح(١٢٠).

(٣) المجموع ١٣/ ٢٥٥.

(٤) المجموع ٨/ ٣١٥، ومعلوم أن الاصطلاح إذا ترتب عليه نزاع شرعي؛ فإنه لا عبرة به، وأنه لا مشاحة في الاصطلاح إذا كان الاصطلاح له معنى صحيح، ولا يخالف الشرع.

(٥) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ١١١، المجموع ١١/ ٢٦٣-٢٦٤.

لم ينكر بل أقر، فإن خرق السفينة للمصحلة جائز، وهو إحسان إليهم...، ولهذا ينكر الناس بعضهم على بعض فيما يقع من الأعمال التي لا يعرفون أسبابها وأحكامها؛ فإذا علموا وافقوا وأذعنوا ـ كمن رأى رجلا يضرب صبيا فينكر عليه؛ فإذا علم أنه ابنه، وأنه يضربه تأديبا، عرف السبب وسكت عن الإنكار ـ؛ فكل من عمل بشيء فإنه يطالب بالدليل الشرعي؛ فإن وافقه قبل، وإلا رد.

وقد يقول أهل الجهل والكذب منهم: إن عليا ﷺ اختص بعلم، وانفرد به عن الصحابة!! وهذا كله باطل، وقد ثبت في الصحيح أنه قيل له: [**هل عندكم من رسول الله ﷺ شيء؛ فقال: لا، والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إلا فهما يؤتيه الله عبدا في كتابه، وما في هذه الصحيفة، وكان فيها عقل الديات**](١)...، فكل من ادعى أن النبي ﷺ خصه بعلم فقد كذب عليه...، وكذلك ما يذكر: «أنه كان عنده علم باطن امتاز به عن أبي بكر وعمر، وغيرهما؛ فهذا من مقالات الملاحدة الباطنية، ونحوهم»(٢).

وقد أوردت أقوال الباطنية الصوفية ـ في هذا الباب مع أن حقهم أن يذكروا مع الباطنية ـ وذلك لأنهم معظمون عند عامة الصوفية؛ وإن لم يقولوا بقولهم، ولم يتصوروا مقولهم، ولكن حتى يتبين الأمر، ويعرف الخير من الشر، وإلى من ينتسب هؤلاء الصوفية، ومن يعظمون. فإن عامة الصوفية معظمون لأصحاب وحدة الوجود، بل «وهم عند كثير من الناس سادات الأنام، ومشايخ الإسلام، وأهل التوحيد والتحقيق وأفضل أهل الطريق، حتى فضلوهم على الأنبياء والمرسلين، وأكابر مشايخ الدين!!»(٣)، ولهذا فنقل بعض أقوالهم مع منتحليهم أمر لا بد منه، حتى يظهر الحال، وينكشف المقال.

بل إن من الصوفية من يزعم أن التكاليف الشرعية لا تلزمه، إذا وصل إلى اليقين!! لقوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾[الحجر:٩٩] «فاليقين عندهم،

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب/ فكاك الأسير، ح(٣٠٤٧) عن علي ﷺ.

(٢) المجموع ٤/ ٤١٢-٤١٣.

(٣) المجموع ٢/ ٣٥٧.

هو معرفة هذه الحقيقة!! وقول هؤلاء كفر صريح...، ومشاقة لله، وتكذيب لله ولرسوله، ومعاداة له، وصد عن سبيله، ومشاقة له، وتكذيب لرسله، ومضادة له في حكمه، وإن كان من يقول هذه المقالات قد يجهل ذلك، ويعتقد أن هذا الذي هو عليه هو طريق الرسول وطريق أولياء الله المحققين، فهو في ذلك بمنـزلة من يعتقد أن الصلاة لا تجب عليه لاستغناء الله عنها، بما حصل له من الأحوال القلبية، أو أن الخمر حلال له، لكونه من الخواص!! الذين لا يضرهم شرب الخمر!! أو أن الفاحشة حلال له، لأنه صار كالبحر لا تكدره الذنوب، ونحو ذلك!!!»[(١)]، فـ «يحتج بقوله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾[الحجر:٩٩] ويقول: معناها: اعبد ربك حتى يحصل لك العلم والمعرفة؛ فإذا حصل ذلك سقطت العبادة، وربما قال بعضهم: اعمل حتى يحصل لك حال!! فإذا حصل لك حال تصوفي [سقطت عنك العبادة][(٢)]، وهؤلاء فيهم من إذا ظن حصول مطلوبه من المعرفة والحال، استحل ترك الفرائض وارتكاب المحارم، وهذا كفر»[(٣)].

فطريق الحقيقة عندهم: هو السلوك الذي لا يتقيد صاحبه بأمر الشارع ونهيه، ولكن بما يراه، ويذوقه، ويجده في قلبه مع ما فيه من غفلة عن الله ﷻ، ونحو ذلك، «**ويقول محققوهم**: الشريعة فيها طاعة ومعصية، والحقيقة فيها معصية بلا طاعة، والتحقيق ليس فيه طاعة ولا معصية!!»[(٤)].

«وابتلى بهذا ـ أي إنكار الصفات ـ كثير من أهل النظر والعبادة والتصوف، وصاروا يظهرون هذا في قالب المكاشفة!! ويزعمون أنهم أهل التحقيق والتوحيد والعرفان!!»[(٥)].

«**وكان أوائل الصوفية** يقرون بأن التعويل على الكتاب والسنة، وإنما لبس

(١) العبودية ص٤٤-٤٥.

(٢) هكذا في المطبوع بين قوسين.

(٣) المجموع ١١/ ٤١٧.

(٤) العبودية ص١١٣.

(٥) النبوات ص٨٧.

الشيطان عليهم لقلة علمهم... قال أبو سليمان الداراني: ربما تقع في نفسي النكتة من نكت القوم أياما؛ فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين: الكتاب والسنة...، وقال البسطامي[١]: من ترك قراءة القرآن والتقشف ولزوم الجماعة وحضور الجنائز وعيادة المرضى وادعى بهذا الشأن؛ فهو مبتدع»[٢].

ولا زال **أهل العلم** أئمة الدين يعظمون النكير على هؤلاء، «وإن كانوا من الزهاد العابدين، وأهل الكشف والتصرف في الكون!!...، وإنما الفاصل بين أهل الجنة وأهل النار: الإيمان والتقوى، الذي هو نعت الأولياء»[٣].

وبما يظهر لهم بواسطة الحقيقة ـ وهو الكشف ـ أدلى الصوفية بأقوالهم التي فيها يتجلى القول بالباطن، وكان إدلاؤهم في نصوص الوحي واضحا، كما في تفسير القشيري، والسلمي، وروح البيان لإسماعيل حقي[٤]، وإعجاز البيان للقونوي، وتفسير النخجواني[٥]، بل وتفسير روح المعاني للألوسي، وتفسير النيسابوري، وغيرها، ويكفيك هولاً أن تعلم شناعة تفسير ابن عربي الصوفي الحلولي أنه لما طبع كتابه عظم الأمر على المحقيقن من أهل السنة حتى قيل[٦]: «هالني ما كان من بعض دور النشر في مصر وبيروت، من الأخذ في طبع كتاب التفسير المنسوب لابن عربي...، هالني ذلك وهال الكثيرين غيري ـ فكيف ـ يسكت عن مثل هذا الفعل الذي يسيء إلى الإسلام، ويذهب بقدسية القرآن!؟»[٧].

---

(١) هو الصوفي: طيفور بن عيسى بن شروسان الصوفي، أبو زيد البسطامي، توفي سنة ٢٦١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٣/ ٨٦.

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١٨٧.

(٣) المجموع ١١/ ٤٢٠.

(٤) هو الصوفي الكبير: إسماعيل حقي بن مصطفى أبو الفداء البروسوي، من مؤلفاته: كتاب التوحيد، وروح البيان في تفسير القرآن، توفي سنة ١١٣٧هـ. انظر: معجم المؤلفين ٢/ ٢٦٦.

(٥) انظر: مقدمة المحقق على كتاب البرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني ص ٨.

(٦) القائل هو الدكتور/ محمد الذهبي ﷺ، وله كتاب بعنوان التفسير والمفسرون؛ فهو خبير في مجاله، وعالم نحرير في أيامه.

(٧) تفسير ابن عربي للقرآن حقيقته وخطره، للدكتور/ محمد حسين الذهبي ص٣-٤.

وقد يظهرون تعظيم القرآن الكريم، بأقوال معسولة وعبارات ملبوسة، ولكنها مع البحث عرية عن التحقيق، وتعظيمهم ظاهري على التدقيق، وإلا لعملوا به؛ فتجدهم يقولون بيانا للتعظيم: «في القرآن علم كل شيء، وعلم القرآن في الأحرف التي في أوائل السور!! وعلم الأحرف في لام ألف!!»[١].

وربما ظن أحدهم أنه بالرياضة يمكنه أن ينال العلوم، وأن يحفظ القرآن الكريم، «فمنهم من يظن أنه يلقن القرآن بلا تلقين، ويحكون أن شخصا حصل له ذلك، وهذا كذب، نعم: قد يكون سمع آيات الله فلما صفى نفسه تذكرها، فتلاها، «**ويقول بعضهم**، أو يحكي أن بعضهم قال: أخذوا علمهم ميتا عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت، وهذا يقع، لكن منهم من يظن أنما يلقى إليه من خطاب، أو خاطر، هو من الله تعالى بلا واسطة!! وقد يكون من الشيطان، وليس عندهم فرقان يفرق بين الرحماني، والشيطاني؛ فإن الفرقان الذي لا يخطئ هو القرآن، والسنة؛ فما وافق الكتاب والسنة فهو حق؛ وما خالف ذلك فهو خطأ»[٢].

قال ابن عقيل رحمه الله: «**وأنا أذم الصوفية لوجوه يوجب الشرع ذم فعلها**[٣]، **منها:** أنهم اتخذوا مناخ البطالة وهي الأربطة، فانقطعوا إليها عن الجماعات في المساجد؛ فلا هي مساجد، ولا بيوت، ولا خانات، وصمدوا فيها للبطالة عن أعمال المعاش، وبدنوا أنفسهم بدن البهائم للأكل والشرب، والرقص، والغناء، وعولوا على الترقيع المعتمد[٤] به التحسين تلميعا...، واستمالوا النسوة والمردان، بتصنع الصور واللباس، فما دخلوا بحيتا فيه نسوة، فخرجوا إلا عن فساد قلوب النسوة على أزواجهن.

ثم يقبلون الطعام، والنفقات من الظلمة والفجار وغاصبي الأموال...،

---

(١) من كلام الحلاج نقلا من كتاب: الصلة بين التصوف والتشيع ص٣٧١.

(٢) المجموع ١٠/ ٤١٣، وانظر ما بعدها.

(٣) في المطبوع (فعلها)، ولعل الصواب (فاعلها).

(٤) لعل الصواب (المتعمد) بتقديم التاء على العين.

ويستصحبون المردان في السماعات، يجلبونهم في الجموع مع ضوء الشموع، ويخالطون النسوة الأجانب، ينصبون لذلك حجة إلباسهن الخرقة!!...، ويسمون الطرب وجدا، والدعوة وقتا، واقتسام ثياب الناس حكما...، ولا يخرجون عن بيت دعوا إليه إلا عن إلزام دعوة أخرى!!...، ويعتقدون أن الغناء بالقضبان قربة!!...، ويسلمون أنفسهم إلى شيوخهم...؛ فإن قبل أمردا، قيل: رحمة، وإن خلا بأجنبية، قيل: بنته!! وقد لبست الخرقة...

وليس لنا شيخ نسلم له حاله، إذ ليس شيخ غير داخل في التكليف... ثم إن الله تعالى تقول له الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ﴾[البقرة:٣٠]، ويقول موسى ﷺ: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾[الأعراف:١٥٥]، وإنما هذه الكلمة جعلها الصوفية: ترفيها لقلوب المتقدمين، وسلطنة سلكوها على الأتباع والمريدين»[(١)].

وهؤلاء الذين قالوا بالقول بالباطن، أو الحقيقة والشريعة، وصل بهم الأمر، أن قالوا: «واضع هذا العلم "يعني التصوف" فهو النبي ﷺ علمه الله بالوحي والإلهام؛ فنـزل جبريل أولا بالشريعة؛ فلما تقررت نزل ثانيا بالحقيقة!! فخص بها بعضا دون بعض[(٢)]، وأول من تكلم فيه وأظهره، سيدنا علي ﷺ، وأخذه عنه الحسن البصري»[(٣)].

والصوفية فرق شتى، و«انتصب كل واحد إماما، ودعا الناس إليه، وزعم نفسه هاديا مهديا، وهو ضال مضل...، هؤلاء قطاع الطريق، دجالون كذابون مفترون فتانون، إياكم وإياهم، ولا تتبعوا إلا من دعا إلى كتاب الله، وسنة رسوله، ولم يدع إلى نفسه، ولا نرضى بإشاعة الإشارات الصوفية»[(٤)].

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٤١٨-٤١٩.

(٢) ما أشبه كلام الصوفية لكلام الرافضة الغوية، في قولهم بالعلم الاختصاصي، وما أشبههم بالفلاسفة في قولهم بالعلم الخاصي!!.

(٣) إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة ص٥، نقلا من كتاب: هذه هي الصوفية للدكتور عبد الرحمن الوكيل ص٢٠.

(٤) من كلام العلامة الدهلوي، كما في كتاب: الإمام المحدث الشاه ولي الله الدهلوي حياته ودعوته، للأستاذ/ محمد بشير السيالكوتي ص١٩٠-١٩١.

ومما يدل على أنهم أصناف قول ابن خلدون: «ومن هؤلاء المريدين من المتصوفة قوم بهاليل معتوهون أشبه بالمجانين من العقلاء، وهم مع ذلك قد صحت لهم مقامات الولاية وأحوال الصديقين!![١]، وعلم ذلك من أحوالهم من يفهم عنهم من أهل الذوق، مع أنهم غير مكلفين!! ويقع لهم من الإخبار عن المغيبات عجائب!!...، وربما ينكر الفقهاء أنهم على شيء من المقامات لما يرون من سقوط التكليف عنهم، والولاية لا تحصل إلا بالعبادة، وهو غلط!! فإن فضل الله يؤتيه من يشاء[٢]، ولا يتوقف حصول الولاية على العبادة، ولا غيرها!!»[٣].

ويؤكد أن الصوفية طوائف قوله رحمه الله، «ثم حدث عند المتأخرين من الصوفية الكلام في الكشف، وفيما وراء الحس، وظهر من كثير منهم: القول على الإطلاق بالحلول والوحدة، فشاركوا فيها الإمامية، والرافضة، لقولهم: بألوهية الأئمة، وحلول الإله فيهم.

وظهر منهم أيضا القول بالقطب والأبدال، وكأنه يحاكي مذهب الرافضة في الإمام والنقباء، وأشربوا أقوال الشيعة، وتوغلوا في الديانة بمذاهبهم»[٤].

فالصوفية كالرافضة في مسألة القول بالأسرار، أو القول بأن هناك شيئا مخفيا علمه بعض الصحابة، فادعوا «علوم الأسرار والحقائق التي يدعون أخذها عن أهل البيت، إما من العلوم الدينية، وإما من علم الحوادث الكائنة، ما هو عندهم من أجل الأمور، التي يجب التواصي بها، وبكتمانها والإيمان بما لايعلم حقيقته من ذلك»[٥].

وأما حدوث التصوف فلا مرية فيه ولا شك؛ فإن أقل أحوالها البدعة والتقول، وأرفع أقوالها الاتحاد والحلول، قال ابن خلدون: «الفصل السابع عشر في علم

---

(١) غير مكلفين وصاروا صديقين، ألا فليهنأ المجانين!!.

(٢) طبعا على قول الأشاعرة القائلين بعدم الحكمة في أفعال الله ﷻ، وفي خلقه؛ وابن خلدون على منهج الأشاعرة أحيانا، وإلا فكيف يسوى بين من عبده وبين من جهله!؟.

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ١٩٤.

(٤) مقدمة ابن خلدون ص ٥٧٥-٥٧٦.

(٥) نقض المنطق ص ٦٤.

التصوف، هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة!! وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة، وكبارها من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم: طريقة الحق، وأصلها العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا، وزينتها...، وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف؛ فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية، والمتصوفة»[١]، و«اختص هؤلاء بهذا النوع من العلم ـ أي المكاشفة ـ الذي ليس لواحد غيرهم من أهل الشريعة الكلامُ فيه!!»[٢].

وزعم ابن خلدون أن الصوفية بالكشف يفعلون ما لا اختصاص للبدن فيه؛ فقال: «وهذا الكشف كثيرا ما يعرض لأهل المجاهدة فيدركون من حقائق الوجود ما لا يدركه سواهم، وكذلك يدركون كثيرا من الواقعات قبل وقوعها!! ويتصرفون بهممهم وقوى نفوسهم في الموجودات السفلية!! وتصير طوع إرادتهم!!...، وإنهم كشفوا ذوات الوجود، وتصوروا حقائقها كلها من العرش إلى الطش!!!»[٣].

ويقول: «وقد يوجد لبعض المتصوفة وأصحاب الكرامات تأثير أيضا في أحوال العالم، وليس معدودا من جنس السحر، وإنما هو الإمداد الإلهي؛ لأن طريقتهم ونحلتهم من آثار النبوة وتوابعها!!»[٤].

وبعد هذا ـ لعلك ـ عرفت لماذا الصوفية يدعون علم الغيب والكرامات!! لأنه ـ كما زعم ابن خلدون وأمثاله ـ يتصرف في الكون بقواه!!؛ لأن من سلك مسلك الباطن فإنه لا محالة سيدعي الاطلاع على ما يزعم أنه باطن، أو أنه غيب!!، ولا شك أنه باطل وريب، وقال السبكي: «ومن حقهم الوقوف في إظهار ما يطلعهم الله تعالى من المغيبات!!!»[٥].

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٨٦٥.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٨٦٧.

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٨٦٧.

(٤) مقدمة ابن خلدون ص ٩٣٣.

(٥) معيد النعم ومبيد النقم للسبكي ص١٢١.

ويقع للمتأخرين من المتصوفة الاتحاد والحلول بعد الكشف حتى يظن أن الله ﷻ « متحد بالمخلوقات: إما بمعنى الحلول فيها، أو بمعنى أنه هو عينها، وليس هناك غيره جملة ولا تفصيلا!!»[(١)]، وقد « ذهب جماعة من المتأخرين الذين صيروا تلك المدارك الوجدانية علمية نظرية، إلى أن الباري تعالى متحد بمخلوقاته في هويته، ووجوده، وصفاته!!»[(٢)].

ثم ذكر ابن خلدون هؤلاء المتأخرين فقال: « ثم إن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف، وفيما وراء الحس، توغلوا في ذلك، فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة، كما أشرنا إليه، وملؤوا الصحف منه، مثل الهروي في كتاب المقامات له[(٣)]، وغيره، وتبعهم ابن العربي، وابن سبعين، وتلميذيهما، ثم ابن العفيف، وابن الفارض، والنجم الإسرائيلي في قصائدهم.

وكان سلفهم مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضا بالحلول وإلهية الأئمة مذهبا لم يعرف لأولهم، فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر، واختلط كلامهم، وتشابهت عقائدهم »[(٤)].

وخلاصة القول في الظاهر والباطن: أنه باب لكل زنديق فتح، وسرداب لكل بطال وقح، وإن أحدهم يخرج منه الكفر الصريح، والقول القبيح، ثم يعذرون!!![(٥)]، وكأنهم غير مكلفين!!، أو بالقرآن والسنة غير مخاطبين!!.

« **وعامة شيوخهم** يرمون بالعظائم، وإن كان فيهم من هو معروف بزهد وعبادة، ففي زهد بعض العامة من أهل السنة وعبادته ما هو أرجح مما هو فيه »[(٦)].

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٨٦٨.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٨٧٠.

(٣) قد يفهم من كلام الهروي ذلك، ولكنه لم يقصد ما قصده ابن عربي وأمثاله، ودعا إليه، وجهر به من الحلول الصريح. انظر: مدارج السالكين ١/ ١٦٦.

(٤) مقدمة ابن خلدون ص ٨٧٥.

(٥) انظر: معيد النعم ومبيد النقم للسبكي ص ١٢٤.

(٦) نقض المنطق ص٤٥.

« **والقوم لما تركوا العلم**، وانفردوا بالرياضيات على مقتضى آرائهم، لم يصبروا عن الكلام في العلوم؛ فتكلموا بواقعاتهم؛ فوقعت الأغاليط القبيحة منهم؛ فتارة يتكلمون في تفسير القرآن، وتارة في الحديث، وتارة في الفقه، وغير ذلك، ويسوقون العلوم إلى مقتضى علمهم الذي انفردوا به!! »[1].

« **فاعلم أن هذا المذهب مذهب وراء طور العقل**، وقد صرحوا بذلك، وبأنه لا طريق للوصول إليه إلا الكشف!!، الذي نسبته إلى العقل كنسبة العقل إلى الوهم... و- الغزالي - جعل العلم الظاهر كمكان وضيع لا يُرى منه شيء بعيد عن أطوار العقل!!، وهذه استهانة ظاهرة بالعلم الظاهر المأخوذ من الكتاب والسنة، وبالعقل الذي كرم الله به الإنسان، وجعله أهلا للخطاب...، كما يقضي على كرامة العقل والعلم الظاهر »[2].

وإذا علم مدى تعمق هؤلاء الصوفية في القول بالظاهر والباطن، أو الحقيقة والشريعة، فحينئذ يمكن أن يعرف مدى استخفافهم بظواهر النصوص، وقد مر شيء من ذلك، ويجليه المبحث التالي.

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٣٧٥.

(٢) موقف العقل والعلم والعالم ٣/ ١٧٤-١٧٥.

المبحث الثالث: استخفافهم بظاهر القرآن والرد عليهم

لما اعتقد الصوفية أن للقرآن ظاهرا وباطنا!! وأن الدين حقيقة وشريعة!! كان علمهم بالظاهر غير سديد، وبحثهم عن الباطن شديد، وحالهم كمن يبحث عن السراب في الليلة الظلماء وفي أشد ما يكون من الصحراء، فلم يجدوا ماء يرويهم، ولا شفاء يداويهم، فلا هم بالذين اكتفوا بظاهر النصوص، ولا بمن وجدوا ما ظنوه باطن النصوص، وكان موقفهم من الظاهر سيّئا، ومن الباطن أسوأ، إذ بالأول وقعوا في الاستخفاف بالعلم الشرعي، وبالثاني وقعوا في القول على الله بغير علم، بل بمجرد الظنون والأوهام والتخيلات والكشوفات.

فهذا أحد الصوفية القائلين بالظاهر والباطن، وهو ابن عربي الحلولي[١]، يقول: «العرش: مستوى الأسماء المقيدة! الكرسي: موضع الأمر والنهي!! القدم ما ثبت للعبد في علم الحق»[٢]. ويقولون: «العرش ظل الله، والإنسان: العرش!!»[٣]. فهذه تأويلات سخيفة واصطلاحات مريرة لإبطال ظاهر القرآن، وهذا معناه أنهم يقولون: إن الله لا يوصف، ولا يسمى لأن هذه تقيده عن العلو المطلق، كما زعموا!! وأنه لا عرش ولا كرسي، ولا قدم يثبت لله ﷻ !![٤].

---

(١) وهو حلولي باطني، ولكن نقلت كلامه لكون الصوفية جمعاء معظمين له بغباء، ومفخمين من أمره على غير هدى، فليعلموا كيف قائدهم، وما هي أقوال رائدهم.

(٢) كتاب اصطلاح الصوفية له ص ١٦.

(٣) الإعلام بإشارات أهل الإلهام لابن عربي ص٦.

(٤) انظر: الإعلام بإشارات أهل الإلهام لابن عربي ص٤.

بل ويقول بعضهم: إن العمل بظاهر القرآن والسنة كفر[١]**، ولقد جاء في القرآن العمل بالشرع**، واتباع ما ورد في المنـزَّل، وابن عربي يقول: « والعمل الذي هو سبب له من إقامة فرض، أو سنة يُطلب ثوابه، **فلا تشغل نفسك به!! فإن** حركة الأبدان لا بد لها من نتائجها المحسوسة، فلا تسأل ما تعطيها الحركات بذاتها، **فيضيع وقتك عليك!!**»[٢]، **فماذا يعمل الصوفية بعد هذا** ـ الفسح الكهنوتي ـ في الصلوات المشروعات بالآيات، والمؤكدات بالسنن المتواترات!؟؟.

وإليك بعض الأمثلة التي تبين لك أن القوم لا يقيمون لظاهر القرآن وزنا، وإن كانوا يعظمون القرآن رسما:

١ – قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾[مريم:٨٥] وهم يقولون: « كيف يحشر إليه من هو جليسه؟ »[٣].

٢– القصر في السفر ثابت في القرآن الكريم، وهؤلاء يحرفون ظاهره؛ فيقولون: « سفر الأجسام يضع شطر الصلاة، وسفر الأرواح يضع الصلاة، **لأن الخطاب سفلي**»[٤].

٣– أَمَر الله في أكثر من آية بالإخلاص له في الأمور القلبية والعملية التي يرجى فيها الثواب، وهؤلاء يقولون: « تحقيق الإخلاص: تقوية إبليس »[٥].

٤– ثبت في القرآن أن الغيب لا يعلمه أحد إلا الله في أكثر من آية، وهؤلاء إذا خلى أحدهم، وترك الجُمع والجماعات يدعي الكشف والاطلاع على المغيبات، يقول ابن عربي: « فأول ما يفتح الله عليك إن أعطاك الأمر على الترتيب ما أقوله لك، وهو:

---

(١) انظر: رسالة البصائر في التوسل بالمقابر.

(٢) الفناء لابن عربي ص ٥.

(٣) الإعلام بإشارات أهل الإلهام لابن عربي ص٧، وانظر: التراجم لابن عربي ص ٢٠، حيث نقل هذا القول عن أبي يزيد البسطامي الصوفي.

(٤) الإعلام بإشارات أهل الإلهام لابن عربي ص٨.

(٥) الإعلام بإشارات أهل الإلهام لابن عربي ص٩.

الحس الغائب عنه، فلا يحجبك الجدران، ولا الظلمات عما يفعله الخلق في بيوتهم...!! فإن رتب لك العرض فإنك ستكشف أولا، على أسرار الأحجار العدنية، وغيرها، وتعرف سر كل حجر، وخاصيته في المضار والمنافع...!!»[١][٢]، **وادعوا** أن الولي يطوي الأرض، ويمشي على الماء، ويطير في الهواء، والأكل من الكون[٣]!! وليس عندهم عمل بظاهر الشرع، ولا اتباع للسنة، وإنما هو المجاهدة للنفس!! ولو كان فيه لَبس.

٥- أنهم ألفوا مؤلفات بعنوان: "أسرار خواص القرآن"، وكأن القرآن طلاسم وألغاز، واتخذوا التقديس والتبرك شعارا؛ فإذا أُنكر عليهم: اتهموك بغمط حق القرآن!![٤] وكأن حق القرآن هو ما فهموه هم، لا ما فهمه السلف الصالح.

ومن استخفافهم بظاهر القرآن تحريفهم لنصوصه بحسب ما يتوهمونه ويظنونه، فيحتجون بقوله تعالى: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾[الزمر:١٧-١٨] على جواز بل واستحباب السماع الصوفي، «ولا يدري أن القول هنا هو القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[المؤمنون:٦٨]»[٥]، **ومن استخفافهم** بظاهر القرآن، تلكم التأويلات السخيفة، والتحريفات العظيمة، التي إن دلّت على شيء فإنما تدلّ على عدم تعظيم هؤلاء للقرآن، وأنهم يقولون في آياته ما بدا لهم!! كقولهم في قوله تعالى: ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ﴾ «أي قلبي ﴿مُؤْمِنًا﴾ مصدقا بما يكون فيه من الأخبار الإلهية، وهو ما حدثت به أنفسها، ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ من العقول ﴿وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ من النفوس، ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ من الظلمات أهل الغيب المكتنفين داخل الحجب الظلمانية، ﴿إِلَّا تَبَارًۢا﴾[نوح:٢٨] أي:

---

(١) إذاً لا يبقى فقراء في الصوفية!!

(٢) رسالة الأنوار لابن عربي ص٧-٩.

(٣) انظر: رسالة الأنوار لابن عربي ص ٥.

(٤) انظر: خصائص القرآن للرومي ص١١.

(٥) الرد على البكري ٢/ ٦٨٢.

هلاكا؛ فلا يعرفون نفوسهم!! لشهودهم وجه الحق دونهم!! **وهذا كله: من أقبح تبديل كلام الله** وتحريفه، ولقد ذم الله أهل الكتاب في القرآن على ما هو دون هذا؛ فإنه ذمهم على أنهم حرفوا الكلم عن مواضعه...، وهؤلاء قد حرفوا كلام الله عن مواضعه أقبح تحريف»[١]، **ومن تحريفاتهم الباطلة** وسخرياتهم الزائفة بظاهر القرآن، ما أورده السلمي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ﴾[البقرة:٨٥] «قال: قال أبو عثمان: غرقى في الذنوب!! وقال الواسطي: غرقى في رؤية أفعالهم!!، وقال الجنيد[٢]: أسارى في أسباب الدنيا تفدوهم إلى قطع العلائق!!»[٣]، **قال ابن الجوزي** رحمه الله: «وإنما الآية على وجه الإنكار، ومعناها: إذا أسرتموهم فديتموهم، وإذا حاربتموهم قتلتموهم، وهؤلاء قد فسروها على ما يوجب المدح!!»[٤]، **فانظر** ـ رعاك الله ـ كيف فسروا الآية على أنها مدح، مع أنها سيقت لبيان صفة اليهود[٥]، ويتضح لك ذلك بذكر الآية كاملة وهي قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾[البقرة:٨٤-٨٦] وبهذا المثال يتضح أن القوم يستخفون بظاهر النصوص، ويهتمون ـ بزعمهم ـ بالفصوص!!. **ومن تحريفاتهم لظاهر**

---

(١) المجموع ٢/ ٢٠٠، وانظر بعض التحريفات الصوفية لكلام رب البرية في مناهل العرفان ١/ ٥٤٢.

(٢) هو الزاهد الصوفي: الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي البغدادي، شيخ الصوفية، وكان يحث على السنة، مع ما كان فيه من شطحات. انظر: سير أعلام النبلاء ١٤/ ٦٦.

(٣) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٣٧٦.

(٤) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٣٧٦.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم ١/ ١٢٠.

القرآن، تفسيرهم للجار ذي القربى، قال سهل: «هو القلب!! والجار الجنب: النفس!! وابن السبيل: الجوارح!!... وفي قوله: "والله المكر"، قال الحسين[(١)]: لا مكر أبين فيه من مكر الحق بعباده حيث أوهمهم أن لهم سبيلا إليه بحال، أو للحدث اقتران مع القدم...، قال ابن الجوزي رحمه الله: ومن تأمل معنى هذا علم أنه كفر محض؛ **لأنه يشير إلى أنه كالهزء واللعب**»[(٢)]، وقال الجنيد رحمه الله في قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾[الأعلى:٦] «لا تنسى العمل به!!»، قال ابن الجوزي رحمه الله عن هذا التفسير: «لا وجه له، والغلط فيه ظاهر؛ لأنه فسره على أنه نهي، وليس كذلك، إنما هو خبر لا نهي، وتقديره؛ فما تنسى، إذ لو كان نهيا كان مجزوما؛ فتفسيره على خلاف إجماع العلماء»[(٣)].

٧- ومن **استهزائهم بظاهر القرآن** ما ذكره بعضهم أنهم كانوا لا يستعيذون عند القراءة، ويقول: حتى يحضر الشيطان كلام الحق!!، قال ابن الجوزي رحمه الله عن هذا الأمر فإنه: «مخالف لما أمر الله تعالى به؛ فإنه قال: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[النحل:٩٨]»[(٤)]؛ **فجرأتهم في تحريف ظاهر القرآن** إلى معاني لا يدل عليها السياق، ولا يعرفه أهل العربية بالوفاق، شيء عظيم، يدل على جرأتهم على كتاب الله تعالى[(٥)]، «**وجاء أبو عبد الرحمن السلمي**؛ فصنف لهم كتاب السنن، وجمع لهم حقائق التفسير!! فذكر عنهم فيه العجب!! في تفسيرهم القرآن، بما يقع لهم من غير إسناد ذلك إلى أصل من أصول العلم، وإنما حملوه على مذاهبهم، والعجب من ورعهم في الطعام، وانبساطهم في القرآن!!»[(٦)]، **قال ابن الجوزي** رحمه الله عن كتاب

---

(١) هو الحلاج.

(٢) نقلا عن تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٣٧٦-٣٧٧.

(٣) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٣٧٥.

(٤) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٣٩٤.

(٥) انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٣٧٥.

(٦) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص١٨٤، وقال ابن الجوزي عن تفسير السلمي هذا: «وقد جمع أبو عبدالرحمن السلمي في تفسير القرآن **من كلامهم الذي أكثره هذيان، لا يحل**». تلبيس إبليس لابن الجوزي ص٣٧٦.

السلمي هذا: «وجميع الكتاب من هذا الجنس، ولقد هممت أن أثبت منه ها هنا كثيرا؛ فرأيت الزمان يضيع في كتابة شيء بَيِّن الكفر، والخطأ، والهذيان، وهو من جنس ما حكينا عن الباطنية؛ فمن أراد أن يعرف جنس ما في الكتاب فهذا أنموذجه، ومن أراد الزيادة فلينظر»(١)، وقال ابن الصلاح رحمه الله: «وجدت عن الإمام (أي الواحدي المفسر رحمه الله) أنه قال: صنف أبو عبد الرحمن السلمي حقائق التفسير؛ فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير؛ فقد كفر، وأنا أقول: الظن بمن يوثق به منهم أنه إذا قال شيئا من أمثال ذلك أنه لم يذكر تفسيرا، ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة المذكورة في القرآن العظيم؛ فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسالك الباطنية، وإنما ذلك ذكر منهم لنظير ما ورد به القرآن، فإن النظير يذكر بالنظير...، ومع ذلك فيا ليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك، لما فيه من الإيهام والإلتباس»(٢). ومن تفاسيرهم المعروفة التي ذكروا فيها الأمور الباطنية لمعاني كلام رب البرية، أو الحقيقة الصوفية دون المعاني الشرعية، تفسير النيسابوري، والتستري، وابن عربي، وغيرهم(٣). ومن استخفافهم بالظاهر تأويلاتهم للآيات على حسب اصطلاحاتهم المبتدعات؛ فـ «يجعلون "خلع النعلين" إشارة إلى ترك العالمين، و"الطور" عبارة عن العقل الفعال!! ونحو ذلك من التأويلات»(٤)، وقد شارك الباطنية في التحريفات: طائفة من الصوفية، حيث يقول بعضهم في قوله تعالى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾[طه:٢٤] هو القلب!! ويقولون في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾[البقرة:٦٧] هي النفس!!(٥) «وأمثال هذه

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٣٧٧.

(٢) فتاوى ابن الصلاح ص٦٢.

(٣) انظر: مناهل العرفان ٢/ ٩٠.

(٤) المجموع ٦/ ١٨٠.

(٥) كما في تفسير النيسابوري ١/ ٣١٥ المطبوع بهامش تفسير الطبري!! وتمام الكلام: «إنها بقرة: نفس تصلح للذبح بسيف الصدق!! لا فارض: في سن الشيخوخة؛ فيعجز عن وظائف سلوك الطريق لضعف القوى البدنية، كما قيل: الصوفي بعد الأربعين بارد. ولا بكر: في سن شرخ الشباب، يستهويه سكره...، بقرة صفراء: إشارة إلى صفرة وجوه أصحاب الرياضات!! فاقع لونها: يريد أنه صفرة زين،

التحريفات، لكن منها ما يكون معناه صحيحا، وإن لم يكن هو المراد باللفظ، وهو الأكثر في إشارات الصوفية، وبعض ذلك لا يجعل تفسيرا، بل يجعل من باب الاعتبار، والقياس»[(١)]. ومن أمثلة ذلك تحريفهم لظاهر قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾[البقرة:١١٤] قالوا: «مساجد الله التي يذكر فيها اسمه عند أهل النظر النفس! والقلب!! والروح!! والسر، والخفي ـ وهو سر السر ـ[(٢)]، وذكر كل مسجد منها مناسب لذلك المسجد...»[(٣)]، ومن أخف تفاسيرهم: "روح المعاني للألوسي" ﷺ، ومع ذلك فإن فيه من التفسير الإشاري الشيء الذي لا يدل عليه الكتاب ولا السنة، ولا أقوال السلف، ولا سياق الآية، ولا سباقها، ولا حدها، ولا مطلعها، ومن جملة ذلك قوله في قول الله ﷻ، ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾[البقرة:٥٥] بعد أن فسر الآية بالظاهر قال: «ومن باب الإشارة في الآيات: وإذ قلتم لموسى: القلب!!. لن نؤمن: الإيمان الحقيقي حتى نصل إلى مقام المشاهدة والعيان. فأخذتكم: صاعقة الموت: الذي هو الفناء في التجلى الذاتي!!»[(٤)]، وقال في قوله تعالى: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[البقرة:١٠٦] بعد أن فسرها بالظاهر، قال: «ومن باب الإشارة في الآيات: ما ننسخ من آية: ما نزيل من صفاتك شيئا عن ديوان قلبك!!، أو نخفيه بإشراق أنوارنا عليه!! إلا ونرغم فيه من صفاتنا التي لا تظن

لا صفة شين؛ فإنها سيما الصالحين!! لا ذلول تثير الأرض: لا تحتمل ذلة الطمع، ولا تثير: بآلة الحرص أرض الدنيا لطلب زخارفها ومشتهياتها!!!». إلى آخر ذلك من الخرافات التي لا تدل عليها الآية حتى بالتكلفات، بل ولا بالمكاشفات!! فإن لم يكن هذا تفسيرا باطنيا فما هو التفسير الباطني؟ والعجب من الزرقاني كيف أوردها، ولم يفندها، كما في مناهل العرفان ٢/ ٩٢.

(١) شرح حديث النـزول ص ٤٢٧، المجموع ٥/ ٥٥١.

(٢) فإذا كانت هذه هي مساجد الله؛ فلا تستغرب من احتقارهم لبيوت الله، ومساجده حقا، وتعظيمهم للخلوات، والتكايات الصوفية، لأن القوم مساجدهم معهم!!!.

(٣) تفسير النيسابوري ١/ ٨٣٨، المطبوع بهامش تفسير الطبري!!.

(٤) روح المعاني ١/ ٢٦٩.

قابليتك لما يشاركها في الاسم! التي تظن وجود ما يشاركها فيك!!!»[١].

٨- **اعتمادهم في التفسير على غير المأثور، فالتفاسير الصوفية** بمختلف أطوارها تفاسير تعتمد على الكشف والذوق، والإشارات والعبارات، وكانت لهذه التفاسير أثر بالغ في تفسير القرآن الكريم، حتى أبعده عن تسميته بالتفسير، وحق لها أن تسمى بإشارات وإلهامات ـ لكن شيطانية ـ[٢]، «**والتفسير الفيضي** أو الإشاري؛ فهو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها، بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك!!»[٣]، **والتفسير الإشاري لا ينكر إذا كان بضوابط الشرع، ومن أهم هذه الضوابط: الأول**: أن يصح على مقتضى الظاهر المقرر في لسان العرب، بحيث يجري على المقاصد العربية. **الثاني**: أن يكون له شاهد نصا، أو ظاهرا في محل آخر، يشهد لصحته من غير معارض[٤].

٩- **ومما يدل على استخفافهم بظاهر القرآن الكريم موقفهم من تفسيره الظاهري: والصوفية لا يحقرون ظاهر التفسير** ـ في كثير من الأحايين ـ ولكن حين التمعن تجد أن قولهم فيه استخفاف بظاهر القرآن الكريم، إذ يقولون: إن ظاهره للعامة!! وأما الخواص فإن لهم ما يظهر بالمكاشفات والرياضات!! وهذا من الفروق بين التفسير الصوفي والتفسير الباطني؛ فالباطنيون يلغون الظاهر، وهؤلاء يعملونه، ولكن يقولون: إنه لمن لم يصل!![٥] ولكن حين التمعن أكثر يظهر أنه لا فرق حيث أن هؤلاء الباطنية يقولون: بوجوب الظاهر للعوام أيضا، كالصوفية، وأن للحكماء الباطن، كما يقول الصوفية إن للخواص الحقيقة، **وأما علماء أهل السنة** فـ« لا يعولون على أشباهها مما ورد في كلام القوم بالكتب الصوفية؛ لأنها كلها أذواق ومواجيد

---

(١) روح المعاني للألوسي ١/ ٣٦١.

(٢) انظر: تفسير ابن عربي للقرآن حقيقته وخطره، للدكتور/ محمد حسين الذهبي ص ٧ وما بعدها.

(٣) تفسير ابن عربي للقرآن حقيقته وخطره، للدكتور/ محمد حسين الذهبي ص ١٣.

(٤) انظر: هذه الشروط بشيء من التوسع في: الموافقات للشاطبي٤/ ٢٣١-٢٣٢ تفسير ابن عربي للقرآن حقيقته وخطره، للدكتور/ محمد حسين الذهبي ص ١٧ وما بعدها، مناهل العرفان ١/ ٥٤٩.

(٥) انظر: روح المعاني للألوسي ١/ ٨، مناهل العرفان ٢/ ٨٧.

خارجة عن حدود الضبط والتقييد، وكثيرا ما يختلط فيها الخيال بالحقيقة، والحق بالباطل، وإذا تجردت من ذلك فقلما يظهر منها مراد القائل؛ وإذا ظهر فقد يكون من الكفريات الفاحشة »[١].

١٠- ومن استخفافهم بظاهر القرآن استخفافهم بوسائله من العلم، ونحوه، فإذا « سمعوا أحدا يروي حديثا، قالوا: مساكين، أخذوا علمهم ميتا عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت؛ فمن قال: حدثني أبي عن جدي، قلت: **حدثني قلبي عن ربي**؛ فهلكوا، وأهلكوا بهذه الخرافات قلوب الأغمار، وأنفقت لأجلها عليهم الأموال...، **وبغضهم الفقهاء** أكبر الزندقة، لأن الفقهاء يخطرونهم بفتاويهم عن ضلالهم وفسقهم...، **وكذلك بغضهم لأصحاب الحديث** »[٢].

١١- أن أقوال الصوفية في القرآن ـ كما يتبين لطالب الحق ـ تعد من الهذيان، وهو استخفاف بالقرآن، ولا يجوز بحال أن تعد من تفسير كلام الرحمن، قال صديق حسن خان[٣] رحمه الله: « وأما كلام الصوفية في القرآن فليس بتفسير »[٤]، **فكلام هؤلاء الصوفية في القرآن،** فيه الجرأة على كلام الرحمن ما لا يتصوره إنسان، وقد تكلمت طائفة من الصوفية في نفس القرآن بما لا يجوز، وهو تبديل للقرآن[٥]، **ولعلي أختم بعد بيان سخافاتهم،** وتلاعبهم بكتاب الله ﷻ، وذكر بعض ضلالاتهم، بقول من خبرهم، وعرف غورهم، وهو ابن العربي المعافري المالكي، حيث قال واصفا إياهم: « وتكلفت طائفة ما يُستغنى عنه، وهم جماعة من الصوفية، أنحاء غريبة »[٦].

---

(١) مناهل العرفان ٢/ ٩٨ بشيء من التصرف.

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٤١٩، من كلام ابن عقيل رحمه الله، وانظر: ما بعدها من الصفحات.

(٣) هو العالم المفسر الفقيه: محمد صديق حسن خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي أبو الطيب الهندي، من مؤلفاته: فتح البيان في مقاصد القرآن، والإقليد لأدلة الاجتهاد والتقليد، توفي سنة ١٣٠٧هـ. انظر: معجم المؤلفين ١٠/ ٩٠.

(٤) فتح البيان لصديق حسن خان ١/ ١٢.

(٥) انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٣٧٨.

(٦) قانون التأويل لابن العربي المعافري ص ٥١٨.

فالكتاب والسنة إما أن يحرفوا القول فيهما عن مواضعه؛ وإما أن يعرضوا عنه بالكلية؛ فلا يتدبرونه، ولا يعقلونه، بل يقولون: معناه بالكشف كذا، وكذا... مع أن ما زعموه تحقيقا لا يعد إلا كونه تلبيسا وتدليسا، ولا يوافق ما ذكره أولياء الله المحققون تأسيسا، بل تعد من المخالفات الصريحة للكتاب والسنة أساسا.

وبالجملة فإن الصوفية الأولين كانوا يحثون على اتباع الكتاب والسنة، ولكن وقع منهم بعض الانحرافات والأقوال في بعض الحالات، وتوسع الخرق، وزاد الشق، حتى أصبحت الصوفية لا يعرفون إلا بما يسمى بأصحاب الحقائق، ولا يبالون بموافقتها للشرع الظاهر الفائق[(١)].

« **وقد أنكر عليهم جماعة** من قدمائهم في إعراضهم عن ظواهر الشرع...، قال التستري: الدنيا كلها جهل، إلا ما كان علما، والعلم كله حجة، إلا ما كان عملا، والعمل كله موقوف، إلا ما كان منه على الكتاب والسنة، وتقوم السنة على التقوى، وقال: احفظوا السواد على البياض؛ فما أحد ترك الظاهر إلا تزندق »[(٢)].

وبهذا يعلم أن الصوفية ـ المتأخرين منهم على وجه الخصوص ـ لا يبالون بظاهر القرآن، ولا يقيمون لتفسيره وزنا، إلا أن يكون كشفا، ويتبين أنهم لم يُكنُّوا للقرآن تعظيما، وهذا ما أبينه في المبحث التالي.

(١) انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١٨٨.

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٣٦٧-٣٦٨، وانظر: المجموع ١١/ ٥٨٥.

المبحث الرابع: عدم تعظيمهم للقرآن

الصوفية بفرقها ترى التفسير الإشاري، أو الباطني، وهم بذلك غير معظمين لظاهر القرآن الكريم - كما بينت في المطلب السابق -، وذلك يؤكد أنهم غير معظمين للقرآن الكريم، وأذكر بعض الأمور التي تبين أنهم غير معظمين له حقيقة، فالصوفية لا يعظمون القرآن إلا رسما، ألا ترى إليهم وهم يخالفون صريح آياته، وأكيد دلالاته، **ومما يدل على عدم تعظيمهم لكتاب الله ﷻ ما يأتي:**

١- مما جاء في القرآن أن الله كلم موسى، وهو بإجماع أهل الأديان كليم الله، ومع ذلك من الصوفية من ينفي سماع موسى لكلام الله ويقول: «النداء من الشجرة لموسى»[(١)]، والله تعالى يقول مخبرا أنه كلم موسى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[القصص:٤٤] وهؤلاء يقولون: «من قال: كلمه من الجانب فهو ذاهب!!!»[(٢)].

٢- جاء في القرآن الكريم أن الغيب لا يعلمه أحد إلا الله ﷻ، وهؤلاء يدعون أن الغيب تنزل عليهم، يقول ابن عربي: «السكينة: ما تجده من الطمأنينة عند تنزل الغيب»[(٣)].

٣- يرون أن هذا الدين الظاهري لا اعتبار له عند العارفين!! وأن المأمور به هو الدين الباطني الذي عليه الباطنيّون، فيقول:« **والدين دينان: دين مأمور به، وهو ما جاءت به الرسل، ودين معتبر، وهو: الابتداع الذي فيه تعظيم الحق!! فمن رعاه حق**

(١) كتاب اصطلاح الصوفية لابن العربي ص٩ (المحادثة).

(٢) الإعلام بإشارات أهل الإلهام لابن عربي ص٤.

(٣) كتاب اصطلاح الصوفية له ص١٣.

رعايته، ابتغاء رضوان الله فقد أفلح»[١] فأي تعظيم يكون بعد هذا من هؤلاء وأمثاله لما جاء به الرسول ﷺ!؟.

٤- **يرون أن الإنسان** يمكن أن يبلغ مرتبة النبي ولو بالنوم، يقول الغزالي: «وقد قرب الله ﷻ على خلقه بأن أعطاهم نموذجا من خاصية النبوة، وهو النوم، إذ النائم يدرك ما سيكون من الغيب، إما صريحا، وإما في كسوة مثال، يكشف عنه التعبير»[٢]. ويقول عن الفكرة والخلوة الصوفية: «وإن هذه المرتبة هي من جنس مراتب الأنبياء في العلم»[٣].

٥- **أن منهم أقواما انفردوا** «بالتزهد والانقطاع، فامتنعوا عن عيادة المرضى، والمشي بين الناس، وأظهروا التخاشع، ووضعوا كتبا للرياضيات، والتقلل من الطعام، وصارت الشريعة عندهم كلام أبي يزيد والشبلي والمتصوفة. ومعلوم أن من سبر الشريعة لم ير فيها من ذاك شيئا»[٤].

قال عنهم صوفي جلد يرى الحقيقة والشريعة، والظاهر والباطن!![٥] مبينا عدم تعظيم أصحاب الطرق، القائلين بالظاهر والباطن للقرآن، فيقول: «أما فرقة الإلهامية!! ـ والصوفية كلها إلهامية ـ فهي تذهب إلى أن كتب الشعراء هي طريق القرآن، وجملتها تفسير للحقيقة، وهم **يُعرضون عن تعلم القرآن، والحديث، والفقه، ويقرؤون كتب الشعراء**[٦] **والحكماء**[٧]**، والظرفاء على أنها إلهام رباني!!! فمن هذه حاله، فهو يقضي عمره في الضلال»**[٨].

---

(١) نقش الفصوص لابن عربي ص٥.

(٢) المنقذ من الضلال للغزالي ص ١٤٦.

(٣) مناهج الأدلة لابن رشد ص٩١.

(٤) صيد الخاطر لابن الجوزي ص ٣٢٢.

(٥) وهو إبراهيم حقي الأرضرومي (١١٨٦هـ)، صاحب كتاب "معرفت نامة" أي: المعرفة الشاملة.

(٦) كأمثال شعر الجلال الرومي القونوي فيما كتبه بالفارسية في كتابه المعروف بـ "المثنوي"!!.

(٧) كأمثال ما كتبه الشاعر الصوفي ابن عربي، والقونوي، ومحمد إقبال، من الفلاسفة الصوفية.

(٨) معرفت نامة ص ٤٣٠، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٢٢٧.

٧- **مما يدل على عدم تعظيمهم للكتاب** تحريفاتهم لمعاني الكتاب، وهو كثير في هذا الباب، فهم يستدلون لما سموه بالكشف بآيات من القرآن!! **ومن عدم تعظيمهم القرآن تأوليهم الآيات لتوافق سخرياتهم**، فمنهم من يستدل بجواز الرقص والدوران في الذكر بما فهمه من قول الله ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾[آل عمران:١٩١] وأشار إلى هذا أبو السعود الحنفي ﷺ رادا عليهم في جوابه فقال: «ليس في الآية الكريمة إشارة على جواز الرقص قطعا، وعلى المتمسك لتحليل تلك الأفعال القبيحة بهذه الآية، أن يجدد إيمانه، ونكاحه؛ لأنه حرف معنى كلام الله، وجعله تابعا لهواه...، وأما رقص الصوفية الآن فهو في الحقيقة رقص الديكة الكفار ونقزهم، فهم بذلك يتشبهون بالكفار»[١].

٨- **أنهم يؤلفون في تفسير القرآن لأجل ترويج التصوف، فمن أخفهم تصوفا من يؤلف المؤلفات**، ويكتب الكتب المطولات حتى في التفسير من أجل ترويج التصوف، وإظهار الصوفية[٢].

٩- **ومن عدم تعظيمهم للقرآن الكريم** أنهم يجعلون ما جاء به من المأمورات، وما جاء به من المنهيات واجبا حتى تهذب النفوس!! أو على السالك حتى يصل!! ويصير عارفا محققا بزعمهم، وحينئذ يسقط عنه التكليف!!، ويتأولون على هذا قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾[الحجر:٩٩] زاعمين أن اليقين هو ما يدعونه من المعرفة!![٣] واليقين هنا لا ريب أن المراد به هو الموت وما بعده، كما قال تعالى عن أهل النار[٤]: ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ۝ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا

---

(١) نقلا عن كتاب أخبار جلال الدين الرومي ص ٢٦٧-٢٦٨، وأشار إلى هذه الرقصة النصرانية الكافرة التي تفعل في بعض مساجد المسلمين العلامة محمد بن صفي الدين البخاري الحنفي (١٢٠٠هـ)، في كتابه: الصاعقة المحرقة على المتصوفة الرقصة المتزندقة ص ١٧.

(٢) انظر: المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري ٢/ ٧١٩، وانظر ٢/ ٧٥٣.

(٣) انظر: روح المعاني، وفي تفسير كابلي باللغة الأفغانية: قال: واعبد ربك حتى يأتيك اليقين؛ فلاتُسأل!! ١/ ١٥٠٨.

(٤) انظر: المجموع ٧/ ٥٠٣، ١١/ ٤١٨-٤١٩.

ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾[المدثر:٤٥-٤٨]. فهذه الكلمة، وهي: أن العبد إذا عرف ربه رفع عنه التكليف، «هذه هي نهاية الزندقة؛ لأن الفقهاء: أجمعوا على أنه لا حالة ينتهي إليها العارف إلا وضيق عليه التكليف، كأحوال الأنبياء، يضايقون في الصغائر...، فالله الله في الإصغاء إلى هؤلاء الفرغ الخالين من الإثبات، وإنما هم زنادقة...، ولم تتجاسر الزنادقة أن ترفض الشريعة حتى جاءت المتصوفة»(١).

١٠- **ومما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن الكريم** أنك تقرأ على أحدهم الآية، أو الحديث، وإذا به لا يقبل قولك، ولا يبالي بها تلوته وذكرته؛ وذلك «لأنهم لا يقبلون من الدين رأيا ورواية إلا ما جاءت به طائفتهم... مع أن دين الإسلام يوجب اتّباع الحق مطلقا: رواية ورأيا، من غير تعيين شخص أو طائفة غير الرسول ﷺ»(٢).

١١- أن كثيرا من هؤلاء أصحاب دعوى العلم الحقيقي، أو الباطني، يفسرون القرآن بما يرونه من المعاني الفاسدة، أو البعيدة، «وإن لم يكن مخالفا؛ فهو حال كثير من جهال الوعاظ، والمتصوفة الذين يقولون: بإشارات لا يدل اللفظ عليها نصا،ولا قياسا»(٣). **ومما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن** الكريم تأويلاتهم الفاسدة، وتحريفاتهم الجلية، «ولبعض الصوفية تأويلات، وتفسيرات غريبة في بعض آيات القرآن، بعيد عن معناها ومقاصدها، لتضليل الناس بما يخدم أهواءهم ونواياهم»(٤).

١٢- **ومن عدم تعظيمهم للقرآن الكريم** أنهم لا يحلون حلاله، ولا يحرمون حرامه، بل يطيع أحدهم «المعظم عنده في كل ما يأمر به، وإن تضمن تحليل حرام، أو تحريم حلال!! قال ﷻ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾[الحديد:٢٧] وقد ابتلي طوائف من المسلمين، من الرهبانية المبتدعة بما الله به عليم»(٥).

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٤١٩، والكلام لابن عقيل رحمه الله.

(٢) الاقتضاء ١/ ٧٥.

(٣) المجموع ٢/ ٢٧-٢٨.

(٤) كتاب مصرع الشرك والخرافة للشيخ خالد محمد الحاج ص٤٦٣، وانظر: مظاهر الإنحرافات العقدية عند الصوفية ١/ ١٣٣.

(٥) الاقتضاء ١/ ٧٨.

١٣- ومما يدل أنهم لا يعظمون القرآن زعمهم أن القرآن لا يدرك به الأمور العقدية: **يقول أبو حامد الغزالي** - مبينا أقوال الناس في آيات الصفات، والجنة والنار، ونحو ذلك -: «زاد الفلاسفة فأولوا كل ما ورد في الآخرة، وردوه إلى آلام عقلية وروحانية، ولذات عقلية، وأنكروا حشر الأجساد...، وحد الاقتصاد بين هذا الانحلال كله، وبين جمود الحنابلة، **دقيق غامض لا يطلع عليه إلا الموفقون الذين يُدركون الأمور بنور إلهي، لا بالسماع؛ ثم إذا انكشفت لهم أسرار الأمور على ما هي عليه نظروا إلى السمع، والألفاظ الواردة؛ فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه!!! وما خالف أولوه!!! فأما من يأخذ معرفة هذه الأمور من السمع المجرد؛ فلا يستقر له فيها قدم!!!، ولا يتعين له موقف!!!**»[(١)]، وهذا الكلام صريح وفصيح على أن السمع لا يستفاد منه العلم، وأن السمعيات يتحاكم في قبولها وردها إلى المكاشفات!! **قال شيخ الإسلام** رحمه الله: «هذا الكلام مضمونه أنه لا يستفاد من خبر الرسول ﷺ شيء من الأمور العلمية؛ بل إنما يدرك ذلك كل إنسان بما حصل له من المشاهدة والنور والمكاشفة!! وهذان أصلان للإلحاد؛ فإن كل ذي مكاشفة إن لم يزنها بالكتاب والسنة، وإلا دخل في الضلالات»[(٢)]، **وقال** رحمه الله: «إنا نعلم بالاضطرار من دين النبي ﷺ، ودين أمته المؤمنين به، بطلان لوازم هذا القول، وبطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم، بل نعلم بالاضطرار من دينه أن لوازم هذا القول من أعظم الكفر والإلحاد...، ومضمونها: أن الرسول ﷺ لا يكون فيما أخبر به عن الله تعالى، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر: لا علمٌ، ولا هدى، ولا كتاب منير؛ فلا يكون الرسول قد هدى الناس، ولا بلَّغهم بلاغا بينا، ولا أخرجهم من الظلمات إلى النور، ولا هداهم إلى صراط العزيز الحميد، **ومعلوم أن كثيرا من خطاب القرآن**، بل أكثره، متعلق بهذا الباب؛ فإن الخطاب العلمي في القرآن أشرف من الخطاب العملي قدرا وصفة؛ **فإذا كان هذا**

(١) الإحياء للغزالي ١/ ١٦٧.

(٢) الدرء ٥/ ٣٤٨، ثم نقل الأقوال السلفية التي تنبئك بوجوب اتباع كتاب رب البرية، وسنة سيد البشرية.

الخطاب لا يستفيدون منه معرفة، ولم يبين لهم الرسول مراده ومقصوده بهذا الخطاب، بل إنما يرجع أحدهم في معرفة الأمور التي ذكرها، ووصفها، وأخبرهم عنها، إلى مجرد رأيه وذوقه؛ فإن وافق خبر الرسول ما عنده صدَّق بمفهوم ذلك ومقتضاه، وإلا أعرض عنه...، كان هذا مما يعلم فساده بالاضطرار من دين الرسول ﷺ »[(١)].

١٤- ومن عدم تعظيمهم للقرآن عدم تعظيم علومه، فلا يهتمون بالحديث، ولا بتفسير القرآن الكريم المأثور، وفقهه، وأحكامه، فيقولون: « الاشتغال بالعلم بطالة!! وقالوا: نحن علومنا بلا واسطة!!...، وقال أبو حامد: اعلم أن ميل أهل التصوف إلى الإلهية دون التعليمية، ولذلك لم يتعلموا، ولم يحرصوا على دراسة العلم...، ويقتصر على الفرائض والرواتب، **ولا يقرن همه بقراءة القرآن!!** »[(٢)]، **قال ابن الجوزي** رحمه الله: « عزيز علي أن يصدر هذا الكلام من فقيه؛ فإنه لا يخفى قبحه، إنه على الحقيقة طي لبساط الشريعة التي حثت على تلاوة القرآن، وطلب العلم »[(٣)]، وذكر ابن الجوزي رحمه الله أن رجلا: « كان يقول: القرآن حجاب!! والرسول حجاب!! ليس إلا عبدٌ، ربٌ؛ فافتتن جماعة به؛ فأهملوا العبادات، واختفى مخافة القتل »[(٤)].

١٥- وبلغ الحال ببعض أصحاب الحال أنهم يمنعون قراءة القرآن عند الخلوات، وفي الرباطات الخاصة بهم، وهذا معلوم خصوصا في وقت ما يسمونه بـ"الحضرة"، وهي لا شك أنها حضرة، ولكنها محضورة من الشياطين، ولذلك يمنعون من قراءة القرآن في تلكم الأحايين، قال ابن الجوزي رحمه الله: « ولقد بلغني أن رجلا قرأ القرآن في رباط فمنعوه، وأن قوما قرؤوا الحديث في رباط فقالوا لهم: ليس هذا موضعه!! »[(٥)]، فأي تعظيم للقرآن الكريم عند هؤلاء؟؟!.

---

(١) الدرء ٥/ ٣٥٧-٣٥٨.

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٣٦٦، الصوفية نشأتها وتطورها لمحمد العبده وطارق عبد الحليم ص٩٢.

(٣) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٣٦٦.

(٤) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٣٦٧.

(٥) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١٩٦.

١٦- أنهم عظموا الأشخاص فوق القرآن الكريم، ومن تعظيمهم للأشخاص أنهم بالغوا في كل صاحب مخاريق؛ وظنوه من الكرامات، ولا ينظرون إلى حاله مع القرآن، قال الشيخ سليمان بن محمد بن عبدالوهاب رحمه الله: « فلا يجوز أن يظن أن كل من كان له شيء من هذه الأمور؛ فهو ولي لله، بل يعرف أولياء الله بصفاتهم وأحوالهم وأفعالهم، التي دل عليها الكتاب والسنة، وأكثر هذه الأمور قد توجد في أشخاص يكون أحدهم لا يتوضأ، ولا يصلي المكتوبة، ولا يتنظف، ولا يتطهر الطهارة الشرعية...، **ويكره سماع القرآن**، وينفر منه، ويُؤْثِرُ سماع الأغاني والأشعار ومزامير الشيطان على كلام الرحمن؛ فلو جرى على يدي شخص من الخوارق ماذا عساه أن يجري فلا يكون وليا لله محبوبا عنده، حتى يكون متبعا لرسوله ﷺ »[(١)].

١٧- « وكثير من هؤلاء: ينفر ممن يذكر الشرع، أو القرآن، أو يكون معه كتاب، أو يكتب، وذلك لأنهم استشعروا أن هذا الجنس فيه ما يخالف طريقهم؛ فصارت شياطينهم تهربهم من هذا...، وهم من أرغب الناس في السماع البدعي: سماع المعازف، ومن أزهدهم في السماع الشرعي: سماع آيات الله تعالى »[(٢)].

١٨- ومن تهوينهم لشأن القرآن أن جعلوه كتابا لا يفهمه إلا الواصلون!! وأما عامة الأمة؛ فإنه بالنسبة لهم كتاب مغلق دونه الأبواب، وعليه الحجب؛ فيقولون: لا يفسره إلا الخواص، وإنه صعب وممنوع، وهذا نوع تأثر بقول الرهبان: أنه لا يفسر التوراة إلا الرهبان[(٣)]، **والسبب في وقوع « هذا الانحراف الخطير، هو إهمال الكتاب الحكيم**، والسنة المطهرة؛ فالأمر نتيجة حتمية لهجر الوحيين، والاعتياض عنهما بالإلهام، والذوق، والرأي أحيانا... إذ لا بد لمن أهمل الدليل من الكتاب والسنة أن ينحرف انحرافا، قليلا كان أو كثيرا »[(٤)]، **وقد ألقى الشيطان إلى بعض هؤلاء الصوفية**

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٣٩٧، وانظر: الفتاوى الجلية عن المناهج الدعوية للشيخ أحمد النجمي ص٣٧.

(٢) المجموع ١٠/ ٤١٢.

(٣) وفي بروتوكلات حكماء صهيون أنهم يقولون: لا نعي الدين إلا على ألسنة أوليائه، ص ٣٦.

(٤) إعلام المسلمين ببعض مقالات التيجانيين للشيخ إبراهيم القطان الأردني ص٦.

أن من قرأ القرآن من غير حضور قلب، أو انتفاع بعمل؛ فإن ذلك يضره، مع أن في قراءة القرآن مجردا حسنات؛ فإذا انضم إلى ذلك حضور القلب والانتفاع والعمل، زادت الحسنات والإيمان، ولا يخلو الأجر من الرحمن، ولكن تلبيسات الشيطان بالقوم كثيرة، قال الغزالي: « قال يوسف بن أسباط: إني لأهم بقراءة القرآن؛ فإذا ذكرت ما فيه خشيت المقت فأعدل إلى التسبيح والاستغفار »(١)، ولهذا قللوا من شأن حفظه، حتى إن الغزالي ادعى « أن النبي ﷺ مات عن عشرين ألفا من الصحابة ﷺ(٢)، لم يحفظ القرآن منهم إلا ستة!! اختلف في اثنين منهم!!(٣)، وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين »(٤).

١٩- ومن عدم تعظيمهم للقرآن الكريم استعمالهم لحروف القرآن ـ سواء المقطعات، أو ما ورد في أسماء الله ﷻ، أو غيرها ـ على أنها أسرار تكشف لهم الغيوب!! فـ« نقل وضعه من الطلسمات إليه في اصطلاح أهل التصرف من المتصوفة؛ فاستعمل استعمال العام في الخاص، وحدث هذا العلم!! في الملة بعد أن صدر منها، وعند ظهور الغلاة من المتصوفة، وجنوحهم إلى كشف حجاب الحس، وظهور الخوارق على أيديهم، والتصرفات في عالم العناصر!!، وتدوين الكتب والاصطلاحات، ومزاعمهم في تنـزل الوجود عن الواحد وترتيبه، وزعموا أن الكمال الأسمائي مظاهره أرواح الأفلاك والكواكب!! وأن طبائع الحروف وأسرارها سارية في الأسماء!! فهي سارية في الأكوان على هذا النظام »(٥).

٢٠- ومن عدم تعظيمهم للقرآن الكريم ابتداعهم في الدين، وعدم تقييدهم بتعاليم القرآن المبين، فالصوفية هم « أهل العبادات البدعية، يزين لهم الشيطان تلك العبادات، ويبغض إليهم السبل الشرعية، حتى يبغضهم في العلم والقرآن والحديث؛

---

(١) الإحياء ١/ ٤٤٣.

(٢) والصحيح أنهم أكثر من ذلك، بل الذين حضروا حجة الوداع كانوا قرابة (١٢٠) مائة وعشرين ألفا. انظر: الإصابة ١/ ٣-٤.

(٣) انظر: الحفاظ الذين ذكرت أسمائهم وهم أهل التواتر في الفصل الثالث، من الباب الثالث.

(٤) الإحياء ١/ ٤٤٤.

(٥) مقدمة ابن خلدون ص ٩٣٦-٩٣٧.

فلا يحبون سماع القرآن والحديث، ولا ذكره، وقد يبغض إليهم حتى الكتاب؛ فلا يحبون كتابا، ولا من معه كتاب، ولو كان مصحفا، أو حديثا »[(١)].

٢١- ومن هؤلاء من يجيز كتابة المصحف بالنجاسات، ظنا منهم أن ذلك من باب التطبيات!![(٢)] أهكذا يكون تعظيم القرآن الكريم!؟ ولكن إذا غُيِّبَ الشرع الظاهر، وقيل بادعاء الشرع الباطن؛ فإن الإنسان يفعل ما يشاء.

٢٢- إعراضهم عن القرآن الكريم قراءة وتدبرا، **ويؤكد إعراض** الصوفية عن القرآن الكريم، أنهم كانوا حتى في زمن الأئمة كالشافعي يؤثرون أشياء على القرآن. قال الإمام الشافعي رحمه الله: « خلفت في العراق شيئا يسمى التغبير، وضعته الزنادقة، **يشتغلون به عن القرآن** »[(٣)]، « وهذا من كمال معرفة الشافعي رحمه الله وعلمه بالدين؛ فإن القلب إذا تعود سماع القصائد والأبيات، والتذ بها، حصل له نفور عن سماع القرآن والآيات؛ فيستغني بسماع الشيطان عن سماع الرحمن »[(٤)]، **واستمر** إيثارهم على القرآن حتى بدأ بعضهم يفضل كتابه وورده على قراءة القرآن الكريم، فهذه المشهورة بصلاة الفاتح زعم أصحابها أنها تعدل قراءة القرآن الكريم (٦٠٠) ألف مرة!!!، وكل مرة تعدل (٤٠٠) غزوة!![(٥)] فكيف يا ترى يعظمون القرآن بعد هذا، وكيف يهتمون به ويعتنون به، وها قد وضع لهم شيخهم ما هو أفضل من القرآن!!! **ومما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن الكريم** ـ كما يجب ـ أنهم يخشعون عند سماع الأناشيد الصوفية، والأوراد البدعية، ولا يهتشون عند سماع الآيات القرآنية؛ فإذا سمع « الأبيات حصل له من الخشوع والحضور ما لا يحصل له عند الآيات، **بل يستثقلونها، ويستهزؤون بها**، وبمن يقرؤونها »[(٦)]، **ومن**

---

(١) المجموع ١٠/ ٤١١.

(٢) انظر: الرد على البكري ٢/ ٤٩٨.

(٣) مناقب الشافعي للبيهقي ١/ ٢٨٣.

(٤) المجموع ١١/ ٥٣٢، وانظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٢٦٢، ومختصر الفتاوى ص٥٩٢-٥٩٣.

(٥) انظر: جواهر القرآن ١/ ١١٤.

(٦) المجموع ١٥/ ٥٠، وانظر منه ١١/ ٥٣٧، ١٤/ ٤٦٦.

ذلك خشوعهم عند الأناشيد دون آيات الوعيد، مع أن الله ﷻ، قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾[الإسراء:١٠٧]، «**ويميل هؤلاء إلى سماع الشعر**، والأصوات التي تهيج المحبة المطلقة التي لا تختص بأهل الإيمان، بل يشترك فيها محب الرحمن ومحب الأوثان ومحب الصلبان ومحب الأوطان ومحب الإخوان ومحب المردان ومحب النسوان!! وهؤلاء الذين يتبعون أذواقهم ومواجيدهم من غير اعتبار لذلك بالكتاب والسنة، وما كان عليه سلف الأمة»[١]، «**وقد نشب السماع بقلوب خلق منهم**؛ فآثروه على قراءة القرآن، ورقت قلوبهم عنده بما لا ترق عند القرآن»[٢]، **وهؤلاء الذين حسن في نفوسهم السماع البدعي**، قد تجد منهم «من يحسن صوته بآية من القرآن، من غير ذوق طعم، ولا حلاوة»[٣]، و«**إذا سمع أحدهم الأبيات** يحصل له من الخضوع والخشوع والبكاء ما لا يحصل له مثله عند سماع آيات الله تعالى؛ فيخشع عند سماع المبتدعين المشركين، ولا يخشع عند سماع المخلصين المتقين، بل إذا سمعوا آيات الله تعالى اشتغلوا عنها وكرهوها، واستهزؤوا بها وبمن يقرؤها...، وإذا سمعوا القرآن، سمعوه بقلوب لاهية، وألسنة لاغية، كأنهم صمٌّ، وعميٌ، وإذا سمعوا الأبيات حضرت قلوبهم!! وسكنت ألسنتهم، وسكنت حركاتهم، حتى لا يشرب العطشان منهم ماء، ومن هؤلاء من إذا كانوا في سماعهم فأذن المؤذن قالوا: نحن في شيء أفضل مما دعانا إليه!!، ومنهم من يقول: هذا في شغله، وهذا في شغله!! ومنهم من يقول: كنا في الحضرة؛ فإذا قمنا إلى الصلاة صرنا على الباب»[٤]، **قال الغزالي**: «وحكي عن بعض الشيوخ أنه قال: رأيت أبا العباس الخضر ﷺ فقلت له: ما تقول في هذا السماع الذي اختلف فيه أصحابنا؟؟ فقال: هو الصفو الزلال الذي لا يثبت عليه إلا أقدام العلماء»[٥]، **بل ونسب القول بالسماع إلى**

---

(١) العبودية ص٤٩.

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٢٨٢.

(٣) تيسير العزيز الحميد ص٨٩، بتصرف يسير.

(٤) الرد على البكري ٢/ ٦٧٥-٦٧٦.

(٥) الإحياء ٢/ ٤١٩، وبحاشيته ذكر المحقق الأقوال الصحيحة عن الأئمة في تحريم السماع فانظرها فإنها نفيسة.

النبي ﷺ وزعم أنه سمعه!! وأبو بكر الصديق ﷺ!![1]؛ فلم يكف بملاقاة الخيال الصوفي المصور لهم وهو الخضر ـ بزعمهم ـ[2]، حتى زعم أنه رأى رسول الله ﷺ وصاحبه الصديق ﷺ يستمعان إلى السماع الصوفي!!، بل ذهب إلى أبعد من هذا إذ زعم أن سماع الصوت الحسن، والكلام الحسن أحكم قانون في معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته، إذا كان سماعه من الله تعالى!!، وعلى الله وفيه!![3].

وأبعد الغزالي إذ ادعى أن سماع القرآن يؤثر وجدا ـ أي وجدا صوفيا ـ، كما أن السماع الصوفي يؤثر وجدا [4]، وذكر لذلك الشبهات ـ وهي أدلة تدل على أن القرآن مؤثر في القلب، ويزيد الإيمان، ولا تدل على السماع الصوفي ـ، **وزاد الطين بلة، والحق لبسا إذ ادعى أن السماع الصوفي أفضل في الوجد من القرآن الكريم!**[5]، **فقال:** «فإن قلت: فإن سماع القرآن مفيد للوجد؛ فما بالهم يجتمعون على سماع الغناء من القوالين، دون القارئين؟ فكان ينبغي أن يكون اجتماعهم وتواجدهم في حلق القراء لا حلق المغنين؟ وكان ينبغي أن يطلب عند اجتماع في كل دعوة قارئ لا قوالا؟ فإن كلام الله أفضل من الغناء لا محالة!!؛ **فاعلم أن الغناء أشد تهييجا للوجد من القرآن من سبعة أوجه!!!**[6]:

الوجه الأول: أن جميع آيات القرآن لا تناسب حال المستمع، ولا تصلح لفهمه وتنـزيله على ما هو ملابس له!!... [7].

---

(١) الإحياء ٢/ ٤٢٠، وانظر منه ٢/ ٤٣٣.

(٢) والصحيح من أقوال أهل العلم أن الخضر ﷺ كان نبيا، وأنه قد توفي. انظر: المجموع ١٣/ ٩٣.

(٣) انظر: الإحياء ٢/ ٤٤٩.

(٤) انظر: الإحياء ٢/ ٤٦١.

(٥) وهذا يدل على أن القرآن الكريم لا ينتج وجدا صوفيا ـ والحمد لله ـ ولهذا لم يفضلوه!! ولو أنتج وجدا صوفيا لفضلوه، وكلام الخلق عند هؤلاء أشد تأثيرا في النفوس من كلام الله ﷻ !!!.

(٦) وأكتفي بذكر الأوجه موجزة، من غير رد عليها؛ ولا أُسَوِّدُ الصفحات في الرد على كلام ساقط لا قيمة له، وإنما أذكر بعض العبارات الموجزة التي تفيد الغرض.

(٧) القرآن الذي أنزل لهداية الخلق جمعاء، لا يصلح ـ عند هذا العالم الصوفي ـ للأصفياء، لعدم مناسبة الحال، والسماع يناسب الحال!!.

الوجه الثاني: أن القرآن محفوظ للأكثرين، ومتكرر على الأسماع والقلب، وكلما سمع أولا عظم أثره في القلوب، وفي الكرة الثانية يضعف أثره!! وفي الثالثة يكاد يسقط أثره!!...»[١].

الوجه الثالث: أن لوزن الكلام بذوق الشعر تأثيرا في النفوس؛ فليس الصوت الموزون الطيب كالصوت الطيب الذي ليس بموزون!!...»[٢].

الوجه الرابع: أن الشعر الموزون يختلف تأثيره في النفس بالألحان التي تسمع الطرق...، وهذا التصرف جائز في الشرع، ولا يجوز في القرآن إلا التلاوة كما أنزل...، وإذا رتل القرآن كما أنزل سقط عنه الأثر الذي سببه وزن الألحان!!...»[٣].

الوجه الخامس: أن الألحان الموزونة تعضد، وتؤكد بإيقاعات، وأصوات أخر موزونة خارج عن الحلق كالضرب على القضيب والدف، وغيره...، وواجب أن يصان القرآن عن مثل هذه القرائن؛ لأن صورتها عند عامة الخلق صورة اللهو واللعب!!...»[٤].

الوجه السادس: أن المغني قد يغني ببيت لا يوافق حال السامع؛ فيكرهه وينهاه عنه، ويستدعي غيره؛ فليس كل كلام موافقا لكل حال؛ فلو اجتمعوا في الدعوات على القارئ[٥]، فربما يقرأ آية لا توافق حالهم...»[٦].

---

(١) بل سقط أثره من قلوب العارفين من الصوفية!! لأنهم وصلوا إلى مكاشفة الرب!! وسمعوا الخطاب منه!! فكيف يتلذذون بسماع القرآن!!؟ وأما أهل الإيمان فكلما كرروا آيات القرآن ازدادوا نورا وبصيرة، بل كان من السلف من يردد الآية حتى الفجر، ولا يزيده التكرار إلا إيمانا وخشية.

(٢) القرآن الذي تحدى الله به الإنس والجن، الذي هو آية في وزنه وترتيبه وحركاته وسكناته، لا يكون له وقع على النفوس!!؟، لعله لم يسمعه ممن يرتله ترتيلا، وسمع السماع الصوفي ممن يلحنه تلحينا فأعجبته!!

(٣) بل العكس هو الصحيح، إذ لو أسقطت التلاوة لذهب بعض حسنه، أما مع التلاوة؛ فهو غض كأنه الآن أنزل ـ عند من يقبل عن الله وعن رسوله ـ.

(٤) لم يبق إلا أن يجيز قراءة القرآن بالآلات! وكاد أن يفعل لو لا تذكره أن العامة يعرفون أن هذا لهو ولعب؛ فمنعها خوفا من سياط العوام، وإلا فهو لا يرى به بأسا، لولا أنه رأى بأسا.

(٥) وقد اجتمعوا كما في المآتم، والجمع قبل حضور الخطيب، وليس لهم من الاستماع نصيب إلا سماع الصوت؛ فيضطربون ويمدحون، وكل ذلك واقع على الصوت. انظر: الفصل الثالث من الباب الثاني.

(٦) ولكن يمكن أن يطلب من القارئ أن يقرأ سورة معينة، أو آيات معينة فلا حجة في هذه السفسطة.

الوجه السابع: ...القرآن كلام الله وصفة من صفاته، وهو حق لا تطيقه البشرية؛ لأنه غير مخلوق؛ فلا تطيقة الصفات المخلوقة(١)...، والشعر نسبته نسبة الحظوظ...»(٢).

غفر الله لنا وللغزالي، كيف يخرج منه هذا الهراء، وكيف يوازن بين القرآن وكلام الشعراء، ويفضله من حيث التأثير من سبعة أوجه دهماء!! ـ رحماك اللهم يا ذا العظمة والكبرياء ـ.

ويقول الغزالي: «فإن قلت عظمت أمر الذكر؛ **فهو أفضل أم قراءة القرآن؟** فاعلم أن قراءة القرآن أفضل للخلق كلهم **إلا الذاهب إلى الله** ﷻ ...؛ **فمداومة الذكر أولى به؛ فإن القرآن يجاذب خاطره!! ويسرح به في رياض الجنة، والمريد الذاهب إلى الله تعالى لا ينبغي أن يلتفت إلى الجنة ورياضها!! بل ينبغي أن يجعل همه هما واحدا، وذكره ذكرا واحدا!! حتى يدرك درجة الفناء والاستغراق!!**»(٣).

قال ابن القيم ؒ: «ويا عجبا لمن ذاق طعم الإيمان كيف يعدل بالكلام الذي فضله على غيره كفضل الله على خلقه؟؟ وبالكلام الذي ما تقرب العباد إلى الله بأحب إليه منه كلاما نزه الله رسوله وأولياءه عنه، وجعله صلاة للمشركين وقرآنا لهم، وقرآنا لعدوه الشيطان، ورقية لمحارمه، ومادة النفاق»(٤).

«**ومشايخ هذه الطائفة** كلما وقفت طباعهم حداها الحادي إلى الله بالأناشيد؛ قال ابن عقيل: لا كرامة لهذا القائل، إنما تُحدى القلوب بوعد الله في القرآن ووعيده، وسنة الرسول ﷺ لأن الله ﷻ قال: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[الأنفال:٢]، وما قال: وإذا أنشدت عليه القصائد طربت؛ فأما تحريك الطباع بالألحان؛ فقاطع عن الله، والشعر يتضمن صفة المخلوق والمعشوق، مما يتعدد عنه فتنة،

---

(١) ليت الغزالي يثبت كلاما لله ﷻ هو القرآن، ولكنه يذهب إلى الكلام النفسي في مواضع كثيرة من كتبه!! فأنى تصح له الدعوى؟ ثم كلما كان الأمر من علو كان الانتفاع به أكبر؛ فكيف يقال: إن النفس لا تطيقه؟.

(٢) الإحياء ٢/ ٤٦٤-٤٦٧.

(٣) الأربعين في أصول الدين ص ٦٥-٦٦، نقلا عن كتاب رسائل وفتاوى في ذم ابن عربي الصوفي ص٣٤.

(٤) كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء لابن القيم ص ٢٣٤-٢٣٥.

ومن سولت له نفسه التقاط العبر من محاسن البشر وحسن الصوت فمفتون، بل ينبغي النظر إلى المحال التي أحالنا عليها: الإبل، والخيل، والرياح، ونحو ذلك؛ فإنها منظورات لا تهيج طبعا، بل تورث استعظاما للفاعل، وإنما خدعكم الشيطان؛ فصرتم عبيد شهواتكم، ولم تقفوا حتى قلتم: **هذه الحقيقة**، ،وأنتم زنادقة في زي عباد، شرهين في زي زهاد، مشبهة تعتقدون أن الله ﷻ يُعشق، ويُهام فيه... فما يدعيه عشاق الصوفية لله في محبة الله، إنما هو وهم اعترض، وصورة شكلت في نفوس فحجبت»[(١)].

ولما كان للسماع عندهم شأن كبير، ورتبة عالية، سموا أناشيدهم وقصائدهم بـ "جنيب القرآن!!"، ويكون وجده وفرحه بها أعظم من فرحه بالقرآن الكريم!![(٢)].

وبهذا يظهر أن الصوفية إذا وقع منهم التعظيم؛ فإنما ذلك على المبنى دون المعنى، وعلى اللفظ دون العمل، وعلى الظاهر دون حقيقة.

ومما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن الكريم، أنهم لم يعتمدوه في باب العقائد، وهذا ما أبينه في المبحث التالي.

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٢٨١.

(٢) انظر: نقض المنطق ص٦٤.

المبحث الخامس
عدم اعتمادهم عليه في باب العقائد

الصوفية يرون أن ظاهر القرآن للعامة، وأنهم بذلك ملزمون، ولكنهم عندهم نوع آخر من تحريف النصوص، وهو الغالب على المتأخرين من مشايخهم وأصحاب طرقهم، إذ يرون أن الحجة في المكاشفة.

بل صرحوا بأن مصادر التلقي هي: الكشف والذوق والوجد!! وهم وإن كانوا مصرحين بأن الوحي مصدر للتلقي إلا أنهم في حقيقة الأمر غير مبالين به ـ خصوصا عند من وصل منهم!! ـ ولكنهم يقدمون أذواقهم وكشوفاتهم على الوحي، وأما الوحي فإما أن يحرفوه، وإما أن ينكروه.

وقد تجد في مقدميهم ومتأخريهم من يأمر باتباع ظاهر القرآن الكريم، وابن عربي الحلولي نفسه يأمر أتباعه في بعض رسائله باتباع طريق أهل الحديث!! فيقول: «واشتغل بنفسك شغلا كليا، واهرب إلى محل إجماعهم، فإن لم تجد إجماعا فكن مع أكثرهم!! فإن لم تجد فكن مع أصحاب الحديث في تلك المسألة المطلوبة»[(١)].

ويعتمدون في العقائد على العقل والشرع والكشف!![(٢)] أما **العقل** فمرادهم به العقل الفلسفي اليوناني والفلسفي الهندي، وأما **الشرع** فيعنون به ما فهموه بزعمهم من بواطنه!! وأما **الكشف**: فما علموه وأدركوه من الحضرة الإلهية!!!.

---

(١) القربة لابن عربي ص ٧.

(٢) انظر: القسم الإلهي لابن عربي ص٣.

وقد يصرحون بعدم الاعتماد إلا على الكشف، كما يقول ابن عربي نصحا للرازي: «وينبغي لعالي الهمة أن يكون معلمه وشاهده مؤنثا متعلقا بالأخذ من النفس الكلية، كما ينبغي له أن لا يتعلق بالأخذ من فقير أصلا، وكل ما لا كمال له إلا بغيره فهو فقير، فهذا حال كل ما سوى الله تعالى، **فارفع الهمة في أن لا تأخذ علما إلا من الله تعالى على الكشف**»(١)، ويقولون في نفي العلم المدرك بالعقل: «التوحيد المدرك بالدليل العقلي لا يعول عليه!!!»(٢).

ويذكر أحدهم المسألة ثم يذكر الدليل، فما دليله؟! إنه الكشف، يقول أحد الصوفية حاثا على زيارة القبر للتبرك!!: «وإن أنكر ذلك بعض المدعين علما وفضلا، واستدل بظواهر!، واعتضد بنقول!!؛ فليس بشيء عند التحقيق!!... والذي عليه العمل الآن...: الجواز والاستحباب، فثق بما نقوله، ولا تغتر بمخالفته؛ فليس هو في مخالفته سائر مع الحق، ولا قاصد إلى الصدق، حققنا ذلك كشفا وعلما، وأوثقناه حكمة وحكما!!»(٣).

وعندهم أن العلم يؤخذ عن الحي الذي لا يموت، كما يقول هذا ابن عربي: «ومنهم من نظر إلى ربه من وجه سببه ـ أي الكشف والفناء ـ، لا من وجهه، فقال: **حدثني قلبي عن ربي**، وقال الآخر ـ وهو الكامل ـ: حدثني ربي، وإليه يشير صاحبنا العارف بقوله: **أخذتم علمكم عن الرسوم، ميتا عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت**»(٤).

ومن الردود عليهم في تصوفهم للوصول إلى الكشف، وتقديمه على الكتاب والسنة، ما يأتي:

---

(١) رسالة ابن عربي للرازي ص٣.

(٢) لا يعول عليه، لابن عربي ص١٢.

(٣) نقله عن ابن السراج صاحب كتاب: أضواء على الرسالة المنسوبة إلى الحافظ الذهبي "النصيحة الذهبية لابن تيمية" وتحقيق في صاحبها لأبي الفضل محمد بن عبد الله القونوي ص٥٨.

(٤) رسالة ابن عربي للرازي ص٤.

١- أن أصحاب هذا القول متناقضون في أنفسهم، فتارة يقولون ما سبق، وتارة يوجبون اتّباع الشرع!! وهذا ـ والله أعلم ـ خوفا من علماء الوقت كما يقوله ابن عربي[١]، ومما صرحوا فيه بوجوب الشرع قول ابن عربي: «**كل علم من طريق الكشف والإلقاء أو اللقاء!! والكناية بحقيقة تخالف شريعة متواترة لا يعول عليه**»[٢]، ويقول:«كل عمل وترك لا يكون الشخص فيه تابعا، فلا يعول عليه، وإن كان أشق من عمل التبعية، قال الشبلي في هذا المقام: كل عمل لا يكون عن أثر فهو هوى النفس»[٣]، وهذا هو الحق، وهو أن الكشف والإلهام لا يكونان أدلة كالقرآن الكريم؛ «لأن الإلهام ليس من أسباب المعرفة بصحة الشيء، عند أهل الحق»[٤].

٢- حث الصوفية الأوائل على التمسك بالكتاب والسنة، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «ولهذا كان الشيوخ العارفون المستقيمون من مشائخ الصوفية وغيرهم يأمرون أهل القلوب ـ أرباب الزهد، والعبادة... ـ بلزوم الكتاب والسنة، قال الجنيد بن محمد: علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة؛ فمن لم يقرأ القرآن، ويكتب الحديث لا يصلح له أن يتكلم بعلمنا... »[٥].

٣- أن دين الصوفية قائم على الذوق والوجد، وما يظنه مقربا له إلى الله يتخذه، ولو كان مبتدعا، بل ولو كان محرما؛ «فتجد عامة دينهم إنما يقوم بالأصوات المطربة والصور الجميلة؛ فلا يهتمون بأمر دينهم بأكثر من تلحين الأصوات...، وترى كثيرا من المتصوفة والمتفقرة لا يرى الشريعة ولا العلم شيئا، بل يرى المتمسك بها منقطعا عن الله!!! وأنه ليس عند أهلها مما ينفع عند الله شيئا!!»[٦].

(١) انظر: رسالة ابن عربي للرازي ص٧.
(٢) لا يعول عليه لابن عربي ص٢.
(٣) لا يعول عليه لابن عربي ص٦.
(٤) العقائد النسفية لعمر النسفي ص٢٨، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.
(٥) الرد على المنطقيين ص٥١٤-٥١٥، وقد ذكر أقوالا أخرى لأئمة الزهد والتصوف فانظرها.
(٦) الاقتضاء ١/ ٧٨-٧٩.

٤- أن الذوق والكشف لو كانا مصدرين لمعرفة العقيدة، لما كان هناك داع إلى إرسال الرسل، وإنزال الكتب ـ خصوصا أن الصوفية تزعم أن لا حاجة إلى اتباع الرسل ـ، وهذا معلوم بطلانه، وبطلان الملزوم يدل على بطلان اللازم.

٥- أن الكشف لو كان حجة بنفسه، والذوق كذلك، لكانت كشوفات البوذية والبراهمة حجة!!، وإلا فما الفرق بين كشف وكشف، ما دام الجميع لا يحتكمون إلى النصوص الشرعية؟!.

٦- أن القول بأن الكشف حجة في الاعتقاد تجهيل للسلف الصالح، وهذا قدح في نقولهم وعلومهم!!.

٧- أن الكشف لو كان عمدة في باب الاعتقاد ـ بل لو جزئية ـ لكان المعول عليه بعد موت رسول الله ﷺ، ولم يثبت عن أحد من الصحابة وتابعيهم أنه رجع في مسألة شرعية واحدة إلى الذوق والكشف فضلا عن مسائل الاعتقاد.

٨- أن الكتاب والسنة فيهما الغنية، وأن كل ما سوى ذلك لا بد أن يكون معروضا عليهما، ولا يجوز بحال أن يكونا محكومَين، بل لا بد أن يكونا حاكِمين.

وغالب اعتماد الصوفية على كتب مشايخهم، «وهذه التصانيف التي صنفت لهم لا تستند إلى أصل، وإنما هي واقعات تلقفها بعضهم عن بعض، ودونوها، وقد سموها بالعلم الباطن...، وسئل أبو زرعة عن الحارث المحاسبي وكتبه؛ فقال للسائل: إياك وهذه الكتب، هذه الكتب كتب بدع وضلالات، عليك بالأثر؛ فإنك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب، قيل له في هذه الكتب عبرة، قال: من لم يكن له في كتاب الله ﷻ عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة، بلغكم أن مالك بن أنس، وسفيان الثوري، والأوزاعي، والأئمة المتقدمة: صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس وهذه الأشياء!!، هؤلاء قومٌ خالفوا أهل العلم»[1].

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١٨٦.

ومن اعتمادهم على السماع البدعي الشيء الكثير الذي جعلهم يصدون عن الخير الكثير الذي جاء به القرآن الكريم، ومعلوم أن « السماع الذي أمر الله به، هو سماع ما جاء به الرسول ﷺ: سماع فقه وقبول »[1].

ومما يدل على عدم اعتمادهم على القرآن الكريم أنهم انحرفوا عن الطاعات، « فلا يبالون إذا حصل لهم توحيد القلب، وتألهه أن يكون ما أوجبه الله من الصلوات، وشرعه من أنواع القراءة، والذكر، والدعوات، أن يتناولوا ما حرم الله من المطاعم، وأن يتعبدوا بالعبادات البدعية من الرهبانية، ونحوها، ويعتاضوا بسماع المكاء والتصدية عن سماع القرآن »[2].

ومن جعلهم القرآن فرعا في باب الاعتقاد وعدم الاعتماد عليه أن حرفوا ما جاء به القرآن من شهادة الوحدانية؛ فزعم بعضهم أن: « لا إله إلا الله، ذكر العابدين، والله، الله، ذكر العارفين!! و"هو" ذكر المحققين!! »[3]، وقد يقولون:إن ذكر الخاصة هو الاسم المفرد، وذكر خاصة الخاصة الاسم المضمر[4].

وهؤلاء « ضالون، غالطون...، والاسم المفرد مظهرا ومضمرا؛ فليس بكلام تام، ولا جملة مفيدة، ولا يتعلق به إيمان ولا كفر، ولا أمر ولا نهي »[5].

ومعلوم أن من الدعاوى العريضة، والشعارت البراقة الكبيرة، التي أطلقها الصوفية، حتى أصبح شعارا لهم، أنهم أصحاب التزكية؛ فهم يبحثون عن تزكية النفوس!! ولكن بغير طريق القرآن، وإنما عن طريق الأناشيد والحفلات وإقامة السرادقات والموالد!![6].

---

(١) المجموع ١٦/ ٨.
(٢) المجموع ١٩/ ٧٣، وانظر منه: ٢/ ٤٣.
(٣) المجموع ٢/ ٦٤.
(٤) انظر: العبودية ص١٢٥.
(٥) العبودية ص ١٢٥ وانظر ما بعدها.
(٦) انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٢٦٢، ٣٥٨، الروح لابن القيم ص١٠٩.

ومن ذلك وقوع كثير منهم فيما نهى عنه الشرع نصا، كابتدعاهم بناء المساجد على القبور، وتعظيمهم المقبور، ووقوعهم في الشرك، ودعاء الأموات؛ فضُلال الصوفية يشركون بدعاء غير الله تارة، وبنوع عبادة أخرى، وبهما تارة[١].

ومما يدل على عدم اعتماد الصوفية على القرآن، في العقائد وغيرها، كونهم معظمين للباطنية المتزندقة الذين يرون وحدة الوجود، وكفرياتهم بينة[٢].

ومن عظيم ما يدل على عدم اعتمادهم على القرآن الكريم كونهم يهتمون بتوحيد الربوبية الذي شهد به أغلب الإنسانية إلا بقايا من الدهرية، ويتعبون أنفسهم في تحصيل الحاصل، مع أن التوحيد الذي من أجله أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، هو توحيد الألوهية، وهم فيه من أعظم الناس تفريطا، بل ما جاء الشرك وأسبابه في أمة الإسلام إلا من طريقهم، ومن طريق الرافضة، في توحيد الألوهية[٣].

فكيف يعتمد الصوفية على القرآن الكريم، وبعض من يوقرونه ويظنون أنه قد وصل، كالحسين بن منصور الحلاج، يدعي أنه يستطيع أن يأتي بمثل القرآن الكريم!![٤].

وإذا لم يعتمدوا على القرآن؛ فإن ذلك يعني الاعتماد على الكشف والذوق والوجد، ومعلوم ما يحصل في هذا الكشف من الاضطراب، والاختلاف؛ ما لا ينضبط[٥]، حتى تعددت الطرق الصوفية[٦]، وكل واحدة تلعن الأخرى، وذلك لكون الأذواق مختلفة، والكشوفات متغايرة.

---

(١) انظر: المجموع ١/ ٩٧، وقد ألف شيخ الإسلام ﷺ كتابه العظيم المعروف بـ"الرد على البكري" وهو كله بيان لما وقع فيه الصوفية، من الضلالات والكفريات والشركيات.

(٢) انظر: المجموع ٢/ ١٢١.

(٣) انظر: التدمرية ص١٨٦ وما بعدها.

(٤) انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١٩١، وقد ذكر آثارا كثيرة عنه تدل على شناعة قوله، وخبث طويته.

(٥) انظر: شرح الأصبهانية ص٢٨، النبوات ص٧٥.

(٦) انظر: هذه الطرق وعددها في كتاب: الصوفية نشأتها وتطورها لمحمد العبده وطارق عبد الحليم ص١٠٩.

وبنظرة واحدة على عقائد الصوفية تعلم أنهم بعدوا عن الإسلام أي بعد، فهم يرون إثبات الوجود المطلق عن كل قيد، وحقيقته هو الوجود نفسه، ويرون أن الأديان كلها طرق توصل إلى الله، وأن العذاب الأخروي ونعيمه سواء[١]، وأخفهم من يبتدع بدعة يتقرب بها إلى الله ﷻ.

والصوفية في باب الاعتقاد إنما اعتمادهم على كتبهم الذوقية ومؤلفاتهم الكشفية وزبالاتهم الخرافية، فـ « الصوفية هنا وهناك، وفي كل مكان يتربصون فيه بالإسلام، يؤمنون بكتبهم إيمانا عنيدا طاغيا، يأسر منهم في قبضته القاهرة عواطف القلوب، ومشاعر النفوس، وسبحات الخواطر، وتأملات الفكر، ويدينون بكل حرف فيها يرمز إلى أسطورة، وبكل كلمة تفشي خرافة؛ فما تناوحت إحساساتهم بالحب إلا لها، وما فتك بالقلوب أخطبوطهم إلا بها، وما قتلت عناكبهم ذباب النفوس غلاب لعابها السام، بيد أنهم حين يلقون المؤمنين يقولون: رياء ومخادعة: مدسوس...، حتى إذا دخلوا إلى شياطينهم قالوا: نفتن المؤمنين!.

وإلا فإني أدوي بصيحة الحق تتحدى الصوفية وطواغيتها، أن يجرأ واحد منهم على القول: إن تلك الكتب مدسوسة! أو يستنكر ما تطفح به من كفر، وليأتنا بأثارة من علم، أو ظن تدل على أنها دعية النسب إلى من افتروها... إن تلك الكتب ليست بمدسوسة، ويشهد بذلك التاريخ الحق، وتواتر النقل الصحيح، ولكن هبوها كذلك؛ فما ينفعكم وأنتم بها تدينون، وتؤمنون...، وآخرون يزعمون أن تلك الكتب أسرار ورموز، لا يفقهها إلا أولئك الذين أباح لهم الغيب الخفي مكنونه!!...، سأنحدر إلى فرية أولئك؛ فأزعم أن كتب الصوفية رموز مقنعة بالخفاء، وأسرار ملثمة بسحر الغيب!! ولكني أسائلك كيف يُعبد الله برمز مقنع بالإبهام!؟... أيحق لامرئ أن يعبد ربه بشيء أطبق عليه الجهل به!؟ وبغير ما شرعه الله في كتابه، وأوحاه إلى رسوله؟؟...

---

(١) انظر: هذه هي الصوفية للعلامة عبد الرحمن الوكيل ص ١٧٤.

أتفقهون ـ ياكهنة الصوفية ـ دلائل تلك الرموز؟ أم لا تفقهونها؟ فإن تكن الأولى: فأبينوا لأتباعكم، لتطمئن قلوبهم بالمعرفة...، وإن تكن الأخرى؛ فإنها دين الببغاء تردد ما لا تعي...»(١).

وذكر ابن خلدون المغرم بأصحاب الكشف مواقف الناس في المهدي، ثم ذكر قول الصوفية؛ فقال: «وربما يعتمدون في ذلك على الكشف، الذي هو أصل طرائقهم»(٢).

وبعد أن ظهر أن الصوفية أظهرت عقيدة الكشف والتلقي عن الله ﷻ، صار غنيا أن يقال: إنهم لا يأخذون من مشكاة النبوة إلا ما كان عملا ظاهرا أمام العامة، أو إظهار تعظيمه للعامة، ولمصلحة العامة، **وأما هم فجاؤوا بالعظائم**، ومن **أهمها**:

١- القول بالحلول، ووحدة الوجود، وهو قول غالب المتأخرين من الصوفية، وهو لبنات وضعها الأولون فيهم، وإن لم يريدوا ذلك.

٢- اتهام سيد الأنبياء ﷺ بأنه لم يبلغ ما يفي بحاجة الخاصة، حتى أصبحوا يتلقون ذلك عن غير ما نزل إليه.

٣- ادعاء التلقي عن الله مباشرة، إما بوحي جلي، أو إلهام، أو كشف، أو منام!!

٤- تحقير شأن العلماء العاملين، من أئمة الدين، بحجة أنهم علماء القشور، وأنهم علماء الظواهر!!.

٥- تفسيرهم لنصوص القرآن والسنة بما يوافق أهواءهم.

هذه مع ما سبق يدل على عدم اهتمام الصوفية بالقرآن الكريم في باب الاعتقاد، وكذلك شيوخهم من الرافضة، وأبين حالهم في الفصل التالي.

---

(١) هذه هي الصوفية للعلامة عبد الرحمن الوكيل ص٧٠-١٧.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٥.

الفَصْلُ الثَّالِث

مَنزِلَة القُرآن الكَرِيم عِند الرّافِضَة

وفيه مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالرافضة.

المبحث الثاني: عقيدة الرافضة في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: عدم تعظيم الرافضة للقرآن الكريم.

المبحث الرابع: عدم اعتماد الرافضة على القرآن الكريم في العقائد.

المبحث الأول: التعريف بهم

لمعرفة الرافضة لابد من النظر إلى الأصل اللغوي لكلمة "الرفض" حتى يعرف معنى هذه الكلمة، ومن ثم تتبين النسبة بعد ذلك.

أولا: معنى الرافضة لغة:

"الرافضة" نسبة مأخوذة من الرفض، و "رفض": « الراء والفاء والضاد أصل واحد، وهو الترك، ثم يشتق منه، يقال: رفضت الشيء: تركته، هذا هو الأصل »(١)، والروافض تركوا الكتاب والسنة، والصحابة وسواد المسلمين؛ فتسميتهم بالروافض مناسبة لحالهم وتركهم.

و « "رفضته" رفضا، من باب ضَرَبَ، وفي لغة من باب: قَتَل »(٢)، فإن كان "رفض" **من** باب ضرب؛ فيكون: رفَض، يرفِض، رفضاً، وإن كان "رفض" من باب قتل؛ فيكون: رفَض، يرفُض، رفضاً.

والأول ـ أعني **ما** كان على باب: ضرب ـ يكون معناه دائرا حول التفرق والاختلاف؛ فـ « رفضت الإبلُ، من باب: ضرب، تفرقت في المرعى »(٣)،فعلى هذا يكون معنى الرفض: التفرق والاختلاف، وهو حال الرافضة الذين فرقوا جماعة المسلمين، وخالفوا سوادهم، وشقوا عصاهم، وهم في أنفسهم شذر مذر.

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ص٤١٥.

(٢) المصباح المنير للفيومي ص ٢٣٢.

(٣) المصباح المنير للفيومي ص ٢٣٢.

والثاني - أعني ما كان على باب: قتل - يكون معناه: الترك، « فالرفض: تركك الشيء »[١]، فعلى كلا البابين ورد "الرفض"، وتقول: « أرفُضُه، وأرفِضُه، ورفضا: تركته، وفرّقته...، والرَّفض: الشيء المتفرق »[٢].

« والروافض: جنود تركوا أميرهم، وانصرفوا، فكل طائفة منهم رافضة »[٣].

وأما بيان سبب نسبة الرافضة إلى الرفض: فإذا تبين معنى "رفض" من حيث أصل معناه، وأنه دائر على التفرق والترك وخذلان الأمير، وهذه الصفات كلها في الروافض موجودة. فالنسبة إنما هي بسبب أن الروافض لما تركوا الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة، واختصوا بهذا الترك لإعراضهم الكلي عنهما وعنهم، لقبوا بالرافضة، وكذلك لما تفرقوا عن جماعة المسلمين، ولم يقبلوا مقالهم، وهم لم يطيعوا أميرهم. والمقدم عندهم - بزعمهم - زيد بن علي بن الحسين ﷺ فنسبوا إلى الرفض لذلك، وقيل لهم روافض نسبة إلى ذلك[٤]، وقد يذكر بعضهم سببا واحدا في تسميتهم بالروافض وهو مخالفتهم لأميرهم زيد بن علي، ولكن الذي يظهر أنه لقبوا بذلك، وهم يستحقون هذا اللقب لاجتماع الأمور المذكورة في معنى الرفض فيهم - والله أعلم -.

قال شيعة الكوفة حينما سمعوا زيد بن علي ﷺ يتولى أبا بكر وعمر ﵄؛ لأنهما وزيرا جده رفضوه؛ فقال لهم: رفضتموني؛ فسموا رافضة[٥].

ثانيا: المراد بالرافضة اصطلاحا:

وأما الرافضة في الاصطلاح؛ فالمقصود بهم: قوم تبرؤوا من الشيخين أبي بكر الصديق ﵁ وعمر بن الخطاب ﵁.

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٥/ ٢٦٦.

(٢) لسان العرب لابن منظور ٥/ ٢٦٦.

(٣) لسان العرب لابن منظور ٥/ ٢٦٧، وانظر: مقاييس اللغة لابن فارس ص ٤١٥.

(٤) انظر: لسان العرب لابن منظور ٥/ ٢٦٧.

(٥) انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص١٥٥، المجموع ٣/ ١٥٣، البداية والنهاية لابن كثير ٩/ ٣٨٢، لسان العرب لابن منظور ٥/ ٢٦٧.

وسئل الإمام أحمد ؒ عن الرافضة فقال: «الذين يشتمون أو يسبون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما»[(١)].

ويطلق هذا الاسم على كل من تبرأ من الصحابة ﭫ، واستعمل هذا اللقب في كل من غالى في هذا المذهب، وأجاز الطعن في الصحابة ﭫ[(٢)]، وقالوا: «الرَّوافض، ولم يقولوا: الرُّفاض؛ لأنهم عنوا الجماعات»[(٣)].

«والرفض أتى من قبل العجم، أما العرب فلم يكونوا روافض، ولكن بعد أن اختلط العجم بالعرب أصبح فيهم روافض»[(٤)].

و«**أصل الرفض** كان من وضع قوم زنادقة منافقين، مقصودهم الطعن في القرآن والرسول ودين الإسلام، فوضعوا من الأحاديث ما يكون التصديق به طعنا في دين الإسلام، وروجوها على أقوام، فمنهم من كان صاحب هوى وجهل، فقبلها لهواه، ولم ينظر إلى حقيقتها، ومنهم من كان له نظر فتدبرها؛ فوجدها تقدح في حق الإسلام؛ فقال بموجبها، وقدح في دين الإسلام...، ولهذا دخلت عامة الزنادقة من هذا الباب؛ فإن ما تنقله الرافضة من الأكاذيب تسلطوا به على الطعن في الإسلام، وصارت شبها عند من لم يعلم أنها كذب...، وضلت طوائف كثيرة من الإسماعيلية والنصيرية، وغيرهم من الزنادقة»[(٥)].

فالرافضة لا تصح عندهم الاعتقاد إلا بتولي علي ﭬ والتبرئ من باقي الصحابة ﭫ. وأما الشيعة فهو اسم أعم من الرافضة؛ ولهذا وجدت روايات في كتب الحديث السنية عمن فيهم تشيع، ولكن لا توجد روايات عن الرافضة الخلص، ولكن اندثر هؤلاء الشيعة، ولا يوجد اليوم إلا الشيعة الرافضة، اللهم إلا الزيدية.

---

(١) ذكره شيخ الإسلام في الصارم المسلول على شاتم الرسول ص٤٠٦.
(٢) المصباح المنير للفيومي ص ٢٣٢.
(٣) لسان العرب لابن منظور ٥/ ٢٦٧.
(٤) المجموع في ترجمة المحدث الشيخ حماد الأنصاري ٢/ ٧٠٤.
(٥) منهاج السنة ٧/ ٩.

« **وأول من ابتدع الرفض** عبد الله بن سبأ: وكان منافقا زنديقا، أراد بذلك فساد المسلمين؛ كما فعل بولص، صاحب الرسائل التي بأيدي النصارى، حيث ابتدع لهم بدعا أفسد بها دينهم، وكان يهوديا، فأظهر النصرانية نفاقا، لقصد إفساد ملتهم، وكذلك كان ابن سبأ يهوديا، فقصد ذلك وسعى في الفتنة »(١)، فـ « الروافض أخذوا دينهم من اليهود، وطعنهم في الصحابة طعن في الإسلام »(٢).

والرافضة هم الشيعة الإمامية،وهم قرابة (٢٤) أربع وعشرين فرقة، ومن أشهرها:

الكيسانية(٣)، والبيانية(٤)، والخطابية(٥)، والهشامية(٦)، والإسماعيلية، والإمامية الإثنا عشرية(٧) والإمامية أشهرها وأوسعها، وذلك بسبب كثرة من ينتمي إليها من علماء السوء، ولكون الدولة لهم قديما وحديثا، وأكثرهم من أولاد المجوس(٨).

والرافضة كلهم دينهم قائم على الطعن في إمامة الخلفاء: أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم بل وتكفيرهم، قال ابن عقيل رحمه الله: « الظاهر أن من وضع مذهب الرافضة قصد

---

(١) مختصر الفتاوى ص١٥٦.

(٢) المجموع في ترجمة المحدث الشيخ حماد الأنصاري ٢/ ٤٩٩.

(٣) أصحاب كيسان مولى لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وقيل تتلمذ على محمد بن الحنفية، ويعتقدون فيه أنه محيط بعلم الباطن. انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص ١٤٧.

(٤) وهم أتباع بيان بن سمعان التميمي، قالوا: بانتقال الإمامة من أبي هاشم إلى بيان، وهم يقولون: بألوهية علي رضي الله عنه. انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص ١٥٢.

(٥) أصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي مولاهم، وعزا نفسه إلى جعفر الصادق، وتبرأ منه الصادق لما عرف حاله وغلوه، فاعتزل الصادق، وادعى الإمامة لنفسه، وزعم أن الأئمة أنبياء وآلهة!!. انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص ١٧٩-١٨٠.

(٦) أصحاب الهشامين: هشام بن الحكم وهشام بن سالم، وهما مشبهة في الصفات زيادة على غلوهم في التشيع. انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص ١٨٤.

(٧) وهم القائلون بإمامة الأئمة الإثني عشر نصا، ابتداء بعلي رضي الله عنه، وانتهاء بمحمد بن الحسن العسكري الغائب!!، وهم يتبرؤون من الشيخين، وممن يتولونهما. انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص ١٦٢ وما بعدها.

(٨) وذكر أبو الحسن الأشعري أن الشيعة ثلاثة أقسام: الغالية وذكر فرقها، وهم الباطنية، ثم ذكر الزيدية، وذكر فرقها، ثم ذكر الإمامية وفرقها. انظر: مقالات الإسلاميين ص١٧-٢٤، وانظر: قمع الدجاجلة لعبد العزيز الراجحي ص٣٧٢، عبدالله بن سبأ وإمامة علي بن أبي طالب لعلي بن عبد الرحمن السلمان ص ٢٧-٢٨.

الطعن في أصل الدين والنبوة، وذلك أن الذي جاء به رسول الله ﷺ أمر غائب عنا، وإنما نثق في ذلك بنقل السلف وجودة نظر الناظرين إلى ذلك منهم؛ فكأننا نظرنا إذ نظر لنا من نثق بدينه وعقله، فإذا قال قائل: إنهم أول ما بدؤوا بعد موته بظلم أهل بيته في الخلافة وابنته في إرثها، وما هذا إلا لسوء اعتقاد في المتوفى، فإن الاعتقادات الصحيحة سيما في الأنبياء توجب حفظ قوانينهم بعدهم، لا سيما في أهليهم وذريتهم؛ فإذا قالت الرافضة: إن القوم استحلوا هذا بعده،خابت آمالنا في الشرع، لأنه ليس بيننا وبينه إلا النقل عنهم، والثقة بهم.

فإذا كان هذا محصول ما حصل لهم بعد موته خبنا في المنقول، وزالت ثقتنا فيما عولنا عليه من اتباع ذوي العقول، ولم نأمن أن يكون القوم لم يروا ما يوجب اتباعه فراعوه مدة الحياة، وانقلبوا عن شريعته بعد الوفاة، ولم يبق على دينه إلا الأقل من أهله؛ فطاحت الاعتقادات، وضعفت النفوس عن قبول الروايات في الأصل، وهو المعجزات؛ فهذا من أعظم المحن في الشريعة»[1].

فإذا تبين معنى الروافض لغة واصطلاحا؛ فإني أبين في المبحث التالي عقيدتهم في القرآن الكريم.

---

(١) نقله ابن الجوزي في تلبيس إبليس ص ١٠٩-١١٠.

المبحث الثاني: عقيدتهم في القرآن[(١)]

إن عقيدة الرافضة في القرآن موافقة لعقيدة المعتزلة؛ من حيث اعتقاد مصدريته؛ فيقولون: إن القرآن مخلوق، هذا من حيث اعتقادهم في حقيقة القرآن الكريم، ثم هم في هذه المسألة فرقتان:

«**الفرقة الأولى**: منهم هشام بن الحكم وأصحابه، يزعمون أن القرآن: لا خالق ولا مخلوق، وزاد بعض من يخبر عن المقالات في الحكاية عن هشام؛ فزعم أنه كان يقول: لا خالق ولا مخلوق، ولا يقال أيضا: غير مخلوق؛ لأنه صفة والصفة لا توصف...!!.

والفرقة **الثانية** منهم: يزعمون أنه مخلوق محدث...، كما تزعم المعتزلة والخوارج، وهؤلاء قوم من المتأخرين منهم»[(٢)].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «الإمامية تخالف أهل البيت في عامة أصولهم، فليس في أئمة أهل البيت ـ مثل علي بن الحسين[(٣)] وأبي جعفر الباقر[(٤)]، وابنه جعفر بن محمد الصادق[(٥)] ـ من كان ينكر الرؤية، أو يقول بخلق القرآن، أو ينكر القدر، أو يقول

(١) وإنما أذكر هنا ما يفي بالغرض دون الإحاطة والعرض، ويكفي من القلادة ما يحيط بالعنق، وقد كتب في اعتقاد الرافضة في القرآن مؤلفات، ومن أوسعها ـ حسب علمي ـ كتاب موقف الرافضة من القرآن الكريم للدكتور/ مامادو، وهي رسالة ماجستير، نوقشت في الجامعة الإسلامية.

(٢) مقالات الإسلاميين ١/ ٤٠.

(٣) هو زين العابدين: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي، وكان من أئمة المسلمين، وانتسب إليه الرافضة زورا، توفي سنة ٩٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٨٦.

(٤) هو الباقر: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي أبي طالب، وهو من أئمة المسلمين، وانتسب إليه الرافضة، وعدوه من أئمتهم، توفي سنة ١٢٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٠١.

(٥) هو جعفر الصادق: جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي

بالنص على علي، أو بعصمة الأئمة الاثني عشر، أو يسب أبا بكر وعمر، والمنقولات الثابتة المتواترة عن هؤلاء معروفة موجودة، وكانت مما يعتمد عليه أهل السنة.

وشيوخ الرافضة معترفون بأن هذا الاعتقاد في التوحيد والصفات والقدر لم يتلقوه لا عن كتاب ولا سنة، ولا عن أئمة أهل البيت، وإنما يزعمون أن العقل دلهم عليه، كما يقول ذلك المعتزلة ـ وهم في الحقيقة إنما تلقوه عن المعتزلة ـ وهم شيوخهم »(١).

ولا شك أن الروافض قولهم في القرآن موافق لقول المعتزلة في أنه مخلوق، خصوصا المتأخرين منهم؛ وإنما هناك فرقا يسيرا، وهو أنهم يقولون: إنه محدث، ولا يقولون: إنه مخلوق؛ كما بين ذلك شيخ الإسلام ﷺ في منهاج السنة؛ فقال: « أتريد به أنه حادث في ذاته؟ أم حادث منفصل عنه؟.

والأول: قول أئمة الشيعة المتقدمين والجهمية والمرجئة والكرامية، مع كثير من أهل الحديث وغيرهم.

ثم إذا قيل: "حادث" أهو حادث النوع فيكون الرب قد صار متكلما بعد أن لم يكن متكلما؟ أم حادث الأفراد، وأنه لم يزل متكلما إذا شاء؟ والكلام الذي كلم به موسى ـ مثلا ـ هو حادث، وإن كان نوع كلامه قديما لم يزل؟.

فهذه ثلاثة أنواع تحت قولك: وقد علم أنك إنما أردت النوع الأول، وهو قول متأخري الشيعة، الذين جمعوا بين التشيع والاعتزال؛ فقالوا: إنه مخلوق خلقه الله منفصلا عنه، والإمامية وإن قالوا: هو محدث، وامتنعوا أن يقولوا: هو مخلوق؛ فمرادهم بالمحدث، هو مراد هؤلاء بالمخلوق، **وإنما النزاع بينهم لفظي** »(٢).

ومن أعظم ما تميز به الرافضة في اعتقادهم في القرآن الكريم قولهم فيه

=

القرشي، أبو عبد الله، وهو من أئمة المسلمين، وانتسب إليه الرافضة زورا، ويعد ـ عند الإمامية ـ سادس الأئمة الاثني عشر، توفي سنة ١٤٨هـ. انظر: معجم المؤلفين٣/ ١٤٥.

(١) منهاج السنة ٢/ ٣٦٨-٣٦٩.

(٢) منهاج السنة ٢/ ٣٧٠-٣٧١.

بالتحريف والزيادة والنقصان(١)، والرافضة سموا رافضة لكونهم يطعنون في الصحابة ﷺ، ومعلوم أن الذين نقلوا إلينا الدين: القرآن والسنة، هم الصحابة ﷺ، وحتى يسهل الطعن في الوحيين، وجه الرافضة سهامهم إلى ناقليه، ولهذا قال الإمام أبو زرعة الرازي رحمه الله: «**إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق**، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة»(٢).

فالروافض طعنوا في الصحابة ﷺ فسهل عليهم الطعن في المنقول عن طريقهم، سواء كان قرآنا أو كان سنة.

والروافض شابهوا اليهود من نواحٍ عدة، ومنها: أن اليهود حرفوا التوراة، وكذلك الرافضة حرفوا القرآن، بالتأويلات السخيفة والاعتقادات الزائفة، حيث جوزوا فيه التحريف والنقص والزيادة(٣).

ومخالفة الروافضِ في كون القرآن الموجود بين دفتي المصحف هو القرآن المنزل على محمد ﷺ أمر معلوم متواتر، وسأذكر ما يدل على ذلك:

ومن ذلك زعمهم أن من ادعى أنه جمع القرآن كله غير علي ﷺ فقد كذب!! ومن ثم قالوا: إن الصحابة وعلى رأسهم الأئمة الراشدون، والخلفاء الثلاثة المهديون: أبو بكر وعمر وعثمان ﷺ قد حرفوا القرآن، وغيروا فيه، وأنقصوا منه سورا وآيات!!(٤).

---

(١) انظر: حقيقة الخلاف بين علماء الشيعة وجمهور علماء المسلمين ص٨.

(٢) الكفاية في علم الرواية للخطيب الغدادي ص ٩٧، وأورده الحافظ ابن حجر في الإصابة ١/ ١٠.

(٣) انظر: الفصل في الملل والنحل لابن حزم ٢/ ٨٧، المعتمد في أصول الدين ص٢٥٩، منهاج السنة ١/ ٣٢.

(٤) انظر: الكافي للكليني: كتاب الحجة، باب/ أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة!! ١/ ١٧٨، الاحتجاج للطبرسي ١/ ٤٦، ودلائل الإمامة للطبري الرافضي ص ٢٧، أجوبة الشبهات لدستغيب الرافضي

بل زعموا أن القرآن الحقيقي لا يمسه إلا المطهرون!! ولا يمكن لغيرهم أن يعلموه، أو يمسوه!![1].

وقالوا: «إن القرآن قد غير وبدل، وخولف بين نظمه وترتيبه، وأحيل عما أنزل إليه، وقرئ على وجوه غير ثابتة عن الرسول ﷺ، وأنه قد نقص منه، وزيد فيه!!»[2].

ولِمَا في القول بنقص القرآن وعدم حفظه من حمق مشوب بكفر وسفه، تبرأ منه علماء الرافضة، لئلا يبقى عارا عليهم، لكن هل كان تبرؤهم تقية منهم!؟، أم يقصدون بأن القرآن غير المحرف القرآن المدعى بأنه قرآن علي ﷺ، أو قرآن فاطمة ﷺ المحفوظ عند الغائب مهديهم!!؟[3].

ومنهم الذي يحرفون الكلم عن مواضعه، فادعوا أن هذا القول ليس قولا لهم فقط!! بل هو قول بعض أهل السنة!![4] كما يقول الطبرسي[5]: «أما الزيادة فيه فمجمع على بطلانها، وأما النقص: فقد روي عن قوم من أصحابنا، وقوم من حشوية العامة، والصحيح خلافه»[6].

= ص١٣١-١٣٢.

(١) انظر: فصل الخطاب للطبرسي ص٦-٧ من الطبعة الحجرية.

(٢) لمعتمد في أصول الدين للفراء ص٢٥٨.

(٣) انظر: مقدمة كتاب: الإمامة والرد على الرافضة لأبي نعيم الأصبهاني للشيخ د.علي بن ناصر فقيهي ص١٢٤.

(٤) وقد سبق أن ذكرت أن أهل السنة مجمعون على أن القرآن هو الموجود بين الدفتين، وما سوى ذلك فهو إما منسوخ، أو تفسير للقرآن من النبي ﷺ، أو من الصحابة ﷺ ليس إلا، ولهذا كَفَّرَ أهل السنة من قال: إن القرآن ناقص أو زائد، ولو حرفا واحدا مما لم يرو على وجه التواتر من طريق القراءات الثابتة، وأفتوا بضلال وكفر من اعتقد الزيادة والنقصان في القرآن الكريم مطلقا، ونظرة واحدة إلى تفاسير أهل السنة في سورة الحجر، الآية ٩، تبين لك كم هم متفقونفي هذا القول. انظر: أي تفسير شئت من تفاسير أهل السنة عند الآية المشار إليها، وانظر: الشيعة الاثنا عشرية وتحريف القرآن لمحمد السيف ص٤ وما بعدها.

(٥) هو الرافضي المتكلم: الطبرسي:حسين بن محمد تقي الدين ابن محمد بن علي النوري الطبرسي، من مؤلفاته: فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب!!، كشف الأستار عن وجه الغائب عن الأبصار، توفي سنة ١٣٢٠هـ. انظر: معجم المؤلفين ٤/ ٤٦.

(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي، وانظر: جذور الإنحراف لحسين المعتوق الرافضي ص٢٧٠، =

وما زعمه من نسبة القول إلى قومه، فهو على وجهه ومحله، وما نسبه إلى السنة ـ وسماهم الحشوية ـ فكذب مفضوح ودجل صريح، كيف وأهل السنة قد أجمعوا: على أن ما ثبتت قرآنيته بالتواتر، فهو موجود بين دفتي المصحف، مسطر فيه، وأن ما ليس فيه، فهو: إما نقل آحادا لا يعدوا أن يكون رأيا، أو قرآنا نسخ، أو حرفا ألغي في العرضة الأخيرة، وهذا الحق الذي ليس فيه ريب، وهو اليقين الذي دل عليه كلام الرب ﷻ وكلام الحبيب ﷺ وكلام الأصحاب ﷺ[(١)].

وقالوا: إن المصحف الموجود ليس كاملا[(٢)]، كما في كتبهم، وإليك بعض نصوصهم: «عن جابر الجعفي[(٣)] قال: سمعت أبا جعفر يقول: ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما أنزله الله تعالى إلا علي بن أبي طالب، والأئمة من بعده!!»[(٤)]، ورووا «عن جابر الجعفي عن أبي جعفر أنه قال: ما يستطيع أحد يدعي أن عنده جميع القرآن ظاهره وباطنه إلا الأوصياء!!»[(٥)].

ويقولون بأن هناك مصحفا آخر، وهو عقيدة يدينون بها، أو ينكرونها تقية، فمن جملة ما في كتبهم: عن «أبي عبد الله يقول: تظهر الزنادقة سنة ثمان وعشرين ومائة، وذلك أني نظرت في مصحف فاطمة (ع) قال: قلت: وما مصحف فاطمة؟ قال: إن الله تعالى لما قبض نبيه ﷺ دخل على فاطمة (ع) من وفاته الحزن ما لا يعلمه إلا الله ﷻ ؛ فأرسل الله إليها ملكا يسلي غمها، ويحدثها، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين (ع) فقال: إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولي لي؛ فأعلمته بذلك؛ فجعل أمير

= ٢٦٩، ٢٧٤، وذكر الروايات مبتورة للوصول إلى مقصده، والقول بأن أهل السنة يقولون بالنقص في القرآن الكريم!!.

(١) انظر: أقوال أهل السنة في أن القرآن هو الموجود بين دفتي المصحف، في الفصل الرابع من الباب الأول.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٤١.

(٣) هو الكذاب الجعفي: جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي الكوفي أحد علماء الشيعة، توفي سنة: ١٦٧هـ انظر: سير أعلام النبلاء ميزان الاعبدال ١/ ٣٧٩.

(٤) الكافي للكليني، كتاب الحجة، باب/ أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة!! وأنهم يعلمون علمه كله ١/ ١٧٨.

(٥) المصدر نفسه.

المؤمنين (ع) يكتب كلما سمع، حتى أثبت من ذلك مصحفا!!!، قال: ثم قال: أما إنه ليس فيه شيء من الحلال والحرام، ولكن فيه علم ما يكون!!»[(١)].

فهؤلاء الرافضة يعتقدون أن القرآن غير موجود؛ لأنه لم يجمعه إلا الأئمة، واختفى باختفاء مهديهم!![(٢)].

وهذا الكلام من أساسه ليس إلا افتراء على أبي جعفر رحمه الله، وإلا فإن عليا رضي الله عنه قد ولي الخلافة مدة خمس سنوات، فلم لم يأمر الناس بإحراق المصاحف التي كتبت في عهد عثمان رضي الله عنه، وإظهار المصحف الذي زعمه الرافضة، فهذا أوضح دليل على بطلان قولهم الكليل، وسخفهم العليل[(٣)].

ومما يزعمون أنه سقط من القرآن وهم يحفظونه!! ـ سورة النورين!![(٤)] وسورة الولاية!![(٥)].

ومنهم طائفة تقول: إن القرآن الكريم الموجود بين دفتي المصحف كامل،

---

(١) الكافي للكليني، كتاب الحجة، باب/ أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة!! وأنهم يعلمون علمه كله ١/ ١٨٥-١٨٦.

(٢) أي أن الحجة على الخلق غير قائم لعدم وجود ما يتعبدون به، وهو القرآن!!، فيفتي الفقهاء منهم، والعلماء والزهاد بما يرونه؛ لأنه لا قرآن، حتى يرجع القرآن بواسطة القائم!! ـ اللهم رحماك من مذهب هذا عقيدته في كتابك ـ.

(٣) انظر: مقدمة كتاب: الإمامة والرد على الرافضة لأبي نعيم الأصبهاني للشيخ د. علي بن ناصر فقيهي ص١٢٥-١٢٦.

(٤) ذكر هذه السورة كل من: ١ ـ الطبرسي في فصل الخطاب ص١٨٠. ٢ ـ محمد باقر المجلسي في كتابه تذكرة الأئمة ص١٨-١٩ باللغة الفارسية!!. ٣ ـ كتاب (دبستان مذاهب) باللغة الفارسية. ٤ ـ ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوني في كتابه: مناهج البراعة في شرح نهج البلاغة ٢/ ٢١٧، وانظر: كتاب الشيعة الاثنا عشرية وتحريف القرآن لمحمد السيف ص٨١-٨٣.

(٥) ذكر هذه السورة كل من: ١ ـ ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوني في كتابه: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ٢/ ٢١٧. ٢ ـ محمد باقر المجلسي في كتابه تذكرة الأئمة ص١٩-٢٠ باللغة الفارسية، منشورات مولانا من إيران، وانظر: الشيعة الاثنا عشرية وتحريف القرآن ص٨٣. ٣ ـ النوري الطبرسي في فصل الخطاب ص١٨٠، وانظر: عبد الله بن سبأ وإمامة علي بن أبي طالب لعلي عبد الرحمن السلمان ص١١٧، ولم ينكر العلماء المعتبرون الآخرون هذه الروايات!! ولم ينكروا على هؤلاء الموسومين بالآيات!!!!.

ولكن أيكون ذلك منهم تقية أم عقيدة؟[١]. وهؤلاء وإن قالوا بذلك، إلا أن عقيدتهم في القرآن الكريم كعقيدة المعتزلة ـ لو أثبتوه أنه كما أنزل ـ بل هم مضطربون؛ فمنهم من يقول: إنه مخلوق، ومنهم من يقول: إنه نزل أولا معناه جملة إلى محمد ﷺ ثم نزلت ألفاظه وحروفه منجّمة!![٢].

وقد تسمع منهم من يقول: إن القرآن غير مبدل، ولكن ماذا يقصدون؟ وأي شيء يريدون، أهي التقية أم يقصدون مصحفا آخر؟، أو يعنون به القرآن في حال دون حال!! وهذا الكلام مجمل منهم، حيث لم يقولوا بأن القرآن المنـزل على محمد ﷺ لم يحرف، ومن قال منهم: إنه لم يحرف فإنما يقصد المصحف المنـزل عليه ﷺ والموجود مع مهديهم المنتظر!! وليس المنـزل الموجود بين الدفتين، وبعضهم يقول: المصحف الموجود بين الدفتين لم يغير منه ولم ينقص، وهم إنما يعنون مصحف عثمان رضي الله عنه، أي أن التحريف وقع في الأساس قبل جمع عثمان رضي الله عنه، فما جمعه عثمان رضي الله عنه هو بعض ذلك القرآن، وهو لم يتغير، هكذا يقولون ويلبسون[٣]. **وإليك هذا الكلام القاطع لتعلم كم**

---

(١) ولو كانت هذه المسألة عندهم عقدية لوجب أن يكفروا القائلين بنقصان القرآن الكريم وزيادته، والرد عليهم، هلا فعلوا!!!، وهذا الذي ظننته هو اليقين عندي، وقد وقفت على ما يؤيد ظني السابق ما ذكره القاضي أبو يعلى الفراء حيث بين أن أساس مذهب الرافضة مبني على القول بتحريف القرآن، فقال: «ولو ذهب ذاهب إلى ترك مناظرة الرافض ومكالمتهم، لكان قد ذهب مذهبا ليس ببعيد، وذلك أن المتناظرين إنما يتناظران ويَرَدَّان إلى أصل قد اتفق عليه، والأصول التي ترجع إليها الأمة فيما اختلفت فيه: الكتاب والسنة وإجماع الأمة وحجج العقول. وهذه الأصول الأربعة، لا يمكن الرجوع إليها على قول الرافضة، وذلك أن مذهبهم أن الكتاب مغير مبدل، وأنه قد ذهب أكثره؛ فلا يأمن أن يرد إلى آية فتكون منسوخة بآية من القرآن الغائب عنا الذي هو عند الإمام!!...». المعتمد في أصول الدين ص٢٥٩؛ فمن أصول مذهب الرافضة القول بتحريف القرآن الكريم. انظر: صب العذاب على من سب الأصحاب ص٤٧٨.

(٢) انظر: أجوبة الشبهات لدستغيب الرافضي ص١٣٠.

(٣) قال المحشي على كتاب نور البراهين ١/ ٥٢٦: «رويت روايات كثيرة من جهة الخاصة ـ أي الرافضة ـ، والعامة ـ أي أهل السنة ـ بنقصان كثير من آي القرآن!!...، والأولى الإعراض عنها، وترك التشاغل بها، لأنه لا يمكن تأويلها، **ولو صحت لما كان ذلك طعنا على ما هو موجود بين الدفتين؛ فإن ذلك معلوم صحته، لا يعترضه أحد من الأمة ولا يدفعه!!...**، وقد كتب معاصرونا كتبا مستقلة في مسألة عدم وقوع

في كلام القوم من التلبيس، وإليك الأدلة من غير تدليس:

١- أنهم زعموا أن المصحف الكامل لم يعرفه إلا الأئمة، واختفى باختفاء الإمام الثاني عشر!!.

٢- أنهم نصوا على أنه لم يجمع القرآن من الصحابة إلا علي ﷺ؛ وهذا يعني أن غيره لو جمعه فهو كاذب!!، كما نصوا على ذلك.

٣- أنهم قالوا: إن الصحابة قد ارتدوا عن الدين!!؛ فكيف يوثق بنقلهم، وتقبل روايتهم!! وهذا وحده يدل على أن القوم لا يقولون بأن المصحف الموجود هو كلام الله المنـزل كما أنزل على محمد ﷺ، وإلا لزمهم الترضي عن الصحابة، والقول بعدالتهم، إذ هم الرواة والنقلة لهذا المنقول، وفيه الثناء عليهم، والترضي عنهم، وهم لا يقولون بذلك كله.

٤- أنهم ألفوا الكتب، وبينوا أن القرآن قد غير، ويكفي ما قد ذكرت من نصوصهم، وليتضح المقال، انظر لما صنعه أحد ضلالهم حيث ألف كتابا بعنوان: "فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب"، ـ وكتبا أخرى لغيره[(١)] ـ، ويطبع هذا الكتاب، في المطابع الرافضية، ولم ينكره أحد من علمائهم صراحة، وإن وقع الإنكار؛ فهو لعدم مناسبة الزمان!! لا دفاعا عن القرآن!![(٢)].

= التحريف في القرآن المجيد». فهذا يؤكد أن من قال منهم: إنه غير محرف؛ فإنما يعني الموجود من جمع عثمان ﷺ، وأنه كما جمع، وبقي كما جمع. وأما المصحف الحقيقي فيبحثون عنه!! وينتظرونه مع المنتظر!! أما دعواه على أهل السنة فكذب محض.

(١) انظر: مصادر التلقي ص١٣٧-١٣٨.

(٢) قال الشيخ محب الدين الخطيب عن كتاب "فصل الخطاب": «جمع فيه مئات النصوص عن علماء الشيعة، ومجتهديهم، في مختلف العصور بأن القرآن قد زيد فيه، ونقص منه، وقد طبع كتاب الطبرسي هذا في إيران سنة ١٢٩٨هـ، وعند طبعه قامت حوله ضجة؛ لأنهم كانوا يريدون أن يبقى التشكيك في صحة القرآن محصورا بين خاصتهم، ومتفرقا في مئات الكتب المعتبرة عندهم، وأن لا يجمع ذلك كله في كتاب واحد، تطبع منه ألوف النسخ، ويطلع عليه خصومهم، فيكون حجة عليهم، ماثلة أمام أنظار الجميع، ولما أبدى عقلاؤهم هذه الملاحظات، خالفهم فيها مؤلفه، وألف كتابا آخر سماه: "رد بعض الشبهات =

٥- أن صاحب كتاب "فصل الخطاب..." نص على أن القرآن الموجود في المصاحف ليس فيه نزاع، وإنما النـزاع في الأساس؛ فقال في مقدمة كتابه: « هذا كتاب لطيف!! وسفر شريف! عملته في: إثبات تحريف القرآن! وفضائح أهل الجور والعدوان! وسميته: **فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب**، وجعلت له ثلاث مقدمات، وبابين، وأودعت فيه من بدائع الحكمة ما تقر به كل عين!![١]... **المقدمة الأولى**: في نبذ مما جاء في جمع القرآن، وسبب جمعه، وزمانه، وكونه في معرض تطرق النقص والاختلاف بالنظر إلى كيفية الجمع!![٢]. **المقدمة الثانية**: في بيان أقسام الاختلاف والتغيير الممكن حصوله في القرآن، والممتنع دخوله فيه!![٣]. **المقدمة الثالثة**: في ذكر أقوال علمائنا في تغيير القرآن وعدمه[٤] ـ ثم قال بعد أن ذكر زبالة أفكاره، وحثالة رواياته قبل البدء بالمقدمة الثالثة ـ: « واعلم أنه قد ظهر مما مر أنه كان للقرآن حالات: أ ـ حال التفرق والشتات قبل زمان جمع الشيخين. ب ـ حال الاجتماع بعده إلى زمان جمع عثمان. ج ـ حاله بعد جمعه، **ومحل النـزاع في تطرق التغيير فيه، وعدمه، إنما هو في أحد الحالين الأولين، وأما في الأخير فلا خلاف لأحد فيه، بل الكل متفقون على أنه الآن باقٍ على ما كان عليه في عهده**»[٥]، ومن تأمل هذا الكلام يعلم أن « **المؤلف بتفصيله هذا**: إن دعوى النقص في القرآن، ومحل النـزاع فيه هو في جمع القرآن من أساسه في زمن الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما هل جمع كاملا أم لا؟!...، أما

= عن فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب"، وقد كتب هذا الدفاع في أواخر حياته، قبل موته بنحو سنتين» . الخطوط العريضة ص١٤-١٥ .

(١) ربما إذا كان أعور عن الحق، أو أعمى عن الصواب، فتقر بذلك، وأما عيون المتبعين للسنة والقرآن فلا تقر بهذا الهراء، ولا تقر إلا بنفي هذا الخواء، واعتباره من السموم التي تعمي عيون الأتقياء، وتدمع قلوب الصلحاء.

(٢) فصل الخطاب لحسين نوري الطبرسي الرافضي ص٢ من الطبعة الحجرية.

(٣) فصل الخطاب ص٢٤ من الطبعة الحجرية.

(٤) فصل الخطاب ص٢٦ من الطبعة الحجرية.

(٥) فصل الخطاب ص٢٦ من الطبعة الحجرية.

الإجماع المحكي فقد بين المؤلف أن المقصود به أن مصحف عثمان الموجود الآن هو باقٍ على ما كان عليه في عهده، وأن الجميع متفقون على ذلك، أي أن الذي وجد وجمع في عهد عثمان ﷺ لم يغير حتى الآن، ولكنه لا يشتمل على القرآن كله، كما أنزله الله؛ لأنه لم يجمعه كاملا كما أنزل إلا علي بن أبي طالب ﷺ »[(١)].

٦- **ومما يؤكد أن الروافض يقولون بتحريف القرآن الكريم، وأن الموجود منه ناقص ومبدل!! أن الذين** ألفوا وبينوا وذكروا تحريف القرآن الكريم، هؤلاء المؤلفون: « نالوا أكبر تعظيم من الشيعة أنفسهم، وعلى سبيل المثال: الطبرسي، والذي ألف كتابا سماه "فصل الخطاب..." دافعوا عن كتابه لما رُد عليه وعورض في إخراجه؛ فبالله عليك ماذا حدث له؟ هل قتل ردة؟؟، هل سجن؟ هل ضادته الشيعة كما ضاد الدين؟ الجواب كما هو معلوم: لا...!!، بل عزز، وكرّم، ودفن في مكان من أعظم الأمكنة ـ عندهم وأقدسها ـ، وبعض كتبه تعتبر من الكتب الحديثية المعتبرة عند الشيعة...!!»[(٢)].

٧- **ومما يؤكد** أن القوم يرون أن القرآن محرف سعيهم لما اندثر من الخلاف بين الأسلاف، أن يحيوه من جديد بقصد الائتلاف، وقد وجد في عهد أبي حامد الاسفرائيني ﷺ في بغداد طائفة من الناس زعموا أنهم وجدوا مصحفا لابن مسعود ﷺ، وكان فيه خلاف كثير، فأمر الشيخ أبو حامد والفقهاء بإحراقه؛ فثارت ثائرة الشيعة الرافضة!! ـ مع أنهم لا يوقرون ابن مسعود ﷺ ولا يرون قراءته، ومصحفه ـ وفعلوا ذلك إيقادا للرماد، وإيجاد الشبهات لأهل الإلحاد، فقاموا وسبوا وشتموا من أحرق ذاك المصحف!! ووقع بسبب ذلك القتال بين أهل السنة والرافضة في بغداد[(٣)].

٨- **أن القائلين** بتحريف القرآن هم جلة أئمة الشيعة وعلمائهم؛ فإما أن يتبرؤوا منهم!!، أو يقولوا بقولهم، والأول لم يقع، فبقي الثاني، وهو الثابت عنهم، وإنما قد

(١) من كلام شيخنا د. علي بن ناصر فقيهي في مقدمة كتاب الإمامة لأبي نعيم الأصبهاني ص١٣٥.

(٢) علماء الشيعة يقولون ص٦.

(٣) انظر: شذرات الذهب ٣/ ١٤٩.

يقولون بأنه لم يحرف تقية من غير تصريح[١]. ومما يدل على أن من أنكر التحريف فإنما ذلك تقية أمور كثيرة ـ غير ما ذكرته ـ ومنها على سبيل الإيجاز: أ ـ أنهم لم يؤلفوا كتبا في الرد على من قال بالتحريف على وجه التصريح، ولم يرتبوا عليه حكما شرعيا كالردة. ب ـ أنهم يلقبون القائلين بالتحريف بالأئمة والآيات والأعلام!! ويتخذونهم مراجع!! ج ـ أن من أنكر منهم النقص والتحريف فلماذا لا يذكر ما يثبت ذلك من أقوال الأئمة، كما أثبت القائلون بالتحريف الأقوال عن أئمتهم بالتحريف؟! إلا أن لا يكون ذلك واردا عن الأئمة وإنما هو اجتهاد منه!! د ـ أنه قد ثبت عن الأئمة النقل بالتحريف، وفي تأويلها تعسف، فإما أن يردوها ـ وهي متواترة!! ـ أو أنهم يقولون بها، أو يخالفونها تقية!![٢].

أن متأخري الروافض كأوائلهم ـ إلا من كان منهم طالبا للحق، غير عامل بالتقية، كبعض المتأثرين بالاعتزال في المقال ـ؛ فهذا رافضي متأخر يقول: «والحاصل فالأخبار من طريق أهل البيت (ع) أيضا كثيرة، إن لم تكن متواترة، **على أن القرآن الذي بين أيدينا ليس هو القرآن بتمامه كما أنزل على محمد (ص)!! بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله، ومنه ما هو محرف، ومغير!!، وأنه قد حذف منه أشياء كثيرة!!! منها اسم علي (ع) في كثير من المواضع، ومنها لفظة آل محمد (ع)، ومنها أسماء المنافقين، ومنها غير ذلك!! وأنه ليس على الترتيب المرضي عند الله**[٣]، **وعند رسول الله(ص)!!**»، ثم ذكر أمثلة كثيرة بزعمه آيات

---

(١) وقد ذكر مؤلف كتاب: الشيعة الإثنا عشرية وتحريف القرآن علماء الشيعة القائلين بالتحريف، وعد منهم العشرات من كبار علمائهم، وأئمتهم. انظر: ص ٩-٣٩، وذكر المصنف ستة من كبار علماء الشيعة القائلين بأن التحريف في القرآن الكريم متواتر ومستفيض!!. انظر: ص٤٠-٤١، وذكر من علمائهم من يقول: إن القول بتحريف القرآن من ضروريات المذهب الرافضي الشيعي. انظر: ص٤٢، ثم أورد أسماء وأقوال علماء الشيعة الروافض القائلين بأن تحريف القرآن أمر مجمع عليه بين الروافض جميعهم. انظر: ص٤٣، ثم ذكر المصنف بعض العلماء القائلين بعدم التحريف "تقية" وعد منهم ثلاثة فقط. انظر: ص٨٤، وانظر كتاب: عبد الله بن سبأ وإمامة علي بن أبي طالب لعلي بن عبد الرحمن السلمان ص ١٠٦ وما بعدها.

(٢) انظر: هذه الوجوه في كتاب: الشيعة الإثنا عشرية وتحريف القرآن لمحمد السيف ص ٨٥.

(٣) وهذا الكلام من الرافضة بالاتفاق ـ سواء منهم من قال بتحريف القرآن صراحة، أو الذين قالوا: بعدم التحريف تقية ـ يقولون: إن القرآن الموجود ليس على الترتيب المرضي عند الله ﷻ. انظر: أجوبة الشبهات لدستغيب الرافضي ص١٣١، حيث يقول: «أما سبب عدم جمع القرآن وترتيبه على كيفية النزول؛ فهو يُعد بشكل عام واحدا من المحروميات التي أصيبت بها الأمة، والمجتمع الإسلامي، نتيجة =

حرفت!!، وأوردُ مثالا واحدا ليطلع ـ على عقائد هؤلاء ـ المنصف المتبع للحق، قال: « أما ما كان خلاف ما أنزل الله؛ فهو قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[آل عمران:١١٠] **فقال أبو عبد الله (ع)** لقارئ هذه الآية: خير أمة تقتلون أمير المؤمنين؟[١]، والحسين بن علي (ع)!!؛ فقيل له: كيف نزلت يا ابن رسول الله؛ فقال: إنما نزلت **"خير أئمة أخرجت للناس"** »[٢]، **فهذا يؤكد أن أي شيعي فلا بد أن يعتقد تحريف القرآن؛ لأنه ثابت عندهم عن الإمام المعصوم!!، وإلا فليطرحوا جميع رواتهم، وليتركوا جميع مروياتهم**، وانظر إلى آخر على شكله، وهو يقول: « **إن الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد (ص) باختلاف القرآن، وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان!!...، وأما النقصان فإن العقول لا تحيله، ولا تمنع من وقوعه!!** »[٣]، وهؤلاء المتأخرون يؤلفون حول تحريف القرآن كأوائلهم؛ فيقولون: « إن جماعة من المحدثين، وحفظة الأخبار

= التخلف والانحراف عن خط أهل البيت »، وقد سبق أن بينت أن ترتيب السور على ما هي عليه سواء قلنا: إنه توقيفي ـ وهو الرأي الراجح ـ أو قلنا: إنه باجتهاد من الصحابة ﷺ بما فيهم علي ﷺ فإنه مرضي عند الله ﷻ، إذ الأمة لا تجتمع على ضلالة؛ فثبت على قولي أهل السنة أن هذا الترتيب هو الترتيب الذي رضيه الله ﷻ، وحفظ على ترتيبه كتابه، قال ابن حزم رحمه الله ـ مبينا أن ترتيب السور هو المرضي عند الله تعالى؛ فـ « رتبة الآية، ورتبة السور مأخوذة عن الله ﷻ إلى جبريل، ثم إلى النبي ﷺ، لا كما يظنه أهل الجهل أنه ألف بعد موت النبي ﷺ، ولو كان ذلك ما كان القرآن منقولا نقل الكافة، ولا خلاف بين المسلمين، واليهود، والنصارى، والمجوس أنه منقول عن محمد ﷺ نقل التواتر ». الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٢/ ٢٧٧، وابن حزم ﷺ من العلماء الذين يرى أن الترتيب توقيفي.

(١) ومعلوم أن الخطاب بأنهم خير أمة موجه للصحابة ﷺ، والذين قتلوا عليا والحسن والحسين هم الخوارج والرافضة أنفسهم!!؛ فلا وجه لإيراد الإنكار، إلا التحريف والكذب والاستكبار.

(٢) مشارق الشموس في أحقية مذهب الإخبارية للعلامة الحجة السيد!!عدنان بن السيد علوى آل الموسوي البحراني المتوفى سنة ١٣٤٨هـ، ص١٢٧، وممن يقول بتحريف القرآن الكريم من المتأخرين الخوئي المتوفى سنة ١٤١٣هـ، وهو مرجع الشيعة الإمامية في هذا الزمان!!؛ فهو يؤكد أن روايات الشيعة في تحريف القرآن لا تثبت لأنها آحاد، وحتى لا يلام في الإنكار جعل لنفسه خط رجعة فقال مبينا أنها تعتضد، و« تورث القطع بصدور بعضها عن المعصومين، ولا أقل من الاطمئنان إلى ذلك!! ». انظر: البيان في تفسير القرآن له ص٢٢٦.

(٣) أوائل المقالات ص٩١، نقلا عن كتاب علماء الشيعة يقولون ص٢٢٥، ١٨.

استظهروا التحريف بالنتيجة من الأخبار، ولذلك ذهبوا إلى التحريف بالنقصان!!»[١]، ثم ذكر هذا القائل جمعا غفيرا منهم[٢]، وأمثلة على ما زعم أنه محرف، أو ناقص منه!! بل إن القول بالتحريف عند الروافض بلغ مبلغ التواتر، قالوا: «روى أصحابنا، ومشايخنا في كتب الأصول من الحديث وغيرها، **أخبارا كثيرة بلغت حد التواتر في أن القرآن قد عرض له التحريف، وكثير من النقصان والزيادة!!**»[٣]، **ويجلي هذا أن كتاب "فصل الخطاب..."** يذكره كثير من علمائهم، ولا يكفرون مؤلفه، بل يجلونه، ويوقرونه[٤]، ومعلوم أن الرضا بالكفر كفر، فإما أن يكون قال كفرا؛ فلا يكون إماما إلا في الكفر والضلالة، أو يكون قال حقا؛ فيتبع!!، وهذا الذي فعلوه ـ وهو اتباعه ـ حقيقة، وأنكروا قوله تقية.

١٠- **قال أبو الحسن الأشعري** رحمه الله: «واختلف الروافض في القرآن، هل زيد فيه أو نقص منه؟! وهم ثلاث فرق: **فالفرقة الأولى**: منهم يزعمون أن القرآن قد نقص منه، وأما الزيادة فلذلك غير جائز أن يكون قد كان، وكذلك لا يجوز أن يكون قد غير منه شيء عما كان عليه؛ فأما ذهاب كثير منه فقد ذهب كثير منه!!، والإمام يحيط علما به!!... **والفرقة الثالثة منهم**: وهم القائلون بالاعتزال[٥]، والإمامة، يزعمون أن القرآن ما نقص منه، ولا زيد فيه، وأنه على ما أنزل الله تعالى على نبيه ﷺ لم يغير، ولم يبدل، ولا زال على ما كان»[٦].

١١- **أن هذا القول**، وهو القول بالتحريف مشهور منذ العصور القديمة، **حتى أن ابن حزم** رحمه الله لم يعدهم من المسلمين، بسبب هذا القول المهين في القرآن المبين؛

(١) آراء حول القرآن لآية الله العظمى الأصفهاني ص٨٨.
(٢) وانظر: تفسير البرهان للقمي ١/ ٧٩، مرآة العقول ١٢/ ٥٢٥، كتاب الصافي في تفسير القرآن ١/ ٧٥.
(٣) نور البراهين ١/ ٥٢٦، مصابيح الأنوار ص٢٥٩، من كتاب علماء الشيعة يقولون ص ١٩، ١٧.
(٤) انظر: مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل للطبرسي ١/ ٥٠ من المقدمة.
(٥) وهذا يؤكد أن الذين يغلبون جانب العقل، وقد يسمون أنفسهم بالعقلانيين، ويخالفون الإخباريين الفقهاء قديما وحديثا لا يرون تحريف القرآن ـ اللهم إلا أن يكون تقية أيضا ـ!!
(٦) مقالات الإسلاميين ص ٤٧.

فقال: «وأما قولهم - أي قول أهل الكتاب - في دعوى الروافض تبديل القرآن؛ فإن الروافض ليسوا من المسلمين»[١]، وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «وكذلك - أي يكفر - من زعم منهم أن القرآن نقص منه آيات وكتمت[٢]، أو زعم أن له تأويلات باطنة تسقط الأعمال الشرعية، ونحو ذلك، وهؤلاء يسمون القرامطة، ومنهم التناسخية، وهؤلاء لا خلاف في كفرهم»[٣].

وبهذا يظهر لكل منصف أن الروافض يقولون بتحريف القرآن الكريم، سواء صراحة، أو تلبيسا وتدليسا، أو ينفون ذلك تقية، وأن من قال منهم صراحة بنفي ذلك وكفر القائل بذلك فهم قلة - إن وجدوا -.

وأما الجواب عن شبهة الرافضة في ادعائهم النقص والزيادة في القرآن الكريم فمن وجوه عدة:

١ - قول الله ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر:٩] فقد ضمن الله ﷻ حفظ كتابه بهذه الآية، ولم يكل أمر حفظه إلى أحد من البشر، فمعنى الآية «إنا نحفظ ذلك الذكر، من التحريف والزيادة والنقصان... إن أحدا لو حاول تغيير حرف أو نقطة لقال له أهل الدنيا: هذا كذب، وتغيير لكلام الله، حتى إن الشيخ المهيب لو اتفق له لحنٌ، أو هفوة، في حرف من كتاب الله تعالى لقال له الصبيان: أخطأت أيها الشيخ، وصوابه كذا وكذا...، واعلم أنه لم يتفق لشيء من الكتب مثل هذا الحفظ؛ فإنه لا كتاب إلا وقد دخله التصحيف والتحريف والتغيير، إما في الكثير منه، أو في القليل، وبقاء هذا الكتاب مصونا من جميع جهات التحريف - مع أن دواعي الملاحدة، واليهود، والنصارى، متوفرة على إبطاله، وإفساده - من أعظم المعجزات»[٤].

(١) الفصل في الملل والنحل لابن حزم ٢/ ٧٨.

(٢) كقول الروافض إن الصحابة كتموا آيات من القرآن الكريم!!

(٣) الصارم المسلول على شاتم الرسول ص٤٢٠.

(٤) مفاتيح الغيب للرازي ١٩/ ١٦٠-١٦١.

٢- قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ۝ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾[فصلت:٤١-٤٢] وهذه الآية نص على أن من لم يعتقد حفظ القرآن وصيانة الذكر المنـزل فإنه من الذين كفروا بالذكر، والمراد بالذكر "القرآن الكريم"[(١)].

٣- قوله ﷻ: ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾[البقرة:١-٢] وكيف يكون هدى للمتقين وهو ناقص؛ فلا ريب أنه كتاب معظم محفوظ ممجد، لا يأتيه الريب والشك، لا في لفظه، ولا في معناه، ولهذا كان هدى للمتقين، وهؤلاء المتقون من سماتهم أنهم يؤمنون بالمنـزل على محمد ﷺ كما في الآيات بعدها، ويؤمنون بما أنزل من قبل، وقد جاء الخبر في القرآن بأن ما أنزل من قبل غير، وصدقنا القرآن، وجاء الخبر في القرآن بأن القرآن محفوظ؛ فنصدق القرآن إن كنا مؤمنين به حقا.

٤- « قال ابن عباس ﭬ وقد سئل: أترك النبي ﷺ من شيء؟ قال: ما ترك إلا ما بين الدفتين، وقال محمد ابن الحنفية مثل ذلك »[(٢)]، وترجم له الإمام البخاري ﬔ فقال: « باب من قال: لم يترك النبي ﷺ إلا ما بين الدفتين »[(٣)]، قال الحافظ ﬔ: « هذه الترجمة للرد على من زعم أن كثيرا من القرآن ذهب لذهاب حملته، وهو شيء اختلقه الروافض، لتصحيح دعواهم أن التنصيص على إمامة علي واستحقاقه الخلافة عند موت النبي ﷺ ثابت في القرآن، وأن الصحابة كتموه، وهي دعوى باطلة؛ لأنهم لم يكتموا مثل: "أنت مني بمنـزلة هارون من موسى"[(٤)]، وغيرها من الأمور التي قد

---

(١) يقول أحد الروافض في شرحه للآية المذكورة: « العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، وهذا لا ينافي تطرق التغيير لما بين أيدينا من القرآن، وهو ما بين الدفتين؛ لأن ذلك الوصف باعتباره في نفسه!! » الأنوار الوضية في العقائد الرضية ص٢٨، نقلا عن كتاب علماء الشيعة يقولون ص ٢٠، وذكر المحشي أن علماء الرافضة اختلفوا في هذه المسألة!! وهل يختلف المسلمون في كتاب ربهم، وأنه من عنده، وأنه باق كما أنزله، إلا من طمست بصيرته، وعميت فطرته، ودنست عقيدته بعقيدة الطعن في الإسلام وحملته.

(٢) رواهما البخاري معلقا مجزوما به، كتاب فضائل القرآن، باب/ ١٦، ح(٥٠١٩).

(٣) صحيح الإمام البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ ١٦، ص١٠٩٢.

(٤) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب/ من فضائل علي ﭬ، ح(٢٤٠٤) عن سعد بن أبي وقاص ﭬ.

يتمسك بها من يدعي إمامته، كما لم يكتموا ما يعارض ذلك، أو يخصص عمومه، أو يقيد مطلقه، وقد تلطف المصنف في الاستدلال على الرافضة بما أخرجه عن أحد أئمتهم ـ الذين يدعون إمامته ـ وهو محمد بن الحنفية وهو ابن علي ابن أبي طالب؛ فلو كان هناك شيء ما، يتعلق بأبيه لكان هو أحق الناس بالإطلاع عليه، وكذلك ابن عباس ﷺ فإنه ابن عم علي ﷺ، وأشد الناس له لزوما، واطلاعا على حاله»[١].

٥- **دليل الإجماع**: فـ «القرآن جمع بمحضر من الصحابة ـ بما فيهم علي ﷺ ـ، وأجمعوا عليه، ولم ينكر منكر، ولا رد أحد من الصحابة ذلك، ولا طعن فيه، ولو كان مغيرا مبدلا، لوجب أن ينقل عن أحد من الصحابة أنه طعن فيه؛ لأن مثل هذا لا يجوز أن يكتم في مستقر العادة، ولو جوزنا ذلك، لوجب أن يجوز على الله ﷻ قد أوجب أكثر من خمس صلوات، وأوجب صوم شهر أكثر من شهر رمضان، ولما بطل ذلك، وجب القطع بأن القرآن ما غير ولا بدل»[٢]، قال ابن حزم ﷀ: «إن عثمان بن عفان ﷺ لم يك[٣] إلا وجزيرة العرب كلها مملوءة بالمسلمين، والمصاحف، والمساجد، والقراء يعلمون الصبيان والنساء، وكل من دب وهب، واليمن كلها، وفي أيامه مدن وقرى، والبحرين كذلك، وعمان كذلك، وهي بلاد واسعة مدن وقرى، وملكها عظيم، ومكة، والطائف، والمدينة، والشام كلها كذلك، والجزيرة كذلك[٤]، ومصر كلها كذلك، والكوفة، والبصرة كذلك، في كل هذه البلاد من المصاحف والقراء ما لا يحصي عددهم إلا الله تعالى وحده، فلو رام عثمان ﷺ ما ذكروا ما قدر على ذلك أصلا، وأما قولهم: إنه جمع الناس على مصحف فباطل، ما كان يقدر على ذلك لما ذكرنا، ولا ذهب عثمان ﷺ قط إلى جمع الناس على مصحف كتبه، إنما خشي ﷺ أن يأتي فاسق يسعى في كيد الدين، أو أن يهم واهم من أهل الخير؛ فيبدل شيئا من المصحف، يفعل

(١) الفتح ٨/ ٦٨٣.

(٢) المعتمد في أصول الدين للفراء ص٢٥٨.

(٣) أي لم يول الخلافة بعد.

(٤) المقصود بالجزيرة ما بين النهرين دجلة والفرات.

ذلك عمدا، وهذا وهما؛ فيكون اختلاف يؤدي إلى الضلال؛ فكتب مصاحف مجتمعا عليها، وبعث إلى كل أفق مصحفا، لكي إن وهم واهم، أو بدل مبدل رجع إلى المصحف المجتمع عليه؛ فانكشف الحق، وبطل الكيد، والوهم فقط »[١]، فكتابة عثمان ﷺ للقرآن إنما كانت لإبقائه أصلا يرجع إليه عند التحاكم والاختلاف، وهو أشبه ما يكون بتدوين السنة؛ فإذا اختلف في حديث ما رجعنا إلى الأصول المؤلفة، ويطرح ما عدا ذلك، وهكذا فعل عثمان ﷺ حيث جمع القرآن الذي عرض في العرضة الأخيرة، وطرح ما سواه مما كان رواية، أو تفسيرا، أو منسوخا، أو قولا لصاحب.

٦- كيف يقال إن الصحابة ﷺ اجتمعوا على النقص في المصحف، أو الزيادة منه، ولو « رام اليوم أحد أن يزيد في شعر النابغة، أو شعر زهير كلمة، أو ينقص أخرى ما قدر، لأنه كان يفتضح الوقت، وتخالفه النسخ المثبوتة؛ فكيف بالقرآن في المصاحف،وهي من آخر الأندلس، وبلاد البربر، وبلاد السودان إلى آخر السند، وكابل، وخراسان، والترك، والصقالبة، وبلاد الهند، فما بين ذلك، **فظهر حمق الرافضة، ومجاراتها بالكذب** »[٢].

٧- لو فُرض التغيير والتبديل، أو الزيادة أو التقليل، لما كان لأسد الله وأسد رسوله علي ﷺ أن يسكت، وهو من هو في إجلاله لعظمة الله، وحميته لدين الله ﷻ؛ فلما وقع منه الرضا بما في المصحف، وعدم الاعتراض عليه، من غير إكراه، علمنا أنه على ما أنزل، ثم أيضا ولي الخلافة، فلِمَ « لم يبينه ويصلحه، ويبين للناس بيانا عاما، أنه أصلح ما كان مغيرا؛ فلما لم يفعل ذلك، بل كان يقرأه، ويتلوه، دل أنه غير مبدل، ولا

---

(١) الفصل في الملل والنحل لابن حزم ٢/ ٧٧، فقول ابن حزم ﷺ أن الكتابة إنما كانت بسبب الخوف، وهو سبب، ولكن الأساس أنهم اختلفوا في الأحرف؛ فمنهم من كان يقرأ بمنسوخ ولا يعلم، ومنهم من كان يقرأ بآية نزلت ولا يعلم بها الآخر، فجمعهم على ما كان قرآنا بقي ورسول الله ﷺ توفي وهي من الآيات المحكمة الباقية رسما وحكما، أو رسما فقط؛ فجمعهم عثمان عليها، وأخذ ذلك مما جمعه أبو بكر ﷺ، ولم يفعل شيئا جديدا إلا أنه أمر بترتيب السور بحسب ما سمعوه ورأوه، وأمر بما عدا ذلك من المصاحف فحرقت حتى لا تكون سببا للخلاف.

(٢) الفصل في الملل والنحل لابن حزم ٢/ ٨٠.

مغير »[١]، لأن « القرآن يقرأ في المساجد في كل مكان، وهو يؤم الناس به، والمصاحف معه، وبين يديه، فلو رأى فيه تبديلا ـ كما تقول الرافضة ـ أكان يقرهم على ذلك، ثم إلى ابنه الحسن، وهو عندهم كأبيه، فجرى على ذلك؛ **فكيف يسوغ لهؤلاء النوكى أن يقولوا: إن في المصحف حرفا زائدا، أو ناقصا، أو مبدلا مع هذا، ولقد كان جهاد من حرّف القرآن، وبدل الإسلام أَوْكَدُ عليه من قتال أهل الشام الذين إنما خالفوه في رأي يسير رأوه، ورأى خلافه فقط، فلاح كذب الرافضة، ببرهان لا محيد عنه، والحمد لله رب العالمين »**[٢].

٨- **ثم إذا كان** هذا الموجود ليس هو القرآن المنـزل كما أنزل، فأين هو القرآن المنـزل؟!؟[٣]؛ فإن قالوا: إنه مع المنتظر، وإذا ظهر سيظهر، فإن هذا يقوله كل مدع، وإلا فإن الأصل أنه لا يكون قرآنا إلا ما كان موجودا عند المسلمين، وإلا فلا يسمى قرآنا، وإلا لصحّت تسمية كل كلام لله ﷻ قرآنا، ومعلوم أن الأمر ليس كذلك، وأن القرآن اسم مخصوص بما هو موجود في مصاحف المسلمين.

٩- **قال القاضي أبو يعلى** ؒ: « والقرآن ما غير، ولا بدل، ولا نقص منه حرف، ولا زيد فيه، خلافا للرافضة القائلين: إن القرآن قد غير وبدل، وخولف بين نظمه، وترتيبه »[٤].

١٠- **يؤكد القول** بأن القرآن لم تنله أيدي التحريف قط، منذ نزوله وحتى

---

(١) المعتمد في أصول الدين للفراء ص ٢٥٨.

(٢) الفصل في الملل والنحل لابن حزم ٢/ ٨٠-٨١.

(٣) ويذكر الروافض أن الأئمة: « أمروا شيعتهم بقراءة هذا الموجود من القرآن في الصلاة، وغيرها، والعمل بأحكامه حتى يظهر مولانا صاحب الزمان؛ فيرتفع هذا القرآن من أيدي الناس إلى السماء، ويخرج القرآن الذي ألفه أمير المؤمنين (ع) فيقرأ ويعمل بأحكامه!! » الأنوار النعمانية لنعمة الله الجزائري ٢/ ٣٦٠، وقد نص غير واحد من علمائهم على أن القرآن مع المهدي؛ فكما اختفى المهدى اختفى القرآن!!. انظر: الشيعة الإثنا عشرية وتحريف القرآن لمحمد السيف ص ٧٨ وما بعدها، وهاهنا وقفة: كيف يأمرون أتباعهم أن يعملوا بقرآن محرف!!، وهم يعتقدون أنه مغير، وكيف يأمرونهم بقراءته، إلا أن يكون ذلك تقية مع أتباعهم أيضا!!!.

(٤) المعتمد في أصول الدين للفراء ص ٢٥٨.

الساعة، وإلى قيام الساعة، قول بعض الرافضة أنفسهم ـ سواء كان ذلك منهم تدينا، أو تقية؛ فهي حجة عليهم في كلتا الحالتين ـ حيث يقولون عن القرآن: «في كتاب مكنون، لا يمسه إلا المطهرون:... والمكنون هو المحفوظ الذي لا تناله الأيدي، وأحد وجوه التفسير لـ"مكنون" هو اللوح المحفوظ، أي أن القرآن ثبت في اللوح المحفوظ أولا، ثم نزل على مدى ثلاث وعشرين سنة بالتدريج على خاتم الأنبياء، فالقرآن كتاب محفوظ محروز عند الله... الوجه الثاني: أن هذا القرآن المصحف بشكله هذا، وبكلماته، وسطوره لم تمسه يد الخيانة، ولن تمسه، أي لا يمكنها زيادة شيء عليه، وهذه من معجزات القرآن، أن لا تناله يد الخيانة، من أول نزوله إلى الآن؛ فلا يمس هذا الكتاب إلا المطهرون»[١].

ومن شبههم في قولهم بتحريف القرآن، وأن ذلك قول أهل السنة!، ما روي عن بعض الصحابة ﭬ من مثل ما يروى عن عثمان ﭬ: «إن في القرآن لحنا ستقيمه العرب»[٢]، وإنكار ابن مسعود ﭬ كيف جمع زيد بن ثابت ﭬ وأنه أنكر أن تكون المعوذتان من القرآن!!، وإنكار أبي ﭬ ونحو ذلك من الآثار.

والجواب عن هذه الشبه من عدة أوجه:

١- أن في ثبوت مثل هذه الآثار كلاما معروفا عند أهل الأخبار، وعند المحدثين النقاد أولي الأبصار، وقد أنكر نسبة إنكار ابن مسعود ﭬ للمعوذتين: ابن حزم[٣]، والرازي[٤]، والنووي[٥]، وشيخ الإسلام ابن تيمية[٦] ـ رحمهم الله ـ قال ابن حزم ﬔ: «وإن القرآن الذي في المصاحف بأيدي المسلمين شرقا وغربا؛ فما بين ذلك من أول أم القرآن إلى آخر المعوذتين كلام الله ﻷ، ووحيه أنزله على قلب نبيه محمد ﷺ، من

(١) الدار الآخرة لدستغيب الرافضي ص٢٣٤.

(٢) لم أجد الحديث مسندا، وإنما ذكره هكذا شيخ الإسلام وغيره.

(٣) انظر: المحلى له ١/ ١٣، والفصل في الملل والنحل له ٢/ ٧٧.

(٤) مفاتيح الغيب له ١/ ٢٢٣.

(٥) المجموع له ٣/ ٣٣٣.

(٦) انظر: المجموع ٣/ ٣٥٠.

كفر بحرف منه فهو كافر...، وكل ما روي عن ابن مسعود ﷺ من أن المعوذتين، وأم القرآن لم تكن في مصفحه؛ فكذب موضوع، لا يصح، وإنما صحت عنه قراءة عاصم عن زر بن حبيش[(١)] عن ابن مسعود، وفيها أم القرآن، والمعوذتان»[(٢)]، ثم لو صح عن ابن مسعود ﷺ ذلك فإنه كما قال الحافظ ابن كثير ﷺ: «ثم قد رجع عن قوله ذلك، إلى قول الجماعة؛ فإن الصحابة ﷺ أثبتوهما في المصاحف الأئمة، ونفذوها إلى سائر الآفاق كذلك، والحمد لله والمنة»[(٣)].

٢- أن هذه الآثار، ونحوها، مما ورد يحمل على ما كان قبل العرضة الأخيرة التي أجمع عليها الصحابة ﷺ، «والأصل ما استقرت عليه القراءة في السَّنة التي توفي فيها رسول الله ﷺ بعد ما عارضه به جبريل ـ عليه السلام ـ في تلك السنة مرتين، ثم اجتمعت الصحابة على إثباته بين الدفتين»[(٤)]، و«طعن قوم على عثمان ﷺ بحمقِهم جمعَ القرآن، ثم قرؤوا بما نُسخ، قال أبو عبيد: يذهب أبو مجلز إلى أن عثمان أسقط الذي أسقط بعلمٍ، كما أثبت الذي أثبت بعلمٍ»[(٥)]، ويؤكد هذا الفهم أنه ثبت عن النبي ﷺ الأحاديث التي تبلغ مبلغ التواتر المعنوي قراءته للمعوذتين، على أنه قرآن[(٦)]؛ و«في الإجماع على كونهما من القرآن غنية عن تكلف الأسانيد»[(٧)]، فإنكار ابن مسعود ﷺ

(١) هو المخضرم الثقة: زر بن حبيش بن حباشة الأسدي الكوفي أبو مريم، مخضرم، توفي سنة ٨٢هـ. انظر: التقريب ص:١٥٥.

(٢) المحلى ١/ ١٣، وانظر الفصل في الملل والنحل لابن حزم ٢/ ٧٧، الفتح ٩/ ٧٣٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٥٧١، وانظر: قول ابن الأنباري؛ فإنه قريب من هذا، كما في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠/ ١٧٢.

(٤) السنن الكبرى للبيهقي ٢/ ٣٥٨، ح(٣٨٠٨).

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٦٠، وانظر: نحوه كلام ابن عبد البر في ما يروي عن الصحابة، وليس في القرآن، في كتاب شرح الزرقاني ١/ ٣١٤، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣/ ٩٦، ١٤/ ٧٦، الفصول في الأصول ٢/ ٢٥٣، ٢٥٦، ٢٥٨، مختصر التحرير ٢/ ١٢٩.

(٦) انظر: المجموع للنووي ٣/ ٣٥٠، الفتح ٨/ ٦١٥ ـ ٦١٦، مجمع الزوائد ٧/ ١٤٩ وما بعدها، حيث ذكر جميع الروايات في ذلك.

(٧) الفتح ٨/ ٦١٦.

ـ لو صح ـ يحمل على أنه لم يعلم ذلك إذ سمعه يقرأه كمعوذات، ولم يسمعه يقرأه قرآنا؛ فهل يترك روايتهم وإجماعهم لسماعه؟ ولما تيقن الإجماع ترك سماعه لإجماعهم.

٣- قال ابن حزم رحمه الله في بيان أنواع النسخ، وهو يصلح أن يكون ردا على من يتمسك ببعض ما روي عن الصحابة على غير وجهه: «وأما القسم الذي رفع لفظه، وبقي حكمه؛ فآية الرجم، وآية الخمس رضعات المحرمات، وقد تعلل قوم في رد هذا ـ أي هذا النوع من النسخ ـ بقول عائشة رضي الله عنها: فتوفي رسول الله ﷺ وإنهما لمما يقرأ من القرآن، وهذا لا تعلل فيه، وإنما معناه أنه يقرأ من القرآن الذي سقط رسمه، وإثباته في المصحف، ولم تقل عائشة رضي الله عنها: إنه من القرآن المتلو في المصحف؛ فبطل تعليلهم»[(١)].

٤- **قال الزجاج** رحمه الله ردا على من قال: إن في القرآن لحنا، «قول من قال: إنه خطأ بعيد جدا؛ لأن الذين جمعوا القرآن، هم أهل اللغة والقدوة؛ فكيف يتركون في كتاب الله شيئا يصلحه غيرهم؛ فلا ينبغي أن ينسب هذا إليهم»[(٢)]، وقال ابن الأنباري[(٣)] رحمه الله: «حديث عثمان لا يصح؛ لأنه غير متصل، ومحال أن يؤخر عثمان شيئا ليصلحه من بعده»[(٤)]، وقال السخاوي[(٥)] رحمه الله عن أثر عثمان المذكور: «هذا الأثر ضعيف، والإسناد فيه اضطراب وانقطاع؛ لأن عثمان رضي الله عنه جعل للناس إماما يقتدون به؛ فكيف يرى فيه لحنا ويتركه لتقيمه العرب بألسنتها؟؟ وقد كتب مصاحف سبعة، وليس فيها اختلاف قط، إلا فيما هو من وجوه القراءات، وإذا لم يقمه هو ومن باشر الجمع، كيف يقيمه غيرهم؟»[(٦)]، وبعد ذكر بعض النقولات أبين بطلان الخبر المذكور بوجوه متعددة: **أحدها**: أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتسارعون إلى إنكار أدنى

(١) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ١/ ٤٧٨.

(٢) زاد المسير لابن الجوزي٢/ ٢٥١، والمجموع ١٥/ ٢٥٣.

(٣) هو المقرئ اللغوي: أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار ابن الأنباري، المقرئ النحوي، من مؤلفاته: شرح الكافي، و الجاهليات، توفي سنة ٣٠٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء١٥/ ٢٧٨.

(٤) زاد المسير لابن الجوزي ٢/ ٢٥٢، والمجموع ١٥/ ٢٥٢.

(٥) هو المحدث: محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، من مؤلفاته: الأصل الأصيل في تحريم النظر في التوراة والإنجيل، والقناعة فيما تحسن إليه الحاجة من أشراط الساعة، توفي سنة ٩٠٢هـ. انظر: معجم المؤلفين١٠/ ١٥٠، الأعلام للزركلي٦/ ١٩٤.

(٦) محاسن التأويل للقاسمي ٢/ ٥٨٤.

المنكرات؛ فكيف يقرون اللحن في القرآن ـ فضلا عن الزيادة والنقصان ـ، مع أنه لا كلفة عليهم في إزالته. **والثاني**: أن العرب كانت تستقبح اللحن غاية الاستقباح في الكلام؛ فكيف لا يستقبحون بقاءه في المصحف؟. **والثالث**: أن الاحتجاج بأن العرب ستقيمه بألسنتها غير مستقيم؛ لأن المصحف الكريم يقف عليه العربي والعجمي؛ فكيف سيقيمونه؟؟. **والرابع**: أنه قد ثبت في الصحيح أن زيد بن ثابت ﷺ أراد أن يكتب "التابوت" بالهاء على لغة الأنصار؛ فمنعوه من ذلك، ورفعوه إلى عثمان ﷺ فأمرهم أن يكتبوه بالتاء على لغة قريش؛ فكيف باللحن إن وجد؟؟[(١)].

٥- **وأما اختيار زيد** ﷺ فقد ذكرت سبب اختياره في كلا الجمعين[(٢)]، وهنا أزيد بذكر قول ابن الأنباري رحمه الله حيث قال: « ولم يكن الاختيار لزيد من جهة أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ على عبد الله بن مسعود ﷺ في جمع القرآن ـ وعبد الله أفضل من زيد، وأقدم في الاسلام، وأكثر سوابق، وأعظم فضائل ـ إلا لأن زيدا كان أحفظ للقرآن من عبد الله، إذ وعاه كله، ورسول الله ﷺ حي، والذي حفظ منه عبد الله في حياة رسول الله ﷺ نيف وسبعون سورة، ثم تعلم الباقي بعد وفاة الرسول ﷺ؛ فالذي ختم القرآن وحفظه، ورسول الله ﷺ حي أولى بجمع المصحف، وأحق بالإيثار والاختيار، ولا ينبغي أن يظن جاهل أن في هذا طعنا على عبد الله بن مسعود ﷺ...، وما بدا من عبد الله بن مسعود من نكير ذلك، فشيء نتجه الغضب، ولا يعمل به، ولا يؤخذ به، ولا يشك في أنه ﷺ قد عرف بعد زوال الغضب عنه حسن اختيار عثمان ومن معه من أصحاب رسول الله ﷺ، وبقي على موافقتهم، وترك الخلاف لهم »[(٣)]، وقال رحمه الله مبينا حكم من قرأ بما لم يثبت: « وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[الحجر:٩] دلالة على كفر هذا الإنسان؛ لأن الله ﷻ قد حفظ القرآن من التغيير والتبديل، والزيادة والنقصان، فإذا قرأ قارئ: تبت يدا أبي لهب و(قد) تب... "فقد كذب على الله ـ جل وعلا ـ، وقوّله ما لم يقل، وبدل كتابه وحرفه، وحاول ما قد

---

(١) انظر: المجموع ١٥/ ٢٥٢ وما بعدها.

(٢) انظر: ما سبق في الفصل الثالث من الباب الثالث.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٣٩.

حفظه منه، ومنع من اختلاطه به، وفي هذا الذي أتاه توطئة الطريق لأهل الإلحاد، ليُدخلوا في القرآن ما يحلون به عرى الإسلام، ويَنسبونه إلى قوم كهؤلاء القوم الذين أحالوا هذا بالأباطيل عليهم، وفيه إبطال الإجماع الذي به يحرس الإسلام، وبثباته تقام الصلوات، وتؤدى الزكوات، وتتحرى العبادات، وفي قول الله تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[هود:١] دلالة على بدعة هذا الإنسان، وخروجه إلى الكفر، لأن معنى: أحكمت آياته: منعُ الخلق من القدرة على أن يزيدوا فيها، أو ينقصوا منها، أو يعارضوها بمثلها، وقد وجدنا هذا الإنسان زاد فيها: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَ﴾ بعلي ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾[الأحزاب:٢٥] فقال: في القرآن هجرا، وذكر عليا في مكان لو سمعه يذكره فيه لأمضى عليه الحد، وحكم عليه بالقتل...، ومن كفر بحرف من القرآن فقد كفر به كله...[١]، ويقال لهذا الإنسان، ومن ينتحل نصرته: أخبرونا عن القرآن الذي نقرؤه، ولا نعرف نحن، ولا من كان قبلنا من أسلافنا سواه، هل هو مشتمل على جميع القرآن من أوله إلى آخره صحيح الألفاظ والمعاني، عارٍ عن الفساد والخلل؟ أم هو واقع على بعض القرآن؟ والبعض الآخر غائب عنا كما غاب عن أسلافنا والمتقدمين من أهل ملتنا؟؛ فإن أجابوا بأن القرآن الذي معنا مشتمل على جميع القرآن لا يسقط منه شيء، صحيح الألفاظ والمعاني سليمها من كل زلل وخلل، فقد قضوا على أنفسهم بالكفر، حين زادوا فيه...، **وما يؤثر عن الصحابة والتابعين أنهم قرؤوا بكذا، وكذا، إنما ذلك على جهة البيان والتفسير، لا أن ذلك قرآن يتلى، وكذلك ما نسخ لفظه وحكمه، أو لفظه دون حكمه ليس بقرآن»**[٢].

٦- **كثير مما يذكر** عن أبي بن كعب ﷺ وغيره من الصحابة ﷺ لا يصح، وقد روي عنه القرآنَ الأثباتُ، ولم يذكروا عنه هذه الزيادات، التي تروى عن غير وجه الثقات، فهي من المفتريات[٣]، أو أقوال هي للقرآن تفسيرات.

وربما استدلوا بالقول بالتحريف ببعض ما روي عن الصحابة من أنهم أثبتوا

(١) وقد نقل ابن حزم ﷺ مثل هذا الإجماع، انظر: مراتب الإجماع له ص١٧٤، مختصر التحرير ٢/ ١٨٦.
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٦٠-٦١.
(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٦٠.

الآية بشهادة رجل واحد من الصحابة، وهو خزيمة بن ثابت، ونقضوا القول بالتواتر لذلك!! والجواب عن هذا من أوجه:

١- قال ابن حزم ﷺ: « وأما افتقار زيد بن ثابت الآية فليس ذلك على ما ظنه أهل الجهل، وإنما معناه أنه لم يجدها مكتوبة إلا عند ذلك الرجل، وهذا بين... »(١).

٢- أن زيد بن ثابت ﷺ كان يعرف الآية، وإلا فكيف يقول: فقدت آية من سورة كذا؟؟ « ولو لم يعرفها لم يدر هل فقد شيئا أو لا؟؛ فالآية إنما ثبتت بالإجماع لا بخزيمة وحده »(٢).

٣- أن قول زيد ﷺ لو كان على ما فهموه، أليس قد انتشرت هذه المصاحف، « بين هذه الأمة المحفوظة، لا سيما الصدر الأول، الذي حوى من الأكابر ما حوى، وتصدر للخلافة الراشدة علي المرتضى ﷺ وهو... الأسد الأشد الذي لا تأخذه في الله لومة لائم، لا يبقى في ذهن مؤمن احتمال سقوط شيء بعدُ من القرآن، وإلا لوقع الشك في كثير من ضروريات هذا الدين الواضح البرهان »(٣).

وفي هذا القدر كفاية لبيان حال هذه النحلة الضالة، وقولها المنحرف في كتاب الله ﷻ المشابه لفعل وقول أهل الكتاب، ومعلوم عند أهل السنة حكم من أنكر آية من القرآن، أو اعتقد الزيادة فيه، أو النقص منه، « ومن أنكر شيئا من القرآن بعد تواتره، استتيب فإن تاب وإلا قتل، وأما قبل تواتره عنده فلا يستتاب، لكن يبين له »(٤).

ولما كان اعتقادهم في القرآن التحريف، فكيف يا ترى يكون موقفهم من تعظيمه؟ هذا ما أبينه في المبحث التالي.

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٢/ ٢٧٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٤١.

(٣) روح المعاني للألوسي ١/ ٢٤.

(٤) المجموع ١٤/ ٤٨.

المبحث الثالث: عدم تعظيمهم للقرآن

سبق وأن ذكرت عقيدة الرافضة في القرآن، وأنهم لا يعتقدون عصمته وحفظه من الزيادة والنقصان، ولا يبعد هذا إذا علم أن «أصل الرفض كان من وضع قوم زنادقة منافقين، مقصودهم الطعن في القرآن والرسول ودين الإسلام»[(١)].

وتعظيم الرافضة للقرآن كيف يكون؟ وهم يشكون في حفظ الرحمن إياه، ويقولون: إنه نقص منه!! وزيد فيه!!.

ومنهم طوائف ينشدون أبياتا تنبئك عن عدم تعظيمهم للقرآن، بل ولا يعظمون شريعة الرحمن، ويستخفون بالحج، وبالمساجد، ويعظمون القبور والمشاهد، ويخشعون عند ذكر الشيوخ، ويتكبرون عند ذكر الله تعالى، ويعظمون ما عليه أئمتهم، ويستخفون بحق القرآن؛ يقول شاعرهم:

تعالوا نخرب الجامع ... ونجعل فيه خمارة
ونكسر المنبر ... ونجعل منه طنبارة
ونخرق المصحف ... ونجعل منه زمارة
وننتف لحية القاضي ... ونجعل منه أوتاره[(٢)].

والرافضة محرفون للقرآن؛ فيقرؤون الآيات كما يريدون، أو كما نقل لهم، وقد

---

(١) منهاج السنة ٧/ ٩.

(٢) نقل هذه الأبيات شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الرد على البكري ٢/ ٦٧٠-٦٧١، المجموع ٢/ ١٠٧، عن أتباع يونس القيسني الشيعي، قلت: وأما هدمهم لمساجد أهل السنة، فشيء ظاهر للعيان، بل حاولوا العدوان على بيت الله الحرام، وعذبوا مشايخ أهل السنة في إيران، وأتلفوا المصاحف بحجة أنها من الوهابيين!!!.

نقل شيخ الإسلام ﷺ عن بعض الرافضة أنهم يقولون: «نحن غلمان الملك!!، ويسمون المسجد: اصطبل البطالين، ويقرؤون القرآن: وما أرسلناك إلا رحمة للمدمنين!!! وألوان من هذا الجنس الذي فيه استهزاء بالله وآياته ورسوله، مع تعظيمهم شيخهم، وغلوهم فيه»(١).

ويتبين عدم تعظيم الرافضة للقرآن الكريم في النقاط التالية:

١ - **أنهم يعتقدون بتحريفه، اعتقادا وعملا**؛ وكيف يتوقع منهم تعظيمه؟ وهم يعتقدون فيه التحريف والتبديل. **فمن عدم تعظيمهم للقرآن**، واستخفافهم به، ما يصرحون به من أن القرآن محرف!! ومعلوم عند المسلمين أن من «أنكر آية من كتاب الله تعالى(٢)، أو عاب شيئا من القرآن... كفر،... ومن جحد القرآن أو سورة منه، أو آية، أو زعم: أنها ليست من كلام الله تعالى كفر»(٣)، فالرافضة **خرقوا الإجماع في ادعائهم أن القرآن غير محفوظ**(٤).

٢- **ومن عدم تعظيمهم للقرآن الكريم أن من أثبت منهم - تواتر المصحف - فإنه يعمل فيه بالتحريفات الباطلة**، والرافضة يتلاعبون بألفاظ القرآن الكريم، ويحرفون الكلم عن مواضعه، ويخضعون معانيه لمعتقداتهم(٥)، ويكفي لهذا بعض الأمثلة، والباقي على منوالها؛ فهم لما اعتقدوا أن الإمامة من أصول الدين، بل أعظمها، بل جعلوها الركن الركين!!(٦)، احتاجوا أن يجدوا له دليلا من القرآن؛

(١) الرد على البكري ٢/ ٦٧٢.

(٢) وأما إنكار ابن مسعود ﷺ للمعوذتين؛ فإنه لا يصح - كما نقلت أقوال أهل العلم عنه في المبحث السابق - ولو صح؛ فإنه إنما وقع منه الإنكار قبل أن يعلم ذلك، وأما بعد وقوع الإجماع؛ فإنه قد صار إلى الإجماع؛ وأما الآن فقد استقر الإجماع على أنهما من القرآن، وصارت قرآنيتهما معلومة من الدين بالضرورة؛ فيكفر من أنكره. انظر: الإعلام بقواطع الإسلام لابن حجر الهيتمي ص ٢٠٦-٢٠٧، ضمن الجامع لألفاظ الكفر للشيخ د/ محمد الخميس.

(٣) ألفاظ الكفر لبدر الرشيد الحنفي ص٢٩، ضمن الجامع في ألفاظ الكفر للشيخ د/ محمد الخميس.

(٤) انظر: موقف الرافضة من القرآن الكريم ص٢٨١.

(٥) انظر: موقف الرافضة من القرآن الكريم ص٢٧٧، ٢٧٩.

(٦) يقول الدياجي من علمائهم: «عقائد الإسلام وأصوله الخمسة: التوحيد، والعدل، والنبوة، والإمامة، =

فاستدلوا عليه من القرآن، ما يعلم الجاهل قبل العالم ـ ممن يعرف العربية ـ أن هذا باطل؛ فقالوا في قوله ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[المائدة:٦٥] فقالوا: بلغ ما أنزل إليك من ربك في علي!! قال شيخ الإسلام رحمه الله: « وهذا اللفظ عام في جميع ما أنزل إليه من ربه، لا يدل على شيء معين؛ فدعوى المدعي أن إمامة علي هي مما بلغها، أو مما أمر بتبليغها، لا تثبت بمجرد القرآن، فإن القرآن ليس فيه دلالة على شيء معين، فإن ثبت ذلك بالنقل كان ذلك ثابتا بالخبر لا بالقرآن؛ فمن ادعى أن القرآن يدل على أن إمامة علي مما أمر بتبليغه، فقد افترى على القرآن، فالقرآن لا يدل على ذلك عموما، ولا خصوصا...، وهذه الآية ـ مع ما علم من أحوال النبي ﷺ ـ تدل على نقيض ما ذكروه، وهو أن الله لم ينـزلها عليه، ولم يأمره بها، فإنها لو كانت مما أمره الله بتبليغه، لبلغه، فإنه لا يعص الله في ذلك »[1]، ومن التأويلات الباطلة تحريفهم لقوله ﷻ : ﴿ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾[الزمر:٦٩] حيث ذكروا « عن أبي عبد الله قال: رب الأرض يعني إمام الأرض!!؛ فقلت: فإذا خرج يكون ماذا؟ قال: إذا يستغني الناس عن ضوء الشمس ونور القمر[2]، ويجتزون بنور الإمام »[3]، وقالوا في قوله ﷻ : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾[النمل:٨٢] قالوا: « فصل: في ذكر بعض ما جاء في رجعة أمير المؤمنين (ع)، وأنه دابة الأرض!! »[4]، ولو كان لهم عقول، لما وصفوا أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه بهذه الأوصاف، وقالوا في قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن

=

والمعاد». تبويب الذريعة إلى تصانيف الشيعة ص٤٠.

(١) منهاج السنة ٧/ ٤٧.

(٢) ولم يحصل هذا في زمن الأنبياء، ولكن يحصل هذا عند هؤلاء السفهاء، الذين ينقلون الحكايات للطعن في آل البيت، والطعن في الإسلام.

(٣) تفسير القمي ٢/ ٢٥٣.

(٤) كتاب الرجعة ص ٢٠١، من كتاب علماء الشيعة يقولون ص ٧٢.

رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[البقرة:٢٦] فقالوا: «إن هذا المثل ضربه الله لأمير المؤمنين ﷺ؛ فالبعوضة أمير المؤمنين ﷺ!! وما فوقها رسول الله ﷺ!!»(١). وهل يليق أن يقال عن رسول الله ﷺ هذا الكلام، وهل يليق بخليفة من الخلفاء الراشدين أن يقال عنه إنه هو البعوضة في المثل!! إلا عند هؤلاء الذين يحرفون الدين، وقالوا في قوله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴾[القصص:٥-٦] «ومن فرعون وهامان؟ قال: أبو بكر وعمر!!»(٢). وقالوا في قوله ﷻ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾[فصلت:٢٩] «قال: هما!!، ثم قال: وكان فلانا شيطانا...، قوله: "هما" أي أبو بكر وعمر، والمراد بـ"فلان": عمر، أي الجن المذكور في الآية عمر!! وإنما سمي به؛ لأنه كان شيطانا؛ إما لأنه كان شرك شيطان لكونه ولد زنا!!(٣)، أو لأنه كان في المكر والخديعة شيطانا!!، وعلى الأخير يحتمل العكس، بأن يكون المراد بفلان: أبا بكر!!»(٤). الصديق ﷺ صاحب النبي ﷺ في الغار بنص القرآن لم يسلم من هؤلاء، والذي يفر منه الشيطان عمر ﷺ لم يسلم من دين هؤلاء، فأي دين لهم؟؟؛ فالرافضة لما اعتقدت بتحريف القرآن طعنت فيه من حيث شعرت أم لم تشعر، وكان طعنهم في القرآن جليا في التفسيرات الزائفة، والتأويلات السخيفة، بل وبالعبارات القبيحة، الساذجة السقيمة السيئة، بل وزعموا في القرآن التناقض!! فقالوا: «إن الاختلاف فيه: كما يصدق على اختلاف المعنى وتناقضه!!، كنفيه مرة، وإثباته أخرى،

---

(١) تفسير القمي ١/ ٣٥.

(٢) إلزام الناصب ٢/ ٢٦٦ نقلا عن كتاب علماء الشيعة يقولون ص ٨٣.

(٣) هكذا يتفوهون ويتفكهون بعرض أمير المؤمنين، الخليفة الراشد عمر ﷺ، ـ فليهنأ دعاة التقريب!! ـ.

(٤) مرآة العقول ٢٦/ ٤٨٨. وانظر: بحار الأنوار ٢٣٥/ باب/ ٢١.

وعلى اختلاف النظم: كفصاحة بعض فقراتها البالغة حد الإعجاز، وسخافة بعضها الأخرى، وعلى اختلاف مراتب الفصاحة ببلوغ بعضها أعلى درجاتها، ووصول بعضها إلى أدنى مراتبها...!!»[١].

٣- عدم الاعتراف بالقرآن الكريم وأحقيته في التشريع، وتقديم أقوال الأئمة عليه[٢].

٤- تقديمهم مصحف فاطمة[٣]، وكتبهم المزعومة عليه[٤].

٥- فتح الباب أمام أعداء الإسلام في الطعن في القرآن[٥]، فكل صاحب نحلة يدعي أن القرآن محرف بدليل أن الروافض قالوا بالتحريف، وأن المسلمين لم يتفقوا على القرآن الكريم بدليل مخالفة الروافض لجمهور المسلمين!! ولكن صدق ابن حزم رحمه الله حيث بين أن من اعتقد تحريف القرآن الكريم فإنه ليس من المسلمين.

٦- مخالفتهم لنصوص الكتاب الصريحة[٦]، فالرافضة هجروا القرآن قراءة وعملا واعتقادا، فإنهم لا يعرفون من التوحيد الذي دعا إليه القرآن إلا اسمه، واتخذوا القبور في المساجد، وزينوا المشاهد، «ويصلون إليها، وينذرون لها، ويحجون إليها، بل قد يجعلون الحج إلى بيت المخلوق أفضل من الحج إلى بيت الله الحرام، ويسمون ذلك "الحج الأكبر"!! وصنف لهم شيوخهم في ذلك مصنفات!! كما صنف المفيد بن النعمان كتابا في مناسك المشاهد، سماه: "مناسك حج المشاهد"، وشبه بيت المخلوق ببيت الخالق!!، وأصل دين الإسلام أن نعبد الله وحده، ولا نجعل له من

---

(١) الوثيقة للطبرسي ص٣١١، من كتاب علماء الشيعة يقولون ص ١٣.

(٢) انظر: موقف الرافضة من القرآن الكريم ص٢٩٦، وسيأتي مزيد بيان في اعتمادهم على أقوال أئمتهم، دون نصوص ربهم جل وعلا.

(٣) انظر: موقف الرافضة من القرآن الكريم ص٢٨٨.

(٤) وسيأتي في المبحث التالي تقديمهم لمصحف فاطمة على القرآن الكريم، وتقديمهم غيرها من الكتب عليه.

(٥) انظر: موقف الرافضة من القرآن الكريم ص٣٠١.

(٦) موقف الرافضة من القرآن الكريم ص٣٠٧.

خلقه ندا، ولا كفوا، ولا سميا»[١]، فالرافضة أكثر مخالفة للقرآن من جميع الفرق، وهم غير مقرين بالجملة بالأحاديث المروية عن طريق جمهور الصحابة ﷺ، وهم أكثر الفرق الغوية قدحا في سلف الأمة وأئمتها، وطعنا في جمهور المسلمين[٢]، ومخالفتهم لأحكام القرآن الاعتقادية منها ـ فضلا عن الفقهية ـ أمر كبير، وحصره غير يسير، **وأذكر بعضا منها على سبيل الاختصار:**

أ ـ أن القرآن الكريم أمر بالتوحيد الخالص، وهؤلاء يأمرون الناس بالشرك!![٣]، بحجة أنه واسطة، ويستغيثون بغير الله، ويدعون غير الله، ويلتجئون إلى الأوصياء!![٤].

ب ـ أن الله ﷻ أخبر أن النار مأوى الكافرين، وموضع خلود المشركين، وهؤلاء يقولون: إن بعض المشركين يخرجون من النار، ولو لم يدخلوا الجنة!![٥].

ت ـ أن الله ﷻ أمر بالطواف ببيته كما في كتابه، وهؤلاء يجيزون الطواف بالقبور!![٦].

ث ـ أن القرآن بُين فيه ـ في أكثر من آية ـ أن الغيب لا يعلمه إلا الله ﷻ، ولا يعلم الغيب نبي مخاطب، ولا ملك مقرّب، وهؤلاء يقولون في الأئمة: «إن عندهم عليهم السلام علم ما في السماء، وما في الأرض، وعلم ما كان!!، وعلم ما يكون، وما يحدث

---

(١) المجموع ٢٧/ ٣٣٨.

(٢) انظر: نقض المنطق ص ١٢٧.

(٣) انظر مثلا كشف الأسرار للخميني، ويقول أحد دعاتهم وقد سمعته بصوته: ما الفرق بين أن تقول: يا الله، أو يا علي، أو يا فاطمة، الكل واحد، يعني إذا دعوت الله يجيب لك، وإذا دعوت عليّا أو فاطمة ما يجيب لك؟، الكل واحد!!.

(٤) انظر: مستدرك الوسائل ص٣١٠.

(٥) انظر: كتاب بحار الأنوار ٤١/ ٢٤٨ وذكر قصة مفادها: أنه عثر على جمجمة كسرى أنو شروان، ملك الفرس!! فاستنطقه علي ﷺ فنطق!! وأخبر أنه أخرج من النار بعدله، ولم يدخل الجنة، وسلم على علي ﷺ بالإمامة والإمارة!! فهل خلصه الله من النار، وحرمها عليه لأنه كان من الفرس!! وأبو بكر وعمر صاحبا النبي ﷺ عند ـ هؤلاء ـ لا يستحقان الجنة!!.

(٦) انظر: مستدرك الوسائل للشيخ ميرزا حسين الطبرسي ص٣٦٦-٣٦٧، باب/ جواز الطواف بالقبور!!.

بالليل والنهار!!، وساعة وساعة!!، وعندهم علم النبيين عليهم السلام وزيادة!!»(١).

ج ـ أن القرآن الكريم مليء بالثناء على الصحابة رضي الله عنهم وهؤلاء ينابذونهم، ويطعنون فيهم، بل ويلعنونهم(٢)، بل إنه ثبتت صحبة أبو بكر الصديق رضي الله عنه في القرآن، وهؤلاء يقولون فيه أشنع المقال، وأكذب القال، ويتهمونه في دينه، مع إثبات الله عز وجل لصحبته، قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٤٠]، وباتفاق أهل السنة والرافضة أن المقصود بصاحبه هنا هو الصديق الأكبر رضي الله عنه، ومع ذلك يتناقضون فيتهمونه بالنفاق والكفر مضادين لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم؛ فيقولون: «قد روي في الأخبار الخاصة أن أبا بكر كان يصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم والصنم معلق في عنقه، وسجوده له!!»(٣)، بل وكفروا الصحابة(٤) ففي القرآن الكريم إثبات أن الله جل جلاله راض عن الصحابة(٥) وهؤلاء يلعنونهم!!، بل ويطعنون

---

(١) أصول الدين للبحراني، الباب الخامس معقود لهذا الغرض!! من كتاب علماء الشيعة يقولون ص٥٧، ٥٦.

(٢) في كتاب لآلئ الأخبار المطبوع بـ (قم) ٤/ ٩٣ نقلا عن كتاب علماء الشيعة يقولون ص ٨٠، قال: «اعلم أن أشرف الأمكنة، والأوقات، والحالات، وأنسبها للعن عليهم ـ عليهم اللعنة ـ إذا كنت في المبال!!؛ فقل: عند كل واحد من التخلية، والاستبراء، والتطهير مرارا بفراغ من البال: **اللهم** ـ يذكرون الله في وقت الحاجة!! ـ **العن عمر ثم أبا بكر وعمر، ثم عثمان وعمر، ثم معاوية وعمر، ثم يزيد وعمر، ثم ابن زياد وعمر، ثم ابن سعد وعمر، ثم شمرا وعمر، ثم عسكرهم وعمر، اللهم العن عائشة وحفصة وهندا وأم الحكم، والعن من رضي بأفعالهم إلى يوم القيامة!!**». ولا يوجد إرشاد ودلالة في أي ديانة إلى هذا الفعل القبيح، والعمل الشنيع، وذكر اسم الله في الوقت والمكان الخسيس، ولكن الرافضة لهم دين مخالف للكتاب والسنة والعقل.

(٣) الأنوار النعمانية لنعمة الله الجزائري ١/ ٥٣. الأصول من الكافي ١/ ٣٧٣.

(٤) انظر: صب العذاب على من سب الأصحاب للألوسي ص ٣٧١ وما بعدها، حيث نقل نصوص الرافضة في تكفيرهم للصحابة رضي الله عنهم، وكتاب: الشيعة الإثنا عشرية وتحريف القرآن لمحمد السيف ص ٥٧، وقد ذكر نصوصا كثيرة من كتب الرافضة مما يدل على أنهم يكفرون الصحابة رضي الله عنهم وهذا الأمر أبين من أن يستدل له عندهم!!.

(٥) انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص ١٦٤، صب العذاب على من سب الأصحاب للألوسي ص ٢٤٩.

ويطعنون فيهم!!، ورحم الله القائل:

إن الروافض شر من وطئ الحصى من كـل إنس ناطق أو جـان

مدحوا النبي وخونـوا أصحابـه ورموهـم بالظلـم والعدوان

حبوا قرابتـه وسبـوا صحبـه جدلان عنـد الله منتقضـان

فكأنـما آل النبـي وصحبـه روح يضـم جميعـها جسدان(١)

ح ـ أن الله ﷻ برأ أُمَّنا عائشة ﵂، كما في سورة "النور" لأنها منورة بالإيمان، وهؤلاء لا يقبلون ذلك!!(٢)، ويتهمونها ـ قاتلهم الله ـ وهي المبرأة من فوق سبع سموات، ولكنهم يحرفون الآيات عل ما يراه الآيات!!؛ فقالوا في قوله ﷻ: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا ﴾[النحل:٩٢] قالوا: «عائشة هي نكثت أيمانها!!»(٣)، هكذا التحريف مع أن الله ﷻ نص على براءتها في إحدى عشرة آية ومنها قوله ﷻ: ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[النور:٢٦] ومحمد ﷺ من الطيبين وله الطيبات، وعائشة من الطيبات فكانت لمحمد ﷺ، وهي مبرأة مما لاكها به ألسنة القاذفين وألسنة المنافقين في زمن النبوة، وبعد زمن النبوة(٤).

خ ـ أن الله ﷻ أخبر أن نساء النبي ﷺ أمهات للمؤمنين كما في قوله تعالى: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾[الأحزاب:٦]، وهؤلاء يتبرؤون منهن!! ولعلهم ليسوا بمؤمنين حقيقة، وإنما هم مظهرون للإيمان فلا يرضون النسبة إليهن!! وإلا فإن المؤمن يفرح بأن تكون زوجات النبي ﷺ أما له.

(١) نونية القحطاني ص٢١.

(٢) انظر: تفسير القمي ٢/ ٣٧٧ تفسير سورة التحريم، وانظر: تفسير (شبر) و(البرهان) للبحراني ففيهما اتّهام صريح لعائشة وطلحة ﵄، ولعن من لعنهم، أو طعن فيهم. وانظر: مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين ص٨٦، بل وزعموا أنها تبعث في آخر الزمان، ويجلدها المهدي!! انظر: علل الشرائع ص٣٠٣.

(٣) تفسير العياشي ٣/ ٢٢، الاحتجاج للطبرسي ص٤٦٣.

(٤) مثال المنافقين في زمن النبوة عبد الله بن أبي بن سلول، وبعد زمن النبوة كابن سبأ وأتباعه.

٧- **ومن عدم تعظيمهم للقرآن الكريم: أنهم يسوون بين القرآن الكريم ـ الذي هو كلام الله تعالى، وصفة من صفاته ـ وبين مخلوق ـ ولو كان معظما ـ ويقرن بينهما بذكر أوجه التشابه؛ فيقولون:** «ذكر مصيبة الحسين (ع) كالقرآن...، نقاط التشابه بين القرآن والحسين (ع): من عظمة القرآن بل وإعجازه أنه لا يمل من التكرار... كذلك هي مصيبة الحسين (ع) كلما قرأت عنها، أو سمعتها تراها جديدة لا تبلى!!...»[١]، ثم إن النظر إلى المصحف عبادة، وكذلك تلاوته، واستماعه، كذلك رثاء الحسين (ع) قراءتها واستماعها، والبكاء والإبكاء عبادة...، ومن مظاهر التشابه الأخرى: أن القرآن الكريم معجزة في كل جوانبه...، كذلك الحسين: رأسه المقطوع، أعضاؤه، بدنه كله معجزة!!...»[٢]، بل يذهبون إلى أبعد من ذلك **إذ يزعمون أن الحسين ﷺ كالقرآن، فيقولون:** «**الحسين قرآن ناطق**:... القرآن لا يمل بكثرة القراءة والتكرار، وهو يقرأ العمر كله، ولا يمل منه، كذلك اسم الحسين وذكر مصيبته!!...، والقرآن لا تمسه يد الخيانة[٣]، وكذلك الحال بالنسبة لآثار الحسين...، ومما يذكر أن عدد آيات القرآن (٦٦٦٦) آية على المشهور[٤]، وجروح بدن الحسين (ع) قيل: إنها أربعة آلاف جرح، ولو أضيف إليها مواضع سنابك الخيل؛ فإن عددها ربما يطابق عدد آيات القرآن!!!»[٥].

٨- **ومن عدم تعظيمهم للقرآن الكريم اعتقادهم أن هناك آية أعظم منه؛ فقالوا:** فيما كذبوا على علي ﷺ أنه قال: «ما لله تعالى آية أكبر مني!!، ولا نبأ أعظم مني!!»[٦].

٩- **ومن عدم تعظيمهم للقرآن الكريم قولهم بأن له ظاهرا وباطنا**، وأن الباطن

---

(١) فانظر ـ جعل الله في قلوبنا الغيرة لدينه ـ كيف جعل كلام الناس في مصيبة الحسين ﷺ ككلام الله ﷻ !!!.

(٢) الدار الآخرة لدستغيب الرافضي ص٢٥-٢٦.

(٣) إلا على قول الرافضة!!.

(٤) ومعلوم أن عدد آيات القرآن الكريم على العد المشهور عن الكوفيين، والتي اعتمدها ابن مجاهد عن أبي عبد الرحمن السلمي (٦٢٣٦) آية، وهو العد المعتمد عند المسلمين، ولكن القول بالستات الأربع هو قول العوام، وهم طوام. انظر: الإتقان للسيوطي ١/ ١٨٩.

(٥) الدار الآخرة لدستغيب ص٢٣٦-٢٣٧.

(٦) شرح الزيارة الجامعة الكبير ٢/ ١٧٨، نقلا عن كتاب: علماء الشيعة يقولون ص٥٢.

لا يعلمه إلا الأئمة المعصومون الطاهرون!![(١)]، فأصبح القرآن بالنسبة لهم طلاسم لا يعرفونه، ولا يفهمونه، حتى يأتي الإمام المعصوم فيبينها لهم!! فالرافضة من الفرق التي ترى أن للقرآن ظاهرا وباطنا، وأن الباطن مخصوص بالأئمة، ومن أخذ عنهم، ولهذا كان منهم التحريف في النصوص، على ضوء هذا الطاغوت ـ القول بالظاهر والباطن ـ فصاروا «يحرفون لفظ القرآن عن معناه، إلى ما يتفق مع عقيدتهم وأهوائهم...، وبالتأويل الفاسد: تحلل الروافض من القيم الأخلاقية، والشعائر الدينية، ونشروا الإباحة والإلحاد؛ فالخطابية استحلوا الزنا[(٢)]، وشرب الخمر، وقالوا بترك الصلاة[(٣)]...»[(٤)].

١٠- ومن عدم تعظيمهم للقرآن الكريم منعهم من قراءة سور معينة، ويرفعون ذلك؛ فيقولون: «قال أمير المؤمنين (ع) لا تعلموا نساءكم سورة يوسف!! ولا تقرؤوهن إياها!! فإن فيها الفتن!! وعلموهن سورة النور، فإن فيها المواعظ»[(٥)]، ويتبع هذا أنهم يأمرون بالقراءة في الصلاة بـ«بعض كلمات ليس من القرآن، وأن لا يقرؤوا فيها بعض ما هو من القرآن!!»[(٦)]؛ فقالوا: «ولا تقرأ في الفريضة شيئا من العزائم الأربع: وهي سورة سجدة لقمان[(٧)]، وحم السجدة، والنجم، وسورة اقرأ باسم ربك!!»[(٨)].

١١- ومما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن الكريم أنهم لا يهتمون بالقرآن، فـ «الرافضة لا تعتني بحفظ القرآن، ومعرفة معانيه، وتفسيره، وطلب الأدلة الدالة على معانيه، ولا تعتني أيضا بحديث رسول الله ﷺ، ومعرفة صحيحه من سقيمه،

---

(١) الدار الآخرة لدستغيب ص٢٣٥.

(٢) والشيعة الإمامية الرافضة كذلك ولكن بمسمى ملبس، وباسم الدين، وسموه بالمتعة المباحة!! أو "الصيغة"، يسمونها بغير اسمها.

(٣) والإمامية الإثنا عشرية الرافضة تجمع بين الصلوات، ولا تقيم الجمع بحجة غياب الحجة!!.

(٤) بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات ص٤٨-٤٩.

(٥) تفسير نور الثقلين لسعيد على العروسي الحويزي ٣/ ٥٦٨.

(٦) صب العذاب على من سب الأصحاب للألوسي ص٤٧٩.

(٧) وليس في لقمان سجدة!! ولكن لعل المقصود سورة السجدة التي تلي سورة لقمان.

(٨) من لا يحضره الفقيه للصدوق ١/ ٢١٦، من كتاب صب العذاب على من سب الأصحاب للألوسي ص٤٧٩ ح(٤).

والبحث عن معانيه، ولا تعتني بآثار الصحابة والتابعين»(١)، «ومنهم طوائف لا يقرؤون(٢) القرآن، مثل كثير من الرافضة والجهمية، لا تحفظ أئمتهم القرآن، وسواء حفظوه، أو لم يحفظوه، لا يطلبون الهدى منه، بل إما أن يعرضوا عن فهمه وتدبره، كالأميين الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني، وإما أن يحرفوه بالتأويلات الفاسدة، وأما الحديث: فمنهم من لا يعرفه، ولم يسمع به، وكثير منهم لا يصدق به، ثم إذا صدقوا به كان تحريفهم له وإعراضهم عنه أعظم من تحريف القرآن والإعراض عنه...»(٣)، فالرافضة «ليس لهم سعي إلا في هدم الإسلام، ونقض عراه، وإفساد قواعده، والقدر الذي عندهم من الإسلام إنما قام بسبب قيام الجمهور به، ولهذا قراءة القرآن فيهم قليلة، ومن يحفظه حفظا جيدا فإنما تعلمه من أهل السنة...، والرافضة من أجهل الناس بدين الإسلام، وليس للإنسان منهم شيء يختص به إلا ما يسر عدو الإسلام، ويسوء وليّه»(٤).

١٢- ومما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن الكريم عدم اهتمامهم بعلومه، ومن ذلك ترجمته إلى اللغة الفارسية ـ التي هي لغة المجوس قديما ـ: وقد وجد القرآن الكريم مترجما باللغة الفارسية قديما مع دخول الإسلام السلفي السني إلي بلاد فارس، وهذه الترجمات كلها ـ ولله الحمد ـ سنية، وأما الشيعة فمنذ دخول الإسلام إلى بلادهم، وتمسكهم بالمنحى الشيعي كان ولا يزال جهدهم منصّبًا على إبعاد الناس عن القرآن، ولذلك لم تترجم القرآن الكريم منذ دخول الإسلام في القرن الأول الهجري وحتى نهاية القرن التاسع، وفي أوائل القرن العاشر الهجري بدؤوا في الترجمة(٥)، وهذا يعني

---

(١) منهاج السنة ٥/ ١٦٣.

(٢) في المطبوع (لا يقرون)، ولكن السياق يدل على أن المقصود القراءة، لا الإقرار.

(٣) الدرء ٥/ ٢٢٧.

(٤) منهاج السنة ٧/ ٤١٥.

(٥) التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها ٢/ ٥٨٠، نقلا عن بحث د/ عبد الغفور البلوشي، "تاريخ ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفارسية" المقدمة لندوة ترجمة معاني القرآن الكريم، ص٣٧، وذكر في ص٣٠ أنه ليس للشيعة إلا تفسير واحد بالفارسية ألف خلال القرن السادس الهجري، وهو باسم "روض الجنان وروح الجنان" لأبي الفتوح الرازي ٥٤٨هـ.

الإهمال، وعدم الاهتمام، واللامبالاة بالوحي المنـزل، والكتاب المبجل، إذ هم يهتمون بما ورثوه من الآباء والأجداد، وينتظرون ما يخرج به مهديهم!!.

١٣- ومن صور عدم تعظيمهم للقرآن الكريم استعمالهم له على شكل حروز وأشكال مخلوطة بالأرقام السرية!!، والدوائر والأشكال الهندسية، يلبسها الأنجاس، ويكون مهانا وربما تداس، ويدخل بها في أماكن القذارة من قبل الناس[1]، وعن طريقهم انتشر هذا الأمر بين عوام أهل السنة، والمتصوفة ـ والله المستعان ـ.

١٤- ومما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن الكريم أنهم لا يهتمون بحفظه، وليس عندهم أسانيد للقرآن الكريم إلا من طريق أهل السنة، وليس عندهم اهتمام بعلوم القرآن الكريم كالاهتمام بضبط القرآن الكريم، ورسمه، ونحو ذلك.

١٥- أنه لا يعرف في تراجم أعلامهم أنهم كانوا يهتمون بقراءة القرآن الكريم، بخلاف أهل السنة الذين لا يبلغ أحدهم مرتبة العلم إلا بحفظ وفهم القرآن الكريم، وتجد لهم تلاوات عظيمة، كثيرة، ومتأنية، تكون بتدبّر، وخشوع وخضوع.

فهذا تعظيم الرافضة للقرآن الكريم، ولما لم يعتقدوا صيانته، ولم يعظموه حق تعظيمه بالعلم والعمل، كان نصيبهم من الاحتجاج به والإعراض عنه أكبر، وهذا ما أبينه في المبحث التالي.

---

(١) انظر: ضياء الصالحين ص٤٤١، ٥٢٥ حيث ذكر طلسم يوم الأحد، والجمعة... وهكذا لكل يوم طلسم، ولكل مناسبة شكل. وانظر: بحار الأنوار ٩٤/ ١٩٣ باب عوذات الأئمة!!.

المبحث الرابع: عدم اعتمادهم عليه في العقائد

ذكرت أن الرافضة لا يقيمون للقرآن تعظيما إذ قالوا بتحريفه، وزيادته، ونقصانه، **فلم يعتبروه حجة، ولم يبالوا بآياته**، ولذلك فإن أهل السنة: «أكفروا من زعم من الرافضة أن لا حاجة اليوم في القرآن والسنة، لدعواهم فيها أن الصحابة غيروا بعض القرآن، وحرفوا بعضه!!»[(١)].

فاعتمادهم: على أئمتهم المعصومين!! وعلى ما روي عنهم عن طريق الإخباريين!! وعلى ما يرونه بعقولهم ولو كان فيه شين.

وجل اعتمادهم على ما يروونه عن أئمتهم ـ الذين زعموا أنهم معصومون ـ، بل قالوا: «إنهم يخاطبون، ويسمعون الصوت، ويأتيهم صور أعظم من جبريل وميكائيل...، قال سمعت: أبا عبد الله (ع) يقول: إن منا لمن يعاين معاينة، وإن منا لمن ينقر في قلبه كيت وكيت، وإن منا لمن يسمع كما يقع السلسلة كله يقع في الطست، قال ـ أي الراوي عنه ـ قلت: فالذين يعاينون ما هم؟ قال: خلق أعظم من جبريل وميكائيل؟!!»[(٢)]؛ فعلى هذا لم يكمل الدين، ولا يكمل!! لأن كل إمام يوحى إليه!! بل زعموا أن عليا ﷺ عرج به إلى السماء!![(٣)].

---

(١) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٥٢، وانظر: المعتمد في أصول الدين لأبي يعلى الفراء ص ٢٥٩.

(٢) بصائر الدرجات ٥/ ٢٥١، نقلا عن كتاب: علماء الشيعة يقولون ص٥٣، واليهود كانت تقول بنزول الوحي على الوصي، وكذلك قالت الرافضة. انظر: عبد الله بن سبأ وإمامة علي بن أبي طالب لعلي بن عبد الرحمن السلمان ص٦٢.

(٣) انظر: الاختصاص للمفيد ص٢١٣، وانظر: عبد الله بن سبأ وإمامة علي بن أبي طالب لعلي بن عبد الرحمن السلمان ص ٧٠، حيث نقل نصوصا من كتبهم في ذلك.

ولهذا فإن الرافضة ترى أن الحجة هو الإمام المعصوم، ولا يكون حجة سواه؛ فكيف سيكون موقفهم من القرآن الكريم؟؟ قالوا عن أئمتهم: «هم المعلمون للملائكة: تسبيح الله، وتهليله، وتكبيره، وتمجيده، وروي أن جبرائيل (ع) كان جالسا عند النبي ﷺ فأتى علي (ع) فقام له جبرائيل؛ فقال ﷺ: أتقوم لهذا الفتى؟ فقال: إن له علي حق التعليم!!...»[(١)]، فالإمام عندهم يعلّم أمين الوحي جبريل عليه السلام!!!!.

بل غلوا في الإمامة وأقوال الأئمة حتى قالوا: «إن تعاليم الأئمة كتعاليم القرآن، لا تخص جيلا خاصا، وإنما هي تعاليم للجميع في كل عصر ومصر، وإلى يوم القيامة، يجب تنفيذها واتباعها»[(٢)]، ويقولون: «نعتقد أن أمرهم أمر الله تعالى، ونهيهم نهيه، وطاعتهم طاعته، ومعصيته معصيتهم، ووليهم وليه، وعدوهم عدوه، ولا يجوز الرد عليهم، والراد عليهم كالراد على رسول الله، والراد على رسول الله كالراد على الله تعالى!!»[(٣)].

ولأنهم لا يصدرون عن القرآن الكريم، وقالوا بالإمامة بناء على قول ابن سبأ اليهودي، ولم يجدوا ذلك في القرآن الكريم؛ فإنهم قالوا بتحريف القرآن الكريم!![(٤)].

فيصدرون عن الأشخاص، والتعظيم عندهم قائم للأشخاص، ولا يقوم عندهم التعظيم للمبادئ الإسلامية، التي جاء بها الكتاب والسنة النبوية، ولهذا الغرض حرفوا أيضا آيات القرآن الكريم؛ فقالوا في كثير من الآيات ما يظنونه

---

(١) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، باب/ وشهداء على خلقه، وأعلاما لعباده!! ص٣٧١، نقلا عن كتاب: علماء الشيعة يقولون ص ٥٩.

(٢) الحكومة الإسلامية للخميني ص١١٣.

(٣) عقائد الإمامية لمحمد رضا المظفر ص١٠٦-١٠٧ وانظر: كشف الأسرار للخميني، ترجمة د/ محمد البنداري ص٢٠٧.

(٤) انظر: الشيعة الإثنا عشرية وتحريف القرآن ص٤٤ وما بعدها، وبناء على القول بأن الإمامة من أركان الإسلام فإنهم كفروا من لم ير إمامة أئمتهم!! بل وجعلوا ذلك مثل الشرك بالله!! مع أنهم يمارسون أبشع أنواع الشرك كما هو معروف من اعتقادهم في أئمتهم، ودعائهم لهم من دون الله، وغير ذلك من مظاهر الشرك المعروفة عندهم.

بأوهامهم،ويروونه من رواتهم، ففي قوله ﷻ: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [الحاقة:٤٤-٥٠] قالوا: إن منكم مكذبين، يعني: فلانا، وفلانا!!! وإنه لحسرة على الكافرين: يعني عليا (ع)!! وإنه لحق اليقين يعني: عليا (ع)!!»[(١)].

ومنهم من يعتمد على كتب وضعها لهم الكذابون، ومن ذلك ما أضيف إلى جعفر الصادق ؒ؛ حيث «أضيف إليه كتاب الجفر، والهفت، حتى أضيف إليه رسائل إخوان الصفا؛ وهذا في غاية الجهل؛ فإن هذه الرسائل إنما وضعت بعد موته بأكثر من مائتي سنة؛ فإنه توفي سنة ثمان وأربعين ومئة، وهذه الرسائل وضعت في دولة بني بويه، في أثناء المائة الرابعة...، وضعها جماعة زعموا أنهم جمعوا بين الشريعة والفلسفة؛ فضلوا وأضلوا»[(٢)]، ولذلك نصوا على أن القائم ـ مهديهم ـ إذا قام؛ فإنه «يقوم القائم بأمر جديد، وكتاب جديد!!! وقضاء جديد، على العرب شديد!! ليس شأنه إلا السيف لا يستتيب أحدا!!!»[(٣)]، وقالوا: إن القائم يحكم بحكم داود، وآل داود!![(٤)]؛ فأين كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ!؟.

ولما نظروا إلى كتبهم الملفقة المزورة المكذوبة على آل البيت، وما بينها وبين القرآن الكريم من التناقض قالوا: بتحريف القرآن الكريم!![(٥)].

ويزعمون أنهم يتحاكمون إلى مصحف فاطمة ؓ؛ وعليه اعتمادهم، ولهذا أهملوا القرآن الكريم، وقالوا عن هذا المصحف المزعوم: «وإن عندنا لمصحف فاطمة (ع) وما يدريهم ما مصحف فاطمة (ع)؟ قال: قلت: وما مصحف فاطمة؟ قال: مصحف

---

(١) تفسير العياشي ٣/ ٢٢.

(٢) مختصر الفتاوى ص١٥٦، وانظر: نقض المنطق ص٦٦، المجموع ٣٥/ ١٣٨.

(٣) كتاب الغيبة ص١٥٤، من كتاب: علماء الشيعة يقولون ص ١٠٦.

(٤) الأصول في الكافي ١/ ٣٧٩.

(٥) انظر: الشيعة الإثنا عشرية وتحريف القرآن ص ٥٣ وما بعدها.

فاطمة فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، قال قلت: هذا والله العلم[١]!!...»[٢].

ولما كانت أصول مذهب الرافضة: التلقي عن الأئمة دون النظر إلى الكتاب والسنة، قالوا بالكفر الظاهر، والشرك الجلي، والمبتدعات الشنيعة، والمستدركات على الشريعة!! حتى وصل بهم الأمر إلى أنهم نفوا الاجتماع والالتقاء مع أهل السنة ـ أهل الحق والإنصاف ـ بل تبرؤوا من الله ﷻ، ومن نبيه محمد ﷺ، حتى قالوا: «إنا لم نجتمع معهم ـ أي مع أهل السنة ـ على إله، ولا على نبي، ولا على إمام!! وذلك أنهم يقولون: إن ربهم هو الذي كان محمد ﷺ نبيه، وخليفته بعده أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب، ولا بذلك النبي، بل نقول: إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا، ولا ذلك النبي نبينا!!»[٣].

ويكفي أن تعلم أنهم لما لم يصدروا عن القرآن الكريم، ولا وردوا هداه، قالوا: إن النبي الكريم ﷺ فشل في دعوته، ولم يؤمن به طيلة ثلاث وعشرين سنة إلا ثلاثة نفر!! والباقون كلهم أهل نفاق!![٤]، فـ«الرسول الذي آمنوا به؛ فهو بزعمهم رجل من العرب لم يبلغ رسالات ربه!! وليس هو أفضل الخلق!! بل إن من ليس بنبي يساويه بزعمهم[٥]، وأنه رد الوحي مرتين، وأنه لم يبلغ رسالات ربه في آخر حياته خوفا من ضرر أصحابه...»[٦].

ويدعي الخميني أنه استطاع أن يقيم ما لم يقمه محمد بن عبد الله ﷺ!!! فاستطاع الفقيه الوالي عن الإمام الغائب المنتظر ـ عندهم ـ أن يكون أفضل في دعوته

---

(١) كيف يكون فيه العلم، وما فيه من قرآننا حرف واحد!! اللهم إلا أن يكون فيه علم المجوس!!.

(٢) الكافي للكليني، كتاب الحجة، باب/ فيه ذكر الصحيفة والجفر، والجامعة، ومصحف فاطمة!! ١/ ١٨٥-١٨٦.

(٣) الأنوار النعمانية ٢/ ٢٧٨.

(٤) الروضة من الكافي ٨/ ٢٤٥.

(٥) قال المجلسي في بحار الأنوار ٢٦/ ٢٦٧، باب/ تفضيل الأئمة على الأنبياء وعلى جميع الخلق!!... وأن أولي العزم صاروا أولي العزم بحبهم!! وقال: ٢٦/ ٣١٩، باب/ أن دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل والاستشفاع بالأئمة!!

(٦) صب العذاب على من سب الأصحاب ص ٤٧٨، وانظر ما بعدها.

من أفضل خلق الله محمد ﷺ، ـ اللهم سبحانك هذا بهتان عظيم ـ، يقول الخميني: « لقد جاء الأنبياء جميعا من أجل إرساء قواعد العدالة في العالم، لكنهم لم ينجحوا، حتى النبي محمد[1] خاتم الأنبياء، الذي جاء لإصلاح البشرية، وتنفيذ العدالة، وتربية البشر لم ينجح في ذلك!! وإن الشخص الذي سينجح في ذلك، ويُرسي قواعد العدالة في جميع أنحاء العالم، في جميع مراتب إنسانية الإنسان، وتقويم الانحرافات هو المهدي المنتظر... »[2].

وهذا كان أئمة الشيعة، أو المناوبون عن الغائب منهم كلامهم هو المعتمد، وقوله هو المجد، ولذا كان دستور الدولة الإسلامية!! عندهم قائما على « منح الفقيه حق الولاية العامة، يسوق منطقيا إلى رفع منـزلته إلى مقام الأئمة المعصومين، وهو ما ادعاه الخميني لنفسه، بدعوى استمرارية الإمامة، والقيادة العامة في غيبة المهدي، وعليه فإن الدستور في فلسفته العامة يستمد شرعيته وصلاحيته من الأراء والمعتقدات الذاتية للخميني باعتباره "حجة مطلقة"!! ونائبا عن الإمام الغائب في الفصل بين الأشياء والأمور!! »[3].

فالرافضة مع طعنهم في أصحاب رسول الله ﷺ لا يمكنهم إثبات مطلب مّا، « من المطالب الدينية على القول بارتداد الصحابة ـ والعياذ بالله ـ إلا القليل...، والخبر... لا بد له من ناقل؛ فهو إما من الشيعة، أومن غيرهم، ولا اعتبار لغيرهم عندهم أصلا؛ لأن منتهى وسائطهم في رواياتهم المرتدون المحرفون لكتاب الله تعالى!! المعادون المعاندون للأمير ﷺ وسائر أهل بيته!! »[4].

فإذا كان هذا حالهم مع القرآن؛ فلا شك أن موقفهم من السنة النبوية الثابتة أشد وأنكى، وأقبح وأردى، ولهذا لا يقيمون لما روي عن طريق الصحابة وزنا، ولا ما جاء عن النبي ﷺ، بل اعتمادهم ما رواه علماؤهم عن أئمتهم المعصومين بزعمهم[5].

---

(١) هكذا دون أن يصلي عليه!! اللهم صل وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

(٢) نهج خميني ص٤٦.

(٣) نهج خميني ص١٨.

(٤) صب العذاب على من سب الأصحاب ص ٣٦٨-٣٦٩.

(٥) انظر: مصادر التلقي ص١٤١ وما بعدها، ومن أهم مصادر التلقي الكتب التي منها يتلقون أقوال أئمتهم ما =

قال الشيخ محمود شكري الألوسي رحمه الله: «نعم، إنهم أخذوا مذهبهم من الرقاع المزورة، التي لا يشك عاقل أنها افتراء على الله تعالى، ولا يصدق بها إلا من أعمى الله بصره وبصيرته... والعجب من الرافضة أنهم سموا صاحب الرقاع بـ"الصدوق"، ولا يخفاك أن هذا من قبيل تسمية الشيء باسم ضده، وهو وإن كان يظهر الإسلام، غير أنه كافر في نفس الأمر، وكان يزعم أنه يكتب مسألة في رقعة فيضعها في ثقب شجرة ليلا!! فيكتب الجواب عنها صاحب الزمان!!.

وهذه الرقاع عند الرافضة من أقوى دلائلهم، وأوثق حججهم، فتباً لقوم أثبتوا أحكام دينهم بمثل هذه الترهات، واستنبطوا الحلال والحرام من نظائر هذه الخزعبلات، ومع ذلك يقولون: نحن أتباع أهل البيت!! كلا، بل هم أتباع الشياطين، وأهل البيت بريئون منهم»[(١)].

فالرافضة لا يتلقون عن الكتاب والسنة، «وشيوخ الروافض معترفون بأن هذا الاعتقاد في التوحيد والصفات... لم يتلقوه لا عن كتاب، ولا سنة، ولا عن أئمة أهل البيت، وإنما يزعمون أن العقل دل عليه، كما يقول ذلك المعتزلة، وهم في الحقيقة إنما تلقوه عن المعتزلة، وهم شيوخهم»[(٢)].

«ولو فرض ـ على سبيل التقدير ـ أن العقل الصريح الذي لا يكذب، يناقض بعض الأخبار: للزم أحد الأمرين: إما تكذيب الناقل، أو تأويل المنقول؛ لكن ـ ولله الحمد ـ هذا لم يقع، ولا ينبغي أن يقع قط؛ فإن حفظ الله لما أنزله من الكتاب والحكمة يأبى ذلك، نعم يوجد مثل هذا في أحاديثَ وضعتها الزنادقة ليشينوا بها أهل الحديث»[(٣)].

= يأتي: ١ ـ الكافي للكليني، وهو أصح الكتب عند الرافضة!! بل هو كصحيح البخاري عند أهل السنة. ٢ ـ من لا يحضره الفقيه للقمي. ٣ ـ التهذيب لأبي جعفر الطوسي. ٤ ـ الاستبصار لأبي جعفر الطوسي، وقالوا: إن العمل بما في الكتب الأربعة واجب!! انظر: صب العذاب على من سب الأصحاب ص ٢٨٦ وما بعدها.

(١) صب العذاب على من سب الأصحاب ص ٣٠٠-٣٠١، ثم ذكر بعضا من الرقاع التي يستندون عليها.

(٢) منهاج السنة ٢/ ٣٦٩.

(٣) المجموع ٣٣/ ١٧٣.

واعتماد الرافضة الكلي على العقل في مسائل التوحيد، ولهذا فهم يسمون هذا الباب بعلم الكلام، قالوا: «ومن أجل هذا أسّس علم الكلام...؛ فمن يقف على كتب المسلمين في هذا العلم يجد للشيعة الإمامية النظرات العالية، والمعتقدات التي تتفق مع العقل السليم!! والمنطق الحر!!»(١).

فالرافضة عندهم من الأصول التي يعتمدون عليها: العقل!! ولكنها عقولهم التي أوردتهم الموارد، وإلا فإن العقل الصريح لا يناقض النقل الصحيح(٢).

وهؤلاء الرافضة كانوا بابا عظيما للباطنية، إذ دخلوا من طريقهم إلى إفساد الإسلام، وفي الفصل التالي سيكون الحديث عن الباطنية.

---

(١) تبويب الذريعة إلى تصانيف الشيعة ص٤٠.

(٢) ولهذا ألف شيخ الإسلام رحمه الله كتابه الفذ: درء تعارض العقل والنقل، لبيان هذا المقصد، ورفع التعارض المتوهم، وانظر: صب العذاب على من سب الأصحاب ص ٥٠٠.

الفصل الرابع

منزلة القرآن الكريم عند الباطنية

وفيه مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالباطنية.

المبحث الثاني: اعتقاد الباطنية عدم انقطاع الوحي.

المبحث الثالث: اعتقادالباطنية في القرآن الكريم.

المبحث الرابع: استهانة الباطنية بالقرآن الكريم.

المبحث الأول: التعريف بهم

كلمة الباطنية من الباطن، ولقبوا بهذا؛ لأنهم يقولون: بأن لكل ظاهر باطنا، ويقولون: الظاهر بمنـزلة القشور، والباطن بمنـزلة اللب[(١)].

وقيل: هم الذين يعتقدون أن للقرآن ظاهرا وباطنا، وأن المراد باطنه[(٢)]، وقال الغزالي: «الباطنية: وهم يدعون أنهم أصحاب التعلم، والمخصوصون بالاقتباس من الإمام المعصوم»[(٣)].

وقال ابن الجوزي رحمه الله: «الباطنية: قوم تستروا بالإسلام ومالوا إلى الرفض»[(٤)].

فالباطنية هم الذين سلكوا في النصوص مسلك التأويل الباطني الذي لا يدل عليه العقل؛ فضلا عن الكتاب والسنة، كقولهم: إن الصلاة هي أسرار أئمتنا!!![(٥)].

ولهم أسماء عدة، وهم طوائف مختلفة، ومن أشهرها[(٦)]:

١- **الباطنية:** لادعائهم أن للدين ظاهرا وباطنا، وأن الظاهر هو القشر، والباطن هو اللب، «ومرادهم أن ينزعوا من العقائد موجب الظواهر، ليقدروا

---

(١) انظر: كتاب اصطلاح الصوفية لابن عربي ص ١٥ (القشر)، الحركات الباطنية للخطيب ص١٩.

(٢) انظر: الأنساب للسمعاني ٢/ ٢٦٠، رسالة في ألفاظ الكفر لقاسم بن صلاح الدين الخاني، ص ٣٧٩، ضمن الجامع لألفاظ الكفر، للشيخ د/ محمد الخميس.

(٣) المنقذ من الضلال ص٨٩، المجموع ٢/ ٥٥، شرح الأصبهانية ص٥٠٩.

(٤) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١١٣.

(٥) انظر: الصفدية ١/ ٢٧٦.

(٦) انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١١٣، الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١١، وما بعدها، المجموع ٣٥/ ١٥٢، الدرء ٥/ ٢٠٨، مناهل العرفان ٢/ ٨٢.

بالتحكم بدعوى الباطن على إبطال الشرائع »[١].

٢- **إخوان الصفا**: وهم قوم من بقايا الفرس والمجوس اجتمعوا سرا لإبطال الشريعة الإسلامية، ولكن بطرق خفية[٢].

٣- **الإسماعيلية**: نسبة إلى زعيمهم: محمد بن إسماعيل بن جعفر، وزعموا أن الله حل فيه!![٣].

٤- **السبعة أو السبعية**: نسبة إلى قول بعض فرقهم بأن للأشياء سبعة أدوار، ومن جملة ذلك الإمامة، وهذا هو قول الإسماعيلية، وأن هذه الأدوار لا نهاية لها، وأن المقصود بالقيامة الدور السابع في كل شيء!!، وقيل لهم سبعية أيضا: لقولهم إن الأفلاك السبعة السماوية مدبرة للأمور الأرضية!! وهذا يعنى أنهم لا يدينون بالقيامة، وأنهم دهرية كما قال البغدادي رحمه الله[٤].

٥- **البابكية**: وهو اسم لطائفة منهم تبعوا شخصا يقال له: بابك الخرمي، وكان من الباطنية[٥].

٦- **المحمرة**: ونسبوا إلى ذلك لأنهم صبغوا ثيابهم بالحمرة، في أيام بابك الخرمي.

٧- **القرامطة، أو القرمطية**: نسبة إلى رجل يقال له: حمدان قرمط، وقيل نسبة إلى رجل يقال له "كرميته"[٦].

٨- **الخرمية**: و(خُرَّم) لفظ أعجمي، ومعناه المستلذ المستطاب[٧]، ومقصود هذا

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١١٣، وانظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٢٤، الموسوعة العربية الميسرة ٢/ ١٣٧٣.

(٢) انظر: الحركات الإسلامية للخطيب ص ١٦٩.

(٣) انظر: الحركات الإسلامية للخطيب ص ٥٥ وما بعدها، بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات ص٥١.

(٤) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٢٤، الدرء ٥/ ٤.

(٥) انظر: كيد الشيطان لابن الجوزي ص ١٠٦.

(٦) انظر: الأنساب للسمعاني ٤/ ٤٧٨، كيد الشيطان لابن الجوزي ص ١٠٦، اليمانيات المسلولة للكوراني ص٢٠٨ وما بعدها، الحركات الإسلامية للخطيب ص ١٣٥ وما بعدها.

(٧) انظر: المعجم الفارسي (فرهنك عميد) ١/ ٨٥١.

الاسم أن الباطنية إنما يتبعون ما لذ وطاب في أعين الناس، دون نظر إلى شرع، وإلى دين.

٩- **التعليمية**: وذلك لأنهم يبطلون العقول، وحججها، ويغمضون النصوص وظواهرها، ويلزمون أتباعهم بالتعليم من الإمام المعصوم!!.

١٠- **الملاحدة**: وذلك لأن دينهم يعود إلى الإلحاد في الأديان، وبما جاء في شريعة الرحمن.

١١- **الخطابية**، وهم أصحاب أبي الخطاب بن أبي زينب(١)، ويزعمون أن الأئمة محدثون ورسل الله، وحججه على خلقه(٢).

١٢- **النصيرية**: وهي حركة باطنية ظهرت في القرن الثالث الهجري، على يد غلاة الشيعة، وقالوا بألوهية علي ﷺ، وهم يسمون اليوم بالعلويين(٣).

١٣- **الدروز**: طائفة من الباطنية انشقت عن الإسماعيلية، في العهد العبيدي في مصر(٤).

١٤- **البابية**: وهي فرقة تعتقد بأن الميرزا علي محمد الشيرازي نبي، وأنه نسخ الشريعة الاسلامية(٥).

١٥- **البهائية**: وهي فرقة تعتقد بأن البهاء حسين بن علي بن عباس النوري قد أصبح هو النبي وهو الإله، وأنه قد نسخ الشريعة الإسلامية(٦).

١٦- **القاديانية**: وهم أتباع غلام أحمد القادياني، وهو يدعي أنه نبي وأنه أوحي إليه!!(٧).

---

(١) هو: أبو الخطاب محمد بن أبي زينب مقلاص الأسدي الكوفي، انظر: منهاج السنة ١/ ٦٤.

(٢) منهاج السنة ٢/ ٥٠٦.

(٣) انظر: بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات ص ٥٩.

(٤) انظر: الحركات الإسلامية للخطيب ص ١٩٩، بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات ص ٦٦.

(٥) انظر: بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات ص ٧٣ وما بعدها.

(٦) انظر: بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات ص ٨٣ وما بعدها.

(٧) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١٤٤ وما بعدها، بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات ص ١٠٨ وما بعدها.

و« هذه الأسماء منها ما يعمهم، ومنها ما يخص بعض أصنافهم، كما أن الإسلام والإيمان يعم المسلمين، ولبعضهم اسم يخصه: إما لنسب، أو لمذهب، وإما لبلد، وإما لغير ذلك...، وهم كما قال العلماء فيهم: ظاهر مذهبهم الرفض، وباطنه الكفر المحض »(١).

وفي نسبة **الباطنية**: إلى فئة اختلاف كثير ـ وهذا لا يهم ـ إذ المهم معرفة أفكارهم وأقوالهم في هذا الباب خصوصا، واللب الذي اجتمعوا عليه هو: التأويل الفاسد لآيات الكتاب، والأحاديث، وقولهم إن النصوص لها معانٍ باطنة لا يعلمها إلا الأئمة، ولعل أول نابغة نبغت وتبنت هذا الرأي، هو عن طريق عبد الله بن سبأ اليهودي(٢).

وأول ظهور بداية جماعية لهم كان فيها أولاد المجوس، وبقايا الخرمية، والفلاسفة واليهود؛ إذ جمعهم ناد، وتشاوروا فيما بينهم وقالوا: إن محمدا غلب علينا، وأبطل ديننا، واتفق له أعوان، ونصروا مذهبه، ولم يكن نبيا!!، ولا مطمع لنا في مغالبته بالقوة، ولا بالحجة، فلا بد من هدمه من الداخل بالتأويلات، ولهذا قيل: إن وباء الباطنية على عمومه منقول بطريق العدوى من المجوس(٣).

ولا شك في أن الباطنية بجميع نحلها ليست من فرق الإسلام في شيء، قال البغدادي رحمه الله: « وليست الباطنية من فرق الإسلام، بل هي من فرق المجوس »(٤).

وهؤلاء الباطنية « فإنهم في الباطن كافرون بجميع الكتب والرسل، يخفون ذلك، ويكتمونه عن غير من يثقون به، لا يظهرونه...، لأنهم لو أظهروه لنفر عنهم

---

(١) المجموع ٣٥/ ١٥٢.

(٢) عبد الله بن سبأ، ويعرف بابن السوداء، اليهودي، كان من يهود اليمن، وأظهر الإسلام لتدمير الإسلام من الداخل، فادعى أن عليا هو وصي رسول الله، كما أن لكل نبي وصيّا، ثم ادعى أنه هو الله، وأن الله تجسد في بدنه!! وأنه لم يمت، بل هو في السحاب، وصوت الرعد صوته!! سعى في تأجيج نار الفتنة، وأشعلها حتى قتل عثمان رضي الله عنه مظلوما، وفي خلافة عليّ رضي الله عنه ظهرت السبأية، فطلبهم علي رضي الله عنه وقتل منهم من قتل، وهرب ابن سبأ إلى مصر، وقيل بل قَتَله عليٌّ، وقيل غير ذلك. انظر: ابن سبأ حقيقة لا خيال، د.سعدي الهاشمي.

(٣) انظر: مناهل العرفان ٢/ ٦٣.

(٤) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٢.

جماهير أهل الأرض من المسلمين وغيرهم»[١].

أمور اتفقت عليها الباطنية:

١ - **التأويل الفاسد**: وهو تفسير الكتب المقدسة تفسيرا رمزيا أو مجازيا، يكشف عن معانيها بحسب رغباتهم، فالشريعة عندهم مشتملة على ظاهر وباطن لاختلاف فطر الناس!![٢].

٢ - **الدخول إلى الاسلام لإفساده، وذلك من طرق: الأول**: التشيع، فهو باب الباطنية، ولهذا ظهر فيهم...، **الثاني**: التصوف، وظهر فيهم الباطنية بشدة مثل المولوية ونحوها، **والثالث**: علم الفلسفة والكلام، فأكثر هؤلاء الباطنية كابن سينا والفارابي وغيرهم من المتكلمين من الفلاسفة.

٣ - **إظهار الموافقة لكل أحد على حسب ما يعتقده المخاطب**: فهم لا يظهرون ما يبطنون إلا لخاصتهم، ويقولون: إنه لا يظهر الحقيقة الباطنية لكل أحد[٣]، ويسمونها التقية: وهي واجبة عند جميع الحركات الباطنية[٤]، يقول ابن عربي الحلولي: «الغيرة: غيرة في الحق لتعدي الحدود، **وغيرة تطلق بازاء كتمان الأسرار والسرائر، وغيرة الحق: ضِنته على أولياءه، وهم الضنائن**»!![٥] ويقول عن الفناء الصوفي: «وهذا الفن من الكشف، والعلم: يجب ستره عن أكثر الخلق!! لما فيه من العلو، فغوره بعيد! والتلف فيه قريب!»[٦]، ويقول شاعرهم:

---

(١) المجموع ٣٥/ ١٤١.

(٢) انظر: إيثار الحق ص١٢٣، الحركات الباطنية ص ٣٠، المعجم الفلسفي، جميل صليبا ١/ ٣٣٤، ونظرة واحدة إلى كتاب: أخبار جلال الدين الرومي يتبين لك ضلال الباطنية الصوفية وغيرهم، وتلاعبهم بالنصوص الشرعية، والألفاظ التي لها معانٍ في العربية، حتى يتسنى لهم ما يريدون من العقيدة الغوية، التي يبطنونها في أنفسهم خوفا من أهل الظواهر السنية.

(٣) انظر: الحركات الباطنية ص ٤٧ ـ ٤٨، تاريخ الفكر العربي لعمر فروخ ص١٤٤.

(٤) انظر: الحركات الباطنية ص ٥٢.

(٥) كتاب اصطلاح الصوفية له ص ١١ (الغيرة).

(٦) الفناء لابن عربي ص ٣، وانظر منه ص ٤، وانظر: رسالته للرازي ص١٠.

وأسرار تراءت مبهمات متسترة بأرواح المعاني

فمن فهم الإشارة فليصنها وإلا سوف يقتل بالسنان[(١)]

وهكذا يقول الفيلسوف ابن رشد: «فالتأويلات ليس ينبغي أن يصرح بها للجمهور، ولا يثبت في الكتب الخطابية، أو الجدلية،... وأما المصرح **بهذه التأويلات لغير أهلها فكافر، لمكان دعائه للناس إلى الكفر**»[(٢)].

٤- **تزهيدهم في ظاهر الشرع**، وظاهر القرآن بحجة الباطن، ويسمون العلماء بأهل الرسوم، والنظر الفكري[(٣)]. بل ويقولون: «الحجب المانعة من إدراك الحق عظيمة، وأعظمها: العلم»[(٤)]، بل ويقولون: «من صار إلى تأويله الباطن فهو من الملائكة البررة، ومن عمل بالظاهر فهو من الشياطين الكفرة»[(٥)].

٥- **ادعاؤهم أن الله ظهر في الصورة الناسوتية**: ثم اختلفوا وكل فريق منهم يدعي أن اللاهوت ظهر في صورة الناسوت، أي الله ظهر في صورة الإنسان، وكل واحد يقول هو شيخنا، أو إمامنا، أو رئيسنا[(٦)]. قال ابن عربي: «التوحيد لا تصح العبارة عنه؛ لأنه لا يعين إلا للغير، ومن أثبت غيرا فلا توحيد له»[(٧)]. ويقول بعضهم: «رسل الله: الله»[(٨)]، ويقول القونوي عن نفسه: «علامتي بلا علامة، مكاني بلا مكان! ولا أنا جسم ولا روح، فنفسي روح الأرواح!، **لما لفظت الاثنينية رأيت العالم واحدا**، إني أرى واحدا، وأنشد واحدا، وأعلم واحدا، وأقرأ واحدا!!!»[(٩)].

---

(١) الإسراء إلى مقام الأسرى لابن عربي ص٤، ونقل شيخ الإسلام ﷺ أبياتا مشابهة لهذه، كما في المجموع ٨/ ٣١٧.

(٢) فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ٣٣.

(٣) الفناء لابن عربي ص ٧، القربة له ص ٨، وانظر: الميم والواو والنون لابن عربي ص٨.

(٤) التراجم لابن عربي ص ١٨.

(٥) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٢٣.

(٦) انظر: المجموع ٨/ ٣١٧، الحركات الباطنية ص ٣٤١، إسلام بلا مذاهب ص٣٣٢.

(٧) الإعلام بإشارات أهل الإلهام لابن عربي ص٥.

(٨) الإعلام بإشارات أهل الإلهام لابن عربي ص٧.

(٩) تاريخ التصوف الإسلامي لعبد الرحمن بدوي ص٢٩، وانظر: أخبار جلال الدين الرومي ص٣٧٧.

٦- **ادعاؤهم علم الغيب**: فهذا ابن عربي المنكر يقول: «المطالعة: توقيعات الحق للعارفين ابتداء، وعن سؤال منهم فيما يرجع إلى حوادث الكون»[١]. ويقول ابن عربي ناصحا مريده بالاستمرار: «فإن لم تقف رفع لك سرير الرحمانية، وكل شيء عليه، فإذا نظرت في كل شيء، فسترى جميع ما اطلعت عليه فيه، وزائدا على ذلك، **ولا يبقى علم، ولا عين إلا وتشاهده فيه**»[٢]، ويقول الرومي القونوي: «قد أراني الله أساس إيجاد هذا الكون، متى وكيف خلق، وإلى أي حين سيدوم» !؟[٣].

٧- **عدم الإنكار على أهل الأديان بحجة أن الكل على الحق**: يقول ابن عربي في وصف من وصل!!: «فإن لم تقف مع هذا رفعك عن عالم الحمية والغضب والتعصب، **ومنشأ النـزاع الخلاف الظاهر في العالم**، واختلاف الصور في ذلك!!»[٤]. ويقول معتذرا للمشركين: «وغاية كل سالك مناسبة لطريقه الذي عليه سلك، فمنهم: من يناجي بلغته! ومنهم من يناجي بغير لغته، وكل من نوجي بلغة، **أي لغة كانت؛ فإنه وارث لنبي ذلك اللسان، وهو الذي تسمعه على ألسنة أهل هذه الطريقة: إن فلانا موسوي!!، وعيسوي!!، وإبراهيمي!!...، والكامل من يناجي بجميع اللغات، وهو المحمدي خاصة!!!**»[٥]، **ويسمون من ينكر على أهل الأديان، ويدعونهم إلى الحق الذي جاء به سيد ولد عدنان ﷺ يسمونهم: الملامَتية**[٦].

وهكذا يقول الحلاج: «**وإياك والتوحيـد!!!**»[٧] ويقول في ذلك ابن عربي:

كفرت بدين الله والكفر واجب لديّ وعند المسلمين قبيح[٨].

---

(١) كتاب اصطلاح الصوفية له ص ١١ (المطالعة).

(٢) رسالة الأنوار لابن عربي ص١٣.

(٣) مناقب العارفين للأفلاكي ١/ ٥٠٠، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٢٣٠.

(٤) رسالة الأنوار لابن عربي ص١١.

(٥) رسالة الأنوار لابن عربي ص١٣-١٤.

(٦) رسالة الأنوار لابن عربي ص١٤، لا يعول عليه لابن عربي ص١٠.

(٧) رسالة ابن عربي للرازي ص١٣.

(٨) رسالة ابن عربي للرازي ص ١٣.

وهكذا يقول القونوي: «جه تدابيري مسلمانان كه من خودرا نمي دانم، نه ترسا، نه يهودم، نه كفرم، نه مسلمانم...، المعنى: أيها المسلمون: ليت شعري ما التدبير؟ أنا لا أدري؟ فلا أنا نصراني، ولا يهودي، ولازرادشتي، ولا مسلم!!!»(١).

وهذا الرومي القونوي لم يكن يفرق بين الحلال والحرام، إلا ما أرشده إليه ذوقه، فلا يعرف دينا، إلا ما أملاه عليه هواه؛ «فكان يستحل جميع المحرمات؛ حتى حكى عنه الثقات أنه كان يقول: البنت والأم والأجنبية شيء واحد، ليس في ذلك حرام علينا، وإنما هؤلاء المحجوبون قالوا حرام؛ فقلنا حرام عليكم»(٢).

فـ «**الباطنية، ونحوهم أبطنوا خلاف ما أظهروه للناس**، وسعوا في ذلك بكل طريق، وتواطؤوا عليه ما شاء الله، حتى التبس أمرهم على كثير من أتباعهم، ثم إنهم مع ذلك اطلع على حقيقة أمرهم جميع أذكياء الناس من موافقيهم ومخالفيهم، وصنفوا الكتب في كشف أسرارهم، ورفع ستارهم، ولم يكن لهم في الباطن حرمة عند من عرف باطنهم، ولا ثقة بما يخبرون به، ولا التزام طاعة لما يأمرون، وكذلك من فيه نوع من هذا الجنس؛ فمن سلك هذه السبيل، لم يبق لمن علم أمره ثقة بما يخبر به، وبما يأمر به»(٣)، وإذا كان هذا ما اتفق عليه الباطنية فإني أذكر بعض نصوصهم بشيء من التفصيل - في المبحث الآتي - مما يدل على أنهم جميعا لا يرون انقطاع الوحي، وإن اختلفوا في مسميات هذا الوحي.

---

(١) تاريخ التصوف الإسلامي لعبد الرحمن بدوي ص٢٩، وانظر: أخبار جلال الدين الرومي ص٣٧٧.
(٢) المجموع ٢/ ٤٧٢.
(٣) المجموع ١٣/ ٢٥٠.

المبحث الثاني: اعتقاد الباطنية عدم انقطاع الوحي

إن من العقائد السلفية السنية أن الوحي قد انقطع بعد وفاة النبي ﷺ، وأنه لا يمكن لأحد كائنا من كان أن يأتيه وحي ـ بشرع ـ بعد بعثته ﷺ، وأن أحدا لا يمكن أن يبلغ مرتبة الأنبياء والرسل، ولو جاهد ما جاهد، وبذل ما بذل، فالنبوة ليست مكتسبة عند أهل الإسلام ـ بحق ـ، بل هو محض فضل الله ﷻ يؤتيه من يشاء.

والباطنية منهم من يصرح بعدم انقطاع الوحي، وزعموا أن رسل الله لا تنقطع أبدا، وأن انقطاع الوحي نقص وعيب!![١] ومن فرق الباطنية من زعم أن في قلب كلّ مؤمن وحيًا!!، وأن كل مؤمن يوحى إليه!![٢] ومنهم فرق وأقوام لا يصرحون بانقطاع الوحي، ويعتقدون أنه يمكن إدراكه، ولكن يسميه بغير اسمه، حتى لا ينكشف عواره، ولا يظهر شناره[٣].

وكثير منهم يزعم أنه جاءه الوحي في قلبه، حتى كان منهم من يقول: حدثني قلبي عن ربي[٤]، فليس هو بحاجة إلى علم المحدثين!!.

ومن هؤلاء الذين خالفوا السلف ولا يعتقد انقطاع الوحي ـ ويسميه بغير اسمه ـ ابن عربي الحلولي، حيث يقول: «المسامرة: خطاب الحق للعارفين من عالم الأسرار والغيوب، نزل به الروح الأمين على قلبك»[٥]، ويقول: «الحرف: اللغة،

---

(١) وهذا الكلام صحيح لو أن الدين لم يكن كاملا، أما وأن الدين قد كمل؛ فليس لهذه الشبهة من وجه. انظر: البهائية نقد وتحليل للشيخ إحسان إلهي ظهير ص ٥٥.

(٢) انظر: منهاج السنة ٢/ ٥٠٥-٥٠٨.

(٣) انظر: الدرء ٥/ ٢٠٨، الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد للشوكاني ص ١٣١.

(٤) انظر: المجموع ١٣/ ٢١٨، ٢٢٤.

(٥) كتاب اصطلاح الصوفية له ص ١٠ (المسامرة).

وهو ما يخاطبك به الحق من العبارات»[(١)]، ولذلك ادعى أنه يزاحم الأنبياء، فيقول: «اعلموا أن كثيرا من أن أهل طريقتنا كأبي حامد الغزالي، وغيره، تخيل أنه ليس بين الصديقية والرسالة مقام، وأن من تخطى رقاب الصديقين، وقع في النبوة، وبابها مسدود عندنا دوننا، لكن لنا المزاحمة معهم في صفهم، هذا غايتنا»[(٢)]. وأن جبريل يأتيهم!! «فإذا بدت لكم وفقكم الله حضرة الأحكام، وتنـزلات الشرائع، **ورأيتم خازنها جبريل عليه السلام، فذلك أول تحصيل هذا المقام!!!**». ثم يفلت من هذا بدهاء، ومكر وإيحاء فيقول: «واعلم أن جبريل لا ينـزل على غير رسول يوحى أبدا، ولا ينسخ شريعة» ثم يعيد الكرة بدهاء لإثبات رؤيتهم جبريل فيقول: «فتعمل هناك في وسيلة ورقيقة تكون من ذلك اللوح إلى قلبك، إن أردت تحصيل هذا المقام، **فستجد صورة جبريل، وما هي بجبريل، وهي مختصة بالأولياء**، فانظر إليها فإن رأيتها ناظرة إليك فاعلم أنك منهم»[(٣)].

بل ويزعمون أن الحق ينـزل إليهم، يقول ابن عربي: «التداني: معراج المقربين، التدلي: نـزول المقربين، ويطلق بازاء نـزول الحق إليهم عند التداني»[(٤)]، ويتلقون ما يرد إليهم!! فيقول: «والتلقي: أخذك ما يرد من الحق عليك»، بل ويكون هذا التلقي بدون حجاب وواسطة، «الخلوة: محادثة السر مع الحق حيث لا ملَك، ولا أحد»[(٥)].

هذا الزعم لم يأت من فراغ، بل هو نتائج أفكار معكوسة، وزبالات منكوسة، وزعموا أن الولاية أرفع من النبوة!!! فكيف لا يأتيهم الوحي إذاً، يقول ابن عربي: «الولاية الكبرى هي النبوة الكبرى، والولي العارف مرتبته فوق مرتبة الرسول...، ومرتبة الولاية دائمة الوجود، ومرتبة الرسالة منقطعة فإنها تنقطع بالتبليغ!!! والفضل

(١) كتاب اصطلاح الصوفية له ص ١٣.
(٢) القربة لابن عربي ص٦.
(٣) القربة لابن عربي ص ٧.
(٤) كتاب اصطلاح الصوفية له ص ١٣.
(٥) كتاب اصطلاح الصوفية له ص ١٣.

للدائم الباقي!!»[١]. مع أن المعتقد المشهور عند المسلمين، بل وعند أهل الكلام، وهو الحق بلا خصام، أن الولاية تنال باتباع النبوة، ولا تكون أبدا أفضل منها، بل ولا يكون ولي إلا أن يكون محقا في ديانته، متبعا لرسالة النبي ونبوته[٢].

واقرأ هذا الأنس والانبساط مع الإله!! كما يزعم هؤلاء الذين لا يقرون بانقطاع خبر السماء، يقول ابن عربي: «وعاينت آداب الدخول إلى الحضرة الإلهية!! وآداب الوقوف بين يدي الحق، وآداب الخروج من عنده...، والمشاهدة الدائمة من الوجوه المختلفة!! وكيفية تلقي العلوم الإلهية من الله تعالى!!...، **وأدب الأخذ، والعطاء، والقبض، والبسط!!**»[٣].

ومثل هذا قول الشمس التبريزي الحلولي الرافضي، في معرض حفل تنصيب شيخ صوفي، تكلم القوم، فقال الزعيم الصوفي الحلولي: «إلام تفخرون بمروياتكم

---

(١) القربة له ص٩، ثم لما يرى شناعة هذا القول، يتنكر له بدهاء، ويلتفت إلى نفسه، ثم يرجع إلى إثباته مرة أخرى بدهاء.

(٢) انظر: العقائد النسفية ص٣٢، وبدأ الأمالي للفرغاني ص٢١، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

(٣) رسالة الأنوار لابن عربي ص١٠. وأما أهل السنة المتبعون للكتاب، المعتمدون على الرأي الصواب، **فيعتقدون أن الله لا يرى في الدنيا**، كما هو صريح القرآن الكريم، حيث قال الله ﷻ لكليمه موسى - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[الأعراف:١٤٣]، وفي الحديث: [**تعلموا أنه لن يرى أحدٌ منكم ربه ﷻ حتى يموت**] (رواه مسلم، كتاب الفتن، باب/ ذكر ابن صياد، ح(١٦٩) من رواية ابن عمر ﷺ) وهذه من العقائد المسلمات، وهو عقيدة المسلمين والمسلمات، خلا هذه الطائفة الباطنية التي تعتمد على الزندقات، يقول الشيباني رادًّا على أمثال هؤلاء:

ولا عين في الدنيا تراه لقوله ... سوى المصطفى إذ كان بالقرب أفردا
ومن قال في الدنيا: يراه بعينه ... فذلك زنديق طغى وتمردا
وخالف كتب الله والرسل كلهم ... وزاغ عن الشرع الشريف، وأبعدا
وذلك ممن قال فيه إلهنا ... يرى وجهه يوم القيامة أسودا
ولكن يراه في الجنان عباده ... كما صح في الأخبار، نرويه مسندا

متن الشيبانية ص٣٥، مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

عن هذا وذاك؟ وحتام تركبون سرجا بغير أحصنة! تركضونها في ميادين الرجال، **أليس فيكم امرؤ يقول: حدثني قلبي عن ربي؟!! أيام تمشون معتمدين على عصاة غيركم!!** إن ما تنقلونه من كلام في الحديث والتفسير، الحكمة، وغيرها، كلمات رجال عاشوا في وقتهم، متربعين مقامات الولاية في عصرهم!! كانوا يحدثون بما يأتيهم من أحوال، وبما أن أولياء هذا العصر هم أنتم، فأين ـ والحالة هذه ـ كلماتكم، وأسراركم أنتم؟؟ ثم قال الشمس أيضا: إن لكل مولود مذ آدم، سواء أكان من الأنبياء، أم الأولياء، ومذ عالم العدم الذي لا أول له، وحتى يطأ عالم الوجود، منصبا وعملا خاصا به، **فكان بعضهم كاتب وحي، وكان بعضهم الموضع الذي يجيئه الوحي ـ يعني النبي ﷺ ـ، فعليك الآن: أن تحرص على أن تكونهما، أعني كن كاتب وحي، وكن الموضع الذي يوحى بالوحي إليه.** ثم قال: **فكما كان الوحي يأتي محمدا ﷺ بواسطة جبريل، فكذلك كان لقلبه وحي، والولي كذلك!!»**(١).

ويقول الشمس التبريزي: «إن لشيوخ الصوفية طريقا للمعرفة والعلم، غير الحواس الظاهرة، هما: **الوحي والإلهام**»(٢).

ولقد تلقف تلميذه القونوي ذلك، فقال عن كتابه المثنوي: «لا يمسه إلا المطهرون!!تنـزيل من رب العالمين!!»(٣) قال أحد شراح المثنوية: «نزل هذا المثنوي الشريف من رب العالمين ذي الجلال!!! دفعة واحدة في ليلة القدر إلى سماء القلب!! ثم نطق به منجما على قدر الحاجة بواسطة جبريل العقل، وقد تنـزل بطريق الفيض والإلهام!!»(٤).

---

(١) المقالات للتبريزي ١/ ١٠٧، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٣٦٦-٣٦٧.

(٢) المقالات للتبريزي ٢/ ١١٠، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ١٣٥، وانظر: مقدمة المثنوى ص٧-٨ المطبوع بشرح حضرت بحر العلوم!!.

(٣) مقدمة المثنوي، نقلا عن كتاب أخبار جلال الدين الرومي ص٣٦٣.

(٤) شرح المثنوي لصاري عبدالله أفندي (١٠٧١هـ) ص ٢٢، وهو مخطوط، وهذا الذي كتبه هذا الشارح أقره شارح آخر للمثنوي، ومدح به الكتاب!! وهو طاهر المولوي (١٢٩٤-١٣٧٠هـ)، انظر: شرحه للمثنوي ١/ ٣٨، نقلا عن كتاب أخبار جلال الدين الرومي ص٣٦٦-٣٦٧.

وكونهم يسمون الوحي إلهاما، فهذا من تلبيساتهم، وإلا فإنهم يرون الإلهام كالوحي تماما، ولتتيقن ذلك انظر إلى قول أحد شراح المثنوية وهو يقول: « وإلهام الولي كوحي النبي »(١).

وإن من فضائح الباطنية تسمية كتبهم بالقرآن، حتى إن أحد الفلاسفة المتصوفة(٢) ليسمي كتاب المثنوي: بقرآن الفارسية(٣).

بل ويقول أحد محبي المثنوي من العرب:

فهو وحي الله في إلهامه ... يخرج المطلق من كل القيود...
وهو قرآن وفرقان لمن ... عرف الله على رغم الحسود(٤)

وهذا المحب للمثنوي لم يقل هذا الكلام من فراغ، بل قال ذلك لأن القونوي نفسه مؤلف المثنوي قال ذلك عن كتابه، حيث قال: « أيها الكلب الطاعن!!! في كتابي تعوي وتعوي، تطعن في القرآن اخرج عن طريقنا، وإلى قيام الساعة، والقرآن - يعني المثنوي - ينادي، أنا كلام الحق القائم بالذات، أنا قوت روح الروح، وقوت التزكية »، ويقول في موضع آخر: « لو صارت الأشجار أقلاما، والبحار مدادا، المثنوي ليس له نهاية!!! »(٥).

---

(١) أخبار جلال الدين الرومي ص ٣٧٥.

(٢) وهو الملا الجامي، صاحب الشرح المعروف في المنطق باسمه: شرح ملا جامي.

(٣) أخبار جلال الدين الرومي ص ٣٧٠، وقال شعرا بالفارسية، مدعيا فيه الكلام المذكور، وأن صاحب المثنوي أوتي كتابا، وليس بنبي، وكذا قال الشاعر محمد إقبال:

مثنوي مولوي معنوي ... هست قرآن در زبان بهلوي

والمعنى: مثنوي المولوي - يقصد به الرومي القونوي - ذو المعنى العظيم هو قرآن باللغة الفارسية. انظر: أخبار جلال الدين الرومي ص ٣٧٢.

(٤) أخبار جلال الدين الرومي ص ٣٧١.

(٥) المثنوي ص ١٥٨، ١٥٩ المطبوع مع شرحه المسمى بحضرت بحر العلوم!! أي: علوم الملاحدة الحلولية، والأبيات هي بالفارسية، وإنما ترجمتها، وأكتب نصها كما جاءت بالفارسية:

إي سك طاعن تو عو عو ميكني ... طعن قرآن را بيرون شو ميكني
تاقيامت ميزند قرآن ندا ... .
من كلام حقم قائم بذات ... قوت جان جان و ياقوت زكات
كرشود بشية قلم در يامديد ... مثنوي را نيست باياني بديد.

بل إن كبير الباطنية ملك التتر المغول المتصوف ـ ويثني عليه القونوي من الباطنية وغيره ـ، كان ينتظر الوحي من السماء، يقول القونوي: «إنه ذهب إلى مغارة ظلماء فدخلها، وصام، وجعل يستغيث، ويتضرع!! فسمع صوتا من الله تعالى!!! يقول: قد سمعت تضرعك، واستجبتُ دعاءك، فاخرج فأينما توَّم فأنت الأعلى!! هذا هو السبب ـ أي في ظهورهم ـ وعند خروجهم كانوا هم الأعلون بأمر الله، وحكموا الدنيا»[(١)].

فانظر: ـ يا رعاك الله ـ كيف ينسب الباطني القونوي الوحيَ إلى هذا الكافر الذي أجمع العلماء على كفره، متناسيا كفرياته وشركياته، بسبب خلواته، وموافقته إياه في طياته!!.

وهؤلاء الباطنية أهل خبث وطوية، فهم قد لا يصرحون بنـزول الوحي صراحة، إذا كان للإسلام صولة، خوفا على أنفسهم، وخوف الفضيحة، فيسمون ما يأتي مشايخهم بالإلهـام!![(٢)].

ومن اعتقادات الباطنية «أن النبوة لها ثلاث خصائص من قامت به فهو نبي!! فالنبوة عندهم لا تنقطع بل يبعث الله بعد كل نبي نبيا دائما!! وكثير منهم يقول إنها مكتسبة»[(٣)].

وكان ابن سبعين يقول: «لقد زرب ابن آمنة، حيث قال: لا نبي بعدي!! وكان يطمع أن يصير نبيا، وذكروا أنه جدد غار حراء لينـزل عليه فيه الوحي، كما يجيء بعض الناس يجدد بعض معابد المشايخ ليُفتح عليه كما فتح عليه»[(٤)].

وابن عربي في رسالته "الإسراء إلى مقام الأسرى"[(٥)]، جعل لنفسه إسراء

---

(١) كتاب: فيه ما فيه للرومي ص٥٤-٥٥، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ١٠٣.

(٢) أخبار جلال الدين الرومي ص٣٦٧.

(٣) الصفدية ١/ ٥، وانظر منها ١/ ٢٣٤، شرح الأصبهانية ص٥٢٠، الدرء ٥/ ٢٢، الفرقان ص٩١، المجموع ١١/ ٢٤٤.

(٤) الصفدية ١/ ٢٨٤.

(٥) وهي من الرسائل الكبيرة بالنظر إلى الرسائل الأخرى له، وهي مطبوعة ضمن مجموع رسائل ابن العربي المطبوعة في الهند، وقد أعيد طبعها بواسطة دار إحياء التراث العربي، بنفس الترتيب.

كإسراء النبي ﷺ، وأن الله ﷻ خاطبه، ويدعي أنه اجتمع مع المشايخ ـ أصحاب الولاية ـ وأنه علمهم التوحيد في ذلك الإسراء!![١].

وقد دلت النصوص الكثيرة، من الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة، على أن محمدا ﷺ خاتم النبيين، وتنوعت طرق الدلالة على ختم النبوة، بالمطابقة، والتضمن، والالتزام. وكبير الفلاسفة الباطنية ابن سينا يرى أن الدلالات اللفظية ثلاث، فـ «اللفظ يدل على المعنى إما على سبيل المطابقة...، وإما على سبيل التضمن...، وإما على سبيل الاستتباع والالتزام...»[٢].

فكيف يأتي بعد ذلك باطني فلسفي، أو باطني صوفي، أو باطني رافضي فيدعى عدم ختم الوحي، وقد صح ختمه بالدلالات اللفظية كلها!؟.

وادعى الباطنية باب الولاية، والتي بها يتوصلون إلى الإلهام والمكاشفة والوحي، ومن ثم تفضيل أئمتهم وأوليائهم على الأنبياء، «وتفضيل الولاية على النبوة، والسكر على الصحو، شبيه بترجيح الكفر على الإسلام، والجهل على العلم؛ فإن كلا من الكفر[٣] والجهل مناسب لمقام الولاية، وكلا من الإسلام والعلم مناسب لمرتبة النبوة»[٤].

---

(١) انظر: الصفدية ١/ ٢٦٦، بل إنه في رسالة الإسراء زاد على إسراء النبي ﷺ بأن جعل لنفسه مقامات كثيرة يخاطب فيها: البحر المسجور في المقامات العليا (كما في ص١١)، وسماء الوزارة وهي الأولى (ص١٢)، وسماء الكتابة وهي الثانية خاطب فيها عيسى!! (ص١٥)، وسماء الشهادة، وهي الثالثة خاطب فيها يوسف!! (ص١٨)، وسماء الإمارة، وهي الرابعة وخاطب فيها إدريس!! (ص٢١)، وسماء الشرطة، وهي الخامسة وخاطب فيها هارون!! (ص٢٣)، وسماء القضاة، وهي السادسة وخاطب فيها موسى!! (ص٢٥)، وسماء الغاية، وهي السابعة وخاطب فيها إبراهيم!! (ص٢٨)، وسدرة المنتهى (ص٣٤)، وحضرة الكرسي!! (ص٣٤)، والرفارف العليا!! (ص٤٥)، ومناجاة قاب قوسين!! (ص٥٠)، ومناجاة أو أدنى!! (ص٥٤)، وآيات مناجاة الإمام أبي حامد!! (ص٥٧)، ومناجاة اللوح الأعلى!! (ص٥٨)، ومناجاة الرياح، وصلصلة الجرس، وريش الجناح!! (ص٦٠)... وهكذا وهي كثيرة، وبالخرافات مليئة، وبالكفريات جديرة.

(٢) الإشارات لابن سينا ١/ ٢٧.

(٣) في المطبوع (الفكر) والسياق يدل على أن المراد (الكفر).

(٤) موقف العقل والعلم والعالم ٣/ ٢٧٧.

وقد كان المختار بن أبي عبيد الثقفي في أول أمره كان يزعم الصلاح، ثم النصرة لآل البيت، وآل أمره أن كان «يزعم أن جبرائيل يأتيه بالوحي!!»[(١)].

ومعلوم من دين الإسلام بالضرورة أن الوحي قد انقطع، بإرسال محمد ﷺ، وأنه خاتم الأنبياء. والأدلة على ذلك كثيرة، ومنها:

قال الله ﷻ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾[الأحزاب:٤٠].

قوله ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾[الأنعام:٩٣] وهؤلاء الباطنية منهم من يقول كذبا: هذا من الله، ومنهم من يقول كذبا أوحي إلي، ومنهم من يقول: أنزل علي كما أنزل على نبي العرب!! «وقد جمع الله هؤلاء...، فذكر سبحانه من يفترى الكذب على الله، ومن يقول أنه يوحى إليه، ومن يزعم أنه يقول كلاما مثل الكلام الذي أنزله الله»[(٢)].

ولهذا فإن أدعياء النبوة يكثرون في هذه النحل الباطنية، وقد ظهر في القرن الماضي ادعاء للنبوة من قبل ميرزا حسين علي المازندراني[(٣)]، وزعم الوحي، وأنه جاءه كتاب جديد ودين جديد!! وهذا هو الحق؛ فهم لا يمتون إلى الإسلام بصلة، ولا يعرفون منه إلا الاسم[(٤)].

وقد ادعى في هذا القرن من الفرق الغوية التي هي وليدة الباطنية "القاديانية"، وتسمي نفسها بالأحمدية أيضا، وزعم ميرزا غلام أحمد القادياني[(٥)] أنه قد أوحي إليه!!

---

(١) المعارف لابن قتيبة ص٢٢٦، وانظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص٣١ـ٣٢، منهاج السنة ٢/ ٦٨-٦٩.

(٢) الدرء ٥/ ٢٠٩.

(٣) ولد في إيران عام ١٢٣٣هـ، ونشأ بها ثم ادعى أنه يوحى إليه.

(٤) انظر: مجلة البحوث العلمية ٢٧/ ٣٤٣ من قرارات المجمع الفقهي.

(٥) توفي سنة ١٨٦٧م

« وزعم أنه قد نزل عليه الوحي، وأوحي إليه أكثر من عشرة آلاف آية!! »[١].

فإذا كان هذا اعتقادهم في الوحي، فما يكون موقفهم من القرآن الكريم؟! هذا ما أبينه في المبحث التالي.

---

(١) مجلة البحوث العلمية ٢٦/ ٣٣١ مما ذكره أصحاب الفضيلة العلماء في المجمع الفقهي، وذلك نقلا عن كتبهم.

المبحث الثالث: اعتقاد الباطنية في القرآن الكريم

المطلب الأول: أن القرآن منسوخ، ولا يعمل به.

إن الباطنية كثيرا ما تراهم يخالفون شرائع الإسلام الظاهرة، وما ذلك إلا بسبب عدم اعتقادهم انقطاع الوحي، وأن شرع محمد ﷺ قد نسخ. وذلك إما بالقول فيها صراحة، أو بالتأويل الفاسد المفضي إلى القول بنسخها، والاستعاضة عنها بخليط من الأفكار الفلسفية، والأقوال الفارسية، أو ما يمليه عليهم مشايخهم.

وقد صرحت فرق بأن القرآن الكريم منسوخ بكتبهم المنتحلة، فهؤلاء البهائية يعتقدون أن "الأقدس" ـ وهو أهم كتبهم ـ ناسخ للقرآن الكريم!! مع أنه في (٢٢) صفحة بالخط الكبير!![١].

والدروز من الباطنية نسخوا أركان الإسلام، واعتاضوا عنها بما زعم أنه سبع خصال توحيدية!! ويرون أن هذه الخصال تغني عن الصلاة الشرعية، وعن الصيام، والحج، ويوجبون على الأتباع أن يعرفوا أن أول المفترضات عليهم معرفة من زعموا له الربوبية، وهو الحاكم بأمر الله العبيدي!! وغير ذلك من الافتراءات[٢].

وربما خافوا التصريح بأنه منسوخ، فيقولون: إنه محكم في حق العوام وجمهور المسلمين، وأما المحققون منهم، كالأولياء، والأغواث، والأقطاب!! فإن الشريعة في حقهم مرفوعة، والأقلام في جنابهم مجفوفة!!! وهذا قول بنسخ القرآن الكريم، والشرع

---

(١) انظر: البهائية نقد وتحليل للشيخ إحسان إلهي ظهير ص ٥٩ ـ ٦٠، بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات ص ٨٤.

(٢) انظر: الحركات الإسلامية للخطيب ص ٢٧٦ وما بعدها.

القويم، بأسلوب ماكر أثيم، ومعلوم لدى العامة والخاصة من أهل الإسلام: «أنه لا يبلغ ولي درجة الأنبياء أصلا، ولا يصل العبد إلى حيث يسقط عنه الأمر والنهي»[(١)].

ومن تلبيساتهم أنهم يرون رفع القلم عن المكلفين، وهذا معلوم أنه نسخ في الدين، ولكن بطريقة غير صريحة، حتى لا ينفر العوام، ولا يسقط قدره بين الأنام، قال ابن الجوزي رحمه الله مبينا بعض اعتقاداتهم فهم يقولون: «الأغلال هي تكليفات الشرع، ومن ارتقى إلى علم الباطن انحط عنه التكليف، واستراح من أعبائه!!»[(٢)]، وقالوا: من عرف معنى العبادة سقط عنه فرضها!![(٣)].

واليزيدية من الإباضية تعتقد بأن شريعة الإسلام تُنسخ في آخر الزمان[(٤)].

والباطنية بجميع فرقها لا تدين بالشريعة السمحاء، حتى في العبادات الظاهرة التي نقلت بالتواتر علما وعملا، دليلا وتطبيقا، فلا يعتقدون بوجوب الصلوات الخمس، ولا الزكاة، ولا الصيام، ولا الحج إلى البيت العتيق، ولا تحريم المحرمات من الخمر، والميسر، والزنا[(٥)]. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على عدم إيمانهم بها، أو أنها منسوخة!! وأن الناسخ لها هو أحد أئمتهم الذين اطلعوا على اللوح!! وعلى الأسرار الإلهية فمحا عنهم هذه الأمور، ورفع عنهم الحجب والستور!!.

ومن هذا اعتقاد بعضهم أن الشريعة لا تلزمه، وهذا نوع نسخ ولا ريب، ويعتقد الباطنية ـ أنهم «يصلون إلى مقام لا يعتقدون فيه إيجاب الواجبات، وتحريم المحرمات، وإنما يرون الإيجاب والتحريم للمحجوبين عندهم»[(٦)].

حتى يقولون إذا سئلوا: «ما الفرق عندكم بين الزوجة، والأجنبية، والأخت،

---

(١) العقائد النسفية ص ٣٣، مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١١٣.

(٣) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٢٤، منهاج السنة ٢/ ٥٠٩.

(٤) انظر: الفرق بين الفرق ص١١.

(٥) انظر: الصفدية ١/ ٤.

(٦) المجموع ٢/ ٨٢، انظر: الحركات الإسلامية للخطيب ص ٩٧.

الكل واحد؟! قال: لا فرق بين ذلك عندنا، وإنها هؤلاء المحجوبون اعتقدوه حراما؛ فقلنا حرام عليهم عندهم، وأما عندنا فما ثم حرام»(١).

وقد صرحت الإسماعيلية من الباطنية بأن شرع محمد ﷺ قد نسخ!!! وأن محمد بن إسماعيل قد نسخ شرع محمد بن عبد الله ﷺ(٢).

وكان من أتباع الباطنية من يقول: «قد أبحنا لكم كل ما تشتهونه من فرج، ولحم، وشراب، ونسخنا عنكم العبادات؛ فلا صوم، ولا صلاة، ولا حج، ولا زكاة!!»(٣).

يقول شاعر الإسماعيلية مدعيا نسخ شريعة محمد ﷺ:

تولى نبي بني هاشم ... وجاء نبي بني يعرب

أحل البنات مع الأمهات ... ومن فضله زاد حِل الصبي

لكل نبي مضى شرعة ... وهذي شريعة هذا النبي

فقد حط عنا فروض الصلا ... ة وحط الصيام ولم يتعب

إذا الناس صلوا فلا تنهضي ... وإن صاموا فكلي واشربي(٤)

والفرق الباطنية لا زالت تسير على هذا الخطى، فهذه البابية زعمت أن للباب السلطة في تغيير أحكام الشرائع الإلهية، وأنه أتى بعبادات مبتدعة لأتباعه!!(٥).

---

(١) المجموع ٢/ ٢٤٤، وانظر: الصفدية ١/ ٢٤٤-٢٤٥.

(٢) انظر: منهاج السنة ١/ ٤٨٢، الدرء ٥/ ٢٢، الصفدية ١/ ٢٣٤، نقض المنطق ص ١٣٣.

(٣) الدرء ٥/ ٢٣.

(٤) الحركات الإسلامية للخطيب ص ٦٦.

(٥) نقل هذا عنهم العلماء في قرارات المجمع الفقهي، كما في مجلة البحوث العلمية ٢٧/ ٣٤٤.

المطلب الثاني: اعتقادهم أنّ النبيّ ﷺ مرسل إلى العرب خاصة.

النبوة عند هؤلاء الباطنية، وإخوانهم من الفلاسفة ومن قاربهم من الصوفية الغلاة، مكتسبة؛ فيمكن عندهم أن يصل الإنسان إلى درجة النبي بالرياضة، والتأله، والصفاء!! فصار كثير منهم يطلب النبوة، ناسين أو متناسين أن محمدا ﷺ خاتم الأنبياء، ومنهم من يقول: إنه أرسل إلى العرب خاصة، كما «جرى للسهروردي المقتول، ولابن سبعين، ولهذا كان ابن سبعين يقول: لقد زدت في حديث: قال [لا نبي بعدي][(١)] نبي عربي!!»[(٢)].

ولهذا كان من أصول إخوان الصفا أن الشريعة عربية، ولهذا قالوا في اجتماعاتهم السرية: «متى انتظمت الفلسفة اليونانية، **والشريعة العربية؛ فقد حصل الكمال!!...**»[(٣)].

ومعلوم أن النبي ﷺ مبعوث إلى العرب والعجم، بل والإنس والجن، والأدلة أظهر من أن تذكر، وأشهر من أن تورد، ولكن أذكر ما يكون به الذكرى، ومن تلكم الأدلة:

١ - أن الله ﷻ أخبر أن محمدا ﷺ رسول إلى الناس كافة، فقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[سبأ:٢٨] فهو ﷺ مبعوث إلى الناس كافة، ويؤكد هذا قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ [البقرة:٢٠٨] على قول أن كافة مفعول لـ(ادخلوا)، ويؤكد ذلك أن كافة الخلق مخاطبون بشرع محمد ﷺ قوله ﷻ: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗ﴾ [التوبة:٣٦] فلما أمر ﷺ بقتال المشركين كلهم دل ذلك على أنهم مخاطبون بشرعه.[(٤)]

---

(١) الحديث رواه الإمام البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب/ ما ذكر عن بني إسرائيل، ح(٣٤٥٥)، والإمام مسلم، كتاب الإمارة، باب/ وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء، ح(١٨٤٢)، كلاهما عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) شرح الأصبهانية ص٥٠٣.

(٣) مبادئ الفلسفة لأحمد أمين، ص ١٣١.

(٤) انظر: حجة الله البالغة للدهلوي ١/ ٢٣٠.

٢- أن الله ﷻ أخبر أن محمدا ﷺ رسول إلى الناس جميعا، فقال: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[الأعراف:١٥٨]، ولما كان ﷺ رسولا إلى الناس جميعا كان يحمل همهم، ويتمنى إيمانهم جميعا فقال ﷻ: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَـَٔامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾[يونس:٩٩].

٣- أن الله ﷻ خاطب أهل الكتاب بأن يؤمنوا به ﷺ، فغيرهم من باب أولى. وقد كانوا قريبي العهد من دين سماوي، ومع ذلك أمروا باتباع محمد ﷺ فدل أنه إلى الناس أجمعين، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾[محمد:٢]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ﴾[آل عمران:١١٠]، وقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾[النساء:٤٧]، وقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[النساء:١٣٦].

٤- أن التكذيب برسولٍ واحدٍ تكذيبٌ بجميع الرسل، فمن ادعى أن محمدا ﷺ ليس رسولا إلا إلى العرب خاصة، فقد كذب بما جاء به، وبما أرسل به؛ فلا ينفعه إيمانه بنبي بعد ذلك، ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾[آل عمران:٨١]، وقوله: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[الشعراء:١٠٥] فتكذيبهم لنوح تكذيب لجميع الأنبياء، وهكذا التكذيب بمحمد ﷺ وبما جاء به تكذيب لغيره من الأنبياء.

٥- أن الله ﷻ أخبر أنه لا يقبل من أحد دينا سوى الإسلام، وهو الدين الذي جاء به محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ﴾[آل عمران:١٩] وقال تعالى:

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[آل عمران:٨٥]، «فالإسلام يتضمن الاستسلام لله وحده، فمن استسلم له ولغيره كان مشركا، ومن لم يستسلم له كان مستكبرا عن عبادته، والمشرك به والمستكبر عن عبادته كافر، والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده وطاعته وحده، وهذا دين الإسلام الذي لا يقبل الله غيره، وذلك إنما يكون بأن يطاع في كل وقت بفعل ما أمر به في ذلك الوقت»(١).

٦- قول النبي ﷺ: [**وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة**].

٧- أنه ﷺ خاتم النبيين؛ فمن كذب به؛ أو ادعى أنه لم يبعث إليه؛ فقد زعم أن الحجة غير قائمة عليه، ومعلوم أنه« خاتم الرسل، ليس بعده نبي ينتظر، ولا كتاب يرتقب، بل هو آخر الأنبياء»(٢).

فلا يبقى بعد هذا أدنى حجة لقائل أنه ﷺ بعث إلى العرب خاصة.

(١) التدمرية ص١٦٩.

(٢) المجموع ٢٧/٥٩.

المطلب الثالث: تحريفهم النصوص.

والباطنية يزعمون لأئمتهم الخصوصية فلهذا أصبحوا يجيزون لهم أن يقولوا في المعلومات بالمستحيلات، دون معارضة أو مخالفة ولو كانت في البديهيات، ومعلوم أن الباطنية ليسوا مخصوصين في شيء من العلوم الدنيوية فضلا عن الدينية[١]. ولهذا فإن تحريفاتهم هي من التكذيبات الصريحة للقرآن والسنة النبوية.

والباطنية حرفوا القرآن تحريفا لم يحرفه غيرهم، وهم في سراديب الروافض، وتعلموا من موائدهم، واستتروا بأسمائهم ـ وأولئك الحمقى لم يعرفوهم، أو عرفوهم ولم ينكروا عليهم ـ فكانت المنادمة بينهم شديدة، وتحريفاتهم كبيرة[٢].

وكان من الأسس التي وضعوها أن قالوا: إن الشريعة جاءت بالمتخيلات، وأن المراد حقائقها، ولهذا فكل صاحب نحلة يحرف المعنى الظاهر بما يريد، ويفسر اللفظ بما يظنه مفيدًا!!.

ومن تحريفاتهم لمعنى الشهادة ما جاء أن رجلا ركع منحنيا خاضعا للشمس التبريزي، « وقال بخلوصٍ قلبيٍّ تام: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن شمس الدين رسول الله!!! فلما سمع الناس هذا ثاروا به، وضجوا، وهموا بضربه، بل وتقدم أحدهم فضربه، فلما رأى الشمس هذا صرخ صرخة مات لها ذاك الضارب!! فخضع الناس له وبكوا، وعادوا عبيدا له!! فأخذ الشمس بيده ـ أي يد المنحني المتشهد له بالرسالة!! ـ، وخرجا من السوق، وأداه إلى زاوية، وقال: له: اسمي أنا محمد، فكان عليك أن تقول: محمد رسول الله!!! لا يعرف الناس دينارا غير مختوم» !![٣].

ومن تحريفاتهم لنصوص الوعد والوعيد أنهم يزعمون أن الجنة مفاتيحها بأيدي مشايخهم يقول الشمس التبريزي مادحا تلميذه وقرينه القونوي: « من أراد أن

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٣٣.

(٢) انظر: منهاج السنة ٣/ ٤٠٤-٤٠٥.

(٣) مناقب العارفين للأفلاكي ٢/ ٢٠٧، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ١٤٧.

يرى الرسول ﷺ، فلينظر إلى مولانا، فإن فيه حركات الرسول، وحاله...، والآن، فإن الجنة في رضا مولانا ـ أي الجلال الرومي القونوي ـ، وجهنم في غضبه!! إن مفتاح الجنة هو مولانا»[١].

والباطنية أولوا أركان الإسلام، ومبانيه العظام، بما يوافق أهوائهم، ويساير شهواتهم؛ فقالوا: إن الصلاة المراد منها أسرارنا، وموالاة أئمتنا، والصوم: كتمان أسرارنا، والحج: زيارة مشايخنا!! وإدمان خدمتهم، والزنا عندهم هو إفشاء سرهم!![٢].

وقول هؤلاء الفلاسفةِ في الأعمالِ التي جاءت بها الأنبياء كقولهم في نصوص الصفات؛ فيقولون: إنّها من باب التخييل، وأنّها لا يحتاج إليها إلا العامة؛ وهذه هي طريقة الملاحدة، والإسماعيلية، ونحوهم[٣].

فكذب الباطنية من أعظم الكذب على الله ﷻ وعلى رسوله ﷺ. وهذا بين لمن عرف حالهم، وقرأ مقالهم، بل إن القرامطة منهم أكذب «على الله مما فعل مسيلمة، وألحدوا في أسماء الله **وآياته أعظم مما فعل مسيلمة**، وحاربوا الله ورسوله أعظم مما فعل مسيلمة»[٤].

وهؤلاء الباطنية يخالفون النصوص كلها: العلمية منها والعملية؛ فـ «ينكرون ظواهر الأمور العملية، والعلمية جميعا[٥]، وأما غير هؤلاء فلا ينكرون العمليات الظاهرة المتواترة، لكن قد يجعلونها لعموم الناس لا لخصوصهم، كما يقول ذلك في الأمور الخبرية»[٦].

---

(١) مناقب العارفين للأفلاكي ١/ ٤٩٥، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ١٤٨.

(٢) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٢٣، الصفدية ١/ ٢٧٦، منهاج السنة ٢/ ٥١٣، التدمرية ص٤٨.

(٣) المجموع ٥/ ٣٢.

(٤) المجموع ٣٥/ ١٤٤.

(٥) وقد رأيت كثيرا من البهائية؛ فلا تعرفهم بالإسلام، لا اعتقادا، ولا عملا، فليس لهم من الإسلام إلا الاسم، وأما القرآن فلا يعرفونه حتى رسما.

(٦) نقض المنطق ص٨٤.

ومن تحريفاتهم: تفسيرهم قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[يس:١٢] أنه علي ﷺ!!، ويفسرون قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[المسد:١] بأنهما أبوبكر وعمر ﷺ!!، ويفسرون قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾[التوبة:١٢] أنهم طلحة، والزبير....!!(١).

ومن تحريفاتهم الغوية وأقوالهم الباطنية، التي يستدلون بها على الأقوال الحلولية الباطنية(٢)، قولهم: «إن الحق المنزه هو الخلق المشبه، فالأمر الخالق المخلوق!! والأمر المخلوق الخالق!! كل ذلك من عين واحدة، لا بل هو العين الواحدة!! وهو العيون الكثيرة: ﴿فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾[الصافات:١٠٢]، ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾[الصافات:١٠٢]، والولد عين أبيه؛ فما رأى يذبح سوى نفسه!! ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[الصافات:١٠٧]، فظهر بصورة كبش!! من ظهر بصورة إنسان!! وظهر بصورة لا بحكم ولد من هو عين الوالد!! ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ﴾[النساء:١]، فما نكح سوى نفسه!!»(٣)، تعالى الله عمّا يقولون وعمّا يحرفون في آياته ـ علوا كبيرا(٤).

ولما اعتقدوا أن فرعون لا يعذب حرفوا الآيات، وغيروا معاني القرآن؛ فقالوا زعما: «إنه ليس في القرآن ما يدل على عذابه، بل فيه ما ينفيه!! كقوله: « ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[غافر:٤٦]، قالوا: فإنما أدخل آله دونه! وقوله: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾[هود:٩٨] قالوا: إنما أوردهم، ولم يدخلها!!»(٥).

---

(١) انظر: المجموع ١٣/ ٢٣٧.

(٢) وهؤلاء الحلولية الاتحادية باطنية ولا شك، وهم موافقون للقرامطة في كثير من الوجوه. انظر:شرح الأصبهانية ص٤٦٤-٤٦٥.

(٣) المجموع ٢/ ١٢٢-١٢٣، وقد نقله عن كتاب "فصوص الحكم لابن عربي الضال الحلولي"، وانظر تحريفات أخرى لهم، كما نقلها شيخ الإسلام ﷺ في منهاج السنة ٢/ ٥٠٤-٥٠٥، المجموع ٢/ ٢٦٥، ١٣/ ٢٣٨.

(٤) وانظر بعض تحريفاتهم ما ذكره شيخ الإسلام في المجموع ١٣/ ١٩٤ وما بعدها.

(٥) المجموع ٢/ ٢٧٩.

فيقال لهؤلاء المغرورين بأمثال هؤلاء: إما القرآن، وإما أقوال هؤلاء أهل البهتان؟!![(١)] وأما تعظيم القرآن مع تعظيم هؤلاء وتعظيم أقوالهم فجمع بين النقيضين، جمع بين التوحيد والشرك، وهو غير ممكن، فليختر العاقل أين يكون؟.

ومعلوم عند أهل الإسلام كفر فرعون، ودخوله النار، بل هو معلوم عند جميع الملل يهوديهم ونصرانيهم، إلا عند هؤلاء الباطنية الذين لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه.

ولما فتح باب التحريف والقول بالباطن «صار بعضهم يقول: الإمام المبين: علي بن أبي طالب!!، والشجرة الملعونة في القرآن: بنو أمية!! والبقرة المأمور بذبحها: عائشة!! واللؤلؤ والمرجان: الحسن والحسين!!»[(٢)].

وقد حاولت الفرق الباطنية كالإسماعيلية والقاديانية ترجمة القرآن الكريم ترجمة محرفة أخرجت كتاب الله ﷻ عن مقاصده التي دعى إليها[(٣)].

ومهما حاول الباطنيون تحريف كتاب الله ﷻ، أو تغيير دين الله ﷻ فإنهم لن يستطيعوا؛ فإن الله ﷻ حارس دينه، وحافظ كتابه، وقد ضمن الله ﷻ ذلك بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾[الحجر:٩] «أخبرنا الله تعالى في هذه الآية أنه أنزله، وأنه تولى حفظه، وهذا كتاب الله محفوظ بحفظه، لا يقدر أحد على تغيير كلمة واحدة من لفظه، على كثرة من سعى في تغييره؛ فأطفأ الله نوره، لا سيما القرامطة فإنهم كانوا قد أجمعوا كيدهم، واستنفدوا في تغييره وتحريفه جهدهم، ولم يزل كذلك دأبهم ودأب غيرهم من أعداء الدين، وعتاة الملحدين، ويأبى الله إلا أن تعلو كلمته، وتظهر شريعته»[(٤)].

ومن شدة تحريفات الباطنية للنصوص الشرعية حرَّم العلماء ـ رحمهم الله ـ النظرَ في كتبهم، نظرا لتلبيساتهم، وخوفا على الأمة من تحريفاتهم، وقد سئل ابن الصلاح رحمه الله عن كتب ابن سينا فحرم النظر فيها، وقال: «من فعل ذلك، فقد غرر

(١) انظر: المجموع ١٣/ ١٩٢-١٩٣.

(٢) شرح حديث النـزول ص٤٢٧، المجموع ٥/ ٥٥١.

(٣) ترجمة معاني القرآن الكريم من قبل بعض الفرق الضالة للشيخ يوسف الهمذاني ص٣٨ وما بعدها.

(٤) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام..للقرطبي ١/ ٣٤١.

بدينه، وتعرض للفتنة العظمى، ولم يكن ـ أي ابن سينا ـ من العلماء، بل كان شيطانا من شياطين الإنس، وكان حيرانا في كثير من أمره»[١].

وهكذا كل باطني يحاول تحريف آيات القرآن لتوافق مذهبه، فهذا باطني العصر القادياني يحرف آيات القرآن الكريم لتوافق ادعاءه بأنه المسيح الموعود!! وضمن هذه التحريفات في كتابه الموسوم "شهادة القرآن"!![٢].

قال القرطبي رحمه الله في بيان سبب منع التفسير بالرأي: «أحدها: أن يكون له في الشيء رأي، وإليه ميل من طبعه وهواه، فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه، ليحتج على تصحيح غرضه، ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى... ويستدل عليه بما يعلم أنه ما أريد به...، وتستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتغرير الناس، ودعوتهم إلى مذاهبهم الباطلة، فينـزلون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم على أمور يعلمون قطعا أنها غير مرادة»[٣].

فتحريفات الباطنية «من أشد وأنكى ما يصاب به الإسلام والمسلمون، لأنها تؤدي إلى نقض بناء الشريعة حجرا حجرا، وإلى الخروج من ربقة الإسلام، وحل عراه عروة عروة، ولأنها تجعل القرآن والسنة فوضى فاحشة، يقال فيهما ما شاء الهوى أن يقول[٤]، كأنهما لغو من الكلام، أو كلأ مباح للبهائم والأنعام. وأخيرا ينفرط عقد المسلمين، ويكون بأسهم بينهم من جراء هذا العبث بتلك الضوابط الدينية الكبرى، والحوافظ الأدبية العظمى، مادام لكل واحد أن يفهم من القرآن ما شاء له الهوى والشهوة دون اعتصام بالشريعة، ولا التزام لقواعد اللغة، لم يعد القرآن قرآنا، وإنما هما الهوى والشهوة فحسب»[٥].

---

(١) فتاوى ابن الصلاح ص ٢٠٨.

(٢) انظر: مجلة البحوث العلمية ٢٦/ ٣٣٢ من قرارات المجمع الفقهي خروج هذه النحلة من فرق الإسلام، بل اعتبرت الحكومة الباكستانيةُ القاديانيةَ فئة غير مسلمة، وأنها أقلية في البلد.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٢٦.

(٤) في المطبوع: (أن يقال).

(٥) مناهل العرفان ٢/ ٨٣-٨٤.

المبحث الرابع: استهانتهم بالقرآن

المطلب الأول: استخفافهم بالقرآن.

مما يدل على عدم تعظيم الباطنية للقرآن أن من أهدافهم، ومن أهم مهمات دعوتهم، تشكيك الناس في القرآن الكريم[١]، فكيف يكونون له معظمين؟؟.

ثم إن الباطنية لا تعتقد بأن القرآن الكريم هو كلام الله ﷻ. فهذه الإسماعيلية تعتقد بأن الوحي إنما يكون من القلم بالوسائط المتعددة، «وبالتالي فالقرآن مستمد من سلسلة الحدود العلوية التي أولها السابق ـ العقل الأول ـ لذلك فالقرآن ليس كلام الله!!»[٢].

وتعتقد القرامطة أن القرآن الكريم إنما هو لفظ محمد ﷺ، «فهم ينكرون أن يكون الوحي من الله إلى الأنبياء عن طريق جبريل، وإنما يرون أن جبريل تعني عملية الفيض التي تفيض من العقل على النبي باعتبار أن النبي أو الإمام هو ممثول العقل في العالم السفلي!!»[٣].

وإخوان الصفا من الباطنية يعتقدون بأن القرآن الكريم، المحفوظ من التحريف والتبديل، هو كالتوراة المحرفة والإنجيل المحرف!![٤].

والدروز من الباطنية تعتقد بأن القرآن إنما هو كلام سلمان الفارسي!! وأن الله لم

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٢٤، الحركات الإسلامية للخطيب ص ١٦٢.

(٢) الحركات الإسلامية للخطيب ص ٩٦.

(٣) الحركات الإسلامية للخطيب ص ١٦٢.

(٤) انظر: الحركات الإسلامية للخطيب ص ١٨٤.

يكلم موسى تكليما، وأن ذلك لا يليق بالله!![1].

«**وحقيقة أمرهم أنهم لا يؤمنون بنبي**...، ولا بشيء من كتب الله المنـزلة؛ لا التوراة، ولا الإنجيل، ولا القرآن»[2]. والقرامطة هم الذين لما استولوا على مكة قتلوا الحجيج، وأخذوا الحجر الأسود[3]، فأي تعظيم يكون بعد ذلك منهم لدين الله ﷻ ؟!

ويظنون أن القرآن ما جاء بما يفي ويكفي خصوصا في باب الاعتقادات. يقول ابن سينا: «لم يرد في القرآن من الإشارة إلى هذا الأمر الأهم شيء، ولا إلى صريح ما يحتاج إليه في التوحيد بيان مفصل، بل إلى بعضه على سبيل التشبيه في الظاهر، وبعضه جاء تنـزيها مطلقا عاما جدا، لا تخصيص ولا تفسير له، وأما الأخبار التشبيهية فأكثر من أن تحصى، ولكن لقوم أن لا يقبلوه؛ فإذا كان الأمر في التوحيد هكذا؟؟؛ فكيف فيما هو بعده من الأمور الاعتقادية؟!»[4]؛ فإذا كان هذا اعتقاد منظر الباطنية في القرآن فكيف يتوقع منهم تعظيم للقرآن الكريم، أو عدم استخفاف بآياته؟؟ وقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله أن منهم من يقول: إن الأنبياء ضيعوا الطريق!![5].

أما استخفافهم بالقرآن من حيث عدم تعظيمهم له فهذا له صور كثيرة، وأذكر أهمها:

١ - أنهم يحرفون نصوص القرآن كما يريدون، فهم يدعون «أنهم أعلم بالله من المرسلين!!...، ويفسرون القرآن بما يوافق باطنهم الباطل»[6]، ولهذا هم كانوا مؤسسين لمذهب القول بأن القرآن جاء بما يشبه على العوام، وأن حقيقته على خلاف ذلك، كما قال ابن سينا: «فظاهر من هذا كله أن الشرائع واردةٌ بخطاب الجمهور بما

---

(١) انظر: الحركات الإسلامية للخطيب ص ٣٠٥.
(٢) المجموع ٣٥/ ١٥٢.
(٣) انظر: المجموع ٣٥/ ١٥٠، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ١/ ١٩٣.
(٤) الأضحوية ص٥٤.
(٥) انظر: المجموع ١٣/ ٢٢٢.
(٦) المجموع ١٣/ ٢٣٨.

يفهمون، مقرّبة ما لا يفهمون إلى أوهامهم بالتمثيل والتشبيه!!»[١]. ومن تلبيساتهم أن من كان من أتباعهم متمسكا بظاهر القرآن، قالوا له: إن هذه الظواهر لها أسرار، وبواطن، وأن المنخدع بظواهرها أحمق، وإنما الفطنة في اعتقاد بواطنها، ثم يبثون إليه عقائدهم، وينفثون فيه سمومهم[٢]. قال ابن الجوزي رحمه الله: «ولما عجزوا عن صرف الناس عن القرآن والسنة صرفوهم عن المراد بهما إلى مخاريق زخرفوها، إذ لو صرحوا بالنفي المحض، لقُتلوا»[٣]، وقامت الباطنية البابية وأتباعهم بتأويلات لآيات القرآن العظيم غاية في الغرابة والباطنية، بتنـزيلها على ما يوافق دعوتهم الخبيثة[٤].

٢- منها أنهم لا يوقرونه، بل إن الباطنية كالقرامطة الذين لما ظهرت دولتهم كانوا يستنجون بالمصاحف!![٥] ومنهم من يستعمل أوراقه بعد الاستخفاف به بالقاذورات ونحوه من أجل السحر، وهذا كفر صريح[٦]، ولما مكنوا في نواحي المغرب العربي كانوا يحرقون المصاحف والمساجد[٧]. ولذا لما مكنوا في طبرية خاف الناس منهم على المصحف العثماني فأخرج منها إلى دمشق صيانة له، وحفظا[٨]، وكان من استهانة هؤلاء الباطنية أن أحدهم كان يكتب اسم الله، أو اسم رسوله في مقعده!![٩].

٣- لما كانت عقائدهم مبنية على الكيد للإسلام والمسلمين، وهدم ما جاء به الشرع القويم؛ فإنه لا يتصور منهم تعظيم للقرآن الكريم، ولهذا «لا يتصور أن يأمروا بما أمرت به الأنبياء، وينهوا عما نهوا عنه؛ لأن ذلك يناقض مقصودهم، بل وإن أمروا

---

(١) الأضحوية ص٥٩.
(٢) انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١١٧.
(٣) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١١٨.
(٤) انظر: مجلة البحوث العلمية ٢٧/ ٣٤٤، وانظر: البهائية نقد وتحليل للشيخ إحسان إلهي ظهير ص ٥٤.
(٥) انظر: المبسوط للسرخسي ١٠/ ٢٩.
(٦) انظر: حواشي الشرواني ١٠/ ٦٤.
(٧) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢١٨
(٨) انظر: تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٣٧٠.
(٩) انظر: المجموع ٣٥/ ١٣٧.

بالبعض في ابتداء الأمر من يخدعونه ويربطونه؛ فلا بد أن يناقضوا فيأمروا بما نهت عنه الأنبياء، ولا يوجبوا ما أمرت به الأنبياء»[(١)].

٤- إعراضهم الكلي عن القرآن الكريم؛ فهم لا يتلونه، ولا يعملون به[(٢)]، ويوجد فيهم. وفي أتباعهم من ينفر عن القرآن، وعن الشرع، نفور الحمار من الأسد[(٣)].

٥- ومما يدل على استخفافهم به أنهم لم يعملوا بشيء منه بل أولوا كل ما سنحت لهم فرصة، ومن ذلك تأويلهم أركان الإسلام ومبانيه العظام، وغير ذلك مما هو من شعائر دين الله ﷻ فقالوا: «الجنابة مبادرة المستجيب[(٤)] بإفشاء السر!! ومعنى الغسل تجديد العهد على من فعل ذلك، ومعنى الزنا: نطفة العلم الباطن في نفس من لم يسبق معه عقد العهد...!!»[(٥)]، فأحلوا كل شيء لأنفسهم ولأتباعهم، إما بحجة أنه منسوخ، أو بحجة أنه ظاهر، والباطن خلافه، أو بحجة رفع القلم، لوصوله إلى درجة لا يلام!![(٦)].

٦- اعتقادهم أن القرآن غير كاف في الدلالة على الأمور الشرعية، ولهذا زعموا الحاجة إلى أقوال الفلاسفة، أو المجوس، أو الهندوس!![(٧)].

٧- ومما يدل على استخفافهم أنهم منعوا شرح القرآن ـ أعني السنة ـ أن تروى، فمنعوا من رواية الحديث الشريف في مصر إبان الحكم العبيدي عليها، بل كان المحدث يخاف أن يروي فيها شيئا خوفا من القتل، ولما بنوا مدارسهم في مصر كانوا لا يدرسون فيها علوم المسلمين، بل كان لا يدرس فيها إلا المنطق، والفلسفة،

(١) النبوات ص١٩١.

(٢) وقد كلمت رجلا بهائيا في هذه القضية؛ فقال: إن لنا كتبا خاصة بنا، وهذا القرآن لعلمائنا!!.

(٣) المجموع ١٣/ ٢٢٤.

(٤) في المطبوع زيادة: (بإفشاء المستجيب)، ولعلها زائدة.

(٥) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١١٨، وانظر: مناهل العرفان ٢/ ٨٣.

(٦) انظر: المجموع ٣٥/ ١٣٧.

(٧) انظر: الصفدية ١/ ٢٦٠.

والطبيعيات، ونحو ذلك!![1].

قالوا: إن لظواهر القرآن والأخبار التي جاءت فيه بواطن هي المطلوبة، وهي تجري في الظواهر مجرى اللب من القشر، وإنها بصورها توهم الجهال الأغبياء صورا جميلة!! وهي عند العقلاء والأذكياء رموز وإشارات لحقائق معينة!![2]، وقالوا: إن الظواهر عذاب، والبواطن رحمة!![3] **وكيف لا يستهينون** بالقرآن، وهم أصلا لا يثبتون لله تعالى أي صفة، لا سلبا ولا إيجابا[4].

ومن استخفافهم بالقرآن: نفيهم للجنة والنار، ويقولون: إن كل ما ورد في القرآن من ذلك فإنما هو إشارات ورموز، ولا جنة ولا نار!![5] بل إن الباطنية قد قعدت قاعدة إبليسية وقالت: إن القرآن مشتمل على المتشابهات؛ فلا يستفاد منه العلم المتعلق بالبريات!![6] **بل إن استخفافهم بالقرآن الكريم** أمر فوق التصور، إذ إنّ «أعمالهم تباين الإسلام بالمرة، فمحصول قولهم تعطيل الصانع، وإبطال النبوة والعبادات، وإنكار البعث، ولكنهم لا يظهرون هذا في أول أمرهم بل يزعمون أن الله حق، وأن محمدا رسول الله، والدين صحيح، لكنهم يقولون: لذلك سر غير ظاهر، وقد تلاعب بهم إبليس فبالغ، وحسن لهم مذاهب مختلفة»[7].

ويتناول ابن عربي آيات الوعيد والتهديد الواردة في الكفار بما يشبه الاستهزاء بها، مع حسن تلاعب بالألفاظ، لكن لكون القرآن معظما عند الناس كان يتفوه بكلمات ملتوية تدل على مضادته للقرآن الكريم ومخالفته له[8].

---

(١) انظر: المجموع ٣٥/ ١٣٨.

(٢) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٢٩، لسان العرب ١/ ٤٣٤، المعجم الفلسفي ٢/ ١٩٤.

(٣) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٢٨.

(٤) انظر: الحركات الباطنية ص٢٢٣، إسلام بلا مذاهب لمصطفي الشكعة ص ٢٥٠، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ٤٩.

(٥) انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١١٣، الحركات الباطنية ص ٢٣٩، ٢٤٠.

(٦) انظر: أقاويل الثقات ص٥٠.

(٧) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١١٣، وانظر: المجموع ٣٥/ ١٥٢.

(٨) انظر: مقدمة كتاب أخبار جلال الدين الرومي ص ٦٣.

ومن استخفافهم بالقرآن: أنهم لا يقيمون لشرائعه وزنا، ولا لأحكامه قيمة، إذ الحلال ما أحلوه، والحلال ما حرموه!!! ويقولون: إن الدين أغلال، في أعناق من لم يصل إلى اعتقاداتهم الفاسدة، وأما من وصل إلى ما يعتقدونه فلا غِل عليه[(١)].

ومن **استخفافهم**: أنهم يجعلون التوحيد الذي جاء به محمد ﷺ والشركَ سواء، ويؤولون آيات التوحيد بحسب اعتقاداتهم الباطنة المنحرفة، يقول ابن عربي في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[الكهف:١١٠] «وقد أشرك المشركون معه الملائكة والنجوم والأناسي والشياطين والحيوانات والشجر والجمادات، فصارت الأحدية سارية في كل موجود، فزال طمع الإنسان من الاختصاص، وإنما عمت جميع المخلوقات الأحدية للسريان الإلهي الذي لا يشعر به خلق، إلا من شاء الله، وهو قوله: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[الإسراء:٢٣] وقضاؤه لا سبيل أن يكون في وسع مخلوق أن يرده!! **فهو ماض نافذ فما عَبَدَ عابد غيره سبحانه، فإذاً الشريك هو الأحد!!!**»[(٢)] **ويقول**: «كل توحيد شرك!!! فلا يعول عليه»[(٣)].

وفي قوله ﷻ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ [المؤمنون:٧٧] قال فيها ابن عربي مبينا أن العذاب ليس على ظاهره: «ليس الأمر كما توهمته، فإنه قد قرن الإبلاس الذي هو البعد عند الفتح، فرحمة الفتح أعطتهم البعد بذلك القدر، **فهم في عذاب هو رحمة لمقارنة عذاب آخر**»[(٤)].

ومن استخفافهم بالقرآن أن بعض الباطنية سمع من أهل العلم فتوى بعدم جواز ذكر الله في الخلاء فقال: «يقولون: لا ينبغي أن يذكر اسم الله في بيت الخلاء، ولا يليق أن يقرأ فيه القرآن ولو همسا، ولكن ماذا أصنع اليوم بالقاذورات في أحشائي التي

---

(١) انظر: الحركات الباطنية ص ٣٩٠.

(٢) كتاب الألف (وهو الأحدية) لابن عربي ص ٣.

(٣)لا يعول عليه لابن عربي ص١٠.

(٤) الياء لابن عربي ص ١٠، وانظر: التراجم لابن عربي ص ١٤-١٥، ١٧.

لا أستطيع منها فكاكا؟!!»[(١)].

ولهذا يقول الفقيه ابن العربي المعافري رادًّا على هؤلاء وأمثالهم المتلاعبين بنصوص القرآن، وتفسيرهم له بغير حجة ولا برهان: «وأما علم الباطن، فقد ضلت فيه الأمم، فأوغلوا في هذا الباب وأوعدوا، حتى كفرَت منهم طائفةٌ لا يحكى قولُها الآن لسخافتها، وتسورت عليه أخرى، وادعى كل واحد منهم: إن علمه في كتاب الله، ليحرص عليه من يطلبه»[(٢)].

والذي أدى إلى هذا الاستخفاف بالقرآن من هؤلاء وغيرهم ممن يزعمون أن للقرآن ظاهرا وباطنا، وظاهرا ومؤوَّلا، هو فتح باب التأويل (التحريف) الذي جاء منه الشر المستطير، وهذا ابن رشد يبين مفاسد فتح باب التأويل - مع أنه من أربابها - فيقول: «إن تأثيرها - أي: ظواهر النصوص - في نفوس الجمهور إنما هو إذا حملت على ظاهرها، وأما إذا أولت فإنما يؤول الأمر فيها إلى أحد أمرين:

إما أن يسلط التأويل على هذه، وأشباه هذه في الشريعة، **فتتمزق الشريعة كلها، وتبطل الحكمة المقصودة منها.**

وإما أن يقال في هذه كلها: **إنها من المتشابهات، وهذا كله إبطال للشريعة**، ومحو لها من النفوس، من غير أن يشعر الفاعل لذلك بعظيم ما جناه على الشريعة»[(٣)]، ويقول عن هذه التأويلات الباطنية، والتحريفات الكلامية: «فهذه كلها كما تراه بدع حادثة في الاسلام، هي السبب فيما عرض فيه من الفِرَق، التي أنبأ المصطفى ﷺ، أنها ستفترق أمته إليها»[(٤)].

ويقول الشيخ مصطفي صبرى التركي رحمه الله: «إن نصوص أحكام الإسلام ما كانت لتتخذ لعبة في يد أحد من الناس، يتلعَّب بها، ولن يعطى الحق لكائن من كان،

---

(١) مقالات التبريزي ٢/ ١١٥، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ١٨٨

(٢) قانون التأويل لابن العربي المعافري ص ٥١٨.

(٣) مناهج الأدلة لابن رشد ص٨٢.

(٤)مناهج الأدلة لابن رشد ص٨٣، وانظر منه ص ٨٥.

كي يضع اصطلاحات تخالف بيانات كتاب الله تعالى، وتضاده»[(١)].

ومن استخفافهم بالقرآن الكريم أنهم يقتبسون منه في تركيب كلماتهم في غير السياق الذي نزلت من أجلها الآية، بل ويركبون كلامهم من آياتها، فاقرأ هذا النص من مقدمة المثنوى للجلال الرومي القونوي، وهو يقول مادحا كتابه "المثنوي": «مثله نوره كمشكاة فيها مصباح، يشرق إشراقا أنور من الإصباح، وهو جنان الجنان، ذو العيون والأغصان، منها عين تسمى عند أبناء هذا السبيل سلسبيلا، وعند أصحاب المقامات والكرامات خير مقاما وأحسن مقيلا، الأبرار فيه يأكلون ويشربون، والأحرار منه يفرحون ويطربون، وهو كنيل مصر للشاربين، وحسرة على آل فرعون والكافرين، كما قال تعالى: يضل به كثيرا، ويهدي به كثيرا!!! وإنه شفاء الصدور، وجلاء الأحزان، وكشاف القرآن!!!، وسعة الأرزاق!! وتطييب الأخلاق!!»[(٢)].

وأما تأويلاتهم الباطنية فما أكثرها، ومن جملة ذلك قولهم:

١- الصلاة: حضور القلب مع الله تعالى فقط!! وأما الصلاة الشرعية ذات الأركان فلا يعتقدونها، ولا يقولون بها.

٢- الصوم: الجوع فقط!![(٣)].

٣- الكعبة هي النبي!! والباب علي، والطوفان: طوفان العلم!![(٤)].

ومن جملة ذلك تأويلهم الأسماء الحسنى كلها، ونفيها عن الله ﷻ على سبيل التنزه له عنها!! «وقد غلوا في ذلك، وبالغوا حتى قالوا: إنه لا يقال: أنه ـ أي الله ﷻ ـ موجود، ولا معدوم، بل قالوا: إنه لا يعبر عنه بالحروف، وقد جعلوا تأويلها: أن المراد بها كلها إمام الزمان عندهم، وهو عندهم المسمى الله، والمراد بلا إله إلا الله، وقد تواتر

---

(١) القيمة العلمية للمجتهدين الجدد ص ١٢٥-١٢٦، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٦٤.

(٢) مقدمة كتاب المثنوي، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص٣٦٣.

(٣) انظر: رسالة في ألفاظ الكفر لقاسم بن صلاح الدين الخاني، ص ٣٧٩، ضمن الجامع لألفاظ الكفر، للشيخ د/ محمد الخميس.

(٤) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١١٩، وانظر ما بعدها، مناهل العرفان ٢/ ٨٣.

هذا عنهم، وأنا ممن وقف عليه؛ فيما لا يحصى من كتبهم التي في أيديهم، وخزائنهم، ومعاقلهم التي دخلت عليهم عنوة »[١].

ومن استخفافهم بالقرآن عدم الالتفات إليه تعلما، وتعليما، وتعبدا، فـ « لا يعتنون بالقرآن، ولا بتفسيره، ولا بالحديث، وكلام السلف، وإن تعلموا من ذلك شيئا؛ فلأجل تعلق الجمهور به ليعيشوا بينهم بذكره، لا لاعتقادهم موجبه في الباطن، وهذا بخلاف طوائف المتكلمين؛ فإنهم يعظمون القرآن في الجملة، وتفسيره، مع ما فيهم من البدع »[٢].

ومن استخفافهم بالقرآن إنكارهم لما جاء فيه من ذكر معجزات الأنبياء وآياتهم؛ فيحرفونها تحريفات ماكرة، أو يكذبون بها، « وربما جعلوها أمثالا؛ فقالوا: إنه ألقا عصا العلم؛ فابتلعت حبال الجهل وعصيه!! ونحو ذلك، كما يغلب الرجل الرجل بحجته!! وهذا من تأويلات القرامطة التي يعلم بالضرورة بطلانها، وأنها مخالفة للمنقول بالتواتر، ومخالفة لما اتفق عليه المسلمون »[٣].

ومن استخفافهم بالقرآن الكريم قولهم عما جاء فيه بأنه: « رموز وإشارات إلى علوم باطنية، كما يقولون: إن الصلاة معرفة أسرارنا والصيام كتمان أسرارنا!!، والحج زيارة شيوخنا المقدسين!! ونحو ذلك »[٤].

فهؤلاء الباطنية أعظم الناس كفرا، وأشد الناس ضلالا، فإنهم لما ادعوا العلم الباطني الذي يخالف ما عليه المسلمون، جاؤوا بالكفر الصريح، والنفاق القبيح، حيث إن مضمون هذا العلم الباطني، تحريف أوامر القرآن وتحريف نواهيه وتحريف أخباره، « **أما الأوامر**: فإن الناس يعلمون بالاضطرار من دين الاسلام أن محمدا ﷺ أمرهم بالصلوات المكتوبة، والزكاة المفروضة،وصيام شهر رمضان، وحج البيت

---

(١) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير اليماني ص١٢٣.

(٢) المجموع ١٣/ ٢٠٦ـ ٢٠٧.

(٣) الصفدية ١/ ١٣٨.

(٤) شرح الأصبهانية ص٦٣٤، وانظر: المجموع ٣٥/ ١٣٣، ١٥٠.

العتيق. **وأما النواهي**: فإن الله تعالى حرم عليهم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والإثم، والبغي بغير الحق...، كما حرم الخمر، ونكاح ذوات المحارم، والربا، والميسر، وغير ذلك؛ فزعم هؤلاء أنه ليس المراد بهذا ما يعرفه المسلمون، ولكن لهذا باطن يعلمه هؤلاء الأئمة ـ الباطنيّون ـ...، الذين يقولون: إنهم معصومون!!...، **وأما الأخبار**: فإنهم لا يقرون بقيام الناس من قبورهم لرب العالمين، ولا بما وعدالله به عباده من الثواب والعقاب، بل ولا بما أخبرت به الرسل من الملائكة؛ بل ولا بما ذكرته من أسماء الله، وصفاته...»[(١)].

فأي استخفاف بالقرآن أعظم من أن يُعتقد فيه أن كل ما فيه من أخبار وأوامر ونواهٍ، محرفة إلى المعاني المشتهاة!! وأن الحلال ما أحله مشايخهم!! والحرام ما حرمه أئمتهم!! والأخبار ما جاء به أصحاب نحلتهم!!.

ومن استخفاف بعضهم بالقرآن «**دعواه أنه يقدر أن يعارض القرآن بخير منه!!** ودعواه أنه من فاته الحج أنه يبني بيتا يطوف به!!...، إلى أمور أخرى توجب الكفر باتفاق المسلمين الذين يشهدون أن محمدا رسول الله: علماؤهم، وعبادهم، وفقهاؤهم، وفقراؤهم، وصوفيتهم»[(٢)].

ومن استخفافهم بالقرآن «سؤالهم عن معاني حروف الهجاء، في أوائل السور...، وزعموا أنه لا يعرف تأويلها إلا الإمام المعصوم... ـ ويسألون عن معاني آيات استخفافا، وتدريجا ـ، فإذا سمع الغر منهم هذه الأسئلة، ورجع إليهم في تأويلها، قالوا له: علمها عند إمامنا، وعند المأذون له في كشف أسرارنا؛ فإذا تقرر عند الغر أن إمامهم أو ما دونه هو العالم بتأويله، اعتقد أن المراد بظواهر القرآن والسنة غير ظاهرها؛ فأخرجوه بهذه الحيلة عن العمل بأحكام الشريعة»[(٣)].

وخلاصة الأمر أن تفسير معاني القرآن الكريم عند هؤلاء الباطنية تغيير لمعاني

---

(١) المجموع ٣٥/ ١٣٢، وانظر منه ١٣/ ٢٣٦-٢٣٧.

(٢) المجموع ٨/ ٣١٦، وذكر شيخ الإسلام أن الذي ادعى هذا القول هو الحلاج المقتول ردة.

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٣٢-٢٣٣.

القرآن إلى الهذيان، و« أقل ما حولوا فيه التفسير إلى التغيير، وهناك ما هو أشد وأفسد، حتى إن هذا الحال أعني ما رأيته من أن الصوفية الوجودية وأنصارهم يحرفون معاني كلام الله ورسوله، في سبيل تأييد مذهبهم تحريفا جليا، كان أول مُنبه إليّ على بطلان مذهبهم، كما رأيت أن مثل هذه التحريفات لا يصدر إلا من المضل المتعمد، أو الجاهل السيء الفهم؛ فإن كانوا ينسبون تلك المعاني المحرفة إلى باطن الكتاب أو السنة؛ فهي أحق عندي باسم الباطل منها باسم الباطن»[(١)].

ومن « ذلك التحريف الفاحش أنهم يجعلون "رسلُ الله" في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام:١٢٤] مبتدأ، و"الله" الثانيَ خبرَه!!، ـ فيكون المعنى: رسل الله هو الله ـ بناء على أساس وحدة الوجود الموجب لكون كل موجودٍ الله؛ فيكون رسل الله أيضا الله!!»[(٢)].

فهذه بعض تحريفات الباطنية[(٣)] أهل وحدة الوجود ـ المعظّمون عند جهلة المسلمين، وعند الصوفية على وجه الخصوص ـ؛ فكيف بالباطنية الإسماعيلية!!.

ومعلوم أن « النصوص تحمل على ظواهرها، والعدول عنها إلى معان يدعيها أهل الباطن إلحاد»[(٤)].

ويزعمون أن حالهم، وما عليه مشايخهم، أفضل مما عليه الأنبياء، حتى يقول التلمساني: « القرآن يوصل إلى الجنة، وكلامنا يوصل إلى الله!!»[(٥)].

ومن استخفافهم بالقرآن الكريم، وبالدين القويم، قول بعضهم: « المسجد: اصطبل البطالين، ويقرؤون القرآن: وما أرسلناك إلا رحمة للمدمنين!! وألوان هذا

---

(١) موقف العقل والعلم والعالم ٣/ ٢٦٣.

(٢) موقف العقل والعلم والعالم ٣/ ٢٦٣.

(٣) انظر: تحريفات أخرى، وتلبيسات شتى كما ذكره عنهم صاحب كتاب: موقف العقل والعلم والعالم ٣/ ٢٦٤ وما بعدها، مع الرد عليهم.

(٤) فتح البيان لصديق حسن خان ١/ ١٢، نقلا عن النسفي.

(٥) المجموع ٢/ ٦٦، وانظر منه ١٢/ ١٨٦.

الجنس الذي فيه استهزاء بالله وآياته، ورسوله، مع تعظيمهم شيخهم، وغلوهم فيه، وكذلك النصيرية، والإسماعيلية، ونحوهم، وكثير من طوائف متعددة»[(١)].

وفي أشعار الغلاة من الصوفية من سب النبي ﷺ وسب الإسلام وسب القرآن ما لا يرضاه مسلم[(٢)].

فإذا كان هذا حقيقة حالهم مع القرآن؛ فكيف يتصور منهم الاعتماد عليه في العقائد!؟ وهذا ما أبينه في المطلب الآتي.

---

(١) الرد على البكري ٢/ ٦٧٢، ولا شك أن هذه الطوائف المتعددة إنما يجمعها الطابع المشترك، وهو الخروج على الشرع بالقول الباطني.

(٢) انظر: المجموع ١/ ١٠٧.

المطلب الثاني: عدم اعتماد الباطنية على القرآن الكريم.

ولما اعتقدت الباطنية بأن القرآن قد جاء بالتخييل، وكان منهم من قال بنسخه، أو نسخ بعض أحكامه، لم يعتمدوا عليه، لا في باب الإيمان، ولا في غيره. وقالوا: إن الكتاب والسنة والإجماع لا يحتج بهما في باب الإيمان بالله وباليوم الآخر، ولهذا لا يعتمدون على الكتب الإلهية[١].

فلا يصدرون في عقائدهم عن القرآن الكريم، والشرع القويم: فالقرآن فيه إثبات خالق ومخلوق، وعابد ومعبود، وهؤلاء لا يثبتون إلا الحلول، أو الاتحاد، أو وحدة الوجود. يقول ابن عربي في إثبات وحدة الوجود: «وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد، وهذه الآية التي في كل شيء التي تدل على وحدانية الله، هي وحدانية الشيء، لا أمر آخر، وما في الوجود شيء من جمال غيره»، ويقول: «ولهذا إذا ضربت الواحد في الواحد لم يتضعف، ولم يتولد منهما كثرة، لأنهما ما هو!! فإنك ضربت الشيء نفسه في نفسه، فلم يظهر لك سوى نفسه، فاضرب أنا في أنا يخرج لك في الخارج أنا»[٢]. ويقول: «وهكذا الوجود كله هو واحد في الحقيقة، لا شيء معه، ولهذا ما ألطف إشارة الشرع ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[ق:٣٧] فالشهيد هو الهو والقلب والسمع!!!»[٣].

وإن تأويلاتهم لا نهاية لها، فانظر ماذا يقولون: «عبدي خرقت لك الحجاب، وأظهرت لكل الأمر العجاب، حتى أتيت قومك باللباب، ﴿فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾، عبدي وهبتك أسرار الأخلاق، وملكتك مفتاح اسمي الخلاق، فقال لك الكافرون: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾، عبدي ملكتك سر النون، من قول كن فيكون، فقالوا: ﴿سَاحِرٌ

(١) انظر: الدرء ٥/ ٢١.
(٢) كتاب الألف (وهو الأحدية) لابن عربي ص٤، ٥.
(٣) الجلالة لابن عربي ص ٩.

أَوْ مَجْنُونٌ﴾، عبدي أتيتهم بأسرار الكوثر، فقالوا: ﴿إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾...»[١].

وجاء القرآن مبينا للربوبية وما يجب للرب ﷻ، وما يستحقه من الألوهية، وفي إثبات النبوة، وأهمية العلم، وهؤلاء يقولون: «للربوبية سر لو ظهر لبطلت النبوة»، ذلك لأن السر بزعمهم هو: أن المرسِل عين المرسَل!!! وقالوا: «وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم»، لأن السر عندهم أن كل صاحب دين على ما هو عليه، وإنما جاء الرسل لأهل الظاهر، فإذا كان كذلك بطل التمايز بالعلم!! وقالوا: «وللعلماء بالله سر، لو ظهر لبطلت الأحكام»[٢]، لأنهم يرون أن من وصل رفع عنه التكاليف فتبطل الأحكام في حقهم!!!.

قال شيخ الإسلام ؒ مبينا أنهم لا يعتمدون على الكتاب والسنة، بل على مخالفتهما: «ويقولون: نطق الكتاب والسنة بثنوية الوجود، والوجود واحد لا ثنوية فيه، ونحو ذلك من المقالات التي هي أعظم الكفر والإلحاد»[٣].

ولا يعتمدون على أحكام القرآن، فلذلك يحرمون ما يشاؤون، ويحلون ما يشاؤون، بل ويتكلمون في آياته بما يريدون. فهذا أحد الباطنية من أتباع المولوية يجعل الرباب والضرب به حلالا مثل عصا موسى، فيقول عن ربابهم الذي به يقيمون الحفلات الصوفية والليالي الماجنة: «وربابنا هذا، كان في السابق قطعة خشب ملقاة في جانب، لا يلتفت إليها، فاختار مظهر سر المصطفى!! وموسى الزمان!! مولانا ـ الجلال الرومي ـ هذه القطعة الخشبية، ونظر إليها نظرة عناية، فتحولت قطعة الخشب هذه في يده ثعبانا تلقف كل حبال خيال أصحاب الحيل... فيبتلع في نَفَسٍ واحد جميع علومكم العقلية وأحكامكم!!... إن نظرة من إكسير نظره، بدلت حرمته إلى الحل!! وأصبح الرباب مقبول أهل القبول!!!»[٤].

---

(١) الإسراء إلى مقام الأسرى لابن عربي ص٧٢-٧٣.

(٢) رسالة ضمن رسالة ابن عربي للرازي (متمم) ص٩.

(٣) الصفدية ٢/ ٢٢٤.

(٤) مناقب العارفين للأفلاكي ٢/ ٣٤٩ ـ ٣٥١، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٢٠٠.

ومما يدل على عدم اعتمادهم على الشرع، أن القونوي وهو في حفلة رقص ورباب، دخل عليه أحد أعزائه، فقال له: «بدأ المؤذن في آذان الظهر، ففكر هنيهة ثم قال: لا، لا، فكما أن ذاك الصوت يدعو إلى الحق، فكذلك هذا الصوت - يعني الرباب - يدعو للحق أيضا!! ذاك يدعو ظاهر الإنسان، والمشاهد منه لوظيفته، أما صوت الرباب فيدعو باطنه، والخفي منه إلى محبة الحق ومعرفته»!![1].

بل ويزعمون أن الطريق الموصل إلى الله هو غناؤهم الذي ابتدعوه، لا القرآن والعلم والبيان، قال أحد علماء الشريعة ممن «يحسن الظن بالشمس التبريزي: قد أسأت إلى سمعة أهل العلم بسماعك هذا؟ فأجابه التبريزي: ألا تدري أن فرق ما بين السيء والحسن، والكافر والمؤمن لا يتضح إلا لأهل السماع!!، فقال العالم: أَوَ تصل إلى الله بالرقص واللعب؟؟ فقال الشمس: فالعب أنت أيضا لتصل إلى الله، فبعد خطوتين ستدركنا!!»[2]. فانظر بعين الإمعان تجد أن القوم يستخفون بالشرع، ويعظمون الرقص والسماع الصوفي على كتاب الباري والعلم المستفاد منه.

قال ابن القيم رحمه الله: «وبعض هؤلاء سمع إقامة الصلاة، وهو في السماع، فقال: كنا في الحضرة!! فصرنا على الباب!!». ثم قال ابن القيم رحمه الله: «فقال له صاحب القرآن: صدقت والله كنت في حضرة الشيطان، فدعيت إلى باب الرحمن»[3].

ومن عجائب هؤلاء الباطنية تسميتهم لمبتدعاتهم بالأسماء الشرعية حتى تروج على الخلق، وتنفق سلعتهم باسم الحق، فهذا القونوي يسمي السماع الصوفي: صلاة العاشقين!!![4].

فهؤلاء يفعلون المنكر باسم الدين، وهذا شأن الباطنية أجمعين، يفعلون الكفر

---

(١) مناقب العارفين للأفلاكي ١/ ٦١٣، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٢٤٣.

(٢) مقالات التبريزي ٢/ ٨٢، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٢٤٨.

(٣) الكلام على مسألة السماع ص ٢٩١، وألف الشيخ إبراهيم الحلبي رسالة في رد السماع الصوفي بعنوان: "الرهص والوقص لمستحل الرقص" وهو مطبوع.

(٤) مناقب العارفين ١/ ٦١٢، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٢٤٩.

والشرك والخرافة، ملبسين إياها بالدين، قال الإمام الشاطبي رحمه الله: «ولو فعلوه على جهة اللعب، كما يفعله الصبيان، لكان أخف عليهم، مع ما فيه من إسقاط الحشمة، وإذهاب المروءة، وترك هدي أهل الاسلام، وأرباب العقول، لكنهم يفعلونه على جهة التقرب إلى الله، والتعبد به، وأن فاعله أفضل من تاركه، وهذا أدهى وأمر حيث يعتقدون أن اللهو واللعب عبادة، وذلك من أعظم البدع المحرمات، الموقعة في الضلالة المؤدية إلى النار، والعياذ بالله»[١].

وقال أبو السعود الحنفي رحمه الله ـ في عبادات الصوفية الرقصية!! مبينا حرمتها ومخالفتها الشرعية ـ لما سئل عن وجه لزوم كفر القائلين بقربية الدوران في الرقص، وعدم لزوم كفر القائلين بإباحته؟.

قال: «المباح ليس مأمورا به، أما العبادة فمن المؤكد أنها مأمور بها، والقائل بحله لم يفتر على الله تعالى بقوله: إنه تعالى أمر به حتى يكفر. أما الذي يعده عبادة، ذاك اللاعب العابث، فقد جمع إلى عبثه ولعبه، وحرمته المقررة، وكفر الكفار مشهور، وكمال مشابهته لهم، دعواه: إن ذلك أمر الله ﷻ، يطلب الثواب عليه، كالذي يستبيح سرقة الدرهم ليتصدق به، ويرجو ثواب ذلك، مما هو كفر ثان غير الأول»[٢].

ومما يدل على عدم اعتمادهم على القرآن الكريم أنهم يفعلون المنكرات والفسق والفجور، والشر والمجون، وينسبون: «هذا العهر إلى الله تعالى!! ويقدس بمثل ما قدس به القرآن، فهذا هو الكفر بعينه»[٣]، وليس في كتبهم آيات وأحاديث يعتمد عليها، وإن ذكرت بعضها فلكونهم ظنوا أنها توافق هواهم، وأولوها على أهوائهم.

فإذا قيل لهم: إن كتبكم تحوي الفجور والشرور، قالوا: إن القرآن كذلك فيه ذكر لقضية الشهوة والنـزوة!!، وقالوا: «انظروا كيف جاء القرآن بكذا وكذا من المعاني الجنسية، لغاية وحكمة!!...

---

(١) فتاوى الإمام الشاطبي ص ١٩٦.

(٢) نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٢٦٧.

(٣) أخبار جلال الدين الرومي ص٤٤١.

وهذه ورب الكعبة كذبة صلعاء، وجهالة عظمى تدل فيها تدل على فهم بلقع، ووهم شنيع...، فهذا كتاب الله ﷻ، نظيف القمة، أخلاقي في الذروة»[١].

فالقرآن يدل من أوله إلى آخره على وجود رب، ومربوب، وخالق، ومخلوق. وهؤلاء «يصل بهم الكفر إلى أنهم لا يشهدون أنهم عِبادٌ، لا بمعنى أنهم مُعبدون، ولا بمعنى أنهم عابدون، إذ يشهدون أنفسهم هي الحق!! كما صرح بذلك طواغيتهم، كابن عربي صاحب الفصوص، وأمثاله الملحدين المفترين، كابن سبعين وأمثاله»[٢].

ومما يدل على عدم اعتمادهم على القرآن في العقائد، أنهم «يتوهمون ما لا حقيقة له، كتوهم إلهية البشر كتوهم النصارى[٣]، وتوهم المنتظر، وتوهم الغوث المقيم بمكة: أنه بواسطته يدبر أمر السماء والأرض!! ولهذا يقول التلمساني: ثبت عندنا بطريق الكشف ما يناقض العقل!!»[٤].

ومن ذلك تفضيلهم لأئمتهم على النبي ﷺ، وهذا أحد الباطنية الصوفية يقول: «إن النبي ﷺ لبنة من فضة، وهو لبنتان من ذهب وفضة، ويزعم أن لبنة محمد ﷺ هي العلم الظاهر، ولبنتاه: الذهب: العلم الباطن!! والفضة: العلم الظاهر!!»[٥].

وكانت البابكية تزعم أن رجلا منهم كان في الجاهلية يقال له "شروين" أنه أفضل من النبي محمد ﷺ!![٦] بل يزعم البهائية والبابية أن البهاء أفضل من النبي محمد ﷺ الهاشمي![٧].

فالقرآن يدل صراحة، وبأوضح عبارة، على أن محمدا ﷺ رسول إلى الناس

---

(١) أخبار جلال الدين الرومي ص٤٦٥ ـ ٤٦٦.

(٢) العبودية ص٣٩.

(٣) في المطبوع: (إلهية البشر، وتوهم النصارى)، ولكن السياق لا يستقيم إلا بما أثبته ـ والله أعلم ـ.

(٤) المجموع ٢/ ٥٨.

(٥) نقض المنطق ص١٤١، والذي قال هذا الكلام هو ابن عربي، كما أشار إليه شيخ الإسلام رحمه الله.

(٦) انظر: الأنساب للسمعاني ٢/ ٢٤٣، الملل والنحل الواردة في كتاب الأنساب ص١٦.

(٧) انظر: البهائية نقد وتحليل للشيخ إحسان إلهي ظهير ص ٤٨.

كافة، وهؤلاء يدعون «أن من الأولياء الذين بلغتهم رسالة محمد ﷺ **من له طريق إلى الله لا يحتاج فيه إلى محمد**؛ فهذا كافر ملحد، وإذا قال: **أنا محتاج إلى محمد في علم الظاهر، دون علم الباطن، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة؛ فهو شر من اليهود والنصارى** الذين قالوا: إن محمدا رسول إلى الأميين دون أهل الكتاب؛ فإن أولئك آمنوا ببعض، وكفروا ببعض؛ فهو كافر، وهو أكفر من أولئك»(١).

وكيف يعتمدون عليه وهم يقولون: إن صاحب الطريق المستديرة هو الواصل عندهم، ويمدحون أصحاب الطرق المستديرة، وهم يعنون بذلك الذين يقولون: الرب عبد، والعبد رب؛ فيرجع الأول إلى الثاني، والثاني إلى الأول، وهكذا وهذه هي الحركة المستديرة الحائرة بزعمهم!!! ويذمون أصحاب الطريق المستقيم!! ومعلوم أن القرآن قد أمر باتباع الصراط المستقيم، الذي يوصل إلى رب العالمين، وأن العبد عبد، لا يمكن أن يصل إلى السعادة المنشودة، والدرجة العالية المعهودة، في الجنات الموعودة، وأن الرب رب، لا يمكن إدراكه، والإحاطة به، وأنه لا يمكن أن يراه أحد إلا بالسير على الصراط المستقيم، ولهذا كان الأمر في القرآن الكريم باتباع الصراط المستقيم، دون الطرق الأخرى، سواء كانت دائرية حائرة، أو طرقا أخرى(٢).

و«إن حديث الخلق الذي ملأ كتاب الله يلزم أن يكون بالنظر إلى هذا المذهب حديث خرافة؛ لأن الخلق هو الإيجاد من العدم، وهو من أجلِّ أوصاف الله التي تختص به، ولا يقدر غيره عليها، مع أن الخلق والإيجاد ممتنع في مذهب الصوفية... بل الخلق والإيجاد مستحيل كخلق إله غير الله؛ لأن الوجود هو الله!! ولا وجود، ولا موجود غيره!! وليس هناك وجودان: وجود الواجب الخالق،ووجود الممكنات المخلوقات، بل الوجود واحد وواجب!! ولذا عبر عن مذهبهم بمذهب وحدة الوجود، وهي تستلزم وحدة الموجود أيضا، على أنه لا موجود عند غير الوجود...،

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص٧٣، المجموع ١١/ ٢٢٥.

(٢) انظر: المجموع ٢/ ٢٦٦ وما بعدها.

وصرحوا بأن العالم عين الله!!...، واختلاف الصوفي عنا في تسمية المحسوسات؛ فنسميها العالم، ويسميها الله!!»[١].

ومن ذلك إخراجهم لفرعون من دركات الكفر إلى دركات البِر؛ فزعموا أنه كان من الموحدين!! فأي اعتماد لهؤلاء يكون على كلام الله!!؟ يقولون: «إن فرعون كان مؤمنا، وأنه لا يدخل النار...، وهذا القول كفر معلوم فساده بالاضطرار من دين الإسلام»[٢].

«**والزنادقة من الفلاسفة، والنصيرية وغيرهم:** يقدحون تارة في النقل، وهو قول جهالهم، وتارة يقدحون في فهم الرسالة، وهو قول حذاقهم، كما يذهب إليه أكابر الفلاسفة، والاتحادية، ونحوهم...، وكذلك ابن سينا، وغيره، يذكر من النقص بالصحابة ما ورثه عن أبيه وشيعته القرامطة»[٣].

وعند ما يرى المسلم هذه الخرافات من الباطنية في كتاب الله ﷻ ليستيقن أن الباطنية إنما تلقت هذه الأقوال وهذه الخصال عن اليهودية المحرفة، والمجوسية الحاقدة، وكل أمة معرضة عن الشرع. فمصادرهم الأمم الماضية، والأفكار الواردة، لا يتصدرون عن القرآن أساسا، ولا عن السنة أصلا، ولا يعرفون للسلف درجة ومقاما[٤].

(١) موقف العقل والعلم والعالم ٣/ ٢٥٥-٢٢٥٦.
(٢) المجموع ٢/ ٢٧٩.
(٣) نقض المنطق ص٨٧.
(٤) انظر: الحركات الإسلامية للخطيب ص ٣٦ وما بعدها.

المطلب الثالث:تفضيل غير القرآن على القرآن.

الباطنية نحل مختلفة، والذي يجمعهم عدم الإيمان الصحيح بما في القرآن الكريم من ختم النبوة، وختم الرسالات، ولكن منهم من يصرح بهذا الكفر، ومنهم من لا يصرح به، ولكن يذكر ذلك بأسماء ملبسة، وبطرق مدلسة.

فالبابية مثلا: تزعم أن الهراء الذي جاء به "المرزا محمد علي الشيرازي" أفضل من القرآن الكريم!![١] وأن الكتاب المسمى بـ (البيان) أفضل من القرآن الكريم[٢]!! والبهائية تزعم أن كتابها المسمى بـ (الأقدس) قد نسخ كتاب البابية (البيان)، ونسخ القرآن الكريم!![٣].

وكذلك القاديانية تفضل كتابها المسمى بـ (الكتاب المبين) على القرآن الكريم![٤].

والتيجانية من الفرق الصوفية الغوية، والنحل المنتسبة إلى الإسلام وهي من الباطنية، تزعم أن كتاب "جواهر المعاني" كتاب مهم، وفيه من الطامات الشيء العظيم[٥]. بل زعموا وبكل وقاحة أن "صلاة الفاتح" أعظم من القرآن الكريم!! وأنه من كلام الله ﷻ!! وأنه أفضل من القرآن الكريم ستة آلاف مرة، ونصها: «اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق، الهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم»[٦].

---

(١) انظر: البهائية نقد وتحليل للشيخ إحسان إلهي ظهير ص ٤٨

(٢) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١٥٨.

(٣) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١٦١.

(٤) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١٥٢.

(٥) انظر:التيجانية للدكتور/ علي بن محمد آل دخيل الله ص٥٧ وما بعدها، ٨٠، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص١٦٩.

(٦) انظر: التيجانية للدكتور/علي بن محمد آل دخيل الله ص ١١٣، ١١٧، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١٧٠، وهذه الصيغة لا ينبغي أن تنطلي على المسلمين، خصوصا بعد أن بين النبي الكريم محمد ﷺ كيفية الصلاة عليه، وهي المحفوظة التي يقولها المسلمون في كل تشهد.

فالباطنية بمختلف فئاتها لا تصدر عن القرآن، بل كل واحد منهم يصدر عما يقال له من الشيوخ، أو المتبوعين من علماء ملتهم، فتارة يزعم كبارهم أنهم يصدرون عن الكشوفات، وما يطلعون عليه من الغيوبات، فيطرحون ما نزل من الآيات، ويحرمون الطيبات، ويحلون المحرمات، ومن ذلك ما ذكره الثقة (١) عن التلمساني كبير الصوفية الحلولية، أنه كان يقرأ عليه الفصوص، فقال له «هذا الكلام يخالف القرآن!! فقال: القرآن كله شرك!!!(٢) وإنما التوحيد في كلامنا!! قال: فقلت له: فإذا كان الكل واحدا فلماذا تحرم علي ابنتي، وتحل لي زوجتي؟ فقال: لا فرق عندنا بين الزوجة والبنت!!! الجمع حلال!! لكن المحجوبون قالوا: حرام، فقلنا: حرام عليكم!!»(٣).

وهذا الكلام من التلمساني ما جاء عن خطرة، ولا ظهر منه عن فكرة، بل هو طريق سائر ودرب جاسر صار عليه الحلولية الأوائل منهم والأواخر، وقد كان الحلاج يدعي أنه يمكنه أن يعارض القرآن الكريم!!(٤).

ومن تفضيل الباطنية الغناء على القرآن أنهم لا يكتفون به، ولا يتشوقون إليه، بل شوقهم في الغناء والرقص!! يقول من مدحهم وجالسهم ـ مادحا إياهم ـ: «وبعد الفراغ من الأكل، قرأ القراء آيات من القرآن العزيز!! ثم أخذوا في السماع والرقص!!!»(٥). قال ابن قدامة رحمه الله: «فأما من يجعله دينا، ويجعل استماعه واستماع الغناء قربة وطريقا إليه سبحانه؛ فلا يكاد يوصله ذلك إلا إلى سخط الله ومقته»(٦).

---

(١) والثقة هو: كمال الدين عمر المراغي المتوفى سنة ٧٣٢هـ، انظر: الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي ص ٢١٥.

(٢) لأن القرآن يبين الفرق بين المعبود والعابد، وبين الخالق والمخلوق، وهذا عند هؤلاء الحلولية والاتحادية وأهل وحدة الوجود شرك!!، لأن التوحيد عندهم هو عدم الفرق بين الخالق والمخلوق!!!.

(٣) الصفدية ١/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥، و انظر: الفرقان ص٨٨، المجموع ١١/ ٢٤١، أخبار جلال الدين الرومي ص ٦٧-٦٨.

(٤) انظر: الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد للشوكاني ص١٠٢.

(٥) رحلة ابن بطوطة ص ٢٢٣، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٨٦.

(٦) ذم ما عليه مدعوا التصوف لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي ص١٤.

ومما يدل على تفضيلهم لغير القرآن على القرآن: أنهم يزعمون أن الوجد الصوفي، والسماع المبتدع، يوصل إلى الجنة لا محالة!! وأما السماع الفرض!! فهو سماع أهل الحال، وهو فرض عين، مثل الصلوات الخمس، وصيام رمضان[(١)].

ومنهم من يفضل الشعر الصوفي على القرآن!!! فهذا صوفي يدخل على شيخه الرومي القونوي، فيقول له: إني لا أحب سنائي[(٢)] أدنى محبة؛ لأنه لم يكن مسلما! قال: وأي شيء تعني لم يكن مسلما هذه؟ فقال المريد؛ **لأنه يخلط شعره بآيات من القرآن المجيد، ويتخذها قوافي وأشطارا لشعره!!!، فغضب الرومي أشد الغضب، وزجره قائلا: ما معنى الإسلام؟...**، أفيكون هو غير مسلم، وأنت وآلاف من أمثالك مسلمون؟! إن إسلامه قد قبل منه في الدنيا والآخرة!! **أما هو فقد زين أسرار القرآن وبيانه بذلك الصنيع**[(٣)].

بل وادعى قوم من الباطنية أن كتبهم القرآن نفسه!!! فاسمع الخبر من أهله: «اشتكى أحد الأصدقاء إلى مولانا ـ الرومي القونوي ـ من سؤال بعضهم له: كيف يسمي الجلال الرومي المثنويَّ قرآنا؟!! فقال: عبدكم هذا لهم: لأنه تفسير للقرآن!!! فعند **ذلك** سكت هنيهة ثم قال: يا كلب! لم لا يكون قرآنا؟ يا حمار! لم لا يكون قرآنا؟ يا أخا القحبة لم لا يكون قرآنا؟ وما هو ـ أي كتابهم المثنوى ـ إلا نور أسرار الحق!!!»[(٤)].

ويقول الجلال الرومي القونوي مادحا كتابه: «لو أصبحت الغابات أقلاما، وكانت البحار مدادا، فلا تخالن أن المثنوي سينفذ»!!![(٥)].

---

(١) فالسماع الصوفي المبتدع يوصل إلى الجنة لا محالة!!، وأما أوامر الشرع فهو فرض عيني قد يوصل، وقد لا يوصِل!؟؟، انظر: مناقب العارفين للأفلاكي، ترجمة تحسين يازجي ١/ ٣٨٨، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ١٤٦.

(٢) أحد الصوفية الحلولية، ولم أقف له على ترجمة.

(٣) انظر: مناقب العارفين ١/ ٤٠٩، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٢٢٨.

(٤) الأفلاكي، في كتابه مناقب العارفين ١/ ٤٩٠، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٢٢٣-٢٢٤، ٤٦٧.

(٥) المثنوي المطبوع مع شرح حضرت بحر العلوم ص١٥٩، والمثنوي ٦/ البيت رقم(٢٢٤٨)، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٢٢٤.

ومما يؤكد هذا أنه وصف كتابه المثنوى بأوصاف لا يوصف بها إلا كتاب الله رب العالمين، فيقول القونوي في مدح كتابه: «بأيدي سفرة، كرام بررة، يمنعون بأن لا يمسه إلا المطهرون!!! تنـزيل من رب العالمين!! لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والله يرصده ويرقبه، وهو خير حافظا، وهو أرحم الراحمين، وله ألقاب أخر لقبه الله تعالى!! واقتصرنا على هذا القليل، والقليل يدل على الكثير»[(١)].

ويؤكد تشبيه المثنوي بالقرآن أحد شراح المثنوي رادا على من رد على المثنوي، فيقول: «قد قال الكفار في القرآن كلام الله إنه أساطير الأولين، فذلك جرى للمثنوي، مثل ما جرى للقرآن من وصف خصومه له بتلك المثلبة»[(٢)].

بل ويصرح القونوي ويُصر على تسمية كتابه: المثنوي بالقرآن!! فيقول منتقدا من انتقد مثنويه: «**لا عجب إن لم ير الضالون في القرآن - يعني: مثنويه - سوى الكلمات والأحاديث... أو تظن أنك بنقدك للقرآن نجوت بنفسك من حُكمِه!!...**»[(٣)] يقول شارح المثنوي: «إنه كان خلال تأليف المثنوي معترضون يرونه كتابا تافها، يحوي مجموعة من القصص، فجعل مولانا بهذه المناسبة يقارنه بالقرآن!!»[(٤)].

ومنهم من قد يستحيي فيقارنه بالقرآن، في بعض ما يرونه من البدع، ومن ذلك أخذهم الفأل من الكتب، فيكون بـ «فتح المصحف، أو كتب المشايخ!! كديوان الحافظ[(٥)]، والمثنوي، ونحوهما. وقد اشتهر ديوان الحافظ بالتفاؤل، حتى صنفوا فيه»[(٦)]، وهكذا يبين الحال أن من هؤلاء من يأخذ الفأل من المصحف، ومنهم من يرتقي

---

(١) مقدمة المثنوي، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص٣٦٤.

(٢) شرح المثنوى لطاهر المولوي ١/ ٣٥، نقلا عن كتاب أخبار جلال الدين الرومي ص٣٦٣.

(٣) المثنوي ٣/ البيت ٤٢٣٠، ٤٢٨٢، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص٣٨٥-٣٨٦.

(٤) المثنوي ٣/ ٤٢٢، بشرح عبدالباقي كولبينارلي.

(٥) هو ديوان فارسي، وهو لشمس الدين محمد الشهير بحافظ الشيرازي، المتوفى سنة ٧٩٢هـ وهو ديوان مشهور، ويتفاءل به عند الأعاجم، حتى يقال له: لسان الغيب!! ويحفظه الأطفال!! انظر: كشف الظنون١/ ٧٣٨.

(٦) كشف الظنون ٢/ ١٢١٦.

فيأخذ من الديوان!! وهو اسم على مسمى فإنه ديوان الصوفية الحلولية، وإن كان المقصود به المعنى الفارسي، فهو أيضا اسم على مسمى، فهو جنون الصوفية، ولا ريب، وديوان الحافظ ديوان معروف متداول بين أهل الفرس، عوامهم وخواصهم، يعرفونه أكثر من معرفتهم لسور القرآن، وجز عم، بل ويحفظون أولادهم أول ما يبدؤون بطلب العلم[1]، زعما منهم أنه كتاب مفيد، وأنه كتاب أديب!! وهو كتاب مليء بالحلول والتصوف[2].

ويقول قائلهم عن سماع الأغاني التي يسمونها الأوراد الصوفية: «إنه قد يكون أنفع للقلب، من قراءة القرآن، من ستة أوجه، أو سبعة!!»[3].

بل ويزعم بعض الباطنية أن كتابه هو: «أصول أصول أصول الدين!!!»[4].

فالباطنية يزعمون أن تصانيفهم أفضل من القرآن، «فمنهم من صرح بذلك، وقال: إن كلامه أنفع من كلام الله تعالى، وكتبه أهدى من كتب الله!!»[5].

وهؤلاء الباطنية قد يزعمون أن كتبهم المفتراة أعظم من القرآن، وكان الفاجر التلمساني يقول: «القرآن كله شرك، ليس فيه توحيد، وإنما التوحيد في كلامنا!!»[6].

وإن مقالاتهم الكفرية ومؤلفاتهم الشركية أفضل من كلام رب البرية، قال كمال الدين المراغي: «قرأت على التلمساني من كلامهم شيئا؛ فرأيته مخالفا للكتاب والسنة؛ فلما ذكرت ذلك له، قال: القرآن ليس فيه توحيد!! بل القرآن كله شرك!! ومن اتبع القرآن لم يصل إلى التوحيد!! قال: فقلت له: ما الفرق عندكم بين الزوجة

(١) ولقد قرأت شيئا منه وأنا لم أتجاوز الثامنة على والدي، ثم تركته بأمر من الوالد على خلاف العادة في بلادنا، لما رأى أن نفعه قليل، وطوامه كثير.

(٢) انظر: أبجد العلوم ٢/ ٣٩٣.

(٣) الكلام على مسألة السماع ص ٢٩١-٢٩٢.

(٤) أخبار جلال الدين الرومي ص ٣٦٣.

(٥) نقله ابن الوزير، كما في كتابه إيثار الحق على الخلق ص٩٤، ونسب هذا القول إلى: الحسينية، أصحاب الحسين بن القاسم العناني.

(٦) المجموع ٢/ ٢٠١، وانظر: الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد للشوكاني ص ١٠٩.

والأجنبية والأخت، الكل واحد؟! قال: لا فرق بين ذلك عندنا، وإنما هؤلاء المحجوبون اعتقدوه حراما؛ فقلنا حرام عليهم عندهم، وأما عندنا فما ثم حرام»[١].

ومن تفضيل الباطنية لكتبهم المزعومة على القرآن ما يعتقده كل صاحب نحلة من أن عندها ما هو أفضل من القرآن أو مثله، كما يزعم ذلك غلاة الشيعة القائلون بأن البطاقة المنسوبة إلى علي رضي الله عنه[٢] فيها علم الأولين والآخرين يزعمون ذلك في البطاقة مع اعتقادهم التحريف والنقص في كتاب الله عز وجل.

ومما يدل على عدم الاعتماد على القرآن أنهم اهتموا بحفظ كتبهم، ولم يحفظوا كتاب الله، وهذا ما أبينه في المطلب الآتي.

---

(١) المجموع ٢/ ٢٤٤.

(٢) انظر: الدرء ٥/ ٢٦.

المطلب الرابع: حفظهم لكتبهم المزعومة.

ومما يدل على حفظ الباطنية لكتبهم المزعومة وعدم الاهتمام بالقرآن، بل والتصريح بأن كتبهم أفضل من القرآن ـ كما سبق ـ، ومن جملة ذلك طبع الدروز كتابهم المملوء بالضلال، المسمى بـ "مصحف الدروز"!! أو "المصحف المنفرد بذاته" وحاول كاتبه أن يحاكي القرآن العظيم، وكلام الرب الكريم؛ فكانت كمحاولة مسيلمة الكذاب(١).

ومن الباطنية فرق تتحفظ على كتبها إلا لأصحاب نحلتها، كالإسماعيلية، والبهرة، والبهائية، ونحوهم. وقد طبع البهرة لهم كتابا بعنوان: "صحيفة الصلاة"، وهم يصلون مع المسلمين، ولكنهم في نياتهم كعبدة الأوثان أو النصرانيين، إنما يعبدون غير الله(٢).

وكذلك البهائية لم تطبع كتابها المسمى بالأقدس منذ زمن، وذلك لأنهم أحسوا بعدم قبول الناس له، وخوفا على إظهار عقيدتهم، ولذا أصبحوا يحافظون عليه سرا، ويقرؤونه بينهم خيفة(٣).

وابن الفارض ـ من متأخري الاتحادية ـ ألف « القصيدة التائية المعروفة بنظم السلوك، وقد نظم فيها الاتحاد نظما رائق اللفظ؛ فهو أخبث من لحم خنـزير في صينية من ذهب، وما أحسن تسميتها بنظم: الشكوك.

الله أعلم بها، وبما اشتملت عليه!، وقد نفقت كثيرا، وبالغ أهل العصر في تحسينها، والاعتداد بما فيها من الاتحاد!! »(٤).

« ولما استولى التتار على بغداد، وكان الطوسي منجما لهولاكو استولى على كتب

---

(١) انظر: الحركات الإسلامية للخطيب ص ٣١٥، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص١٣٠.

(٢) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١٣٢.

(٣) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١٦٣.

(٤) نقض المنطق ص٦٢.

الناس: الوقف، والملك؛ فكان كتب الإسلام مثل التفسير، والحديث، والفقه، والرقائق يعدمها.

وأخذ كتب الطب والنجوم والفلسفة والعربية؛ فهذه عنده هي الكتب المعظمة، وكان بعض من أعرفه قارئا خطيبا، لكن كان يعظم هؤلاء، ويرتاض رياضة فلسفية سحرية حتى يستخدم الجن، وكان بعض الشياطين ألقى إليه أن هؤلاء ـ أي التتار ـ يستولون على دار الإسلام؛ فكان يقول لبعض أصحابنا يافلان: عن قليل يرى هذا الجامع ـ جامع دمشق ـ يقرأ فيه المنطق والطبيعي والرياضي والإلهي، ثم يرضيه، فيقول: والعربية أيضا!!»[(١)].

« وهؤلاء قد حرفوا كلام الله عن مواضعه أقبح تحريف،وكتبوا كتب النفاق، والإلحاد بأيديهم، وزعموا أنها من عند الله.

تارة يزعمون أنهم يأخذون من حيث يأخذ الملك الذي يوحى به إلى النبي؛ فيكونون فوق النبي بدرجة!!.

وتارة يزعمون أنهم يأخذون من حيث يأخذ الله؛ فيكون أحدهم في علمه بنفسه بمنـزلة علم الله به؛ لأن الأخذ من معدن واحد!!.

وتارة يزعم أحدهم أن النبي ﷺ أعطاه في منامه هذا النفاق العظيم، والإلحاد البليغ، وأمره أن يخرج به إلى أمته، وأنه أبرزه، كما حده له رسول الله ﷺ، من غير زيادة ولا نقصان!!...

ومعلوم أن هذا من أبلغ الكذب على الله ورسوله، وأنه أحق الناس بقوله: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾[الأنعام:٩٣]، وكثير من المتنبئين الكذابين... لم يبلغ كذبهم وافتراؤهم إلى هذا الحد، بل مسيلمة الكذاب لم يبلغ كذبه وافتراؤه إلى هذا الحد. وكان كلّ واحد من هؤلاء يعظم النبي ﷺ، ويقر له

(١) المجموع ١٣/ ٢٠٧.

بالرسالة؛ لكن كان يدعي أنه رسول آخر، ولا ينكر وجود الرب، ولا ينكر القرآن في الظاهر. **وهؤلاء جحدوا الرب، وأشركوا به كل شيء، وافتروا هذه الكتب التي قد يزعمون أنها أعظم من القرآن، ويفضلون نفوسهم على النبي ﷺ من بعض الوجوه!!»**[١].

فالباطنية بجميع نحلها تتحفظ على كتبها، وتحفظها، ولا تهتم بحفظ القرآن الكريم، ولا بتحفيظه، ولهذا لا تجد منهم اهتماما به، ولا بعلومه، ونظرة إلى أي منتسب إلى النحل الباطنية تؤكد لك هذا المعنى[٢].

---

(١) المجموع ٢/ ٢٠١.

(٢) وقد كلمت مرة رجلا بهائيا في الكويت، ومن ضمن ما جرى بيننا أنّي سألته عن حفظ القرآن الكريم، وبالكاد استطاع أن يقرأ سورة الإخلاص، وبصعوبة، وتردد ـ مع أنه من دعاة البهائية ـ.

الفصل الخامس

منزلة القرآن الكريم عند أهل الكلام

وفيه مباحث:

المبحث الأول: التعريف بأهل الكلام.

المبحث الثاني: عدم تعظيم أهل الكلام للقرآن الكريم.

المبحث الثالث: جعل أهلِ الكلام القرآنَ فرعا في باب العقائد، والرد عليهم.

المبحث الرابع: بيان عدم حفظ أهل الكلام للقرآن الكريم.

المبحث الأول: التعريف بأهل الكلام

وأهل الكلام يختلفون فيما بينهم في تعريف هذا "الكلام"، وذلك نظرا لاختلافهم فيما بينهم، وكل يعرفه من وجهة نظره، ومذهبه، فمنهم من يقول: إنه العلم بالعقائد عن طريق الأدلة اليقينية(١).

ويسمون أنفسهم المتكلمين: وهم يدعون أنهم أهل الرأي والنظر(٢). فأهل الكلام هم المستعملون لطريقة النظر والقياس، وهذا هو حال جمهور المتكلمين، من الجهمية، والمعتزلة، والأشعرية(٣).

وقد يكون بعض أهل الكلام قد خلط مع علمه بالكلام الفلسفة، أو شابه شيء منه(٤)، خصوصا أن المنطق وليدة الفلسفة، بل التفريق بينهما تفريق بين المتماثلات، خصوصا في طريقة الاستدلال، وإن اختلفوا في النتائج. وقد يذكرون فرقا آخر بينهما وهو: أن المتفلسف لا يستدل بالآيات، والمنطقي يذكر بعض الآيات وهي الأدلة السمعية(٥)، ولكن هذا الفرق غير ظاهر؛ فإن الفلسفي قد يستدل ببعض الآيات التي يظن أنها توافق مذهبه كالمنطقي، وقد يذكر آية أو حديثا لتحريفه كالمنطقي.

وأهل الكلام نشوءهم من المنطق اليوناني والفلسفة الإغريقية، وهما حرام إدخالهما في شرع الله، ووسيلة غير شرعية في الوصول إلى معرفة الله، إذ لم يعرفها

(١) انظر: شرح المقاصد للتفتازاني ١/ ١٦٣.
(٢) انظر: المنقذ من الضلال ص٨٩، المجموع ٢/ ٥٥، شرح الأصبهانية ص٥٠٩.
(٣) انظر: المجموع ٢/ ٥٧.
(٤) انظر: الصفدية ٢/ ١١٣.
(٥) انظر: شرح العقائد النسفية لسعد الدين التفتازاني ص٥٥.

السلف الصالح، ولا قال بجوازها عالم من العلماء المقتدى بهم في الدين، ممن عرف بالعلم والعمل. قال ابن الصلاح رحمه الله: «وأما المنطق فهو مدخل الفلسفة، ومدخل الشر شر، وليس الاشتغال بتعليمه وتعلمه مما أباحه الشارع، ولا استباحه أحد من الصحابة والتابعين، والأئمة المجتهدين، والسلف الصالحين، وسائر من يقتدى به من أعلام الأئمة وسادتها، وأركان الأمة وقادتها، قد برأ الله الجميع من معرة ذلك وأدناسه، وطهرهم من أوضاره»(١).

فعلم الكلام المبني على المنطق، إنما هو جزء من علوم الفلسفة اليونانية التي لها فروع كثيرة، ومنها المنطق(٢).

وقال ابن خلدون: «هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية»(٣). وفرق بين الكلام الفلسفي وكلام أهل الكلام، فقال: «وفرقوا بينه وبين العلوم الفلسفية بأنه: قانون ومعيار للأدلة فقط!!»(٤).

وظنّ بعضهم أن "علم الكلام" أصبح مجملا فلا بد فيه من التفصيل نفيا أو إيجابا. قال السبكي رحمه الله: «إن أريد بعلم الكلام: العلم بالله تعالى وصفاته، وما يستحيل عليه، ليرد على المبتدعة، وليميز بين الاعتقاد الصحيح والفاسد؛ فذاك من أجل العلوم الشرعية، والعالم به من أفضلهم، وقد جعلوه في كتاب السير من فروض الكفايات، وإن أريد به التوغل في شبهة والخوض فيه على طريق الفلسفة، وتضييع الزمان فيه، والزيادة على ذلك يكون مبتدعا وداعيا إلى ضلالة؛ فذاك باسم الجهل أحق»(٥).

والصواب أن «استعمال الاصطلاحات المنطقية في مباحث الأحكام الشرعية؛ من المنكرات المستبشعة، والرقاعات المستحدثة، وليس بالأحكام الشرعية ـ والحمد لله ـ

---

(١) فتاوى ابن الصلاح ص ٧١.

(٢) انظر: مبادئ الفلسفة لأحمد أمين ص٢١.

(٣) المقدمة لابن خلدون ص ٨٢١.

(٤) المقدمة لابن خلدون ص٨٣٥.

(٥) مغني المحتاج ٣/ ٦٠-٦١.

افتقار إلى المنطق أصلا، وما يزعمه المنطقي للمنطق من أمر الحد والبرهان فقاقيع قد أغنى الله عنها كل صحيح الذهن، لا سيما من خدم نظريات العلوم الشرعية، ولقد تمت الشريعة وعلومها، وخاض في بحار الحقائق والدقائق علماؤها، حيث لا منطق، ولا فلسفة، ولا فلاسفة»[1].

وإدخال العلوم الفلسفية إلى المسلمين باسم المنطق محدث في الإسلام، يقول ابن خلدون: «وأول من كتب في طريقة الكلام على هذا المنحى الغزالي رحمه الله وتبعه الإمام ابن الخطيب، وجماعة قفوا أثرهم، واعتمدوا تقليدهم، ثم توغل المتأخرون من بعدهم في مخالطة كتب الفلسفة والتبس عليهم شأن الموضوع في العلمين فحسبوه فيهما واحدا من اشتباه المسائل فيهما»[2].

وبين ابن خلدون عدم الحاجة إلى الكلام فقال: «وعلى الجملة فينبغي أن يعلم أن هذا العلم الذي هو علم الكلام غير ضروري لهذا العهد على طالب العلم، إذ الملاحدة والمبتدعة قد انقرضوا!!»[3]. نعم عدم الحاجة إلى علم الكلام ظاهر، ولكن التعليل بانتهاء الملاحدة والمبتدعة غير ظاهر، وإنما لا نحتاج إلى علم الكلام ـ إن كان علما ـ لأنه لا جدوى فيه، وعلم القاصي والداني أن نفعه مجدب، وأن ضرره مُعْدٍ.

وسمي علم الكلام بالكلام كما قال ابن الجوزي رحمه الله وغيره: بسبب أن أول ظهور خلاف علمي كان في مسألة إثبات الكلام لله ﷻ، فوقع الخلاف فيه، وحينئذ سمي هذا العلم بعلم الكلام، وقيل لأنهم كانوا يقولون: الكلام في المسألة كذا وكذا!![4].

والصواب أن أهل الكلام سموا بذلك لأنهم كانوا يستدلون بالمسائل الاعتقادية بالطرق العقلية، حتى قبل ظهور علم الكلام والمنطق، كما قاله شيخ الإسلام رحمه الله[5].

---

(١) فتاوى ابن الصلاح، ص ٧١، والفتوى له تكملة، استغنيت بذكر ما يغني.

(٢) المقدمة لابن خلدون ص ٨٣٦.

(٣) المقدمة لابن خلدون ص ٨٣٧.

(٤) انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١٠٨، شرح العقائد النسفية لسعد الدين التفتازاني ص٥٣.

(٥) انظر: المجموع ٣/ ١٨٣.

وقد مر أهل الكلام بمراحل أربعٍ هي[(١)]:

١- **المرحلة الأولى**: مرحلة الترجمة: وأشهر من يمثل هذه المرحلة الجهمية الأول وتابعوهم من المعتزلة. فهؤلاء قد تأثروا بالمصطلحات اليونانية المنطقية، خصوصا بعد ترجمة كتبهم في عهد الخليفة المأمون المعتزلي، ولكن لم يكن لأهل الكلام كتب خاصة بهم، وكانت الكتب المترجمة مخلوطة بكثير من كلام الفلاسفة اليونان، ولم يتميز بعد أهل الكلام عن الفلاسفة، وكان مقصود هذه الترجمة تفريق المسلمين وإضعاف قواهم[(٢)].

٢- **المرحلة الثانية: وهي مرحلة التمييز**، وقد دخل بعض المنتسبين إلى السنة ـ بالمعنى العام ـ مع أهل الكلام[(٣)]، بحجة مناظرتهم باصطلاحاتهم، ومن ثم تأثروا بعد ذلك بهذه المصطلحات. وهذه المرحلة أبرز من يمثلها من أهل الكلام هم الكلابية، والأشاعرة، والماتريدية. وهم يظنون أنهم على السنة، بل ويصرحون أنهم إنما دخلوا لنصرة السنة بسيوف القوم!!، ولكنها أصبحت في أيديهم عليهم، ومن أشهر من يمثل هذه المدرسة: عبد الله بن سعيد بن كلاب، وأبو الحسن الأشعري في طور، وأبو بكر الباقلاني. وعلى هذه الطريقة مشى الجويني أبو المعالي ووضع القواعد الكلامية، وكذلك من المعتزلة أبو هاشم الجبائي، والقاضي عبد الجبار المعتزلي أيضا، وغيرهما ممّن وضعوا القواعد في فن الكلام.

٣- **المرحلة الثالثة: مرحلة مخالفة الفلاسفة ومناظرتهم**، ويمثلها أبو حامد الغزالي في بعض كتبه، والرازي كذلك.

٤- **المرحلة الرابعة: مرحلة الخلط بين الفلسفة والمنطق**: وهذه المدرسة أصبحت هي الرائدة في المتأخرين، خصوصا بعد البيضاوي، صاحب "الطوالع".

---

(١) انظر: المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبده وطارق عبد الحليم ص ٣٧ وما بعدها.

(٢) انظر: أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة ١/ ١٢٨.

(٣) وقد بين ابن الوزير رحمه الله أن من وقع في الخطأ من المحدثين كان بسبب تشبثه بعلم الكلام. انظر: الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم لابن الوزير ٢/ ٢٤٤.

والمتكلمون في المسائل العقدية على طريقة أهل الكلام أصناف، وأشهر فرقهم هي[(١)]:

١- الجهمية، أتباع جهم بن صفوان، الذين أنكروا الأسماء والصفات لله ﷻ[(٢)].

٢- المعتزلة: وهم فرق عدة، ولكن لهم أصول خمسة، ومنها: إنكار صفات الله تعالى[(٣)].

٣- الكلابية: وهم أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب، وهم وافقوا المعتزلة في إنكار بعض الصفات الخبرية، وأنكروا الصفات الاختيارية.

٤- الأشاعرة، وهم أتباع أبي الحسن الأشعري في طوره الثاني، والمتأخرون منهم ينكرون الصفات إلا السبع، وإثباتهم لها أيضا على طريقة المتكلمين.

٥- الماتريدية، وهم أتباع أبي منصور الماتريدي، وهم كالأشاعرة، والاختلاف بينهم يسير.

ويلحق بهم من كان مستدلا في المسائل العقدية على طريقتهم، ومخالفون للسلف في نحلتهم، ويذكرون مع من ذكروا من أهل الكلام، مثل:

٦- الكرامية، وهم أتباع محمد بن كرام السجستاني، ونسبوا إلى التشبيه[(٤)].

٧- الهشامية، وهم أتباع هشام بن سالم الجواليقي، وهم مشبهة[(٥)].

---

(١) انظر: الدرء ١/ ١٣، ٥/ ٢٤٥، المجموع ١٩/ ١٥٩، وكثيرا ما يقول: شيخ الإسلام رحمه الله: «**والمتكلمون: من الجهمية، والمعتزلة، والأشعرية**، ونحوهم، ممن سلك في إثبات الصانع طريق الأعراض...»، فهذا يعني أن أشهر فرقهم هي التي لها أقوال مشهورة في الأسماء والصفات، ولهم أتباع في مختلف البريات، وأما من يلحق بهم فهم إما أن يكونوا أصحاب قول دون نحلة، أو أصحاب نحلة دون قول مستقل في باب الأسماء والصفات، ولكن لها قول آخر به اشتهرت ـ والله تعالى أعلم ـ.

(٢) انظر: أصول الدين للبغدادي ص٣٣٣.

(٣) انظر: المصدر السابق ص٣٣٥.

(٤) انظر: المصدر السابق ص٣٣٧.

(٥) انظر: المصدر السابق.

٨- الشيعة، وهم المدعون حب آل البيت، وهم فرق مختلفة منها الروافض، والزيدية، ولكنهم في المسائل العقدية على طريقة المتكلمين من المعتزلة.

٩- المرجئة، وهم أقسام، ولكن يجمعهم القول بأن الإيمان لا يدخل في مسماه الأعمال، وإنما دخل عليهم هذا مع مخالفته لنصوص الوحيين استدلالاتهم العقلية، بعيدة عن نور الكتاب والسنن النبوية.

١٠- القدرية، وهم الذين أنكروا تقدير الله ﷻ للأشياء، ومنهم طوائف أنكرت قدرة الله ﷻ على فعل العبد، وكل ذلك بسبب الاستدلالات العقلية الكلامية.

١١- الهشامية، وهم أتباع هشام بن الحكم الرافضي[(١)].

وهؤلاء جميعا يسمون بأهل الكلام، وبينهم من الاختلاف الشيء الكثير، بل بينهم المناوشات العلمية والواقعية، ولكن إذا أطلق أهل الكلام فالمراد بهم هؤلاء من غير ملام، ويجمعهم أمور، وهي:

١- **اتفاقهم على أن المسائل العقدية تؤخذ من العقل**، وأنه إذا تعارض العقل والنقل فالمعتبر هو العقل[(٢)]. وأن الوحي لا يؤخذ منه المسائل الاعتقادية، ومنهم مكثر في هذا الضلال ومقل، فمنهم من يرى أن الوحي لا يؤخذ منه شيء، سواء في باب التوحيد، أو في باب المعاد إلا إذا وافق العقل!! ومنهم من يقول: إن العقل لا دخل له في مسائل الإيمان باليوم الآخر، وكثير من الأمور المتعلقة بيوم القيامة وبالمعاد، ولا يثبتها بعض المتكلمين، وبعضهم أثبتها ـ ويسميها السمعيات ـ؛ ومنهم من أثبتها أيضا بدلالة العقل عليها، وذلك لكون هذه المسائل مبنية على الأصول التي سموها العقليات[(٣)]، فإثباتهم ونفيهم مبني على دلالة العقل، وليس على دلالة السمع؛ وإنما تكون دلالة السمع عندهم جميعا تبعا، لا أصلا!!!.

---

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) ومعلوم أنه لا تعارض بين عقل صريح، ونقل صحيح، ولكن هؤلاء إنما يقصدون العقول الملوثة بالمنطق اليوناني. انظر: المجموع ١٦/ ٤٣٦ وما بعدها.

(٣) انظر: شرح الأصبهانية ص٦٣١.

٢- **اتفاقهم على النفي**، وهم أيضا مكثرون ومقلون في هذا الباب؛ فمنهم من ينفي الأسماء والصفات، بالكلية، ويقول: بأن ما جاء به الرسول في هذا الباب إنما هي أسماء وإضافات لا حقيقة لها ـ وهم الجهمية ـ، ومنهم من يقول ذلك في الأسماء دون الصفات ـ كالمعتزلة ـ، ومنهم من يقول ذلك إلا في بعض الصفات ـ كالأشاعرة والماتريدية ـ، ومنهم من يقول ذلك في الصفات الاختيارية ـ كالكلابية ـ(١).

٣- **اتفاقهم على وجوب النظر في معرفة الله ﷻ** وأنه أول واجب على العبد؛ مع اختلافهم فيما بينهم في ماهية هذا الواجب، وتقريرهم ذلك وجعْلهم إيّاه أصلا من أصول الدين!! في حين أنّ المقرر شرعا، والمعروف نصا، أن النبي ﷺ كان يأمر من يريد الإسلام أن ينطق بالشهادتين، وهكذا كان يأمر الدعاة الذين يرسلهم، وهكذا كان فعل السلف(٢).

٤- **رجوعهم جميعا إلى القواعد والأصول المنطقية**؛ فهم كما قال شيخ الإسلام رحمه الله: «يرون أن هذه الأصول العقلية ـ وهي العلم بما يجب للرب ويمتنع عليه، وما يجوز عليه من الأفعال ـ هي أعظم العلوم وأشرفها، وأنهم برزوا بها على الصحابة، وأن النبي ﷺ لم يعلمها الصحابة...، وهذه هي الأصول العقلية التي يعتمدون عليها هم ومن وافقهم...، وكل الأصول العقلية التي ابتدعها هؤلاء وهؤلاء باطلة في العقل والشرع، وإن كانت كل واحدة من الطائفتين تعتقد أنها من أعظم الدين، ويقدمونها على الأصول الشرعية»(٣)، وقال رحمه الله: «وقلوب كثير من الناس يجول فيها أمر النبوات، وما جاءت به الرسل، وهم وإن أظهروا تصديقهم والشهادة لهم ففي قلوبهم مرض ونفاق، إذ كان ما جعلوه أصولا لدينهم معارض لما جاءت به الأنبياء، وهم لم يتعلموا ما

---

(١) انظر: التدمرية ص ١٨، شرح الواسطية للفوزان ص١٢٣.

(٢) انظر: المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبده وطارق عبد الحليم ص ٢٤ وما بعدها، وانظر: مقدمة موسى محمد علي لكتاب قواعد العقائد ص٢٤ وما بعدها.

(٣) المجموع ١٣/ ٢٢٨-٢٢٩.

جاءت به الأنبياء، ولم يأخذوا عنهم الدلائل والأصول والبينات والبراهين»[(١)].

٥- **أن جميع الفرق الكلامية التي تعتمد الأصول المنطقية من الفرق المحدثة الغوية**، وإن ادعت نوع تعظيم للسلف فذلك منها مجرد ادعاء، وإلا فإنها كلها بدعية.

مناقضة بعضهم لبعض[(٢)]، فالجهمي يناقض المعتزلي، والمعتزلي يناقض الكلابي، والأشاعرة تناقضهم، وهكذا، لأن أصولهم غير سوية، فالتناقض لهم لازم، ولم يرجعوا جميعا إلى ما به يرتفع الخلاف، وهو الكتاب والسنة، قال ابن الوزير رحمه الله: «إن خوض جميع المتكلمين في عقائدهم الخلافية بين الفرق الإسلامية يتوقف دائما أو غالبا على الخوض في مقدمات لتلك العقائد، وجميع تلك المقدمات مختلف فيها أشد الاختلاف بين أذكياء العالم وفحول علم المعقولات من علماء الإسلام، دع عنك غيرهم»[(٣)]، ثم قال: «وأعجب من كل عجيب تكفير بعضهم لبعض لسبب الاختلاف في هذه المحارات الخالية»[(٤)].

٧- **اتفاقهم على التأويل**، بغض النظر عما يختلفون فيه فيما يجب تأويله؛ فهذا يفسره بمعنى، وهذا يخالفه، وهذا يوجبه هنا، وينكره هناك، وهذا يستحبه هنا، ويكرهه هناك!! وعمدتهم الحقيقية ليست على القرآن، ولكنهم على أصول ابتدعها لهم شيوخهم، وما ظنوا أنه موافق من القرآن احتجوا به، وما ظنوه مخالفا لأصولهم أولوه[(٥)]، وحتى يتسنى لهم مخالفة الكتاب أتوا بالتأويلات المستبشعة، والتحريفات الظاهرة، حتى توافق النصوص مذاهبهم، ولا يشنع عليهم في مناهجهم!! ولهذا كان الأس الأساس لمذهب المتكلمين في نصوص الصفات على وجه الخصوص - وفي باقي

---

(١) النبوات ص٢٥٣.

(٢) انظر: الدرء ٥/ ٢٤٥ وما بعدها.

(٣) إيثار الحق لابن الوزير ص١٥.

(٤) المصدر نفسه ص١٩، وانظر: المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبده وطارق عبد الحليم ص ٢٨-٢٩.

(٥) انظر: المجموع ١٣/ ٥٨، شفاء العليل ١/ ٢٢٠-٢٢١، ١/ ٢١٧ وقد ذكر في الموضع المشار إليه تحريفات القدرية للآيات القرآنية، وانظر: إيثار الحق لابن الوزير ص١٢٤، المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبده وطارق عبد الحليم ص ٣٢-٣٣.

النصوص على وجه العموم ـ التأويل وهو في حقيقته التحريف[١]. يقول الرازي موجبا التأويل ومحسّنا إياه: «نقل الشيخ الغزالي رحمه الله عن أحمد بن حنبل رحمه الله أنه أقر بالتأويل في ثلاثة أحاديث»[٢]، فلا بد إذا من التأويل!! وهذا باطل عن الإمام أحمد، ولا يثبت عنه لا سندا، ولا متنا[٣].

٨- اتفاقهم على أن القرآن الموجود بين الدفتين مخلوق[٤]، قال ابن الجوزي رحمه الله: «أهل الكلام يقولون: ما في السماء رب، ولا في المصحف قرآن، ولا في القبر نبي، ثلاث عورات لكم»[٥].

٩- اتفاقهم على نفي إثبات ما جاء في القرآن والسنة من الصفات ـ على اختلاف بينهم فيما ينفى ويثبت ـ بحجة التشبيه[٦]؛ فهم شبهوا أولا، واحتاجوا إلى النفي فعطلوا ثانيا.

وأهل الكلام باعتبار نفي الصفات وإثباتها ينقسمون إلى قسمين:

١- أهل الكلام النفاة، وهم الجهمية والمعتزلة، ومن وافقهم.

٢- أهل الكلام المثبتة، وهم الكلابية والكرامية والأشعرية، ومن وافقهم[٧].

وقد اتفق السلف على ذم الكلام وأهله، وصنفوا في التشنيع عليهم، وبينوا عوارهم وسوء ما يؤدي إليه هذا الفن، الذي ليس فيه إلا العفن[٨]، بل إن أهل الكلام

---

(١) منهج الأشاعرة في العقيدة للحوالي ص٨٦، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ٢٠.

(٢) أساس التقديس للرازي ص ٨١.

(٣) انظر: المجموع ٥/ ٣٩٨، وانظر ص٥٨٢ من هذا الكتاب.

(٤) على اختلاف فيما بينهم فيما ذهبوا إليه؛ فالمعتزلة ومن وافقهم يقولون: إنه كلام الله مخلوق، والأشاعرة ومن وافقهم يقولون: هو عبارة عن كلام الله، وكلام الله غير مخلوق، والعبارة مخلوقة.

(٥) السير ٢١/ ٣٧٦، وانظر: المجموع ٣/ ٢١٨.

(٦) وأي كتاب من كتبهم ينبئك أنهم إنما ينفون أي صفة بحجة التشبيه. انظر: الفواكه الدواني ١/ ٥٤، وانظر: ما نقله الحافظ في صدد نفي الصوت والحرف في كلام الله ﷻ، بحجة التشبيه!!. الفتح ١٣/ ٤٦٦، المقدمة لابن خلدون ص٨٣١.

(٧) انظر: نقض المنطق ص ١٢٣، ١٢٨، والمجموع ٤/ ١٥٦.

(٨) انظر: أحاديث في ذم الكلام وأهله للهروي انتخبها المقري ص٧٩ وما بعدها، الإحياء للغزالي ١/ ١٥٣، =

أنفسهم يوردون ذم السلف للكلام وأهله ثم يردونه بالتأويلات، وكأن السلف ما عرفوا أن يتكلموا إلا بالمجملات!! **يقول الغزالي:** « فاعلم أن للناس في هذا غلوا وإسرافا في أطراف، فمن قائل: إنه بدعة أو حرام، وأن العبد إن لقي الله ﷻ بكل ذنب سوى الشرك خير له من أن يلقاه بالكلام، ومن قائل: إنه واجب وفرض، إما على الكفاية أو على الأعيان، وأنه أفضل الأعمال، وأعلى القربات؛ فإنه تحقيق لعلم التوحيد، ونضال عن جنب الله تعالى، وإلى التحريم ذهب الشافعي، ومالك، وأحمد بن حنبل، وسفيان، وجميع أهل الحديث من السلف »(١)، ثم ذكر قول الشافعي.

فذم السلف الصالح ـ رحمهم الله ـ الكلام وأهله بأصرح العبارات، وأدق التعبيرات ـ حتى باعتراف أهل الكلام ـ، حتى يهجروا، ولا يتبعوا، وأنقل بعض النقولات، لتقف على هذه العبارات التي فيها التحذيرات:

١ـ قال الإمام مالك رحمه الله مبينا أن العقول ليست هي موازين لقبول الكتاب والسنة حيث يقول منكرا على أمثال هؤلاء: « أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد ﷺ لجدل هؤلاء؟؟ »(٢).

٢ـ قال الشافعي رحمه الله: « ما ارتدى بالكلام أحد فأفلح »(٣)، وقال رحمه الله: « لأن يلقى العبد ربه بكل ذنب ما عدا الشرك خير له من أن يلقاه بالكلام »(٤)، وقال رحمه الله: « حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على الكلام. وقال أيضا:

= صون المنطق للسيوطي ص١٤ وما بعدها، اعتقاد أئمة السلف أهل الحديث د.محمد الخميس ص١٩ وما بعدها.

(١) الإحياء للغزالي ١/ ١٥٣، ونقل قول الشافعي نصا بعد ذلك.

(٢) رواه المروزي في تعظيم قدر الصلاة ٢/ ٦٧٠، وانظر: المجموع ٥/ ٢٩.

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية ٩/ ١١١، وانظر: السير ١٠/ ١٨، العين والأثر ص٩١.

(٤) رواه البيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ٢٠٦، وانظر: مغني المحتاج ٣/ ٦١.

كل العلوم سوى القرآن مشغلة إلا الحديث وإلا الفقه في الدين
العلم ما كان فيه قال حدثنا وما سوى ذاك وسواس الشياطين »[١].

قال الإمام أحمد رحمه الله: « ما أحب أحد الكلام فكان عاقبته إلى خير »[٢].

٣- قال شيخ الإسلام رحمه الله مبينا تحذير الأئمة من بدعة الكلام والتجهم: « وكلام الأئمة مثل مالك، وسفيان بن عيينة، وابن المبارك، وأبي يوسف، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، والفضيل بن عياض، وبشر الحافي، وغيرهم، كثير في ذمهم وتضليلهم »[٣].

٤- وإنما حذر السلف الصالح ـ رحمهم الله ـ من الكلام وأهله لأنه يورث عدم تعظيم القرآن الكريم، وهذا ما أبينه في المبحث التالي.

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية ٩/ ١١٦، وانظر: شرح الطحاوية ١/ ١٦-١٧.

(٢) العين والأثر ص٩١.

(٣) المجموع ٥/ ٢٢، أقاويل الثقات ص ٢٣١.

المبحث الثاني: عدم تعظيم المتكلمين للقرآن

القرآن يخاطب الناس كلهم، يخاطب الفطر والعقول والقلوب معا، بينما انتهج أهل الكلام الطرق الكلامية والمناهج الجدلية، وهي طويلة الإثبات عديمة الفائدة، وعلماء الكلام قد انتهجوا الطرق العويصة البعيدة عن القرآن والشرع، والبعيدة عن العقول الصحيحة السليمة في كثير من الأحيان(١).

وطوائف المتكلمين يعظمون القرآن في الجملة، ويعظمون تفسيره، مع ما فيهم من البدع(٢)، وقد يكون تعظيمهم للقرآن في حالة قربهم للسنة، أو من حيث الجملة. وأما التعظيم على وجه التفصيل فليس يوجد إلا عند السلف، ومن تبعهم من الخلف.

وأهل الكلام هم من المحرفة المؤولة الذين يرون أن القرآن في نفسه حق، وأن الأنبياء لم يقصدوا بهذه الأقوال إلا ما هو حق في نفس الأمر، وأنه لا تخييل، ولكنهم يظنون أن الحق الذي دل عليه هذه النصوص هو ما فهموه هم بعقولهم بطريق التأويل!! فجعلوا عقولهم هي الحاكمة على الكتاب والسنة، وفي فهمهما وفهم ما دل عليهما من غير نظر أو اعتبار إلى أن القرآن في نفسه صريح في الدلالة على الحق، وبين في قضاياه ـ خصوصا ما يتعلق بالأمور العقدية ـ لأنه لم يأت إلا لهداية الخلق، والدلالة إلى معرفة الخالق ﷻ(٣).

---

(١) انظر: المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبده وطارق عبد الحليم ص ١٦-١٧.

(٢) انظر: المجموع ١٣/ ٢٠٦.

(٣) انظر: الدرء ١/ ١٢.

ومما يدل على عدم تعظيم أهل الكلام للقرآن أمور كثيرة، ومن أهمها:

١- **قالوا: إن نصوص القرآن أدلة لفظية لا تفيد اليقين!!** وهذه قاعدة باطلة وفرية كاذبة، وقد ردها العلماء والأئمة الفضلاء، وبينوا عوارها، وأظهروا شنارها، وقد ردها ابن القيم رحمه الله بأكثر من سبعين وجها(١).

٢- ومما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن أنهم قالوا: إذا اختلف العقل والنقل؛ **فإن المقدم هو العقل!!** ومعلوم أن الشرع لم يأت بما تحيله العقول، وإنما جاء بما تحار فيه العقول. فهذه القاعدة من أساسها دليل الخذلان، إذ كيف يتصور أن يأتي القرآن بما يخالف صريح عقول الناس!! ورد شيخ الإسلام هذا الهراء في كتابه العظيم "درء تعارض العقل والنقل"، ورد ابن القيم هذه الفرية، وهذا الطاغوت بأكثر من تسعين وجها(٢).

٣- **أنهم جعلوا القرآن فرعا في باب العقائد**(٣)، «تقول المعتزلة: إن الأمور عقلية؛ أي: لا يحتاجون إلى النصوص، إنما إذا كان الأمر يوافق العقل أخذوا به، وإلا تركوه!!»(٤). **ولهذا عظموا العقل تعظيما لم يبلغه عندهم الكتاب والسنة،** مما جعلهم ـ هذا التعظيم للعقل ـ يقعدون قاعدة هي عندهم: "ذهبية"، وعند أهل السنة الحقة: "شيطانية"، وهذه القاعدة هي: أن كل ما خالف قواعدهم المنطقية، وأصولهم الكلامية، ولو كان من آيات القرآن، أو من الأحاديث الحسان؛ فإنهم يؤولونه(٥)، يقول صاحب جوهرة التوحيد:

وكل نص أوهم التشبيها ... أوله أو فوض ورم تنـزيها (٦)

---

(١) انظر: الصواعق المرسلة لابن القيم ٢/ ٣٨١-٥١٩.

(٢) انظر: الصواعق المرسلة لابن القيم ٢/ ٥٢١-٧٧٢، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص١٥.

(٣) وسيأتي الكلام فيه، في المبحث الثالث من هذا الفصل.

(٤) المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري ٢/ ٦٨٩.

(٥) انظر: الدرء ١/ ٤ وما بعدها.

(٦) جوهرة التوحيد للقاني ص١٣، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر، ومثل هذا قول المتكلم الماتريدي حمد الله داكي في كتابه البصائر، حيث قال: من تمسك بظاهر الكتاب =

وزعموا «أن الهداية لا تحصل بالوحي! ثم يحيل فيها على عقل فلان، ورأي فلتان، وقول زيد وعمرو»[(١)].

٤- ومما يدل على ذلك: **أنهم يجوزن الخلف في الألفاظ الشرعية**، ولو من حيث التقدير العقلي!! يقول الرازي في معرض رده على المعتزلة: «لا يقال: هب أن ما ذكرته يدل على أن ذلك الخبر القديم صِدْقٌ، لكنه لا يدل على كون هذه الألفاظ صدقا، لأنا نقول للمعتزلة: هذا أيضا لازم عليكم؛ لأنكم جوزتم الحذف والإضمار **لحكمة لا نطلع عليها، وتجويز ذلك يرفع الوثوق عن هذه الظواهر!!**»[(٢)] هكذا ينقل الإيراد، وهكذا يرده بكل برودة، وبكل بساطة، وكأن أمرا لم يكن. أترى لو تعرض أحد إلى قواعدهم المنطقية بالتكذيب، أهكذا سيكون ردودهم أم يقيمون الوجوه المتعددة على نفي ذلك، وإثبات ما يرونه كما هو حالهم؟؟.

٥- أن أحدهم ما دام يقول: إنه ليس في الأرض لله ﷻ كلام على الحقيقة!! «وليس عندنا شيء منه، ولا يتصور نزوله!! انمحى من قلبه تعظيم المصحف، ولم يتحقق في سره إثبات إله...، وأجهل الناس من جاء إلى ما قصد النبي ﷺ تعظيمه؛ فأضعف في النفوس قوى التعظيم...؛ فإذا جاء متحذلق فقال: الكلام صفة قائمة بذات المتكلم؛ فمعنى قوله هذا أن ما ههنا شيء يحترم؛ فهذا قد ضاد ما أتى به مقصود الشرع»[(٣)]. فهؤلاء أهل الكلام سبب كل بلية في دين المسلمين، حتى أوقعوا الناس في البدع، وانمحى من قلوبهم تعظيم الشرع، بل وتعظيم ما جاء به النبي ﷺ، وذلك بالأقوال المستبشعة، والتأويلات المستكرهة، التي تخرج الدين من حقيقته ورونقه وجماله[(٤)].

=

والسنة فهو زنديق!!!.

(١) الرسالة التبوكية ص٤١٤.

(٢) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٦٨.

(٣) صيد الخاطر لابن الجوزي ص ١٠٢.

(٤) انظر: صيد الخاطر لابن الجوزي ص ٢٧٠.

٦- أنهم يؤلفون المؤلفات بغرض إذعان آيات القرآن لعلومهم الكلامية، وجدلياتهم المنطقية، وما قرروه بعقولهم الردية، و«كل إنسان تغلب عليه نزعته في كتابته، وتلوح عقيدته من خلال تأليفه وتحديثه...، وذلك الشأن في علماء الكلام حين تصدوا لتفسير كلام الله...، وعلى رأس هؤلاء... الرازي...، وقد سلك في تفسيره "مفاتيح الغيب" المشهور بتفسير الرازي، مسلك الحكماء الإلهيين!! فصاغ أدلته في مباحث الإلهيات على نمط استدلالاتهم العقلية...»(١).

٧- **مخالفتهم الظاهرة لآيات الكتاب**، وما ثبت من السنة الصحيحة. قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وأما مخالفة هؤلاء ـ أي المتكلمين ـ لنصوص الكتاب والسنة، وما استفاض عن سلف الأمة، فهذا أظهر وأشهر من أن يخفى على عالِم، ولهذا أسسوا دينهم على أن باب التوحيد والصفات لا يُتبع فيه ما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع، وإنما يُتبع فيه ما رأوه بقياس عقولهم، وأما نصوص الكتاب والسنة؛ فإما أن يتأولوها، وإما أن يفوضوها»(٢). وهكذا يقولون هم: «ومعظم خلافياته ـ أي: في باب العقيدة ـ مع الفرق الإسلامية،خصوصا المعتزلة؛ **لأنهم أول فرقة أسسوا قواعد الخلاف لما ورد به ظاهر السنة، وجرى عليه جماعة الصحابة رضي الله عنهم في باب العقائد**»(٣).

فإذا كانت الجهمية والمعتزلة هم أول من قعدوا القواعد المخالفة للسنة فإن أصحاب الفرق الضالة والمنحرفة كلها صارت على هذا الدرب، وحرفت في كلام الرب، بحجة أن الظواهر مخالفة للقواعد!!.

٨- **ومن عدم تعظيمهم للقرآن مخالفاتهم الصريحة له**: «قدم جماعة من أهل

(١) مناهل العرفان ٢/ ١٠٤-١٠٥ بشيء من التصرف، وهو إنما أراد مدح التفسير، ولكن حين التمعن في الكلام يظهر أنه ذم، حيث فيه أنه يسوق الأدلة ويجعلها تدل على ما ذهب إليه بعقله!! وقد ذكر مؤلف كتاب: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ٢٦٠، أن التفسير الكلامي محدث في الدين، فانظره فإنه مهم.

(٢) منهاج السنة ٢/ ١٠٩.

(٣) شرح العقائد النسفية لسعد الدين التفتازاني ص٥٣.

البدع بغداد يحسنون الكلام، وكانوا يقولون: ليس لله في الأرض كلام، وهل المصحف إلا ورق، وعفص، وزاج[١]... ثم يقولون: أين الحروفية الذين يزعمون أن القرآن حرف وصوت، هذا عبارة جبريل!! فما زالوا كذلك حتى هان تعظيم القرآن في صدور أكثر العوام»[٢]. **فالمخالفون للسلف** من المتكلمين وغيرهم لما لم يتصور أحدهم في الأرض كلاما لله ﷻ، ولم يتصور نزول القرآن الكريم، «انمحى من قلبه تعظيم المصحف، الذي الاستخفاف به كفر»[٣].

٩- اعتقادهم أن القرآن جاء بالتشبيه!! بل وبالنقص، يقول ابن خلدون بعد أن رد ما قيل في بعض الأمور أنه من المتشابه، قال مبينا ما فيه التشابه حقا!!: «ولم يبق من المتشابه إلا الصفات التي وصف الله بها نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه، **مما يوهم ظاهره نقصا، أو تعجيزا!!**»[٤]. وهكذا أيهل البدع يدعون أن التشابه فيما دعا إليه القرآن من معرفة الله ﷻ بصفاته، وكماله وجلاله، مع أن كلامهم هو المتشابه حقا، بل إن أهل البدع ما دعوا الناس إلا إلى المتشابه[٥]. ومن أهل الكلام من يقول: إن إبقاء العوام على عقيدتهم - ولو كانت قريبة إلى التشبيه - أولى من إغراقهم في التنـزيه!! حتى لا تعطل النصوص فيستخفون بها!! وقالوا: إن السلف الصالح إنما أمروا الناس بالظاهر الذي دل عليه الكتاب والسنة؛ لأنه أسلم للعوام!!![٦] **ويصرح الغزالي بأن**

---

(١) (عَفَص) بالفتحات: الوعاء يكون من جلد، أو خرقة، ونحو ذلك، و(زاج) أخلاط من الحبر، فارسي معرب. انظر: النهاية في غريب الحديث ٣/ ٢٦٣، لسان العرب لابن منظور ٦/ ١٠٩.

(٢) أقاويل الثقات ص٢٢٣.

(٣) أقاويل الثقات ص ٢١٠، وانظر: الدرء ٢/ ١٤

(٤) المقدمة لابن خلدون ص٨٥١، وانظر منه ص٨٥٤، وانظر: تحفة المريد للبيجوري ص٩٢ حيث ذكر أن النصوص المثبتة لله ﷻ العلو والاستواء من النصوص الموهمة للتشبيه!!

(٥) انظر: التسعينية ١/ ٢٣٥ وما بعدها، المجموع ١٧/ ٣٦١، بل إن القاضي عبد الجبار ألف كتابه في التفسير المسمى بمتشابه القرآن ليبين أن ما دل عليه هذه الآيات هي من المتشابهات، وأن الأصل نفي الصفات!!.

(٦) قريب من هذا قول الجويني في كتابه الغياثي حيث أوجب على حاكم المسلمين منع العوام من علم الكلام وإلزامهم عقيدة السلف، ومن أراد الارتقاء عن العوام؛ فعليه بعلم الكلام!! وكذلك فعل الغزالي في كتابه إلجام العوام عن علم الكلام. انظر: المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبده وطارق عبد الحليم ص ٣٩-٤٠.

نصوص القرآن تدل على التشبيه فيقول: «وأما المتشابه... قد يطلق على ما ورد في صفات الله مما يوهم ظاهره الجهة، والتشبيه، ويحتاج إلى تأويله!»[١]. **فانظر** كيف ظنوا أن القرآن الكريم يؤدي ظاهره إلى التشبيه مع أن آيات القرآن والسنة مليئة بالإثبات والتنـزيه، وهو سبيل السلف ﷺ!! وأما هؤلاء فما زالوا في التنـزيه الذي أدى إلى التعطيل المحض، والسلف بريئون من التمثيل والتعطيل، فهم وسط بين الطائفتين؛ من المتكلمة المعطلة، ومن المتكلمة المشبهة[٢].

١٠- عدم تفضيل أهل الكلام القرآنَ على الكتب السابقة، وهذا مما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن. نعم، هم يفضلون القرآن على الكتب السابقة من حيث إنّ تلك أصبحت منسوخة، وأن هذا ناسخ، وأن لقراءة هذا فضلا على تلك، لا من حيث كونه كلام الله ﷻ. ويؤكد لك هذا المعنى: أنهم اطرحوا النصوص الواردة في تفضيل بعض السور على بعض، وقالوا بناء على كلامهم في القرآن: إنه مخلوق، أو نفسي، أو أزلي، فيمتنع أن يفضل بعضه بعضا!! فليس عندهم إلا كلام واحد، وليس هناك كلام، حتى يكون أحدهما مثل الآخر، أو أفضل منه!![٣] **ومما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن الكريم لازم قولهم** من حيث إنهم لا يفضلونه على التوراة والإنجيل، ويظنون أنه بمثابتهما، وأنه لا فرق بين هذا وهذا. وقد نص كثير من المتكلمين بعدم تفاضل كلام الله ﷻ، وعدم التفاضل بين سور القرآن وآياته!![٤] بل منهم من فضل موضع قبر النبي ﷺ على القرآن!![٥] مع أن صفة الرحمن لا يماثلها شيء من الأنام.

١١- إن تعظيم المصحف عندهم إنما هو بالرسوم، لا بالعمل والاعتقاد، وقد يهينون المصحف جهارا: كان رجل من أهل مرو صديقا للجهم، ثم قطعه، وجفاه، فقيل

---

(١) المستصفى ص٨٥.

(٢) انظر: وسطية أهل السنة للشيخ محمد باكريم ص ٣١٩وما بعدها.

(٣) انظر: المجموع ١٧/ ١٥٤-١٥٥.

(٤) انظر: الفتح ٨/ ٨، الفواكه الدواني ١/ ٥٧.

(٥) انظر: شرح الزرقاني ٢/ ٦-٧، وانظر: المجموع ١٧/ ٦٨.

له: لم جفوته؟ فقال: جاء منه ما لا يحتمل، قرأت يوما آية كذا وكذا، فقال: ما كان أظرف محمدا، فاحتملتها، ثم قرأ سورة طه، فلما قال: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾[طه:٥] قال: أما والله لو وجدت سبيلا إلى حكِّها لحككتها من المصحف، فاحتملتها، ثم قرأ سورة القصص، فلما انتهى إلى ذكر موسى، قال: ما هذا؟ ذكر قصة في موضع فلم يتمها؟ ثم ذكر ههنا فلم يتمها؟ ثم رمى بالمصحف من حجره برجليه!! فوثبت عليه[1]. **وهذا حال الجهمية والمعتزلة**، وهم من أهل الكلام الذين نفوا صفات الرحمن، وعطلوه عن الكمالات الواجبة له، فـ «وصفوا ربهم تعالى بالعيوب والنقائص، وحكموا على دينه بالأهواء والظنون، وحملوا الناس على ذلك رغبة ورهبة، وصدوهم عن الهدى إلا من ثبته الله تعالى، وتركوا فتنتهم وقد فتحت بها على الأمة أبواب من الشر والبدعة لم تغلق إلى يومنا هذا»[2]. **وقريب من حالهم الأشعرية** ونحوهم؛ فإنهم لما اعتقدوا أن هذا الكلام الموجود بين دفتي المصحف ليس هو كلام الله ﷻ نفسه، وإنما هو عبارة عن كلام الله ﷻ، وأن العبارة مخلوقة، أدى هذا ببعض متأخريهم إلى تهوين شأن المصحف، بل إن جهالهم يستهينون به، ويتبين هذا إذا علمت أن كبارهم إنما يرون تعظيمه لا لكونه كلام الله وصفة من صفاته ﷻ، وإنما يعظمونه لكونه عبارة دالة على القديم، فتعظيمه لدلالته على العظيم، لا لِكونِهِ نفسِهِ معظما!!.

١٢- ومما يبين عدم تعظيمهم للقرآن الموجود عند المسلمين، **أنهم يقارنون ويفاضلون بينه وبين غيره** - مع أن القرآن صفة من صفات الله - وقد عقد بعض المتكلمين مقارنة ومفاضلة بين القرآن وبين رسول الله ﷺ!! وهذه مقارنة عجيبة تنبئك عن عقيدة غريبة، إذ كيف يُعقد مقارنة بين صفة من صفات الله، وبين عبد من عباد الله - ولو كان أفضل الخلق محمد ﷺ. فإن هذا لا يليق -، ولكن تمت هذه المقارنة بناء على أن القرآن المنـزل مخلوق!! قال الباجوري: «وهل القرآن بمعنى اللفظ المقروء أفضل أو سيدنا محمد ﷺ ؟!»؛ فذكر الخلاف الذي عند الأشاعرة، ثم قال: «والحق

---

(١) روى نحوه البخاري في خلق أفعال العباد ص٢٦.

(٢) العقيدة السلفية لعبد الله الجديع ص٣٢٣.

أنه ﷺ أفضل؛ لأنه أفضل من كل مخلوق»[١]. فانظر: - يا رعاك الله - بعين الإنصاف، كيف أن البدعة تجر إلى البدعة، فلما قالوا بالعبارة، قالوا بالتفضيل على القرآن الذي هو كلام الرحمن، سبحانك هذا بهتان عظيم، وهذا يدل على ما ذكرته من أن الأشاعرة والماتريدية إنما يقولون: بأن القرآن كلام الله غير مخلوق يعنون بذلك الكلام النفسي، لا القرآن الموجود بين الدفتين، فإنه عندهم مخلوق! بل إن الأشاعرة ونحوهم ممن لا يثبتون كلاما لله ﷻ في المصحف أدى بهم موقفهم إلى التهوين من شأن المصحف، فقالوا: ما فيه إلا الورق والمداد[٢]. وهم - أعني كبار الأشاعرة - «يجوزون وقوع المفاضلة في القرآن العربي، وهو مخلوق عندهم، وهذا المخلوق يسمى "كتاب الله" والمعنى القديم يسمى "كلام الله"، ولفظ "القرآن" يراد به عندهم ذلك المعنى القديم، والقرآن العربي المخلوق، وحينئذ فهم يتأولون ما ورد من تفضيل بعض القرآن على بعض على القرآن المخلوق عندهم!!»[٣]. فحصل بسبب هذا شر كبير، قال شيخ الإسلام ؒ: «ثم تبع أقوام من أتباعهم أحد أهل المذهب، وأن القرآن معنى قائم بذات الله فقط، وأن الحروف ليست من كلام الله، بل خلقها الله في الهواء، أو صنفها جبريل، أو محمد ﷺ، فضموا إلى ذلك أن المصحف ليس فيه إلا مداد وورق، وأعرضوا عما قاله سلفهم من أن ذلك دليل على كلام الله فيجب احترامه، لما رأوا أن مجرد كونه دليلا لا يوجب الاحترام، كالدليل على الخالق المتكلم بالكلام؛ فإن الموجودات كلها أدلة عليه، ولا يجب احترامها، فصار هؤلاء يمتهنون المصحف حتى يدوسوه بأرجلهم!!! ومنهم من يكتب أسماء الله بالعذرة، إسقاطا لحرمة ما كتب في المصاحف والورق من أسماء الله وآياته»[٤]. وقال ابن حزم ؒ: «أخبرني علي بن حمزة المرادي الصقلي الصوفي[٥] أنه رأى بعض الأشعرية يبطح المصحف برجله، قال:

---

(١) شرح جوهرة التوحيد ص٩٤.

(٢) انظر: أقاويل الثقات ص٢٢٠.

(٣) المجموع ١٧/ ٧٤.

(٤) المجموع ٨/ ٤٢٥.

(٥) هو العالم المتصوف: أبو الحسن علي بن حمزة المرادي الصقلي، سمع منه الحافظ الحميدي، وكان يتكلم في فنون، ويشارك في علوم، ويتصوف. انظر: جذوة المقتبس ص ٣١٣.

فأكبرت ذلك، وقلت له: ويحك! هكذا تصنع بالمصحف، وفيه كلام الله تعالى؟ فقال لي: ويلك! والله ما فيه إلا السخام والسواد، وأما كلام الله فلا!!»[(١)]. وأما ما تراه من أهل الكلام من تعظيم للمصحف فذلك لما فيه من اتباع السنة، وبقدر ذلك يكون تعظيمه لنصوص الوحيين، أو لكونه دالا على القديم، وليس التعظيم ما يفعله بعضهم من القيام للمصحف، وتقبيله، بل أعظم تعظيم للمصحف يكون بالعمل بما فيه اعتقادا وعملا، ولكن الاعتقادات الباطلة لأوائل أئمة الأشعرية والماتريدية أثرت في الأتباع، وقولهم بأن القرآن عبارة عن كلام الله «نوع من الضلال والنفاق، والجهل بحدود ما أنزل الله على رسوله، وهو الذي أوقع الجهال في الاستخفاف بحرمة آيات الله وأسمائه، حتى ألحدوا في أسماء الله»[(٢)].

١٣- أن الجهمية من أهل الكلام ما قدروا الله حق قدره؛ إذ جحدوا معاني وحقائق الأسماء والصفات، **وظنوها ألفاظا مجردة عن المعاني!!**[(٣)] ولم يثبتوا له قدرة على فعل، ولا على كلام، ولا على نزول شيء من الكلام منه، «فهم أبعد الناس عن التصديق بقدرة الله، وأنه على كل شيء قدير»[(٤)]، **ولهذا فإنهم إذا رأوا آية تخالف مذهبهم** يعملون فيها التأويل (أعني التحريف)، حتى توافق مذهبهم، ويدخلون بالمجاز على المعاني التي هم يريدونها، لا المعاني التي أرادها الله ﷻ، فيقولون إذا أعيتهم الحقائق القرآنية: «إذاً فنحن بحاجة إلى التجوز، والمجاز بابه واسع، وميدانه فسيح، وليكن المعنى المجازي لإنزال القرآن هو الإعلام في جميع إطلاقاته!!!»[(٥)]. **فأهل الكلام الواحد منهم**: «أول ما درس الفلسفة؛ فعند ما جاء إلى القرآن والسنة ليتعلمها أخذ يدخل الفلسفة فيهما؛ فكان يعرض القرآن على الفلسفة!! فإن خالف القرآنُ الفلسفةَ لم يأخذ بالقرآن!! وهكذا جميع الفرق الضالة؛ فإنها تعلمت الفلسفة

---

(١) الفصل في الملل والنحل ٥/ ٨١.

(٢) المجموع ١٢/ ٣٨٢.

(٣) انظر: شرح الواسطية للفوزان ص١٦.

(٤) المجموع ٨/ ٢٧.

(٥) مناهل العرفان ١/ ٤٣.

قبل القرآن»[(١)]، وعلى هذا فقس الفرق الباقية من أهل الكلام.

١٤- ومما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن أنك تجد من هؤلاء - أهل الكلام - من يقرأ ويعلم ما أثبته الله في كتابه، ثم يأتي هو فينفيه، أو يأتي إلى أمر نفاه الله في كتابه، فيأتي هو ويثبته!!! ففعلهم وقولهم نفي ما أثبته الله، وإثبات ما نفاه الله، وإن كان ذلك مبنيا على أصول ومقدمات، إلا أن ذلك لا يخرجهم من تبعية المضادة لله ﷻ في الإثبات والنفي. ومن صريح ما حرفوا فيه التنزيل ما قرأ به بعض المعتزلة قول الله: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾[النساء:١٦٤]، فقرؤوا اسم الجلالة (الله) بالنصب لتوافق مذهبهم في نفي تكليم الله ﷻ لعبده موسى ﷺ!![(٢)] وكيف يصنعون بقوله ﷻ؟؟[(٣)]: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾؟![الأعراف:١٤٣] والمعتزلة «تجاوزوا تغيير الحديث إلى أن راموا تغيير القرآن فلم يصح لهم ذلك في القرآن لإجماع الأمة عليه، وصح في كثير من الحديث؛ فغيروا في المصحف مواضع كثيرة، كقراءتهم: من شر ما خلقٌ، بالتنوين، وقراءتهم: قال عذابي أصيب به من أساء، بسين غير معجمة، وفتح الهمزة، وقالوا: في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ ﴾ [الأعراف:١٧٩]، قالوا: إن معناه دفعنا!!...»[(٤)]. وقال ابن أبي العز رحمه الله إن أحمد ابن أبي دؤاد: «أشار على الخليفة المأمون أن يكتب على ستر الكعبة: ليس كمثله شيء، وهو العزيز الحكيم!! حرف كلام الله لينفي وصفه تعالى بأنه السميع البصير، كما قال الضال الآخر جهم بن صفوان: وددت أني أحك من المصحف قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾، فنسأل الله العظيم السميع البصير أن يثبتنا بالقول الثابت في

(١) المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري ٢/ ٧٤٧.

(٢) الاقتضاء ١/ ٧٦.

(٣) انظر: شرح الطحاوية ١/ ١٧٧.

(٤) الإنصاف للبطليوسي ص١٥٩، وذكر اللالكائي أن عمرو بن عبيد رؤي في المنام وهو يحكم آية من كتاب الله ﷻ؛ فقيل له ماذا تفعل؟ فقال: أحط مكانها خيرا منها!! انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤/ ٧٣٨.

الحياة الدنيا وفي الآخرة بمنه وكرمه»[(١)].

١٥- **أنهم ظنوا أن السلف الصالح لم يفهموا معاني ما في كتاب الله ﷻ**؛ فإن منهم من يعتقد بأن مذهب السلف هو التفويض، وأنهم لم يعلموا معاني هذه الصفات، وفوضوها إلى رب البريات، ويقولون: هذا مذهب السلف!![(٢)] فإذا كان من نزل عليهم القرآن، ومن علمهم سيد ولد عدنان لم يفهموا هذه النصوص؛ فكيف تعظم إذا؟؟ وابن خلدون ـ مع أنه يظن أن مذهب السلف هو التفويض ـ يؤكد على أن السلف فهموا القرآن فيقول: «**وأما التفسير فاعلم أن القرآن نزل بلغة العرب، وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا كلهم يفهمونه، ويعلمون معانيه**: في مفرداته، **وتراكيبه**، وكان ينـزل جملا جملا، وآيات آيات، لبيان التوحيد، والفروض الدينية بحسب الوقائع، **ومنها ما هو في العقائد الإيمانية**، ومنها ما هو في أحكام الجوارح، ومنها ما يتقدم، ومنها ما يتأخر ويكون ناسخا له، **وكان النبي ﷺ هو المبيّن لذلك...، ويعرِّفه أصحابَه؛ فعرفوه**، وعرفوا سبب نزول الآيات... **ونقل ذلك عن الصحابة** ﷺ، **وتداول ذلك التابعون من بعدهم، ونقل ذلك عنهم، ولم يزل ذلك متناقلا بين الصدر الأول والسلف**، حتى صارت المعارف علوما، ودونت الكتب؛ فكتب الكثير من ذلك، ونقلت الآثار الواردة فيه عن الصحابة والتابعين»[(٣)].

١٦- **تسميتهم لنفي الصفات "توحيدا"** مع أن الكتاب والسنة جاء فيهما إثبات الصفات لله ﷻ[(٤)]، فهم ناقضوا الوحي حتى في المسميات. **فالقرآن فيه إثبات الأسماء والصفات**، وهؤلاء يقولون: ليس لله علم، ولا قوة، ولا رحمة، ولا كلام، ولا يحب، ولا يرضى، ولا نادى، ولا ناجى، ولا استوى!!، أهذا تعظيم للقرآن الكريم؟!

---

(١) شرح الطحاوية ١/ ١٢١، وانظر: شفاء العليل ١/ ١٧٢ لمعرفة بعض تأويلات القدرية.

(٢) انظر: الفواكه الدواني ١/ ٤٨، المقدمة لابن خلدون ص ٨٣١ ـ ٨٣٢، التنبيه على المخالفات العقدية في الفتح ص١٢١.

(٣) المقدمة لابن خلدون ص ٧٨٥-٧٨٦.

(٤) التدمرية ص١٨٢.

أهذا جعل للقرآن الكريم مصدرا للعقيدة!؟[١].

١٧- ومما يدل على أنهم غير معظمين للقرآن حقيقة، **أنهم يعتقدون خلوه من علم العقائد**، ولهذا تجد أحدهم يؤلف في الاعتقادات، ولا تجد فيه إلا القيل والقال. ومن أمثلة ذلك كتاب "أساس التقديس" الذي ألفه الرازي فيلسوف أهل الكلام وشيخهم، لبيان وجوب تقديم العقل على النقل!! لم يذكر استشهادا في كتابه آية أو حديثا، ثم إنه ذكر بعض الآيات ليتأولها ويحرفها!! بينما يستدل بقول "أرسطاطاليس، وبقول أبي معشر المنجم!![٢] ثم يقول: « القسم الثاني من هذا الكتاب: وهو **في تأويل المتشابهات من الأخبار والآيات... لا بد من التأويل في بعض ظواهر القرآن والأخبار!!** »[٣]، فالرازي يطعن في كتاب الله تعالى "القرآن" بحجة أن فيه ألفاظا تفيد الظن، ويطعن في الصحابة بحجة أنهم لم يعرفوا معانيها؟ وإنّما يدركها هو وأمثاله؟ ومثل هذا قله في كل كتاب مؤلف على طريقة أهل الكلام؛ فإن أساس كل كتاب من كتب أهل الكلام التأويل، والمعتمد عندهم العقل، وهو الدليل. فانظر إلى كتاب "لباب العقول" ولن تجد فيه استدلالا بآية أو حديث، بل يردهما، ويعتقد أن فيهما التشبيه!![٤]. وقد اعتذر ابن العربي لأهل الكلام لكونهم لا يستدلون بالآيات القرآنية باعتذارات لا تفي بالمقصود، يقول ابن العربي المعافري: « ذكر الاعتذار عن عدول العلماء عن الكتاب إلى أدلة العقول؛ فإن قيل: **فما عذر علمائكم في الإفراط بالتعلق بأدلة العقول دون الشرع المنقول في معرفة الرب**، واستوغلوا في ذلك!؟ »[٥] فهذا فيه الإقرار بأنهم لا يضمنون مؤلفاتهم الأدلة القرآنية، وإنما عمدتهم العقول البشرية!! ثم ذكر جوابين: « **أحدهما**: أن الأدلة في الكتاب مختصرة وبليغة، ومذكور فيها الأصول

---

(١) انظر: التدمرية ص٣٠.

(٢) انظر: أساس التقديس للرازي ص١-١٥.

(٣) أساس التقديس للرازي ص ٧٩.

(٤) انظر: لباب العقول من ص١٧٥-١٨٠.

(٥) قانون التأويل لابن العربي ص ٥٠١، وانظر: مقدمة المحقق على الكتاب ص٢٩٥.

ذو التوابع والمعلقات من الفروع؛ **فكمل العلماء ذلك الاختصار، وعبروا عن تلك الإشارة بتتمة البيان، واستوفوا الفروع والمتعلقات بالإيراد!!** والثاني: أنهم أرادوا أن يبصروا الملاحدة، ويعرفوا المبتدعة أن مجرد العقول التي يدعونها لأنفسهم، لا حظ لهم فيها...»[١]. **فانظر** إلى هذا الاعتذار ما أبرده، وما أسمجه!؟ الأدلة القرآنية الموجزة البليغة ـ كما اعترف ـ لا يذكرونها لكونها بليغة؟!! وإنّها تدل على الأصول فترِكَت، وإنما يذكرون الفروع التي هي متممات لها؟!! والقرآن لم يدل على الأدلة العقلية التي تقنع الملاحدة! وأهل البدع لا يمكن مخاطبتهم بالقرآن!؟ لماذا لا يذكر لأهل البدع الأدلة القرآنية؟ أليسوا مسلمين وبالقرآن مقرين؟ فلتذكر لهم الأدلة النقلية؛ فإن رجعوا إليها فهم من أهل السنة، وإن ردوها فهم من أهل البدعة لهذه ـ فضلا عن غيرها ـ وأما أن تترك الأدلة الشرعية لكون أهل البدع لا يرونها فهذا تنازل عن أدلة الشرع، وهو غير مقبول. وقد اعتذر لأهل الكلام مصطفى صبري فقال: «ثم إن أصول الدين معظم ما تستند إليه الأدلة العقلية التي تكون حجة على المعترفين بالأديان، والملاحدة المنكرين جميعا!!، والتي يحتويها علم الكلام أكثر من الكتاب والسنة حتى أن كون الكتاب والسنة نفسهما حجة يصح الاستناد إليها، وتصلح لاستنباط الأحكام عنها، يتوقف على تلك الأدلة العقلية!!! ومن هذا تقل حاجة علماء الكلام إلى إيراد أدلة الكتاب والسنة، ويجدر علم أصول الدين أن يعد من العلوم العقلية»[٢]. فأهل الكلام «تجدهم إذا احتجوا بالقرآن والحديث لم يعتنوا بتحرير دلالتهما، ولم يستقصوا ما في القرآن من ذلك المعنى، إذ كان اعتمادهم في نفس الأمر على غير ذلك، والآيات التي تخالفهم يشرعون في تأويلها شروع من قصد ردها كيف أمكن»[٣]. قال ابن الوزير ﷺ: «نبغ في هذا الزمان من عادى علوم القرآن، وفارق فريق الفرقان، وصنف في التحذير من الاعتماد على ما فيه من التبيان، في معرفة

(١) قانون التأويل لابن العربي ص ٥٠٢ بشيء من التصرف.

(٢) موقف العقل العلم والعالم ١/ ٤٨٢.

(٣) المجموع ١٣/ ٥٨.

الديّان، وأصول قواعد الأديان، وحث على الرجوع في ذلك إلى معرفة قوانين المبتدعة اليونان، منتقصا لمن اكتفى بما في معجز التنـزيل من البرهان، مقبحا لتلقي كثير من محكماته بالقبول والإيمان. لا جرم أن الله تعالى وإن وصفه بأنه لقوم هدى؛ فقد وصفه بأنه على قوم عمى؛ فحسبوه حين عموا عنه وصموا أنه لأمر يرجع إلى ذاته، ولخلل يعود إلى بين آياته، ولم يعلموا أن ذلك يخصهم لما في قلوبهم من العمه والعمى، والرداءة والردى؛ فكأنهم المنافقون ريبا وخبثا وبهتانا»[(١)]. ولذلك إذا بزع منهم رجل وصار له شأن في الكلام قال: هل في القرآن علم؟!![(٢)].

١٨- ويضربون آيات الله بعضها ببعض، ولا يهتمون ـ كما فعل السلف ـ بالجمع بينها، بل همهم الجمع بينها وبين مادل عليه عقولهم بالتأويلات الباطلة!![(٣)].

١٩- أنهم يفترون على القرآن الكريم، ويقولون عليه ما ليس فيه[(٤)]. يقول الرازي: «ورد في القرآن ذكر الوجه، وذكر العين، **وذكر الجنب الواحد، وذكر الأيدي، وذكر الساق الواحدة!!**»[(٥)]. وهذا يدل أن القوم يعتقدون ثم يستدلون!! ويقول ابن خلدون مبينا الصفات الواردة في القرآن بزعمه: «اعلم أن الله سبحانه وصف نفسه في كتابه بأنه عالم...، وكذا أثبت لنفسه... **اللسان!!**»، ثم زعم أن مما وصف به نفسه ما يوهم النقص كالاستواء!![(٦)].

«والنفاة متفقون على أن ظواهر النصوص تجسيم عندهم!! وليس عندهم بالنفي نص؛ فهم معترفون بأن قولهم هو البدعة، وقول منازعيهم أقرب إلى السنة»[(٧)]، و«إن

---

(١) ترجيح أساليب القرآن لابن الوزير ص٧-٨.

(٢) انظر: الفوائد لابن القيم ص١٤٤.

(٣) انظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار للعمراني٢/ ٥٩٣، ٥٩٥، المجموع ١٦/ ٥١، مسائل الجاهلية للإمام محمد بن عبدالوهاب، المسألة ٧٧، موقف العقل والعلم والعالم ٣/ ٤٠٢.

(٤) انظر: شفاء العليل ١/ ١٧٢.

(٥) أساس التقديس للرازي ص ٧٩.

(٦) المقدمة لابن خلدون ص ٨٥٢.

(٧) درء التعارض ١/ ٢٤٩.

عامة من يورد على ألفاظ الكتاب والسنة، ويدعي أن ظاهرها ممتنع: إنما أتى من سوء فهمه، لا من قصور في بيان الله ورسوله، بل ممن تأول»[١]، إذ لو كان الظاهر غير مراد لنبه عليه الشارع، ولقال: «من تمسك بالقرآن، أو بدلالة القرآن، أو بمفهوم القرآن، أو بظواهر القرآن في باب الاعتقاد: فهو ضال؟ وإنما الهدى رجوعكم إلى مقاييس عقولكم، وما يحدثه المتكلمون منكم بعد القرون الثلاثة ـ في هذه المقالة ـ وإن كان قد نبغ أصلها في أواخر عصر التابعين»[٢].

وأما أهل السنة فإن أحدهم: «يشتغل بوظائف العبادات؛ فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخا بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه، وبما يرد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها، وبما يسطع من أنوار العبادات ووظائفها، وبما يسري إليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم وسيماهم وسماعهم وهيآتهم في الخضوع لله ﷻ، والخوف منه، والاستكانة له...، وينبغي أن يحرس سمعه من الجدل، والكلام غاية الحراسة؛ فإن ما يشوشه الجدل أكثر مما يمهده، وما يفسده أكثر مما يصلحه، بل تقويته بالجدل تضاهي ضرب الشجرة بالمدقة من الحديد، رجاء تقويتها بأن تكثر أجزاؤها، وربما يفتتها ذلك ويفسدها، وهو الأغلب، والمشاهدة تكفيك في هذا بيانا، فناهيك بالعيان برهانا، فقس عقيدة أهل الصلاح والتقى من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمجادلين؛ فترى اعتقاد العامي في الثبات كالطود الشامخ، لا تحركه الدواهي والصواعق، وعقيدة المتكلم الحارس: اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل في الهواء، تفيؤه الرياح مرة هكذا، ومرة هكذا»[٣].

قال ابن الوزير اليماني رحمه الله مبينا **سبب إعراض المتكلمين عن القرآن المبين**: «**الزيادة في الدين فسببه تجويز خلو** كتب الله تعالى وسنن رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام **عن** بيان بعض مهمات الدين، اكتفاء بدرك العقول لها!! ولو

---

(١) الرد على البكري ٢/ ٦٨٥-٦٨٦.

(٢) المجموع ٥/ ٢٠، وانظر: أقاويل الثقات ص ٢٣٠.

(٣) الإحياء للغزالي ١/ ١٥٢ وشهد شاهد من أهلها.

بالنظر إلى التصديق، ليكون ثبوتها بعد رسول الله ﷺ بطريق النظر العقلي!!!، هذا مذهب أهل الكلام»(١).

ثم إن القرآن قد نقل إلينا متواترا لفظا ومعنى؛ حتى باعتراف أهل الكلام أنفسهم؛ فكيف نعرض عنه بحجج العقول. **يقول ابن خلدون** رحمه الله: «اعلم أن القرآن نُزِّل بلغة العرب، وعلى أساليب بلاغتهم؛ فكانوا كلُّهم يفهمونه، ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه، وكان ينـزل جملا جملا، وآيات آيات، لبيان التوحيد، والفروض الدينية بحسب الوقائع...ونقل ذلك عن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وتداول ذلك التابعون من بعدِهم، ونقل ذلك عنهم، ولم يزل ذلك متناقلا بين الصدر الأول والسلف، حتى صارت المعارفُ علوما، ودونت الكتب، فكتب الكثير من ذلك، ونُقلت الآثار الواردة فيه عن الصحابة والتابعين»(٢).

وأخفهم بدعة ـ نسبة إلى الجهمية والمعتزلة ـ هم الأشاعرة والماتريدية، ومع ذلك فإنهم لم يثبتوا ما أثبتوا من الصفات إلا لأن العقل دل عليها، لا لأن القرآن جاء به، ولو كانوا معظمين للقرآن لأثبتوا كل ما جاء في القرآن من صفات الرحمن(٣)، «ولهم في رد الأحاديث بهذا المنطق فضائح يرجع إليها في مثل كتاب "تأويل مختلف الحديث" لابن قتيبة»(٤).

فعندما يسمعك الأشعري أو الماتريدي تثبت ما جاء لله من صفات في القرآن والسنة، يقولون لك: مجسم؛ فهم يقرؤون القرآن والسنة لا للفهم، والفقه وإنما لِـمجرّدِ تلاوة(٥).

وقد تراهم يؤلفون في تفسير كتاب الله ﷻ ولكن من أجل خدمة منهجهم

---

(١) إيثار الحق ص ١٠٣.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٧٨٦.

(٣) انظر: المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري ٢/ ٤٩٩.

(٤) المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبده وطارق عبد الحليم ص ٢٧.

(٥) انظر: المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري ٢/ ٥٠٣.

الفاسد، وترويج مذهبهم الكاسد؛ فالرازي مثلا لم يؤلف كتابه في التفسير إلا إظهارا لعضلاته الكلامية، وصنعته المنطقية(١)، وهكذا القاضي عبد الجبار المعتزلي في تفسيره للقرآن؛ إنما بث الاعتزال، وكذا الزمخشري(٢).

قال شيخ الإسلام ﷺ في قول الإمام أحمد: أكثر ما يخطئ الناس من جهة التأويل والقياس: «ولهذا تجد المعتزلة والمرجئة والرافضة، وغيرهم من أهل البدع، يفسرون القرآن برأيهم ومعقولهم، وما تأولوه من اللغة، ولهذا تجدهم لا يعتمدون على أحاديث النبي ﷺ، والصحابة والتابعين، وأئمة المسلمين؛ فلا يعتمدون لا على السنة، ولا على إجماع السلف وآثارهم، وإنما يعتمدون على العقل، واللغة، وتجدهم لا يعتمدون على كتب التفسير المأثورة والحديث، وآثار السلف، وإنما يعتمدون على كتب الأدب، وكتب الكلام التي وضعتها رؤوسهم»(٣).

ومن أهل الكلام النجارية الذين يقولون: إن القرآن جسم إذا كتب، وعرض إذا قرئ ومعلوم أن هذا كفر صريح(٤)، إذ كلام الله ﷻ لا يوصف بهذا.

٢٠- **ومما يدل على عدم تعظيم أهل الكلام للقرآن الكريم** ما صرح به «غلاة الأشعرية في نفي حكمة الله تعالى، تقبيح اسم الحكيم في الظاهر، وإيجاب تأويله بالمحكم لصنعه من غير حكمة له في ذلك الإحكام، وغلاة المعتزلة في نفي السميع البصير، وتقبيحها في الظاهر، وإيجاب تأويلها بالعليم لا سواه!!...، وكذلك الجميع من الأشعرية والمعتزلة في نفي حقيقة الرحمن الرحيم، وما في معناهما من الرؤوف، والودود، وأرحم الراحمين، وحكمهم بأنها أسماء قبيحة الظواهر في حق الله تعالى!! وأنها لا تليق بجلاله إلا بصرفها عن ظواهرها، وتعطيلها عن حقائقها إلى المجاز

---

(١) انظر: المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري ٢/ ٧٢٦.

(٢) انظر: المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري ٢/ ٧٥٣.

(٣) المجموع ٧/ ١١٩.

(٤) انظر: شرح ملا علي القاري على كتاب ألفاظ الكفر لبدر الرشيد الحنفي ص١٢٦، وذكر المحقق د/ الطيب بن عمر الشنقيطي نسبة هذا القول إلى النجارية عن بدر الدين العيني الحنفي، كما في الحاشية (٣) من الصفحة نفسها.

المحض!! وأن نسبة الرحمة إلى الله سبحانه، كنسبة إرادة الانقضاض إلى الجدار، والجناح إلى الذل!!!»[١]؛ فالقرآن الكريم مليء بما يدل على حكمة الله ﷻ في خلقه، وفي فعله، وفي أمره ونهيه، وكثير من أهل الكلام ـ خصوصا الجهمية والأشاعرة ـ ومن وافقهم يقولون: «إنه لا يفعل شيئا لحكمة!!؛ فلا يخلق لحكمة!!، ولا يأمر لحكمة!!، ولا يفعل شيئا لشيء أصلا، وليس عندهم في القرآن العزيز "لامُ: كي" لا في خلقه، ولا في أمره!!»[٢].

فهؤلاء أهل الكلام إنما يتحكمون فيما يسمونه بظواهر النصوص بالظن والهوى، والتخمين والردى، «ويتكلف المتكلمون كلهم التأويلات البعيدة، تارة لما يمكن تأويله لو دل دليل قاطع على امتناع ظاهره، ولكن لا قاطع محقق، إلا مجرد دعوى، وتارة لما لا يمكن تأويله إلا بتعسف شابه تأويل القرامطة، وربما استلزم بعض التأويلات مخالفة الضرورة الدينية، وهم لا يعلمون»[٣]. قال شيخ الإسلام ؒ: «يقال: قول هؤلاء متناقض، والقول المتناقض فاسد، وذلك أن هؤلاء يوجبون التأويل في بعض السمعيات دون بعض ـ وليس في المنتسبين إلى القبلة بل ولا في غيرهم من يمكنه تأويل جميع السمعيات ـ وإذا كان كذلك قيل لهم: ما الفرق بين ما جوزتم تأويله، فصرفتموه عن مفهومه الظاهر، ومعناه البين، وبين ما أقررتموه؟ فهم بين أمرين: إما أن يقولوا ما يقوله جمهورهم: إن ما عارضه عقلي قاطع تأولناه، وما لم يعارضه عقلي قاطع أقررناه!! فيقال لهم: فحينئذ لا يمكنكم نفي التأويل عن شيء؛ فإن لا يمكنكم نفي جميع المعارضات العقلية...، وأيضا فعدم المعارض العقلي القاطع لا يوجب الجزم بمدلول الدليل السمعي»[٤]. ثم بين ؒ أن ما رآه معارضا عقليا قاطعا طائفة منهم نفاه الآخر فأصبحت معارضاتهم القطعية ـ للنصوص ـ في نفسها

---

(١) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١١٤-١١٥.

(٢) شرح الأصبهانية ص٣٥٦.

(٣) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١١٦، وانظر منه ص ١٢٣، وانظر: المجموع ٣/ ٣٢٨.

(٤) الدرء ٥/ ٣٤٣ وما بعدها، وانظر: التدمرية ص ٤٥.

متعارضة؛ فكيف تكون حجة على النصوص الظاهرة؟؟.

وقد أكد الغزالي هذا التناقض فيما يجب أن يؤول وما لا يؤول، فقال بعد كلام طويل فيما هو من تأويلات الباطنية، وما رأوه واجبا في كل الشرع: «وذهبت طائفة إلى الاقتصاد، وفتحوا باب التأويل في كل ما يتعلق بصفات الله ﷻ، وتركوا ما يتعلق بالآخرة على ظواهرها، ومنعوا التأويل فيه ـ وهم الأشعرية ـ، وزاد المعتزلة عليهم حتى أولوا من صفاته تعالى الرؤية، وأولوا كونه سميعا بصيرا!! وأولوا المعراج! وزعموا أنه لم يكن بالجسد، وأولوا عذاب القبر والميزان والصراط وجملة من أحكام الآخرة...، ومن ترقيهم إلى هذا زاد الفلاسفة فأولوا كل ما ورد في الآخرة، وردوه إلى آلام عقلية وروحانية!!»[١] فهذا إقرار من الغزالي نفسه أن الباب فتح يسيرا ـ فقط في باب الصفات!! ـ ثم زاد عسيرا، ثم أصبح كبيرا، إذ لا ضابط في إيجابه ومنعه صحيح يعتمد عليه.

ومن أصرح التحريفات التي تنبئك على بعد هؤلاء عن توقير ظواهر النصوص قول الرازي في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾[٢]، قال: «الرب هو المربي؛ فلعل ملكا عظيما هو أعظم الملائكة كان مربيا للنبي وكان هو المراد من قوله، وجاء ربك!!»[٣]. ونموذج آخر من التأويلات المستبشعة قول الرازي وهو ينفي العلو: «وأجمعوا على أن جبريل ملك الوحي والتنـزيل والنبوة، وميكائيل ملك الأرزاق، وملك الموت ملك الوفاة، وكذا القول في سائر الأمور؛ **وإذا كان الأمر كذلك لم يبعد أن يكون الغرض من رفع الأيدي إلى السماء رفع الأيدي إلى الملائكة!!!**»[٤]. فإذا كان رفع الأيدي للملائكة؛ فهل الطلب يكون منهم أيضا؟! وهذه التحريفات الباطلة تحريف وإلحاد في كلام الله ﷻ[٥]،

---

(١) الإحياء ١/ ١٦٦، وانظر: الدرء ٥/ ٣٤٧.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢١٠.

(٣) أساس التقديس للرازي ص ١٠٨.

(٤) أساس التقديس للرازي ص ٧٧.

(٥) انظر: شفاء العليل ١/ ٢١٩-٢٢٠، ٢/ ١٩-٢٠، شرح الواسطية للفوزان ص١٣٢.

وهو يؤدي إلى مثل هذه اللوازم الفاسدة.

٢١- **ومن عدم تعظيمهم للقرآن دعوى الجهمية منهم** بفناء الجنة والنار[١]، ومن عدم تعظيمهم للقرآن الكريم ظنهم أن آياته توهم التشبيه، وتأتي بما يؤدي إلى الكفر، فمن ذلك إنكارهم لأسماء الله ﷻ: الصبور، والحليم، والشكور، وإن جوز بعضهم فمن حيث الاسم المجرد عن المعنى، ولا يثبتونه اسما ووصفا، فعند هؤلاء «يجوز إطلاق السمعي **سواء أوهم**، كالصبور، والحليم، والشكور، أو لم يوهم: كالعالم، والقادر»[٢].

وينكر بعض أهل الكلام صريح الآيات، لمجرد ظنه أنها من المتشابهات، ويؤولها بمختلف التأويلات. وقد جاء القرآن والسنة بإثبات العرش، والكرسي، واستواء الله ﷻ، وهؤلاء يقولون: «القصد من ذكر الكرسي، ومثله العرش، الذي هو أعظم منه، لإحاطته بجميع الأجسام، استشعار النفوس عند سماعها بعظمة الباري ﷻ، ولا كرسي!!، ولا قعود، ولا قاعد[٣]، نظير قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر:٨٧] من غير قبض!! وطي!! ويمين!! بل هو تخييل لعظمته»[٤]. بل منهم من يعلم أن تأويله ـ تحريفه ـ مخالف لما عليه السلف، كما يقول بعضهم: «ففوقية الله على عرشه، المراد بها: فوقية معنوية!! لما قدمنا، وحمل الفوقية في حقه تعالى على المعنوية مبني على طريقة الخلف، وهي المؤولة، وعليها إمام الحرمين وجماعة، كتأويل اليد بالقدرة!!»[٥]. فكثير من أهل الكلام يصرحون بمخالفة السلف!![٦] ولما اعتقدوا أن ما دلت عليه الآيات والأحاديث المتواترات إنما هي من المستحيلات يقول الرازي:

---

(١) انظر: شرح الأصبهانية ص٢٦٨.

(٢) الفواكه الدواني ١/ ٤٦.

(٣) هذه الألفاظ لم ترد في الكتاب والسنة، ولكنه لجأ إلى ما لم يرد حتى لا يشنع عليه في نفيه إنكار علو الله واستوائه على عرشه؛ ومعلوم أن الاستواء ثابت في الكتاب والسنة، والكرسي، كذلك.

(٤) الفواكه الدواني ١/ ٤٥، ثم ذكر بعد ذلك أقوالا أخرى، كالقول بإثبات الكرسي والعرش، ولكنه لم يثبت الاستواء، ولا الطي، ولا اليمين!!.

(٥) الفواكه الدواني١/ ٤٨.

(٦) انظر: نقض المنطق ص ١٢٣، المجموع ٤/ ١٥٦.

« لو كان تعالى في جهة فوق لكان سماء، ولو كان سماء لكان مخلوقا لنفسه!! وذلك محال، فكونه في جهة فوق محال!! »[١]. ثم استطرد في تقرير هذه القاعدة الباطلة لنفي علو الله ﷻ الثابتة بالكتاب والسنة، والإجماع، والعقل والفطرة[٢]؛ فقال: « فاستواؤه: قهره واستيلاؤه!!، ونزوله: بره وعطاؤه!!، ومجيئه: حكمه وقضاؤه!!، ووجهه: وجوده أو جوده وحباؤه!!، وعينه: حفظه وعونه واجتباؤه!!، وضحكه: عفوه أو إذنه وارتضاؤه، ويده: إنعامه وإكرامه واصطفاؤه!! »[٣]. أقول: كأن الرازي أفصح من يعبر، وأدق من يدرك، حتى يأتي بما لم يقله رب العالمين، ولا رسوله الأمين، وهل كان الله ﷻ لا يستطيع أن يعبر بهذا أم أراد التخييل؟؟ ورسوله ﷺ ألم يكن يعلم هذا أم أنه أراد التجهيل؟؟؛ **فمن يُصدق المؤمن بربه، الكلام الذي هو أفصح الكلام، أم قول من في قوله الأسقام؟؟.**

٢٢- ومن عدم تعظيمهم للقرآن مخالفتهم له في باب أسماء الله ﷻ وصفاته، إذ القرآن مليء بإثبات مفصل ونفي مجمل، وهؤلاء « جاؤوا بنفي مفصل، وإثبات مجمل؛ فقالوا: ليس بكذا، ولا كذا، ولاكذا؛ فلا يقرب من شيء، ولا يقرب منه شيء، ولا يُرى لا في الدنيا، ولا في الآخرة، ولا له كلام يقوم به »[٤].

ومما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن الكريم أنهم يجعلون ما يرونه ويقعدونه من أعظم الكلام، فقول الجهمية الاتحادية المبتدعة: « وهو الآن على ما عليه كان، ليس معه غيره، كما كان في الأزل ولا شيء معه، قالوا: إذ الكائنات ليست غيره، ولا سواه، فليس إلا هو: فليس معه شيء آخر!!، لا أزلا، ولا أبدا؛ بل هو عين الموجودات، ونفس الكائنات، وجعلوا المخلوقات المصنوعات: هي نفس الخالق المصور للبريات!!!.

وهم دائما يهذون بهذه الكلمة: "وهو الآن على ما عليه كان". **وهي أجل**

(١) أساس التقديس للرازي ص ٢٧.

(٢) انظر: مختصر الصواعق المرسلة ص٣٥١ وما بعدها فإنه ذكر الأدلة مستوفاة في بيان صفة العلو والاستواء لله ﷻ.

(٣) أساس التقديس للرازي ص ٢.

(٤) الصفدية ١/ ١١٦.

عندهم من: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[الإخلاص:١]، **ومن آية الكرسي**، لما فيها من الدلالة على الاتحاد الذي هو إلحادهم»[١].

وبهذا يتبين أنهم لا يقيمون للقرآن الكريم وزنا، ولا للسنة مقدارا، ولا لفهم السلف اعتبارا؛ فكيف يا ترى يكون استدلالهم بالقرآن الكريم في باب الاعتقاد؟ هذا ما أبينه في المبحث التالي.

---

(١) المجموع ٢/ ٢٧٤.

المبحث الثالث: جعل أهل الكلام القرآنَ فرعا في باب العقائد، والرد عليهم

ذكرت منزلة القرآن الكريم عند السلف الصالحين، وكيف أنهم كانوا يحتجون به في كل صغيرة وكبيرة، ويقدمونه في الاحتجاج، ويعظمونه حق التعظيم.

وأما المخالفون للسلف من أهل الكلام ومن نحا نحوهم؛ فإنهم زعموا أن الدلالة السمعية ظنية، لا تفيد اليقين، وأن الدلالة القطعية هي الدلالة العقلية، التي استنبطت بالعقل، مما وضعتها زبالات أفكار المتقدمين من الفلاسفة ونحوهم، ولأجل هذا قعدوا قاعدة خبيثة، فقالوا: لا يستدل بنصوص الكتاب والسنة إلا إذا وافقت العقل!!! وتوافقت مع البراهين العقلية المستنتجة من العقل!![1]

وكثير من المتأخرين ـ من أهل الكلام على وجه الخصوص ـ لا يعتمدون في دينهم على القرآن، ولا على ما جاء به رسول الله ﷺ، خلافا لما عليه السلف الصالح؛ فلهذا كان السلف أكمل علما وعملا، واتباعا وتعظيما للقرآن، وكان المخالفون لهم أقل فهما وعملا، وأكثر بدعة وضلالا[2].

ولما أعرض أهل الكلام ـ وغيرهم من أهل البدع ـ عن القرآن والسنة، تجدهم في الاعتقاد على طريقة الاستدلال بالعقل، ويجعلون العقل وحده أصل العلم، ويجعلون القرآن تابعا له!![3].

(١) انظر: الدرء ٥/ ٣٤٢. الرسالة التبوكية ص ١٤١، مجموع رسائل الجامي ص١١٤-١١٥.
(٢) انظر: المجموع ١٣/ ٦٠.
(٣) انظر: المجموع ٣/ ٣٣٨، مصادر التلقي للقفاري ص ١٥٨ وما بعدها، ١٧٢ وما بعدها.

قال الرازي بعد أن ذكر المقدمات في كون السمعيات لا تفيد اليقينيات!! وإلا لزم الدور...، قال: «فخرج مما ذكرناه أن الأدلة النقلية لا يجوز التمسك بها في المسائل العلمية!!!»[١]. وكذا الغزالي من قبله قرر هذا حيث ذكر مناهج الاستدلال عند الناس، وأنهم يأخذون بالتأويل، والفلسفة...، ثم قال مبينا موقفه من السمعيات التي هي الكتاب والسنة: **«فأما من يأخذ معرفة هذه الأمور - أي الاعتقاديات - من السمع المجرد؛ فلا يستقر له فيها قدم، ولا يتعين له موقف!!»**[٢]. فقول أئمة المتكلمين هؤلاء: أن ما جاء به الرسول ﷺ لا يفيد علما!!![٣].

ومما يدل على عدم تعظيمهم القرآن، أنهم جعلوا القرآن فرعا في باب العقائد، وخصوصا ما يسمونه بالإلهيات، فعندهم إذا تعارض العقل والنقل فالمقدم هو العقل، يقول الرازي: «الظواهر المقتضية للجسمية، والجهة!! **لا تكون معارضة للأدلة القطعية التي لا تقبل التأويل!!»**[٤]. فانظر - رعاك الله - ما في هذا الكلام من الطوام، وهي:

١ - أنه زعم أن ظواهر القرآن دالّةٌ على التجسيم والجهة، وهو يقصد الآيات التي تدل على صفات الله ﷻ كاليد والوجه والعلو، **فهذه عنده تجسيم وجهة!!!**، **ومعلوم أن أهل السنة يقولون: إن ما ورد في القرآن مما يدل على صفات الرحمن وعلوه فوق عرشه ثابت بلا نكران.** وأما الجسم والجهة فهذان لفظان، وفي الشرع غير معروفين، والكلام فيهما إجمالا غير مرغوب، والإعراض عنهما هو المطلوب، وإثبات ما ورد هو المتعين، ورد ما لم يرد هو المتعين.

---

(١) نهاية العقول١/ ١٣ نسخة دار الكتب (٥٦٥)، كما ذكره محقق الدرء الدكتور محمد رشاد سالم، وهو في الدرء ٥/ ٣٢٩ بنصه، وانظر: شرح الأصبهانية ص ٢٥، وكذلك الرازي يصرح بأن البرهان العقلي مفيد للعلم اليقيني. انظر: معيار العلم في المنطق للغزالي ص٤١.

(٢) الإحياء ١/ ١٦٧، وانظر: الدرء ٥/ ٣٤٨.

(٣) انظر: الدرء ٥/ ٣٤٨.

(٤) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٢٨.

٢- أنه زعم أن الظواهر ليست هي من المقطوعات، وأن المقطوعات عنده هي اليقينيات العقلية التي قال بها الفلاسفة اليونانيون، ورسخها هؤلاء المتكلمون!!.

٣- أن النصوص إذا خالفت ظواهرها هذه القطعيات، فلا بد من تأويلها باليقينيات!!! وعلى هذا كيف يكون الجواب لمن قال: بأن الرسل - عليهم الصلاة والسلام - قد كتموا شيئا، وهو عدم إعلام الخلق بأن هذه الظواهر في العقائد غير مرادة، وأنتم تنصون - وهو الحق - أنه: «يستحيل في حقهم - عليهم الصلاة والسلام -... كتمان شيء مما أمروا بتبليغه للخلق»(١). فهذه العقائد التي قلتم إنها لا تدرك إلا بالعقل، وأن ظواهر الشرع لا يستدل بها عليها، هل هي من الشرع أم لا؟ فإن كان الأول وجب تبليغه، وإن قلتم بالثاني تبين الضلال!!!.

٤- أن ما لا يقبل التأويل عنده هو اليقينيات العقلية!!! ولهذا يقول شاعرهم:

وكل نص للحـــدوث دلا احمل على اللفظ الذي قد دلا
ويستحيل ضد ذي الصفات في حقه كالكون في الجهـات(٢)

ويقول الآخر:

نسمي الله شيئا لا كالأشيا وذاتا عن جهات الست خالي(٣)

فما دل عليه الكتاب والسنة، وفقه السلف من إثبات العلو لله ﷻ، والاستواء والنـزول، هذه كلها من الأمور التي تدل على الحدوث والجهة!! **وهي بحكم العقل** مستحيلة على الله ﷻ بزعم عقولهم!!.

وهذا الذي حمل - كثيرا منهم - على نفي الصفات الخبرية عن الله ﷻ، فقالوا: لا يوصف الله بأن له يدا!! ولا بأن له عينا!!(٤) بل ربما قالوا: عن بعض النصوص:

(١) أم البراهين للسنوسي ص٧، ورسالة في التوحيد للبيجوري ص٤٣، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

(٢) جوهرة التوحيد للقاني ص١٣، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

(٣) بدأ الأمالي للفرغاني ص١٩، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

(٤) انظر: رسالة في علم التوحيد للبيجوري ص٤٠، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم،

إنها شنيعة، لكونها خالفت مذاهبهم، ولم توافق قواعدهم، فيقول أحدهم: «ليس في هذا الكتاب ـ يعني صحيح البخاري ـ حديث أشنع ظاهرا، ومذاقا من هذا»(١)، يعنون حديث: [**ودنا الجبار...**](٢)، قال ابن الوزير رحمه الله: «**واجتمعت كلمة المعتزلة والأشعرية على تقبيح نسبة الرحمة والحلم والمحبة والخلة إلى الله تعالى!!!**»(٣).

وهكذا في العقائد النسفية، جعل: «أسباب العلم ثلاثة: الحواس السليمة، والخبر الصادق، والعقل»، فجعل الخبر الصادق كالحواس والعقل!! ثم بين المراد، قائلاً: «الخبر المتواتر...، وهو موجب للعلم الضروري...، وخبر الرسول المؤيد بالمعجزة، وهو يوجب العلم الاستدلالي، والعلم الثابت به يضاهي العلم الثابت بالضرورة في التيقن والثبات، **وأما العقل: فهو سبب للعلم أيضا**، وما ثبت منه بالبديهة فهو ضروري...، وما ثبت بالاستدلال فهو اكتسابي»(٤). فعند المتكلمين: أن **العقل** مساوٍ للقرآن الكريم من حيث الاستدلال، **إلا أن العقل يوجب العلم الضروري أو الاكتسابي**، أما القرآن الكريم فهو إما أن يوجب علما ضروريا، أو استدلاليا ـ إذا وافق ما عندهم ـ، أو لا يفيد لا هذا ولا هذا!!!.

فمصدر التلقي عند أهل الكلام هو العقل في باب الإلهيات بالاتفاق، وفيما سواه من أبواب العقائد على خلاف، وقد صرح أئمة الأشعرية ـ وهم من مثبتة المتكلمين الذين يثبتون بعضا من الصفات على طريقتهم ـ أن **العقل** مقدم على النقل إذا تعارضا، ابتداء من الجويني، ثم الغزالي، ثم الرازي، ثم الآمدي، فالإيجي، ومن

جمع دار الفكر.

(١) الفتح ١٣/ ٤٩٢.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب/ في قوله ﷻ (وكلم الله موسى تكليما)، حديث (٧٥١٧)، وهو معروف بحديث الإسراء.

(٣) إيثار الحق لابن الوزير ص ١٢٩.

(٤) العقائد النسفية لعمر النسفي ص ٢٧-٢٨، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

قبل ابن فورك، فالسنوسي، وشراح الجوهرة، وسائر أئمتهم، «ومن هؤلاء السابقين من صرح بأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة أصل من أصول الكفر، وبعضهم يخففها؛ فقال: هو أصل الضلالة!!...، يقول السنوسي في شرح الكبرى: وأما من زعم أن الطريق بدأ إلى معرفة الحق بالكتاب والسنة، ويحرم ما سواهما فالرد عليه أن حجيتهما لا تعرف إلا بالنظر العقلي، وأيضا قد وقعت فيهما ظواهر من اعتقد ظاهرها كفر عند جماعة وابتدع...، ويقول: أصول الكفر ستة:...، ـ ذكر خمسة ثم قال ـ: سادسا: التمسك في أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير عرضها على البراهين العقلية، والقواطع الشرعية»[(١)].

والرازي، وهو يقرر أن النـزاع بينهم وبين المعتزلة في مسألة الكلام لفظي، يقول:« وهذا البحث لغوي، لا حظ للنقل البتة فيه»[(٢)].

فالقرآن الذي فيه علم الأولين والآخرين، وخبر من قبلنا، ونبأ من بعدنا، وحكم ما بيننا، عند هؤلاء لا يمكن أن نحتكم إليه في المسائل اللغوية، ولو كانت متعلقة بالأصول الشرعية، ألا يكون القرآن حجة حتى في اللغة؟؟ وهل تكون الأشعار التي لا تُعرف ناقلوها، وأحيانا قائلوها، تكون حجة؟؟ والقرآن لا يكون حجة في المسائل اللغوية، فكيف بالمسائل العقدية!!، مع أن الموضوع متعلق بمسألة اعتقادية، وهو تعريف الكلام والمقصود به، وهل هو الذي يتكلم بصوت وحرف، متى شاء، أم هو الذي لا يتكلم بصوت، ولا بحرف، ولا يتكلم إذا شاء!! سبحانك هذا بهتان عظيم.

قال أبو نصر السجزي رحمه الله مخاطبا أشعريا، ومبينا أنهم لا يستدلون إلا بعقولهم: «وأنت أبيت أن تقبل ذلك، وادعيت أن الواجب المصير إلى حكم العقل في هذا الباب!!»[(٣)].

---

(١) منهج الأشاعرة في العقيدة للحوالي ص ٧٧-٧٨، وانظر: تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ص٣٤٢.
(٢) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٥٠.
(٣) الدرء ٢/ ٩٢.

ومما يدل أن أهل الكلام لا يقيمون للنصوص الشرعية التي سموها ظواهر وزنا، أنه لما ذكر في القرآن الكريم زيادة إيمان أهل الإيمان، ونقصان إيمان أهل الفسق والطغيان، ـ وطوائف من أهل الكلام لا يقولون بزيادة الإيمان ونقصانه، وبناء عليه لم يلتفتوا إلى النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، بل زعموا أن الخلاف لغوي، وأن لكل واحد نصوصا!! يقول الرازي وهو يبين الأقوال في الإيمان: «الإيمان عندنا لا يزيد ولا ينقص...، وعند المعتزلة لما كان اسما لأداء العبادات كان قابلا لهما[١]، وعند السلف لما كان اسما للإقرار والاعتقاد، والعمل فكذلك، **والبحث لغوي، ولكل واحد من الفرق نصوص**»[٢].

بل ويؤلف أحدهم كتابا في المسائل العقدية، ولا ترى فيه آية مسوقة للاحتجاج، أو حديثا للاستدلال، فانظر ـ وفقك الله ـ إلى أم البراهين في العقائد!! أو متن الجوهرة، أو متن العقيدة النسفية، أو نور ظلم، أو رسالة التوحيد للباجوري، أو شرح العقائد النسفية للتفتازاني، أو حاشية الدسوقي على أم البراهين...، لتعرف أن ما ذكرته هو الواقع الأليم.

ومما يؤكد عدم اهتمامهم بالقرآن الكريم، وأن اعتمادهم على العقل، هذا الاستفتاح في كتاب أم البراهين،حيث يقول مؤلفه: «الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، **اعلم أن الحكم العقلي** ينحصر في ثلاثة أقسام: الوجوب، والاستحالة، والجواز. فالواجب ما لا يتصور في **العقل** عدمه، والمستحيل ما لا يتصور في **العقل** وجوده، والجائز ما يصح في **العقل** وجوده وعدمه. ويجب على كل مكلف شرعا أن يعرف ما يجب في حق مولانا جل وعز، وما يتسحيل، وما يجوز...»[٣]. ثم بدأ بذكر ما يجب لله عقلا!! وما يستحيل عليه عقلا!! وما يجوز عقلا!! وأين الشرع؟؟ وأين

---

(١) وليس الأمر كما زعمه الرازي، فإن الخوارج والمعتزلة لا يرون أن الإيمان يزيد وينقص، ولكنهم يرون أن الأعمال من الإيمان، ومن ترك شيئا من الأعمال الواجبة يكفر، ولهذا كفروا بالكبيرة.

(٢) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٦٦، وانظر: تحفة المريد للبيجوري ص٥١.

(٣) أم البراهين للسنوسي ص٣، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

نصوص القرآن والسنة؟؟.

ومنهم من يعتقد بأن كلام أهل الكلام في باب العقائد أسد وأتقن من كلام السلف المتبعين للقرآن، بل ويزعمون أنّ الحجة في أقوالهم، «**فأما من قال بأن كلام أبي علي وأبي هاشم حجة، وكلام الله ورسوله ليس بحجة، فما أجهله من جاسر، وأجرأه من خاسر، اتخذ الإسلام وراءه ظهريا**، وكاد يكون زنديقا دهريا، جعل الدين دبر أذنه، وافتات على الشرع بغير إذنه، أعاذنا الله من الافتراق عن سواء السبيل، واختراق مرامي القرآن بلا دليل»[(١)].

ومما يدل على عدم اعتمادهم على القرآن الكريم أنهم أهملوا أساس دعوته، إذ القرآن من أساسيات ما فيه الدلالة على توحيد الله ﷻ بالعبادة، وأهل الكلام يغفلون هذا التوحيد، بل ولا يظنونه من مسائل الكلام، ولا يوردونه في كتبهم، حتى وقع كثير منهم في توحيد الألوهية في الشرك والبدعة[(٢)].

فحال أهل الكلام أن يقال لهم: إن ما أثبته الله ﷻ في كتابه، وأثبته له رسوله ﷺ، صار على ذلك السلف، والمتبعون لهم من الخلف. وهؤلاء المتبعون مصيبون لموافقتهم معنى النص ولفظه، وأما أنتم فظننتم هذه الألفاظ دالة على الكفر والتشبيه!! ولهذا أوجبتم التأويل، وأثبتم ما زعمتموه أنه تنـزيه!! من غير موافقة لفظ الكتاب والسنة، ولا موافقة لمعناهما، إلا سيرا على موافقة القواعد الكلامية. فلا ريب أن حال الأولين من السلف خير من حال أهل الكلام، وهذا أحد هؤلاء يقول عن الفريقين، بإنصاف من غير مين: «لا ريب أن حال هؤلاء عند الله خير من حالنا، فإن هؤلاء ـ أي السلف المثبتين لما في الكتاب والسنة ـ إن كانوا مصيبين، فقد نالوا الدرجات العلى، والرضوان الأكبر، وإن كانوا مخطئين؛ فإنهم يقولون: نحن يا رب صدقنا ما دل عليه كتابك، وسنة رسولك، إذ لم تبين لنا بالكتاب والسنة نفي

(١) كتاب حجج القرآن لأبي الفضائل أحمد الرازي، ص٥.

(٢) انظر: المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبده وطارق عبد الحليم ص ٢١-٢٣.

الصفات، كما دل كلامك على إثباتها، فنحن أثبتنا ما دل عليه كلامك، وكلام رسولك؛ فإن كان الحق في خلاف ذلك، فلم يبين الرسول ما يخالف ذلك، ولم يكن خلاف ذلك مما يعلم ببداهة العقول، بل إن قدر أنه حق؛ فلا يعلمه إلا الأفراد، فكيف وعامة المنتهين ـ أي في علم الكلام ـ في خلاف ذلك إلى الغاية، يقرون بالحيرة والارتياب، وإن كنا نحن المصيبين ـ أي: أهل الكلام ـ فإنه يقال لنا: أنتم قلتم شيئا لم آمركم بقوله، وطلبتم علما لم آمركم بطلبه، فالثواب إنما يكون لأهل الطاعة، وأنتم لم تمتثلوا أمري، قال: وإن كنا مخطئين فقد خسرنا خسرانا مبينا»[1].

فأهل الكلام عند التحقيق لا يقبلون الاستدلال بالكتاب والسنة إلا على وفق قولهم[2]، ومما يؤكد أن أهل الكلام جعلوا القرآن فرعا في باب العقائد، أن منهم من يعتقد بتكافؤ الأدلة ـ الشرعية السمعية منها على وجه الخصوص!! ـ. قال شيخ الإسلام ﵀: «ومن صار من أهل الكلام إلى القول بتكافؤ الأدلة، والحيرة؛ فإنما ذلك لفساد استدلاله إما لتقصيره، وإما لفساد دليله، ومن أعظم أسباب ذلك الألفاظ المجملة التي تشتبه معانيها، وهؤلاء الذي يعارضون الكتاب والسنة بأقوالهم، بنوا أمرهم على أصل فاسد، وهو أنهم جعلوا أقوالهم التي ابتدعوها هي الأقوال المحكمة، التي جعلوها أصول دينهم، وجعلوا قول الله ورسوله من المجمل الذي لا يستفاد منه علم ولا هدى!! فجعلوا المتشابه من كلامهم هو المحكم، والمحكم من كلام الله ورسوله هو المتشابه!! كما يجعل الجهمية من المتفلسفة والمعتزلة ونحوهم ما أحدثوه من الأقوال التي نفوا بها صفات الله، ونفوا بها رؤيته في الآخرة، وعلوه على خلقه، وكون القرآن كلام الله، ونحو ذلك، جعلوا تلك الأقوال محكمة!! وجعلوا قول الله ورسوله مؤولا عليها، أو مردودا، أو غير ملتفت إليه، ولا متلقى الهدى منه!!»[3].

---

(١) المجموع ١٧/ ٧٩-٨٠ نقلا عن أحد أهل الكلام ولم يسمهم، وأقرب حدسي أنه من كلام ابن رشد في مناهج الأدلة؛ فإن له كلاما قريبا من هذا المعنى.

(٢) انظر: التدمرية ص ١٤٨، المجموع ١٩/ ٧٣.

(٣) الدرء ١/ ٢٧٥، ومعلوم أنه قد يرد في كلام الله ﷻ ما هو مجمل أو ظاهر، أو متشابه، ولكن هذا لا يعني

ومما يدل على ضلال أهل البدع، وضلال الفرق ـ المتكلمين منها على وجه الخصوص ـ نفيهم لما أثبته الله ورسوله، فكم يثبت أمر في القرآن والسنة وينفيه هؤلاء؟؟[١].

ومنهم من يقول: إن السلف الصالح لم يكن عندهم علمُ علمِ الكلام، وأن علم المنطق لا بد منه لمجادلة الأنام!![٢] وهذه فرية معلومة البطلان، وقول بلا برهان[٣]، وأهل الكلام أنفسهم معترفون بضلال علم الكلام، وأنه لا فائدة فيه للأنام[٤].

فأهل الكلام يجوزون «خلو كتب الله تعالى وسنن رسله الكرام ـ عليهم الصلاة والسلام ـ عن بيان بعض مهمات الدين اكتفاء بدرك العقول لها!! ولو بالنظر الدقيق، ليكون ثبوتها بعد رسول الله ﷺ بطريق النظر العقلي!! هذا مذهب أهل الكلام»[٥]. **ومذهب أهل الأثر من السلف ومتبعيهم من الخلف أن الكتاب والسنة مشتملان على الهدى التام والنور البين في جميع أمور الدين، وعلى وجه الخصوص باب الاعتقادات، والأدلة على ذلك أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تورد، ومنها:**

١ - قال الله ﷻ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ هَـٰذَآ أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾[الأحقاف:٤] وقال: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[النحل:٦٤] «فثبت أن ما خلت عنه كتب الله تعالى فليس من مهمات الدين، وإن زيادته في الدين محرمة، ألا ترى أن رسول الله ﷺ حذر

= أنه لا يستفاد منه العلم، لأنه قد فسر في مكان آخر، أو بين، أو أن المتشابه يرجع إلى أمر غير متعلق في الاعتقاد، وهذا ليس فيه خروج عن كلام الله ورسوله. انظر: الدرء ٥/ ٢٣٢.

(١) من كلام شيخنا د/ صالح بن سعد السحيمي، في درس الحرم يوم ١٢/ ٢/ ١٤٢٢هـ.

(٢) انظر: شرح العقائد النسفية لسعد التفتازاني ص٥٣.

(٣) انظر: للرد على هذه الفرية الكتب التالية: الحجة في بيان المحجة ١/ ٣٩٣، المجموع ٨/ ١٥٨، ١٦/ ٤٤٢.

(٤) انظر: المجموع ٥/ ١٠، شرح الطحاوية ١/ ٧٠.

(٥) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٠٣.

أمته من فتنة الدجال[1]... مع أن بطلان دعواه معلوم بالعقل؛ لأنه يدعي الربوبية، وهو بشر يحتاج إلى الأكل والشرب، وينام ويعجز...؛ فلو كان يجوز عليه الإهمال لكان ذلك أحق ما يهمل»[2].

٢- قوله ﷻ: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾[الإسراء:١٥]، وقوله: ﴿ رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[النساء:١٦٥]. ولو كانت الحجة قائمة على الخلق بالعقل وحده لما كان هناك حاجة في إرسال الرسل، ثم إن الله قطع الحجة عن الخلق ببعثة رسله، وهؤلاء يقولون: لا تقوم الحجة إلا بالبراهين، والمقدمات المنطقية، والآراء الكلامية!!! ومعلوم أن ما قالوه لا يخلو إما أنه ليس من الدين، بل هو زائد عليه ـ وهو الحق ـ؛ فحينئذ لا حاجة إليه، أو أنه من الدين؛ فكيف يجوز على الأنبياء التأخير عن وقت الحاجة، و« قد أجمعت الأمة على أنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة؛ فكل ما لم يبين من العقائد في عصر النبوة؛ فلا حاجة إلى اعتقاده، ولا الخوض فيه»[3].

٣- أن الله ﷻ أخبر أنه أرسل رسوله بالهدى التام، قال الله ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾[التوبة:٣٣] وقال عن كتابه: ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾[إبراهيم:١] وقال: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[المائدة:١٥-١٦] وقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ

(١) في المطبوع (الرجال).

(٢) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٠٤-١٠٥.

(٣) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٠٥.

تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾[الشورى:٥٢-٥٣] وقال:﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[النحل:٨٩] وقال: ﴿ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[يوسف:١١١] وأمثال هذه الآيات التي تفيد أن الرسول هدى الخلق، وجاء بالحق، وأنه لم يترك شيئا يقربهم إلى ربهم إلا وأرشدهم وبين لهم، وأن من ضرورياته البيان التام للنور الذي جاء به، وهو القرآن الكريم[(١)].

أن الله ﷻ أخبر أن سعادة الدنيا والدين مرتبطة بالتمسك بما جاء من الوحي؛ فقال ﷻ : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[البقرة:٣٨] « وإذا كانت سعادة الدنيا والآخرة هي باتباع المرسلين؛ فمن المعلوم أن أحق الناس بذلك هم أعلمهم بآثار المرسلين، وأتبعهم لذلك، فالعالمون بأقوالهم وأفعالهم المتبعون لها هم أهل السعادة في كل زمان ومكان، وهم الملة الناجية من أهل كل ملة، وهم أهل السنة والحديث من هذه الأمة...، وأما غير أتباعه من أهل الكلام؛ فالكلام في أقيستهم التي هي حججهم وبراهينهم على معارفهم وعلومهم، وهذا يدخل فيه كل من خالف شيئا من السنة والحديث من المتكلمين والفلاسفة »[(٢)].

٥- أن الله ﷻ أكمل الدين؛ فلا يمكن أن يكون قد ترك ما به سعادتهم وهم مطالبون بالإيمان به إلى قيام الساعة، وكيف يكون كتب الله تعالى خلوا من أمر كبير من مهمات الدين العقلية؟؟[(٣)].

٦- يلزم من هذا القول خلو السلف الأول من كثير من مقدمات عقدية، أو نظريات تأويلية!! ومعلوم أن هذا باطل؛ فدل على انتفاء ذلك[(٤)]، فهؤلاء عدلوا عن بيان الكتاب والسنة، وأقوال الصحابة، والتابعين لهم بإحسان، واعتمدوا على آرائهم، وعلى ما تؤولوه وفهموه، وهذا طريق أهل البدع[(٥)].

---

(١) انظر: الدرء ١/ ٢٠٢-٢٠٥، ٥/ ٢٥.

(٢) نقض المنطق ص ٢٤، وانظر منه ص٧١.

(٣) انظر: إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٠٤.

(٤) انظر: إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٠٤.

(٥) انظر: تبيين كذب المفتري ص١٣٧، المجموع ٧/ ١١٨.

٧- أن كتب الله ﷻ لم تخل مما تدركه العقول بل نبهت عليه؛ فكيف يعقل أن تكون خالية مما لا تدركه العقول، وهو باب الإلهيات[١].

٨- أن من لم يقر بكل ما جاء به الرسول ﷺ حتى يعلمه بعقله؛ فقد أشبه الذين قالوا: نؤمن ببعض، ونكفر ببعض، وأشبه الذين قالوا: لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله. ومن سلك هذا السبيل فهو في الحقيقة ليس مؤمنا، إذ لا فرق بين أن يأتي النبي بشيء أو لا يأتي؛ لأن الأصل عنده ما أثبته عقله!!! وما خالف عقله؛ فإنه إما أن لا يصدق به، أو أن يؤوله، أو يفوضه، وما يذكر عنده من الكتاب، والسنة، عديم الأثر عنده!![٢].

٩- أن من ظن أن الشرع لا يدل في باب الاعتقاد على الصواب، وأن العقل هو المرشد إلى الوهاب؛ فإنه قد تكلم رجما بالغيب، وذلك أن الله ﷻ غيب عنا، ولا يعلم ما يستحقه ﷻ على وجه الاستقلال بالعقول، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[الإسراء:٣٦]، وقال: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[الأعراف:٣٣] ، وقال تعالى: ﴿ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[آل عمران:٦٦].

١٠- أن القول على الله بما يجب له وما يمتنع عليه من غير نظر إلى الأدلة الشرعية يعني الجدال في الحق بعد بيانه بالأدلة الشرعية، وهي محرمة. قال تعالى: ﴿ يُجَـٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ ﴾[الأنفال:٦]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَـٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَـٰتِى وَمَآ

(١) هذه بعض الوجوه، وقد استفدتها من كتاب: إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٠٣-١١٢، وقد ذكر (١١) وجها، وإنما اكتفيت بما يفي الغرض.

(٢) انظر: شرح الأصبهانية ص٣١.

أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴾ [الكهف:٥٦]، « ومن المعلوم أن كل من عارض القرآن، وجادل في ذلك بعقله ورأيه؛ فهو داخل في ذلك، وإن لم يزعم تقديم كلامه على كلام الله ورسوله، بل إذا قال ما يوجب المرية والشك في كلام الله؛ فقد دخل في ذلك؛ فكيف بمن يزعم أن ما يقوله بعقله ورأيه مقدم على نصوص الكتاب والسنة؟! »(١).

١١- أن غاية ما يصل إليه المتكلمون هي معارضة الكتاب والسنة بالأقوال المزعومة، ومعلوم أنه لا يجوز أن يعارض الكتاب والسنة بالأقوال، « فالدليل الشرعي لا يجوز أن يعارضه دليل غير شرعي، ويكون مقدَّما عليه!! بل هذا بمنـزلة من يقول: إن البدعة التي لم يشرعها الله تعالى تكون مقدمة على الشرعة التي أمر الله بها!! أو يقول: الكذب مقدم على الصدق!! أو يقول: خبر غير النبي ﷺ يكون مقدما على خبر النبي!! أو يقول: ما نهى عنه الله يكون خيرا مما أمر الله به، ونحو ذلك. وهذا كله ممتنع »(٢).

١٢- أن ما يذكرونه من التأويلات في الآيات هو بنص قولهم مخالف لما عليه السلف؛ فهؤلاء يقولون: «مذهب السلف أن هذه الآيات والأحاديث الواردة في الصفات لا تتأول، و المتكلمون يريدون تأويلها!! إما وجوبا أو جوازا، ويذكرون الخلاف بين السلف وبين أصحابهم المتكلمين!! هذا منطوق ألسنتهم، ومسطور كتبهم(٣)، **أفلا عاقل يعتبر؟ ومغرور يزدجر؟ إنّ السلف** ثبت عنهم ذلك حتى بتصريح المخالف، ثم يحدث مقالة تخرج عنهم، أليس هذا صريحا: أن السلف كانوا ضالين عن التوحيد والتنـزيه، وعلمه المتأخرون؟! وهذا فاسد بضرورة العلم الصحيح، والدين المتين»(٤).

١٣- أن المتكلمين أنفسهم مختلفون في التأويل؛ فأي التأويلات هي الراجحة؟ وأيها الواجبة؟ وأيها الباطلة؟ ولهذا تجد منهم من يرجع إلى طريقة السلف، وينصر مذهب السلف؛ فلا يثبتون على دين واحد، وتغلب عليهم الشكوك، فهم في شك في

---

(١) الدرء ٥/ ٢٠٦.

(٢) الدرء ١/ ٢٠٠.

(٣) انظر: الفواكه الدواني ١/ ٥١.

(٤) المجموع ٤/ ١٥٦، و انظر: نقض المنطق ص١٢٣.

تأويلهم، وفي شك في تفويضهم، وفي شك في مخالفتهم للسلف، وهذه عادة الله فيمن خالف الوحي[(١)]؛ فصار حالهم كما قيل:

قل للمُحِلِّيـــن قد قرت عيونكم ... بفرقـــة القوم والبغضاء والهـرب
كنــا أناســا عـلى ديــن فَفَرَّقنــا ... فرع الكلامِ، وخلط الجد باللعب
ما كان أغنى رجالا ضل سعيهم ... عن الجدال وأغناهم عن الخطب[(٢)]

١٤- **أن أهل البدع جميعهم يدندنون حول شبهة واحدة هي التنـزيه!!** وهذا مقصد حسن، ولكن الطريق إليه لا بد أن يكون شرعيا، لا بدعيا، فتنـزيه الله ﷻ لا بد أن يكون بما نزه به نفسه، لا بما يمكن قياسه على المخلوقين مما يزعمون أن فيه تشابها؛ فالواجب نفيه!!، ولهذا تجدهم على اختلاف مللهم ونحلهم يذكرون ما ذكره أوائلهم من حجة التنـزيه، وذلك لأنهم ظنوا التشبيه ففروا إلى النفي وصولا إلى التنـزيه!! ومطالعة واحدة لكتـاب نقض عثمان بن سعيد الدارمي علـى بشر المريسي يريـك أن شبهة المتـأخرين كابن فورك، والرازي، والجبائي، وابن عقيل، والغزالي... مأخوذة من الأول[(٣)].

١٥- أنّه يلزم من قول أهل الكلام في وجوب اتباع العقل أن إرسال الرسل وإنزال الكتب لا حاجة فيه، وأن « حقيقة الأمر على ما يقوله هؤلاء: إنكم يا معشر العباد لا تطلبوا معرفة الله، وما يستحقه من الصفات لا من الكتاب، ولا من السنة، ولا من طريق سلف الأمة، ولكن انظروا فيها وجدتموه مستحقا له من الصفات في عقولكم فصفوه به، سواء كان موجودا في الكتاب والسنة أو لم يكن، وما لم تجدوه مستحقا له في عقولكم فلا تصفوه به!! »[(٤)].

١٦- ومما يدل على وجوب الرجوع إلى الكتاب والسنة أن فيهما كثيرًا من الأدلة

---

(١) انظر: المجموع ٤/ ١٥٧، نقض المنطق ص ١٢٣.

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ١/ ٢٥، وهو من أبيات لزيد بن جندب الإيادي الخارجي.

(٣) وانظر: المجموع ٥/ ٢٣، أقاويل الثقات ص ٢٣٢، المقدمة لابن خلدون ص ٨٣١.

(٤) أقاويل الثقات ص ٢٢٨، من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ، وهو بنحوه في المجموع ٥/ ١٦وما بعدها.

العقلية الصحيحة الصريحة ذات المقدمات المسلمة والنتائج المؤكدة[١].

فإذا كان أهل التصوف لا يعتمدون على القرآن؛ فإن أهل الكلام مثلهم، وإنما اختلفت مصادرهم؛ « فمنهم من يحيل على القياس، ومنهم من يحيل على الكشف، وكل من الطريقتين: فيها من الاضطراب والاختلاف ما لا ينضبط، وليست واحدة منها تحصل المقصود بدون الطريق النبوية، والطريق النبوية تحصل الإيمان النافع في الآخرة بدون ذلك، ثم إن حصل قياس أو كشف يوافق ما أخبر به الرسول كان حسنا، مع أن القرآن، قد نبه على الطرق الاعتبارية التي بها يستدل »[٢].

وختاما، فإني أذكر بأن أهل البدع جميعا اختلفت أقوالهم في إثبات الكلام لله ﷻ، ولهذا اختلفت أقوالهم في الاحتجاج به، فلما كان قولهم في التنـزيل غير صحيح؛ كانت أقوالهم غير صحيحه؛ فهم لا يقرون بأن الموجود في المصحف هو كلام الله ﷻ حقيقة، وإنما يطلقون العبارات، تلبيسا للعامة، وقد يذكرون الآيات، ولكن ليغروا الناس أنهم يحتجون بالقرآن، وحقيقة قولهم: أنه لا كلام لله حقيقة في الأرض[٣]، ولهذا لم يحتجوا به، ولم يحفظوه، ويتبين عدم حفظهم للقرآن الكريم في المبحث التالي.

---

(١) وقد سبق أن ذكرت طرفا مما دل عليه القرآن من الأدلة العقلية في الفصل الثاني من الباب الثالث.

(٢) شرح الأصبهانية ص٢٨، وانظر: النبوات ص٧٥، المجموع ٥/ ٢٨.

(٣) انظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار للعمراني ٢/ ٣٧٤-٣٧٥.

المبحث الرابع: بيان عدم حفظهم للقرآن

كثير من أهل الكلام يشتغلون عن القرآن بما لا فائدة يعود فيها على الإنسان، بل ربما جر له الوبال والخسران. وهذا حال أهل الكلام، فهم لا يعرفون شناعة معتقداتهم، ولا يظهر لهم سوء آرائهم إلا إذا أشرفوا على الموت، وقربوا من الفوت، فيعلمون حينئذ أن الحق في اتباع الكتاب والسنة عقيدة ومنهجا، وسلوكا وعملا، ولهذا يوصون ذويهم وتلاميذهم بلزوم الكتاب والسنة، والاشتغال بهما عن طرق البدعة، يقول الرازي في وصيته: «فاعلموا أني كنت رجلا محبا للعلم فكنت أكتب في كل شيء لأقف على كميته، كيفيته، سواء كان حقا أو باطلا!!!...، **ولقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن**؛ لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلال لله، ويمنع عن التعمق في إيراد المعارضات والمناقضات، وما ذاك إلا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى في تلك المضايق العميقة والمناهج الخفية، فلهذا أقول: كل ما ثبت بالدلائل الظاهرة...، فذلك الذي أقول به. وألقى الله به، وأما ما ينتهي الأمر فيه إلى الدقة والغموض، وكل ما ورد في القرآن والصحاح، المتعين للمعنى الواحد فهو كما قال...، وأقول: **ديني متابعة الرسول محمد ﷺ، وكتابي القرآن العظيم، وتعويلي في طلب الدين عليهما**»(١). وهذا يدل على أن ما كان منهم ـ رحمهم الله ـ من اشتغال بعلم الكلام، عن علم القرآن والسنة، إنما كان ذلك إما غفلة، أو تعمقا، أو جهلا، أو تقليدا، ثم كان آخر أمر

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٨/ ٩١، وانظر: مقدمة محقق المباحث المشرقية للرازي ١/ ٥٤-٥٥، الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم لابن الوزير ٢/ ٢٤٨.

بعضهم اتباع القرآن رسما ومعنى[(١)].

وقريب من هذا ما ذكره الرازي من أبيات تدل على عدم اشتغالهم بالقرآن والسنة، وأنهم مشغولون بالكلام، فيقول:

نهايـــة إقـــدام العقـــول عقـــال وأكثـــر سعـــي العالمين ضـــلال
وأرواحانا في وحشة مـــن جسومنـا وحاصـــل دنيانـا أذى ووبـــال
ولـــم نستفـــد من بحثنا طـــول عمـــرنا سوى أن جمعنـــا فيه قيل وقالوا[(٢)]

فهذا إمام من أئمة المتكلمين يبين أنه طولَ عمرِهِ لم ينشغل بعلوم القرآن والسنة، بل بالقيل والقال، وهو حقيقة علم الكلام في الحال والمآل.

ويقول مثل ذلك صاحب نهاية الأقدام:

لقد طفت في تلك المعاهد كلهـــا وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعا كف حائـــر على ذقن أو قارعا سن نـــادم[(٣)]

فهذا كلام سلاطين أئمة المعارف العقلية، المنتسبين إلى العلوم الجدلية، وهم قد طافوا المعاهد كلها، إلا معهد الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة، وهذا إقرار منهم ببعدهم عن القرآن، وبانشغالهم عنه بكتبهم ومقالاتهم.

قال شيخ الإسلام ﷺ: «كان هؤلاء المعرضون عن الكتاب، المعارضون له سوفسطائية، منتهاهم السفسطة في العقليات، والقرمطة في السمعيات، يتأولون كلام الله وكلام رسوله بتأويلات يعلم بالاضطرار أن الله ورسوله لم يردها بكلامه، وينتهون في أدلتهم العقلية إلى ما يعلم فساده بالحس والضرورة العقلية، ثم إن فضلاؤهم يتفطنون لما بهم من ذلك؛ فيصيرون في الشك والحيرة والارتياب، وهذا منتهى كل من عارض نصوص الكتاب»[(٤)].

---

(١) انظر: المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبده وطارق عبد الحليم ص ٤١.

(٢) طبقات الشافعية ٨/ ٩٦.وانظر: مقدمة المباحث المشرقية ١/ ٢٨.

(٣) نهاية الأقدام في علم الكلام ص٣، وانظر: إيثار الحق لابن الوزير ص ١٣.

(٤) الدرء ٥/ ٢٥٦.

ومما يدل أن أهل الكلام يحفظون كتب أئمتهم، ولا يهتمون بحفظ كتاب الله ﷻ، ولا بحفظ سنة رسول الله ﷺ قلة الحديث والآثار في مصنفاتهم، وعدم تفريقهم بين ما صح عن الرسول ﷺ وما لم يصح؛ فضلا عن جهلهم بآثار السلف.

وأهل الكلام آثروا «كلام الناس وعلومهم على القرآن والسنة؛ فلولا أنه شانئ لما جاء به الرسول ﷺ ما فعل ذلك، حتى إن بعضهم لينسى القرآن بعد أن حفظه، ويشتغل بقول فلان، وفلان»[(١)].

ومما يدل على عدم حفظهم للقرآن مخالفاتهم الصريحة له، وذلك لعدم استحضارهم للآيات، وقولهم في المسائل بالعقول والتوهمات[(٢)].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «بل كثير منهم لا يحفظون القرآن أصلا؛ فمن لا يحفظ القرآن ولا يعرف معانيه، ولا يعرف الحديث ولا معانيه، من أين يكون عارفا بالحقائق المأخوذة عن الرسول!! وإذا تدبر العاقل وجد الطوائف كلها كلما كانت الطائفة إلى الله ورسوله أقرب كانت بالقرآن والحديث أعرف، وأعظم عناية. وإذا كانت عن الله وعن رسوله أبعد، كانت عنهما أنأى، حتى تجد في أئمة علماء هؤلاء من لا يميز بين القرآن وغيره، بل ربما ذكرت عنده آية؛ فقال: لا نسلم صحة الحديث، وربما قال: لقوله عليه السلام كذا، وتكون آية من كتاب الله، وقد بلغنا من ذلك عجائب، وما لم يبلغنا أكثر[(٣)]، وحدثني ثقة أنه تولى مدرسة مشهد الحسين بمصر بعض أئمة المتكلمين رجل يسمى: شمس الدين الأصبهاني شيخ الأيكي؛ فأعطوه جزءا من الربعة فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم: أَلَـمَصْ، حتى قيل له: ألف لام ميم صاد!!، فتأمل هذه الحكومة العادلة[(٤)] ليتبين لك أن الذين يعيبون أهل الحديث ويعدلون عن مذهبهم جهلة

---

(١) المجموع ١٦/ ٥٢٧.

(٢) انظر: المجموع ٤/ ١٥٦.

(٣) انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١٣١.

(٤) قال المحقق: لعل الصواب (الحكاية الغريبة)، والصواب ما أثبته، وهو الذي في المخطوط، انظر: مخطوطة نقض المنطق لوحة ٢٣٣/ ب السطر ٧، وهو كذلك في المجموع ٤/ ٩٤.

زنادقة، منافقون بلا ريب»[١].

ولما كان حال أهل الكلام تقديم العقول على النقول أنتجوا فكرا رهيبا، وأورثوا مذهبا رديئا، وهو العمل بالعقل، وبمقتضى العقل، دون النظر إلى النقل، وهذا الذي كان نواة للعقلانيين المعاصرين، والمسمين أنفسهم بالقرآنيين أيضا، وأبين حالهم في الفصل التالي.

(١) نقض المنطق ص٨٢.

الفصل السادس

منزلة القرآن الكريم عند بعض المعاصرين
(العقلانيين ومنكري السُّنَّة "القرآنيين")

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: العقلانيون.

المبحث الثاني: منكرو السنة (القرآنيّون).

المبحث الأول: العقلانيون

المطلب الأول: التعريف بالعقلانيين لغة واصطلاحا.

"العقل" لغة، النُّهية، والحجر، وهو ضد الحمق، وقيل العقل هو: العلم، وعليه اقتصر الكثيرون، وعليه فالعقل ضد الجهل، وقيل العقل هو القلب.

والعقل مشتق من العُقل وهو المنع، لمنعه صاحبه مما لا يليق، أو من الـمَعقَل وهو الملجأ، وسمي بذلك لالتجاء صاحبه إليه(١).

فالعقل في اللغة يدور معناه على منع الشيء وحبسه، ومن ذلك العقل: وهو الحابس عن ذميم القول والفعل(٢).

وأما العقلانيون في الاصطلاح:

فقد اختلف الناس في تعريف هذه المدرسة العصرية، هل المؤسس الأول هو جمال الدين الأسد آبادي(٣) أم غيره؟ وأيا كان فإن العقلانية الحديثة بدأت ونشأت في مصر، على يد جمال الدين وتلميذه محمد عبده(٤)، ثم انتشرت في الآفاق بعد التفتح

---

(١) انظر: المفردات للراغب الأصبهاني ص٣٤٥، المصباح المنير للفيومي ص٤٢٣، مختار الصحاح ص٤٤٦.

(٢) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس ص ٦٧٢.

(٣) جمال الدين بن صفدر الحسيني الأسد الآبادي، وقد اختلف المؤرخون حوله هل هو أفغاني أم إيراني، وذلك لما كان يتمتع به الرجل من دهاء وتخفٍّ، حتى قيل إنه من رجال الماسونية، وصرح بهذا بعض الكتاب. وأيا كان فهو ممن أشهرهم الاستعمار، وكان منابذا للخلافة الإسلامية في الأستانة، وقد سكن في مصر في خانة اليهود، وقيل: إنه كان رافضيا مازندرانيا متفلسفا، توفي سنة ١٨٩٧م. انظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ٣٤ وما بعدها، القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ١١٤.

(٤) محمد عبده بن حسن خير الله، تعلم في الأزهر، وتتلمذ على يد جمال الدين الأفغاني، وصار مفتيا لمصر،

الغربي على البلاد الإسلامية والغزو الفكري.

وقد اختلف الناس في تعريف "العقلانيين" بحسب اختلافهم في مشاربهم ومناهجهم، والذي يهمنا هو تعريف هؤلاء المعاصرين الذين يمجدون العقل ويعظمونه.

ويمكن تعريف العقلانيين بأنهم: الذين جعلوا العقل المصدر الأول أو الأساس للمعرفة في الدين وغيره، وجعلوه حاكما على جميع الأمور، ومن ذلك الوحي(١).

فالعقل عند هؤلاءِ الذين يسمون أنفسهم بالعقلانيين، ويسمون غيرهم بالسطحيين(٢) أساسُ كل شيء.

والعقلانيون الذين يمجدون العقل صنفان:

الصنف الأول: المتكلمون من الفلاسفة والجهمية والمعتزلة، ومن تبعهم كالرافضة في بعض طرق استدلالاتهم العقلية، وكالأشاعرة والماتريدية، ونحوهم.

الصنف الثاني: أصحاب الاتجاهات العقلية المعاصرة(٣).

فالمدرسة العقلية تسير مع اتجاه تمجيد العقل واعتماد أحكامه، سواء وافق الدين أم خالفه، فالمحكِّم في هذا الاتجاه هو العقل، وهو ناشئ من المذاهب الفلسفية والمناهج الكلامية. **وقد اختلفوا فيما بينهم لاختلاف العقل الذي يكون هو المحكِّم على الدين، ولكن يجمعهم أمر واحد، وهو تمجيد العقل، ولو خالف النص.**

= وكان الأب الروحي للمدرسة العصرية العقلية، ونبذ التقليد في كل شيء، ومجد العقل، وهو بهذا يفهم القرآن حسب رأيه وعقله، توفي سنة ١٣٢٣هـ. انظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ٣٧ وما بعدها، القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ١١٤ وما بعدها.

(١) انظر: الاتجاهات العقلانية الحديثة د.ناصر العقل ص١٥، ١٦، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص٤٠.

(٢) وهذا كقول أوائلهم من المعتزلة وغيرهم الذين كانوا يسمون أهل الحديث بالحشويين، وهؤلاء كأولئك، وإنما غيروا الاصطلاحات، حتى تنتشر مقالاتهم بين الفئات.

(٣) انظر: الاتجاهات العقلانية الحديثة د.ناصر العقل ص ١٧. وهذا التقسيم إنما هو بالنسبة إلى العهد الزمني، وإلا فإن أولئك العقلانيين هم من وضعوا نواة العقلانية الحديثة.

وأدخل هؤلاء عقولهم حتى في الأمور الغيبية التي لا تدرك بالحواس، ولا تعلم بالتجارب والشواهد والمساس.

ومن أهم رموز هذه المدرسة: المعتزلة، وغيرهم من أهل الكلام. ومن المعاصرين المدرسة المعروفة باسم مدرسة جمال الدين الأفغاني، ومن تبعه وصار على دربه، ومنهم محمد عبده، وأبو الأعلى المودودي، و... كل ذلك بحجة أن الدين شهد للعقل بالتمجيد، وشهد له بالأهمية.

والمعتزلة الذين عرفوا بتقديس العقل، وتقديمه على القرآن والسنة، بحجة الظنية قد وجدت لها وراثا، فإن أفكارها موجودة في بطون كتبهم، وتبنى هذه الأفكار فئام من الناس[١]، بل إن كثيرا من المعاصرين يتحسرون على عدم وجود مدرسة اعتزالية!![٢].

فمن العقلانيين أهل الكلام، ولهم مع القرآن شأن قد مضى ذكره. وهم أيضا لا يقبلون من الشرع إلا ما وافق عقولهم، ومن جملة ذلك الأحاديث؛ فإنهم لا يقبلون منها إلا ما وافق قواعدهم، وإلا ردّوها بحجة أنها من أخبار الآحاد، أو بالطعن في رواتها، وغير ذلك من الوسائل المستبشعة![٣].

ومما ساعد على نشر هذه المدرسة العقلية العصرية الاستعمار الإنكليزي، وتسمية العلوم التجريبية علوما دون العلوم الشرعية، مما كان سببا في تهافت الناس عليها دون العلم الشرعي، وظنهم أن العلوم الشرعية إنما هي من التراث الماضي فحسب[٤].

وكثير من المنتسبين إلى العلمانية في هذا العصر ممن يتدينون بالإسلام في الشعائر الظاهرة هم من العقلانيين، الذين يقرون بالشرع، ويقصرون في بعض النواحي لظنهم أن الشرع لم يدل عليه، كظن المتكلمين أن الشرع لم يدل على المسائل الاعتقادية بطريق القطع

---

(١) انظر: المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبده وطارق عبد الحليم ص ١٢٩، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ٥٩ وما بعدها، ص ٢٠٤، ٣٦٧.

(٢) انظر: المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبده وطارق عبد الحليم ص ١٣١ وما بعدها.

(٣) انظر: المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبده وطارق عبد الحليم ص ٨٤ وما بعدها.

(٤) انظر: كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، لعبد الرحمن حبنكة ص ١٧١.

والبرهان!!، ولهذا تجد بين أهل البدع وهؤلاء العقلانيين والحداثيين تآزر وتآلف[(١)].

والعقلانيون المعاصرون يريدون تسييس الدين وتغييره بحسب المناهج العقلية المتغيرة في هذه العصور، ولذلك تجد منهم ميلا كبيرا إلى التراث الغربي، والغض من شأن السلف، وعدم الإلتفات إليهم[(٢)].

وبحجة وجود التناقض بيع العقل والدين، فالمقدم إذًا هو العقل الذي أوصلنا إلى الدين!!! ومما يظنونه من التناقض ما هو موجود من بعض التناقضات التفسيرية لبعض النصوص القرآنية والنبوية من علماء الإسلام بحسب الاجتهادات ومراتب العلم في شرح النصوص الواردات، «مع أنه لا يوجد في الإسلام نص أو تفسير أجمع عليه علماء المسلمين، مما يخالف قضية عقلية مقطوعا بها»[(٣)]. وما وجد مما يخالف العقل فهو إما غير ثابت نصا، أو هو غير مراد شرعا، وإن فهمه بعض أهل العلم، وأما «الوحي: الذي هو منحة من الله لعباده عن طريق النبوة، فهو طريق من طرق المعرفة الصحيحة، وهو يقدم شهادة بالحقيقة عن الشيء أو الأمر الذي أخبر عنه، ومتى كان الخبر عن الوحي خبرا مقطوعا به فإنه لا يمكن بحال من الأحوال أن يتناقض مع اليقين الذي توصَّل إليه الوسائل الإنسانية الحسية أو العقلية، أو الخبرية»[(٤)].

وقد نص القرآن والسنة على أهمية العلم، فكيف يكون بينه وبينه مناقضة؟! ولكنها الأهواء والجهل بما جاء به الأنبياء، وهم يظهرون الموقف المتردد في كل ما يخالف عقولهم خصوصا السنن النبوية، وأما الآيات القرآنية فإنهم يظهرون نحوها شيئا من التعظيم، ولكنه عند الحقيقة ليس من التكريم. وهذا ما أبينه في المطلب التالي.

---

(١) انظر: قمع الدجاجلة ص١١.

(٢) انظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ٦٢، ٢١٨.

(٣) كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، لعبد الرحمن حبنكة ص ١٧٢-١٧٣.

(٤) كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، لعبد الرحمن حبنكة ص ١٧٧.

المطلب الثاني: منزلة القرآن الكريم عند العقلانيين.

إن الحقيقة التي يجب أن يعرفها كل منتسب إلى الإسلام أن الدين لا يمكن معرفته معرفة تامة إلا بالكتاب والسنة، والتفريق بينهما تفريق بين المتماثلات في الحكم، وتناقض في الظاهر، إذ هذا وحي جلي، والسنة وحي خفي، فـ «أحكام الدين كلها من القرآن والسنن، لا تخلو من أحد وجهين لا ثالث لهما: إما وحي مثبت في المصحف، وهو القرآن، وإما وحي غير مثبت في المصحف، وهو بيان رسول الله ﷺ»[(١)]، ولكن لما كان رد القرآن شنيعا، لجأت طائفة إلى رد السنة، ثم فسروا القرآن على مراداتهم، ولم يبالوا بما ورد في الآثار مما خالف إيراداتهم، بل وربما تجد منهم من يقول: إن القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع، ويعنون بذلك نبذ السنة، وفصلها عن الشريعة[(٢)].

وإن من أوائل الذين عرفوا بتقديس العقل هم الجهمية وأفراخهم من المعتزلة وغيرهم من أهل الكلام؛ فإنهم جعلوا النصوص سواء كان قرآنا أو سنة تابعين للعقل؛ فما شهد به عقولهم قبلوه، وما خالف عقولهم ردوه. وأما ما كان ثابتا بالتواتر ونحوه أولوه[(٣)]، وقد ذكرت موقف أهل الكلام من تعظيم القرآن الكريم، وأنهم لا يحتجون به في مسائل الاعتقاد[(٤)]، وإن طلبوا التحاكم إليه فذلك عندهم المقصود به الفقهيات، وهو الحال الآن في كثير من الجماعات المعاصرة المتأثرة بالفكر الاعتزالي[(٥)].

والعلمانيون من العقلانيين كثير منهم يظن أن القرآن لا يصلح أن يعمل به في أمور السياسة!! وهذا يعني فصل الدين عن الدولة، ويظنون أن العقول البشرية تدل

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ١/ ٥٥٠.

(٢) انظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ٤٣، ٧٩.

(٣) انظر: مصادر التلقي للقفاري ص١٦٠.

(٤) انظر: الفصل الخامس من هذا الباب.

(٥) انظر: الحكم بما أنزل الله لسعد الحصين ص٦.

على أفضل السياسات الدولية. وأما الشرع فهي في هذه الأمور نتاج أفكار الفقهاء، وأن الشرع لم يأت بهذه المسائل!! و« يصرح بعض العصرانيين بحقيقة دعوتهم في الحكم، وفصل الشريعة عن قضايا المجتمع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ويدعون إلى علمانية مصبوغة بمفهومهم عن الإسلام»[(١)]. يقول د. محمد عمارة: « إن للدين مفاهيم عليا، ومثلا عليا، ثم للناس أن يجددوا ويشرعوا ويطوروا حياتهم وفق المصلحة بعد ذلك!! »[(٢)]. فليحذر المسلم « من المشارع المطروقة بالآراء الفاسدة، الخارجة في المعنى على الشريعة، مذعنة بلسان حالها أن الشرع ناقص يحتاج إلى ما يتم به!! »[(٣)].

وهؤلاء العقلانيون أتوا بما يخالف صريح القرآن بحجة العصرانية، ونبذهم للسنن النبوية، وهم في الظاهر يدعون أنهم معظمون للقرآن، ولكن يظهر من خلال هذا المطلب أنهم غير معظمين له؛ **ويدل على عدم تعظيمهم للقرآن الكريم ـ وإن ادعوا تعظيمه ـ أمور منها:**

١ - أن المسلمين وإلى العهد الحديث كانوا معظمين من حيث المدارس والمناهج للقرآن والسنة، أعني المنتسبين إلى السنة ـ بالمعنى العام ـ، حتى جاء هذا العصر وظهر فيه الأفكار الجديدة، ومن اعتقادات هذه المدرسة إنكار الجن والملائكة والشيطان!! وهذه كلها ثابتة بالقرآن الكريم فكيف يكون هؤلاء إذا معظمين للقرآن الكريم!!؟ بل إن هذه الأمور معلومة من الدين بالضرورة، وثبتت بها السنة المتواترة والإجماع[(٤)].

٢ - أنه قد ثبتت المعجزات للأنبياء، في عدة آيات من كتاب الله ﷻ، وهؤلاء العقلانيون بل والمنتسبين إلى العلم الشرعي قد ارتكزت فكرة إنكار معجزات الأنبياء

(١) العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ٢٧٩، ٢٨١، وذكر بعض هؤلاء، ومنهم: د/ حسن حنفي، و د.محمد عمارة، و محمد سعيد العشماوي.

(٢) المعتزلة وأصول الحكم له ص٢٩٥ نقلا عن كتاب: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ٢٨٠.

(٣) صيد الخاطر لابن الجوزي ص٦٠.

(٤) انظر: موقف العقل والعلم والعالم ١/ ٣٤٦.

في قلوبهم، وفيهم من تولى المشيخة... حتى شجع هذا الاستخفاف الموروث بنصوص الكتاب والسنة بعضا منهم على إنكار رفع عيسى إلى السماء، المنصوص عليه في القرآن ونزوله في آخر الزمان، المذكور في ستين حديثا، رواها ثلاثون صحابيا...[١]. كما شجعت مقررات بعضهم في المغيبات إلى نفي وجود الشيطان... وأصبح إنكار الخوارق عادة مألوفة في مصر عند المتعلمين بعد انتشار مبادئ العقلانية الاعتزالية، واعتبارها فيما بينهم، حتى إن معجزة القرآن الخارقة لسنة الكون، ولو بالنظر إلى نزوله من عند الله بواسطة الملك ينكرونها أيضا، أو يلزمهم ويفهم من أقوالهم إنكارها![٢].

٣- **أن العقلانيين سواء الأوائل منهم أو الأواخر لا يعظمون القرآن الكريم،** يقول محمد عبده: «اتفق أهل الملة الإسلامية، إلا قليلا ممن لا ينظر إليه، على أنه إذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل، وبقي في النقل طريقان: **طريق التسليم** بصحة المنقول مع الاعتراف بالعجز عن فهمه. **الثانية**: تأويل النقل مع المحافظة على قوانين اللغة، حتى يتفق معناه مع ما أثبته العقل»[٣]. فأي تعظيم للقرآن عند هؤلاء إذا كان يعمل فيه بمعوّلين للهدم: إما التفويض، وأنه طلسم لا يعرف معناه، أو التأويل حتى يوافق العقل ـ أعني عقولهم السقيمة ـ!!!.

٤ - **منافاة أقوالهم الصريحة للقرآن الكريم،** ومن ذلك قولهم ببدائية الإنسان، وأنه كان عابدا للأوثان، مع أن النصوص صريحة بأن أبانا آدم عليه السلام كان نبيا، وكان موحدا[٤]، فيقولون: إن من يريد أن «يبحث في الأديان البدائية ليثبت أن الأولين قد عرفوا الحقيقة الكونية الكاملة منزهة عن السخف والغباءة، إنما يبحث عن محال!!»[٥].

---

(١) انظر: كتاب قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عليه السلام وقتله إياه للشيخ الألباني.

(٢) انظر: موقف العقل والعلم والعالم ١/ ٣٤٨.

(٣) الأعمال الكاملة ٣/ ٢٨٢ جمع وتحقيق د. محمد عمارة، نقلا عن كتاب: المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبده وطارق عبد الحليم ص ١٣١.

(٤) انظر: الاتجاهات العقلانية الحديثة د.ناصر العقل ص ١١٥ وما بعدها.

(٥) الله ـ للعقاد ص١٤.

٥- **إنكارهم لكثير من المغيبات**، مع أنها واردة في القرآن الكريم، وإنما يحاولون تحريفها لتواكب ما هم بصدده من العقلانية التي لا تؤمن بما وراء العقل مما يقوم على التجارب ونحوه!![1]. وهذه الأفكار التي نبغت ووجهت بالإنكار الشديد، فما كان من أصحابها إلا أن أظهروا الهزيمة، ولكنهم بدؤوا بالتشكيك فيها عن طريق التأويل ـ كأساتذتهم أهل الكلام ـ «تأويلا يبعدها عن ظاهر النص؛ فوصفوا بعض القضايا الغيبية برموز وأوصاف هي إلى الإنكار أقرب منها إلى الإثبات، أمثال الشيخ محمد عبده، والدكتور محمد حسين هيكل، والدكتور أحمد أمين...، وغيرهم...؛ فحرفوا ورَدُّوا صريح القرآن، أو صحيح السنة، حتى زعم بعض العلماء المنسوبين للأزهر والدراسات الشرعية أن السنة لا يحتج بها في العقيدة، وإن صحت!!»[2].

٦- **تحريفهم القرآن وتفسيرها تفسيرا ماديا بحتا**، «وكما يخاف أعداء الإسلام من الإسلام، كذلك نجد كثيرين من العقلانيين يخافون من العمل بالسنة، ومن السلفية؛ فللعقلية الحديثة تجاه الوحي عموما تأويلات عدة، تدور كلها على تفسيره تفسيرا ماديا وبشريا، لا يعدو كونه نشاطا من الأنشطة الإنسانية الفردية، وأنه جاء نتيجة تأثيرات روحانية أو قوى عقلية!!...، والعقلية الحديثة أكثر جرأة من القديمة، فالقديمة إنما حاولت التأويل والتحريف والتعطيل لنصوص الوحي دون أن تتجرأ على إنكار نسبته إلى الله...، أما العقلية الحديثة فقد حاولت إنكار نسبة الوحي إلى الله تعالى، أو التشكيك فيه، وإثارة الشبهات حوله»[3]، وهذا الخلل وقع منهم ومن

---

(١) انظر: موقف العقل والعلم والعالم لمصطفى صبري ١/ ١٨٧. الاتجاهات العقلانية الحديثة د.ناصر العقل ص ١٢٣ وما بعدها.

(٢) الاتجاهات العقلانية الحديثة د.ناصر العقل ص١٢٧، وانظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ٣٩، ١٣٣، حراسة العقيدة د.ناصر العقل ص٢١.

(٣) الاتجاهات العقلانية الحديثة د.ناصر العقل ص ١٥٨ ـ ١٥٩، وانظر منه ص٣٦١، وانظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ٤٥، وانظر: موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوي دراسة نقدية لـ"مسلك الاعتدال" للشيخ المودودي، ودفاع الشيخ الإصلاحي عنه، للعلامة محمد إسماعيل السلفي، تعريب وتقديم وتعليق: صلاح الدين مقبول أحمد؛ فإنه كتاب مهم حول رأي هؤلاء المعاصرين الجدد في القارة الهندية من السنة النبوية المخالفة لأذهانهم الردية.

غيرهم في التفسير بسبب الخلل في تلقي العلم الشرعي القائم على الكتاب والسنة، وفهم سلف الأمة[١].

٧- **زعم بعضهم أنه يمكن إلغاء بعض ما جاء به الشرع بحجة أنه لا يوافق المدنية العصرية!!** وزعموا أن القرآن جاء إنما ليعالج بعض ما كان سائدا، وقد اندثر. وإذا تقدم العلم وتطور فلم يعد القرآن الكريم صالحا للتطبيق في جميع مجالاته!![٢] يقول أحد المعاصرين العقلانيين: «من الحقائق التي يجب التسليم بها أن القرآن الشريف يجب أن يعاد النظر في فهم تعاليمه وتطبيقها من عصر إلى عصر!، بل من جيل إلى جيل! وعلى هذا لا بد من ظهور تفاسير جديدة متمشية مع روح العصر، وتقدم العلم، يؤلفها المطلعون الواعون من المفكرين»[٣]. يقول د.محمد عمارة: «إن الإسلام الدين لم يعترف لبشر بعد الرسول ﷺ بسلطة دينية؛ فلقد انقضى زمن الوحي!! وبلغت الإنسانية سن الرشد، وأوكلها الله إلى وكيله عنها: الكتاب وهو القرآن الكريم، والعقل الذي جعله الله من أجل القوى الإنسانية، بل أجلها على الإطلاق»[٤]. ويقول: «إن كون الشريعة الإسلامية هي خاتمة الشرائع السماوية للبشرية، إنما يعني بلوغ البشرية سن الرشد، بما يعنيه الرشد من رفع وصاية السماء عن البشر!!»[٥]؛ فعلى هذا يفعل العقلاء ما يشاؤون ما دامت الوصاية قد رفعت عنهم لبلوغهم سن الرشد!!؛ فأي تعظيم يكون بعد ذلك للقرآن الكريم، والشرع القويم!؟.

٨- **فصلهم الدين عن الدولة**، وكثير من العقلانيين المعاصرين يرون أنه لا بد

---

(١) انظر: قضايا عقدية معاصرة ص٣٢.

(٢) انظر: الاتجاهات العقلانية الحديثة د.ناصر العقل ص ١٦٠، وانظر منه ص٣٦٤.

(٣) ثورة الإسلام لأحمد زكي ص٣٥.

(٤) الدولة الإسلامية محمد عمارة ص١٧٧، نقلا عن كتاب: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ٢٠٥.

(٥) الإسلام وقضايا العصر له ص١٥، نقلا عن كتاب: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ٢٠٥.

من فصل الدين عن الدولة، وأن الدين لا يتعدى المحراب[١]. ويقولون: دع ما لله لله، وما لقيصر لقيصر!! وهذه مقولة علمانية نصرانية جاهلية أراد المتعقلانيون تطبيقها مع الدين الإسلامي؛ فأي تعظيم يتصور منهم بعد هذا للقرآن الكريم؟؟!.

٩- **تركهم السنة**، بل وطعن شيوخهم المعتزلة في الناقلين لها من الصحابة والأئمة ومن بعدهم، بحجة أنهم بشر[٢]. ثم بعد ذلك يفهمون الشرع كما يريدون، وهؤلاء كأولئك، وزادوا أن عصرنا تغير عن عصرهم!! فالعقلانيون تكلموا على بعض الصحابة وعلى وجه الخصوص في حافظ الأمة وعالمها أبي هريرة ﷺ، مع أن السنة هي المصدر المبين للقرآن الكريم ومصدر أساس من مصادر الشريعة الإسلامية، والصحابة ﷺ هم الذين بلغوا لنا الدين[٣].

١٠- **ظن كثير من العقلانيين ـ كأشياخهم من الفلاسفة ـ أن القرآن إنما جاء بالتخييل**[٤]. ولهذا تجد منهم من يؤلف حول القرآن وأن ما جاء به هو من باب التصوير والتخييل، ويقدم رسالة "دكتوراة" بعنوان: "الفن القصصي في القرآن الكريم"[٥]. وهو يرى في هذه الرسالة أمورا هي من الكفر الصريح أقرب، إذ يقول: «القصة القرآنية هي من باب التمثيل وهو ضرب من فنون البيان العربي، يعتمد على الواقع، وعلى العرف والخيال، فلا يلزم في الأشخاص أن يكونوا وجدوا، ولا في الحوار أن يكون قد صدر!!، وإنما يكتفي... بالفرض والخيال...، ،وفيها اللون الأسطوري!! إذ المقصود حقا هو ما في القصة من توجيهات دينية وخلقية!!»[٦].

---

(١) انظر: الاتجاهات العقلانية الحديثة د.ناصر العقل ص ٣٩١ وما بعدها.

(٢) انظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ١٧.

(٣) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٠٧، البرهان في تبرئة أبي هريرة من البهتان لعبد الله بن عبد العزيز الناصر، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ٢٢ وما بعدها، ١٣٦.

(٤) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ١٣٠-١٣٢.

(٥) وهذه الرسالة لمحمد أحمد خلف الله، أطروحة دكتوراة، إشراف أمين الخولي، قدّمت في القاهرة، جمهورية مصر العربية.

(٦) الفن القصصي في القرآن ص١٥٣، ١٧١، بتصرف، نقلا عن كتاب: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص١٥٨.

وقريب من هذا قول سيد قطب في رسالته المسماة بـ "التصوير الفني في القرآن"[(١)].

١١- **رجوع هؤلاء العقلانيين إلى الكفار** في وضع مناهجهم الدراسية والاقتصادية، وفي علاقاتهم الدولية والسياسات. وهذا أكبر دليل على أنهم لم يعظموا القرآن الكريم، بل هو دليل على اعتقاد هؤلاء أن القرآن الكريم لم يأت بالهداية الكاملة، المنشودة للأمة العاملة.

١٢- **ومما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن الكريم، ما خرجوا به من الآراء الفاسدة في الدين**، فكثير من العقلانيين في هذه العصور أنكروا أحكاما من الدين هي معلومة من الدين بالضرورة بحجة عدم ثبوتها في القرآن الكريم؛ ولذلك تجدهم يأتون بأحكام هي عن الشريعة قصية، ومن البدع الغوية. وهذا يدل أنهم حقيقة ليسوا معظمين للقرآن الكريم، **ومن ذلك**: أ ـ تجويزهم للربا إذا كان يسيرا[(٢)]، وذلك نظرا إلى آية واحدة من كتاب الله ﷻ وترك ما عدا ذلك من الآيات، وعدم الالتفات إلى الأحاديث المتواترات في الربا وتحريمه كثيرا كان أم قليلا. ب ـ رفض عقوبة الرجم للزاني المحصن[(٣)]، وذلك بحجة عدم ثبوتها في القرآن الكريم؛ مع أنه من الأحاديث المتواترة في الدين. ت ـ إنكارهم المعجزات، بل أنكروا حتى ما ثبت في القرآن الكريم وقالوا: إن المراد بها كيت وكيت، ويذكر محمد عبده في قصة إهلاك أصحاب الفيل أنهم ماتوا بالجدري، أو الحصبة!![(٤)]، وقريب من هذا التفسير ما سطره المودودي في كتابه "تفهيم القرآن" وهو تفسير بالأردية، حيث زعم أن يأجوج ومأجوج قد يكونون نوع جراثيم!! ث ـ والقرآن الكريم صريح في تجويز زواج الرجل لأربع نسوة إلا أن هناك من يقيد هذا، ولا يراه مع أنه لا يقبل الحديث، ويقول: إنه يقبل القرآن

---

(١) انظر: موقف العقل والعلم والعالم لمصطفى صبري ١/ ٣٢٢، وكتاب نظرات في كتاب التصوير الفني في القرآن الكريم لسيد قطب، تأليف الشيخ د. ربيع بن هادي المدخلي.

(٢) انظر: المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبده وطارق عبد الحليم ص ١٣٦.

(٣) انظر: المصدر نفسه ص١٣٦.

(٤) انظر: المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبده وطارق عبد الحليم ص ١٣٧.

الكريم، لكنها الأهواء!![(١)].

١٣- أن هؤلاء العقلانيين مع قولهم بأنهم يريدون القرآن فقط، إلا أنهم غير معظمين له، فتجد منهم من يعظم الاشتراكية، ويسميها الاشتراكية الإسلامية!! ومنهم من يمجد الديمقراطية ويظنها من التمدن والاستقلالية، وهم ظنوا أن القرآن غير مشتمل للهدى الكامل ـ لعلمهم القاصر فيه ـ ولهذا أعرضوا عنه، أو تركوا ما في القرآن قصدا وإعجابا للتمدن الغربي.

ومعلوم أن القرآن يشتمل على ما فيه سعادة الدنيا والدين، وأنه يجب أن يكون حاكما في دنيا المسلمين ودينهم، والأدلة على ذلك كثيرة، ومنها:

١- قول الله ﷻ: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[النحل:٨٩]، ولا شك أن القرآن مشتمل لسعادة الدنيا والدين، وبين فيه ذلك، ومن جملة ذلك بيانه في الأخذ بالسنة، إذ هي المبينة له، والمفسرة له[(٢)].

٢- قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾[الأنعام:٣٨] فإذا أخبرنا عن الدواب والطير في هذا الكتاب، وأنها أمم مثلنا؛ فكيف يترك ما فيه سعادة الدنيا والدين، ولهذا قال: «ما فرطنا»، أي لم يقع التفريط في البيان، والتقصير في هداية القرآن، قال الشافعي رحمه الله: «وليست تنزل بأحد في الدين نازلة إلا وفي كتاب الله تعالى الدليل على سبيل الهدى فيها»[(٣)].

٣- أكد العلماء ـ رحمهم الله ـ أن من كان عالما بالكتاب والسنة فإنه غير محتاج إلى شيء آخر وهذا يدل على كمالهما، وشمولهما لخيري الدنيا والأخرى. قال ابن الأعرابي: «لو أن رجلا لم يكن عنده من العلم إلا المصحف الذي فيه كتاب الله، ثم هذا الكتاب ـ

(١) انظر: المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبده وطارق عبد الحليم ص ١٣٨
(٢) انظر: الفصل الثاني من الباب الثالث.
(٣) قواطع الأدلة ١/ ٣٢.

يعني سنن أبي داود ـ لم يحتج إلى شيء من العلم البتة»[١]. فإذا كان الكتاب مع سنن أبي دواد يغني ـ أي في أغلب الشرع ـ فكيف لو كان مع الرجل الكتاب والسنة بأجمعهما؟.

وبهذا يتبين أن القرآن الكريم مشتمل على سعادة الدنيا والدين، ولكن العقلانيين لم يعظموه حق التعظيم، ولم يفهموه حق الفهم، فجهلوا مراميه، وأبلسوا عن معانيه.

ولما كان هؤلاء العقلانيون معظمين للعقل، منكرين لكثير من السنن؛ فإنهم بهذا قد بذروا بذورا؛ فنتج عن ذلك تولد الفرقة المشهورة بـ "القرآنيين"، وعنهم الحديث في المبحث التالي.

---

(١) السير ١٧/ ٢٦.

المبحث الثاني: منكرو السنة (القرآنيّون)

المطلب الأول: التعريف بهم:

إن كثيرا من الفرق الإسلامية المبتدعة يصح أن يقال عنها: إنها كانت نواة للقرآنيين، فالرافضة بل والشيعة بجميع فرقها لا تقبل من السنة التي رويت عن طريق الصحابة ﷺ، حتى ما في الصحيحين. وهكذا الخوارج، والموجودون منهم في هذا العصر على وجه الخصوص "الإباضية" لا يقبلون ما صح عند أهل السنة من الأحاديث، وهكذا المعتزلة لا يقبلون من السنة إلا ما وافق مذهبهم، وظنوه مؤكدا لمنهجهم[1].

فنبذ السنة وإظهار تعظيم القرآن الكريم فقط دعوات ظهرت في بعض الأوقات، تقل وتكثر بحسب ضعف وقوة أهل السنة، وأنكر «كثير من أهل البدع والكلام، والفلسفة لما يعلمه أهل الحديث من الآثار النبوية؛ فإن هؤلاء يقولون: إنها غير معلومة لنا، كما يقول من يقول من الكفار: إن معجزات الأنبياء غير معلومة لنا!! وهذا لكونهم لم يعلموا السبب الموجب للعلم بذلك، والحجة قائمة عليهم سواء تواترت عندهم أم لا»[2].

والخوارج أول من «ابتدعوا ترك العمل بالسنة المخالفة في زعمهم للقرآن»[3]. وهؤلاء الخوارج وإن كانوا في الظاهر معظمين للقرآن لكنهم في الحقيقة غير معظمين

---

(١) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ٧٨، ٨٢، ٨٨.

(٢) المجموع ٩/ ١٠٤.

(٣) الرد على البكري ٢/ ٤٨٧، وانظر: المجموع ٣/ ٣٥٥.

له؛ وذلك لأنهم يفهمونه مجردا عن بيان السنة النبوية، وبسبب هذا ضل الخوارج، و« صاروا يتبعون المتشابه من القرآن؛ فيتأولونه على غير معرفة بمعناه، ولا رسوخ في العلم، ولا اتباع للسنة، ولا مراجعة لجماعة المسلمين، الذين يفهمون القرآن »(١).

وإذا كان الخوارج مظهرين لتعظيم القرآن، إلا أن موقفهم من السنة النبوية جلية، إذ يردون ما يظنونه مخالفا لصريح القرآن!! « فهم لا يرون اتباع السنة التي يظنون أنها تخالف القرآن، كالرجم، ونصاب السرقة، وغير ذلك؛ فضلوا... »(٢)، بل صرح البغدادي بأنهم « ردوا جميع السنن التي رواها نقلة الأخبار: لقولهم بتكفير ناقليها »(٣).

فدعوة الاكتفاء بالقرآن دون السنة ليست وليدة اليوم(٤)، فهذا رجل من الجهمية في مناظرة الإمام أحمد رحمه الله يقول منكرا على الإمام أحمد: « أراك تنتحل الحديث وتذكره؟؟ قال الإمام أحمد فقلت له: ما تقول في قول الله: جل جلاله ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾[النساء:١١] فقال: خص الله جل جلاله بها المؤمنين. قال: فقلت له: ما تقول إن كان قاتلا، أو عبدا، أو يهوديا، أو نصرانيا؟؟ فسكت »(٥). فالرجل أراد الاحتجاج بالقرآن فقط، فعلمه الإمام أحمد رحمه الله أنه لا يمكن معرفة أحكام القرآن مطلقا بدون السنة، فما ذكره في الآية دليل على ذلك، لأن الآية عامة يدخل تحتها كل هذه الأصناف فيرثون من حيث العموم! ومعلوم عند الخاصة والعامة أن الكافر لا يرث المسلم، وأن القاتل والعبد لا يرثون.

وإن منكري السنة لم يظهروا كمدرسة هكذا فجأة، وإنما هي ميلاد اجتماع وأخلاط لآراء العقلانيين، الذين ظنوا المخالفة بين العقل والشرع المبين، وحاولوا إبعاد النصوص عن ميادين الدنيا والدين، ومن ذلك القرآن الكريم، ولما كان متواترا

---

(١) المجموع ١٣/ ٢١٠.

(٢) المجموع ١٣/ ٢٠٨.

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٥٢.

(٤) انظر: المجموع ١٩/ ٨٦، ٨٩.

(٥) محنة الإمام أحمد للمقدسي ص٩٢، وانظر منه: ص٩٩.

ثبوته، وأن رده كفر صريح، فإنهم زعموا أنهم يعتمدون عليه، وذلك حتى يفسروا آياته حسب مشتهياتهم ومراداتهم، فتركوا لذلك السنة. وهذه فكرة عقلانية قديمة أصبحت ظاهرة في هذا العصر في كثير من العقلانيين إن لم يكن في كلهم.

وإن ولادة الطائفة المنتسبة إلى القرآن لم تأت إلا نتيجة ولادة طبيعية للدعوات العقلانية، ونبذ السنن النبوية منذ عهد المعتزلة الغوية وحتى ظهور المدرسة العقلية الحديثة، خصوصا في القارة الهندية بعد ظهور حركة سيد أحمد خان العقلية[(١)].

وأما ظهور دعوة باسم "القرآنيين" أو "أهل الذكر والقرآن" فإنما كان على يد محب الحق العظيم آبادي[(٢)]، وعبد الله جَكروالي[(٣)]، وكان ظهورهما في زمن متقارب، ومعينهما منبع واحد متحد، وهو الأخذ عن العقلانيين، والإعجاب بالغربيين، غير أن الأول لم يخالف المسلمين في أعمالهم الظاهرة، والثاني خالف المسلمين حتى في الأعمال الظاهرة، بحجة أن القرآن لم يدل عليه، وهكذا بدأت الدعوة، وزادت الشقة[(٤)]، وبعدت عن المحجة، وإن البدع تبدأ صغارا فتعود كبارا.

وممّا كان له الدور البارز في إظهار هذه الفرقة وتربيتها المستعمر الإنكليزي، حيث كان أحمد خان يدعو إلى إلغاء الجهاد وهكذا العقلانيون السائرون على دربه، وهكذا كان شأن مؤسسي جماعة "القرآنيين"[(٥)].

---

(١) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص١٩، ٢١.

(٢) وقد ظهرت دعوته في بهار شرقي الهند.

(٣) وقد ظهرت دعوته في غربي الهند بلاهور قبل أن تقسم القارة الهندية، وهو: عبد الله بن عبد الله الجكرالوي نزيل لاهور، أنكر السنة بالكلية، تربى في أسرة علمية ـ صوفية ـ، وأخذ العلم في دلهي، وتتلمذ على أهل الحديث، ثم انتكس بعد ذلك وأصبح صاحب دعوة بدعية جديدة، وكان مناظرا جدليا، وله "تفسير القرآن بآيات الفرقان" و"ترجمة القرآن بآيات الفرقان"، وكتب أخرى، وكلها بالأردية، حشاها بالفكر المبتدع، والتأويل المخترع، وبعد نشر بدعياته، كفره كثير من علماء الهند، عام ١٩٠٢م، توفي بعد مرض ألم به سنة ١٩١٤م. انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ٢٥-٣٢.

(٤) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ٢٠-٢١.

(٥) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ٢٣.

ومن أسباب ظهور هذه الفرقة اغترار كثير من شباب المسلمين بالحضارة الغربية المدنية، واعتقاد أن سبب تخلفهم هو الإسلام!! فأرادوا الانفلات منه فلم يروا طريقة إلا ترك السنة، وفهم القرآن على ما يريدون، وعلى ما يوافق الحضارة الغربية!![١].

قال شاعر أهل السنة محذرا منهم ومن طريقتهم:

هذا وبعض المسلمين أعرضوا ... عن ربهم وحكمه وافترضوا

قانون ماركس لهم نظاما ... واتهموا لذلك الإسلاما

قالوا: تأخر كذا رجعيه ... كذاك قالوا بنج إقطاعية[٢]

ومن تلكم الأسباب سعيهم وراء اتفاق المسلمين، وظنهم البليد أن السنة هي العائقة أمام ذلك؛ فرأوا طرحها. والتمسك بالقرآن!![٣] مع أن التمسك بالكتاب والسنة على فهم سلف الأمة صمام الأمان من الفرقة والاختلاف[٤]. وكذلك ظهر فكر الخوارج في العصر الحديث وذلك بتمويل من الخارج؛ فهم لا يقيمون للسنة وزنا، ويفهمون القرآن بحسب فهومهم القاصرة[٥].

و"القرآنيين" فرق مختلفة، وهم في القارة الهندية منتشرة، ولا يظهرون بما يخالف مظهر المسلمين في أحايين كثيرة، ولكن أفكارهم تنتشر، وصحفهم تطبع، وأقوالهم تدرس في مدارسهم[٦]. وإن كانت الفكرة نفسها موجودة عند أفراد من العرب خصوصا في مصر؛ ولكنها ـ ولله الحمد ـ لم يتكون منها مدرسة مشتهرة[٧].

وإنكار السنة النبوية، والتفريق بين ما ثبت عن الرسول ﷺ وما ثبت عن الله ﷻ

---

(١) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ٢٣.

(٢) صيحة حق في صماخ الباطل للشيخ أحمد بن يحيى النجمي ص٩.

(٣) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ٢٤، ٢٣٨.

(٤) انظر: قضايا عقدية معاصرة ص٤٦.

(٥) انظر: الخوارج والفكر المتجدد ص٣٧.

(٦) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ٥٧ وما بعدها.

(٧) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ١٥٣ وما بعدها، ٢٠٣.

تفريق بين المتماثلات، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴾[النساء:١٥٠-١٥١].

وحذر من هذا التفريق بين الوحيين رسولُ الله ﷺ إذ قال: [**يوشك الرجل متكئا على أريكته، يحدَّث بحديثي؛ فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله ﷻ، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا وإن ما حرم رسول الله ﷺ مثلُ ما حرم الله**][(١)]. قال الخطابي رحمه الله: «يحذر بذلك مخالفة السنن التي سنها رسول الله ﷺ مما ليس له في القرآن ذكر، على ما ذهب إليه الخوارج والروافض؛ فإنهم تعلقوا بظاهر القرآن، و تركوا السنن التي قد ضمنت بيان الكتاب؛ فتحيروا وضلوا»[(٢)].

ومنكرو السنة أعظم دعواهم وأشهر مقالاتهم إنكار السنة وردها، ودعوى جحود السنة باطلة من أوجه كثيرة، ومنها:

١- لأن من لوازم الإيمان بالرسول قبول ما جاء به، كما قال ﷻ: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾[الأعراف:١٥٨] قال الشافعي رحمه الله: «فجعل كمال ابتداء الإيمان الذي ما سواه تبع له: الإيمان بالله ثم برسوله»[(٣)].

٢- تنصيص آيات كثيرة على وجوب طاعة الرسول ﷺ[(٤)]. ومن ذلك قوله

---

(١) رواه أبو داود، في كتاب السنة، باب/ في لزوم السنة، ح(٤٦٠٥)، والترمذي في كتاب العلم، باب/ ما نهي عنه أن يقال: حديث النبي ﷺ، ح(٢٦٦٤) وقال: حديث حسن، و ابن ماجة في المقدمة، باب/ تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه ح(١٢) من رواية المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه، وقال الشيخ الألباني عن سند أبي داود: صحيح، كما في تعليقه على المشكاة ١/ ٥٨ ح(١٦٣).

(٢) معالم السنن للخطابي ٣/ ٢٩٨، وانظر: حجة الله البالغة للدهلوي ١/ ١٤.

(٣) الرسالة ص ٧٥ فقرة: ٢٣٩.

(٤) انظر: الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ١/ ٥١٨، المجموع ١/ ٦٧-٦٨.

تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[المائدة:٩٢] وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[الحشر:٧] **قال الحافظ ابن كثير** رحمه الله: «أي مهما أمركم به فافعلوا، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه؛ فإنه يأمر بخير، وإنما ينهى عن شر»[(١)]. والآيات القرآنية كثيرة في الحثّ على طاعة الرسول ﷺ، وتصديقه، واتباعه، والعمل بالائتساء به. وقد بلغت هذه الآيات التي فيها التصريح بوجوب طاعته ﷺ أكثر من ثلاثين آية[(٢)]، **قال ابن حزم** رحمه الله: «وأما تكرار الأمر بطاعة رسوله بعد أمره بطاعة نفسه... وإن كل ذلك ليس فيه إلا طاعة ما أمر الله به فقط، لا ما لم يأت به الوحي منه جل جلاله؛ فوجه ذلك واضح وهو بيان زائد، لولا مجيئه لالتبس على بعض الناس فهم ذلك الأمر، وذلك أنه لو لم يأمرنا الله تعالى إلا على الأمر بطاعته فقط، **لتوهم بعض الجهال أنه لا يلزمنا إلا ما قاله تعالى في القرآن فقط، وأنه لا يلزمنا طاعة رسوله ﷺ فيما جاءنا به مما ليس في نص القرآن، فلما أمر تعالى مع طاعته بطاعة رسوله ﷺ ليظهر البيان، ولم يمكن أن يمنع من طاعة رسول الله ﷺ فيما أمرنا إلا معاند له**»[(٣)].

٣- أنه ﷺ لا ينطق عن الهوى بنص القرآن، قال الله جل جلاله: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾. فما يقوله ﷺ إنما هو وحي، وإن لم يكن قرآنا فإنه ﷺ لا يتكلم من عند نفسه، لأنه رسول أمين، والرسول الأمين يبلغ كما قيل له، فوجوب الطاعة لما جاء به ﷺ كوجوب الطاعة لما جاء في القرآن ولا فرق[(٤)]، وقوله ﷺ وفعله، وأمره ونهيه وحي، فوجب اتباعه ﷺ.

٤- **حجية السنة ثابتة في أحاديث كثيرة** تبلغ حد التواتر المعنوي. ومن ذلك قوله ﷺ: [**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله، وسنتي**]، وقوله:

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٣٣٦.

(٢) انظر: المجموع ١/ ٦٧.

(٣) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ١/ ٥٤٢.

(٤) انظر: الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ١/ ٥١٨، وانظر: المستصفى للغزالي ص١٠٣.

[ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه]، وقوله: [عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور]، ونحوها من الأحاديث التي ترغب بالعمل بالسنة، وتحذر من تركها. وقد بين النبي ﷺ أنه أوتي مثل القرآن، كما قال: [ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه][(١)]، قال حسان بن عطية رحمه الله: «كان جبريل ينزل على النبي ﷺ بالسنة كما ينزل بالقرآن فيعلمه إياها كما يعلمه القرآن»[(٢)].

٥- إجماع الأمة على العمل بالسنة: قال عمر رضي الله عنه عن الحجر الأسود: [والله إني لأقبلك، وإني لأعلم أنك حجر، وأنك لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبلك ما قبلتك][(٣)]، وإنكار ابن مسعود رضي الله عنه على المرأة في قصة الواشمة والمستوشمة[(٤)]، وقد أنكرت عائشة على التي قالت: ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة[(٥)]. ويدل لهذا اعتناء الأمة بميراث النبوة، مما كتب وجمع وتُعب في تمييز الأحاديث، وتدوين دواوين الكتب المهمة، التي اشتملت على أعمال وأقوال الرسول للأمة، قال الشيخ ابن باز رحمه الله: «أجمع العلماء قديما وحديثا على أن الأصول المعتبرة في إثبات الأحكام، وبيان الحلال والحرام في كتاب الله العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ثم سنة رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، ثم إجماع علماء الأمة»[(٦)].

٦- حاجة الشرع إلى السنة النبوية والآثار المصطفوية، قال الإمام الآجري رحمه الله: «ينبغي لأهل العلم والعقل إذا سمعوا قائلا يقول: قال رسول الله ﷺ في شيء

---

(١) سبق تخريج الحديث، بلفظ: "ألا وإني..." ص٣٠٠.

(٢) المجموع ٣/ ٣٦٦.

(٣) رواه مسلم، كتاب الحج، باب/ استحباب تقبيل الحجر الأسود، ح(١٢٧٠) عن ابن عمر رضي الله عنه.

(٤) الحديث رواه البخاري ومسلم، وانظر: الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٦٨، عون المعبود ١١/ ١٥١.

(٥) انظر: صحيح الإمام البخاري، كتاب الحيض، باب/ لا تقضي الحائض الصلاة، ح(٣٢١)، ومسلم، كتاب الحيض، باب/ وجوب قضاء الصوم على الحائض دون الصلاة، ح(٣٣٥).

(٦) فتاوى وتنبيهات للشيخ ابن باز ص٥٧١، وطبع هذا في رسالة مستقلة بعنوان: وجوب العمل بسنة الرسول ﷺ وكفر من أنكرها. وانظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار للعمراني ١/ ١٠٥، فتاوى الدين الخالص ٢/ ٩٨.

قد ثبت عند العلماء؛ فعارض إنسان جاهل؛ فقال: لا أقبل إلا ما كان في كتاب الله تعالى، قيل: أنت رجل سوء، وأنت ممن يحذرناك النبي ﷺ، وحذر منك العلماء، وقيل له: يا جاهل: إن الله أنزل فرائضه جملة، وأمر نبيه ﷺ أن يبين للناس ما أنزل إليهم...، وقيل لهذا المعارض لسنن رسول الله ﷺ: يا جاهل... أين تجد في كتاب الله تعالى أن الفجر ركعتان، وأن الظهر أربع، والعصر أربع، والمغرب ثلاث، وأن العشاء الآخرة أربع؟ أين تجد أحكام الصلاة ومواقيتها، وما يصلحها وما يبطلها إلا من سنن النبي ﷺ؟ ومثله الزكاة...، وكذلك جميع فرائض الله التي فرضها الله في كتابه، لا يعلم الحكم فيها إلا بسنن رسول الله ﷺ. هذا قول المسلمين، من قال غير هذا خرج عن ملة الإسلام، نعوذ بالله من الضلالة بعد الهدى»[(١)].

٧- **حاجة القرآن إلى الأحاديث**: لبيان مجمله، وتفصيل مبهمه، وتعيين مقاصده، فالسنة على كثرتها وكثرة مسائلها إنما هي بيان للكتاب[(٢)]. قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[النحل:٤٤]، فسنة رسول الله ﷺ تفسر القرآن وتبينه، وتعبر عن مرامه[(٣)].

٨- **أن السلف أنكروا على من اعتمد على القرآن وحده**، كما « ذكر عند عمران بن حصين رضي الله عنه حديث الشفاعة، قال له رجل: يا أبا نجيد! إنكم لتحدثونا بأحاديث ما نجد لها أصلا في القرآن؟! فغضب عمران رضي الله عنه، فقال للرجل: أَقَرَأت القرآن؟ قال: نعم. قال: فهل وجدت فيه صلاة المغرب ثلاثا، وصلاة العشاء أربعا، وصلاة الغداة ركعتين، والأولى أربعا، والعصر أربعا!؟»[(٤)].

٩- أن المسلم حينما يشهد لله بالوحدانية يشهد لرسول الله ﷺ بالرسالة في قوله: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، فاقتران الشهادة لرسوله ﷺ

---

(١) الشريعة للآجري ١/ ١٧٦-١٧٧.

(٢) انظر: الإقتضاء ١/ ٨٤، الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٦٧.

(٣) انظر: الواسطية مع شرح الفوزان ص١٠١.

(٤) رواه ابن أبي عاصم في السنة، ح(٨١٥)، وروى نحوه أبو داود (١٥٦١).

مقترن بالرسالة مع الشهادة لله ﷻ بالتوحيد، وهذا التلازم بين الشهادتين معلوم لكل أحد من المسلمين، وتلازم القرآن والسنة كتلازم الشهادتين[١].

١٠- ذكر عمر ﷺ أن الرجم ثابت بالسنة، وأن رسول الله ﷺ رَجَم، والصحابة رجموا[٢]. قال الحافظ رحمه الله: «أشار بقصة الرجم إلى زجر من يقول: لا أعمل في الأحكام الشرعية إلا بها وجدته في القرآن...، والرجم ليس فيها يتلى من القرآن، وهو مأخوذ من طريق السنة»[٣].

١١- أن السلف بدعوا من أنكر السنة الثابتة. قال البغدادي رحمه الله: «ومنها أخبار مستفيضة بين أئمة الحديث والفقه، وهم مجمعون عل صحتها،كالأخبار في الشفاعة، والحساب، والحوض، والصراط، والميزان، وعذاب القبر وسؤال الملكين في القبر، وكذلك الأخبار المستفيضة في كثير من أحكام الفقه كنصب الزكاة... والأخبار في المسح على الخفين، وفي الرجم، وما أشبه ذلك مما أجمع الفقهاء على قبول الأخبار فيها، وعلى العمل بمضمونها، وضللوا من خالف فيها من أهل الأهواء، كتضليل الخوراج في إنكارها الرجم...، وتضليل من أنكر المسح على الخفين»[٤].

١٢- أنهم أنكروا السنة الواردة عن رسول الله ﷺ جملة وتفصيلا، بينما كان المتقدمون من منكري السنة إنما ينكرون ما جاء غير متواتر، بحجة أنه آحاد، ومعلوم أن الأحاديث إذا ثبتت سواء عن طريق التواتر أو الآحاد فإنها حجة بنفسها، وهذا ما عليه علماء السلف، ودل عليه الدليل، وهو الذي عليه المتبعون من الخلف[٥].

ومهما يكن من شيء، فإن السنة عند المسلمين من أصول الدين، وردها رد

---

(١) هذه الفائدة استفدتها من أحد الفضلاء.

(٢) انظر: صحيح الإمام البخاري كتاب الحدود، باب/ رجم الحبلى في الزنى إذا أحصنت، ح(٦٨٣٠).

(٣) الفتح ١٢/ ١٥٤.

(٤) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٥١، وانظر: تعظيم السنة وموقف السلف ممن عارضها أو استهزأ بشيء منها، لعبد القيوم السحيباني.

(٥) انظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ٢٦ وما بعدها، حراسة العقيدة ص٣١.

للدين. ولهذا اشتد النكير على من رد السنة الثابتة عن رسول الله ﷺ، ومن قبلها وأذعن لها اشتهر بالسني، وبالسنة، وذلك تشريفا له بهذه النسبة.

وإذا كان هؤلاء "القرآنيّون" ينتسبون إلى القرآن الكريم؛ فكيف تعظيمهم للقرآن الكريم؟؟ هذا ما أبينه في المطلب التالي.

المطلب الثاني: منزلة القرآن الكريم عند منكري السنة(القرآنيين).

إن لهؤلاء المنكرين جهودا كثيرة في إنكار السنة، ولهم نشاط كبير في السعي لذلك، ومن ذلك أنهم عقدوا مؤتمرا في اليابان، وكان المقصود من هذا المؤتمر إحلال الكتاب في حياة المسلمين ـ وهو مقصد طيب ـ، ولكنهم في المقابل أنكروا السنة جملة وتفصيلا. وكان هذا المؤتمر بمباركة من كثير من أهل البدع الذين لهم ميول في إنكار السنة وعدم العمل بها، والسعي الحثيث في إحياء العقلية الاعتزالية، وفهم القرآن على ضوء ذلك.

وأصل دين المنكرين للسنة قائم على تعظيم القرآن الكريم، ولكن هذا التعظيم إنما هو ظاهري لا حقيقي[1]، ومموه لا مُذَهَّب.

وقد امتاز أهل السنة باسم السنة التي بها تمسكوا، وبالنهج الذي عليه صاروا، فإنهم كانوا حقا متبعين للكتاب: حين تمسكوا به، وبما أمر به الكتاب من السنة[2]. **وإن منكري السنة قديما وحديثا لا يهتمون بالقرآن الكريم حقيقة،** وإنما يزعمون ذلك، وإلا فكيف يفسرون الآيات المجملة من غير السنة، وكيف يفهمون الآيات التي بينتها السنة من دونها؟؟.

وإن احتجوا بأن السنة فيها ما هو ضعيف وموضوع، وإن التمييز أمر غير ممكن؛ فهذه فرية ما أسمجها، إذ علم القاصي والداني أن الله ﷻ خص أهل الإسلام بالإسناد في الدين، وأنه ما من قول لصحابي أو تابعي، بل إمام متبع، إلا وهو مدون معلوم، صحيحه وضعيفه، فضلا عن أقوال رسول الله ﷺ؛ فكيف يحتج بعد ذلك بالموضوعات التي بينها العلماء في المدونات، ودواوين السنة محفوظة بأمر الله ﷻ إذ حفظ الله لنا الكتاب وشرحه، في دواوين الإسلام المعروفة الصحيحة، كصحيح الإمام البخاري، ومسلم، والسنن، والمسانيد، وهذا أمر أقام الله له من أهل المعرفة من

---

(١) انظر: المجموع ١٣/ ٢٠٨.

(٢) انظر: المجموع ٣/ ٣٦٨.

اعتنى بحفظه حتى حفظ الله الدين على أهله[١].

وشبهات القرآنيين حول السنة كثيرة، وليست هي المقصودة بالإيراد هنا، وإنما المقصود التعريف بهم وبيان موقفهم من القرآن الكريم الذي انتسبوا إليه. أما موقفهم من السنة فقد استفاض مؤلف كتاب: "القرآنيون وشبهاتهم حول السنة" لهذه الشبهات، وردَّ عليها بما يغني ويشفي ويكفي، فارجع إليه إن أردت المزيد.

وإن القرآنيين حينما ادعوا أنهم "أهل الذكر القرآن" إنما كان ادعاؤهم زورا وبهتانا، ويتبين ذلك من خلال معتقدات القوم، وملخصها فيما يأتي:

١ - القول بأن العمل بالحديث النبوي شرك!!.

٢ - إنكار المعجزات الواردة في السنن المتواترات[٢].

٣ - إنكارهم الشفاعة يوم القيامة[٣].

٤ - إنكارهم الحياة البرزخية، وعذاب القبر ونعيمه، وهذا يؤكد أنهم على طريقة المعتزلة في قولهم وإنكارهم للسنة، إلا أن أولئك لم يكونوا واضحين كهؤلاء، ولا فاضحين في القول مثل هؤلاء الأذلاء[٤].

ومما يدل على مخالفتهم للقرآن الكريم مخالفاتهم الصريحة للأمور التشريعية الفقهية في الشرع الإسلامي الحنيف، ومن ذلك[٥]:

١ - قولهم: إن الصلوات المفروضة ثلاث، وهي الفجر، والظهر والعشاء!!، وقال بعضهم: إنهما صلاتان!!.

٢ - أن الصلاة ركعتان في جميع الأوقات والأزمان!!.

---

(١) انظر: المجموع ٣/ ٣٧٩.

(٢) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ٣٠٧ وما بعدها.

(٣) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ٣٤٣وما بعدها.

(٤) انظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ٨٦، القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ٣٣٣.

(٥) انظر: تفصيلا لذلك في كتاب: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ٣٦٥-٤٤٠.

٣- رأيهم أنّ استقبال أي جهة صحيح، ولا يشترطون القبلة!!.

٤- الرفع من الركوع مخالف للقرآن عندهم، ولا بد من أن يخر المصلي من الركوع إلى السجود!.

٥- لكل ركعة سجدة واحدة لا غير، ولا تشهد للصلاة!!.

٦- إنكارهم المسح على الخفين!!.

٧- إذا كان هذا حالهم في الركن الثاني من أركان الإسلام، فعلى هذا قس تأويلاتهم الفاسدة، وتحريفاتهم البشعة، في الزكاة والصوم وغيرهما.

ومما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن الكريم ما يأتي:

١- **أنهم ادعوا أن القرآن الكريم كاف في الدين وحده، وقالوا:** حسبنا كتاب الله[1]، وقالوا: إن القرآن أساس التشريع، لا السنة[2]، **وهذه كلمة حق أريد بها باطل**؛ فإن القرآن الكريم يأمر بالأخذ بالسنة، ولكنهم قصدوا بهذا الأخذ بالقرآن وحده، كما يريدون، وهذا يظهر من نتائج مقالاتهم، ومن سموم كتاباتهم، **وكيف يقولون: القرآن أساس التشريع**، وهم ينكرون أس تشريعه، ألا وهو وجوب اتّباع النبي ﷺ، ولكنه التلاعب بتشريعه حقيقة. ومما يؤكد أن مقولتهم غير صادقة في فحواها، وهم في تطبيقها غير صادقين في مرماها، أنهم لا يستطيعون أن يفسروا المراد بالصلاة، والحج، إلا بالرجوع إما إلى السنة، وإما إلى العقول!!، وهم اختاروا الثاني[3]؛ **فهؤلاء المنكرون للسنة باقتصارهم على القرآن وحده يجتمع فيهم البدع والضلالات**، فإن السلف بدعوا الخوارج لإنكارهم الرجم، وبدعوا الروافض لانكارهم مسح الخفين، فكيف بمن ينكر كل السنة؟؟ لا شك أنه يكون خارجيا ورافضيا، و... سينكر الحوض في العرصات، والصراط، والشفاعات، وسؤال القبر!! وهكذا تجتمع فيهم الضلالات كلها.

(١) انظر: برهان الفرقان ص٢ نقلا من كتاب: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص٢٦٥.

(٢) الموسوعة الميسرة ١/ ٧٨.

(٣) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ٢٦٦.

٢- **أنهم أنكروا النسخ في القرآن الكريم**(١). وهذا مخالف لإجماع السلف، ويورث الإشكال عند الخلف، إذ كيف سيطبقون الآيات التي كانت منسوخة مع الآيات الناسخة؟ إلا أن يكون ذلك بالآراء الفاسدة، والتأويلات البعيدة!! ثم إنّ النسخ وارد في القرآن الكريم؛ فإنكاره إنكار للقرآن(٢).

٣- **أنهم اعتمدوا على اللغة العربية في فهم القرآن الكريم**، وليتهم اعتبروا السنة تراثا من اللغة ففهموا القرآن على ضوئه، ولكنه الهوى!! ثم إن اللغة العربية بدون النظر إلى فهم المنـزل عليهم لا يورث فهما في كتاب الله ﷻ، لأن في اللغة ما هو من قبيل المعنى اللغوي العرفي، وهو مقيد بعرف النـزول؛ فإذا فسر بمطلق المعنى اللغوى دون النظر إلى المعنى اللغوي العرفي فإنه يكون تقولا على الله ﷻ، ومثال هذا في دلالة الخيط الأبيض والخيط الأسود؛ فإن الصائم مأمور أن يمسك عند تباين الخيطين، ولو فهم شخص أن المقصود بذلك الخيط اللغوي لأخطأ، ولكن النبي ﷺ بين أن المقصود بهما الخيط الأفقي الموجود في السماء، وبهذا نعلم أن فهم السلف مهم، لا سيما فهم رسول الله ﷺ(٣). ثم أيضا إن الصلاة في اللغة معناها: الدعاء، وهل هذا هو مراد الله ﷻ في ذكره الصلاة في القرآن الكريم؟ فإذا فسر الصلاة باللغة؛ فإن الركن الثاني من أركان الإسلام يتعطل!(٤) وبهذا يتبين أن فهم القرآن باللغة مجرّدة فحسب باب للبدعة والضلالة(٥).

٤- **ومما يدل على عدم تعظيم "القرآنيين" للقرآن الكريم أنهم يفسرونه بما يهوون**، بعيدا عن تفسير السلف الصالح، بل بعيدا عن تفسير النبي الكريم ﷺ. فهم انتهجوا نهجا جديدا إذ استعملوا عقولهم الكاسدة وأذهانهم الفاسدة في فهم الآيات

(١) انظر: تفسير القرآن بآيات الفرقان ١ص(ب)، ١/ ٣٠٥. نقلا من كتاب: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ٢٦٧.

(٢) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ٢٦٨ وما بعدها.

(٣) وقد ذكرت فيما مضى ما يترتب على فهم القرآن مجردا عن فهم السلف ص٦٠٢.

(٤) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ٢٧٦، وذكر حسن البنا في رسائله ص٧: أن القرآن إنما يفهم على طبق القواعد العربية، وهذا معلوم أنه وحده لا يكفي ولا يفي.

(٥) انظر: أصول السنة لرد البدعة للشيخ محمد طاهر ص١٦.

المتلوة، والشرعة المطهرة؛ فجاؤوا بالإلحاد الصريح، والكفر القبيح[١].

٥- ومما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن الكريم، أنهم بإنكارهم السنة النبوية يعطلون القرآن الكريم، لأن من نازع في قبول السنة رد القرآن، لأمره بالأخذ بها[٢]. وذلك لأن فيه المجملات التي تحتاج إلى تفصيل من الشارع، لا يمكن إدراكها بعقول الناس، وفيه عمومات خصصت لا يمكن معرفتها إلا بنص نبوي، أو وحي سماوي. فالسنة تبين القرآن؛ فتوضح مجمله: كالصلاة، والصوم، والحج، والزكاة، والسنة تدل على القرآن وتبين معانيه[٣]. **وأخبر النبي الكريم ﷺ** أن الخوارج ـ وهم من المخالفين للسلف في الاعتقاد ـ يقرؤون القرآن ولا تجاوز قراءتهم القرآن تراقيهم، وهذه كناية عن قلة الفقه، وعن عدم العمل به، وإلا فكيف يدعي رجل أنه منتسب إلى القرآن، وأنه قرآني، ثم يترك جميع الآيات التي تحث على التمسك بالسنة!! والخوارج ـ لعدم تمسكهم بالسنة، وعدم علمهم بها ـ جوزوا على الرسول ﷺ الجورَ!!، وجوزوا أن يضل في سنته!! ولهذا لم يوجبوا طاعته ومتابعته فيها!! وإن تصديقهم له قاصر على ما بلغ من القرآن دون ما شرعه من السنة التي تخالف ظاهر القرآن بزعمهم!![٤] فإنكار السنة والاقتصار على القرآن الكريم بدعة وضلالة[٥].

٦- أن مما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن الكريم أنهم ظنوا أن مبلغه وهو رسول الله ﷺ قد خالفه في بعض الأحكام!! ولهذا لا يأخذون إلا بما ثبت عن طريق القرآن، « وقد أعاذ الله رسوله ﷺ أن تعارض سنته لنصوص القرآن، بل تعاضدها، وتؤيدها...، وإنما يظن التعارض من سوء الفهم، وهذه طريقة وخيمة ذميمة، وهي رد السنن الثابتة بما يفهم من ظاهر القرآن، والعلم كل العلم تنـزيل السنن على القرآن؛

(١) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ٢٧٨ وما بعدها.

(٢) انظر: قمع الدجاجلة لعبد العزيز الراجحي ص ٣٨٩.

(٣) انظر: شرح الواسطية للفوزان ص١٠٢.

(٤) انظر: المجموع ١٩/ ٧٣.

(٥) انظر: الاعتصام للشاطبي ٢/ ٥٩، موقف العقل والعلم والعالم لمصطفى صبري ٤/ ٧٧، ٨٩.

فإنها مشتقة منه، ومأخوذة عمن جاء به، وهي بيان له، لا أنها مناقضة له »[(١)]، واتباع النبي ﷺ مَعلمٌ لم يبق عند هؤلاء منه سوى اسمه، ومحجة طمست عندهم رسومها، وسالك سنته غريب عندهم، وفريد في زمنهم[(٢)]. **قال الشافعي** رحمه الله: « من استبانت له سنة عن رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد »[(٣)]. **وقال الشافعي** رحمه الله أيضا: « وليست تنـزل بأحد في الدين نازلة إلا وفي كتاب الله تعالى الدليل على سبيل الهدى فيها، فإن قال قائل: إن من الأحكام ما يثبت ابتداء بالسنة، قلنا: ذلك مأخوذ من كتاب الله في الحقيقة؛ لأن كتاب الله تعالى أوجب علينا اتباع الرسول ﷺ وفرض علينا الأخذ بقوله، وحذرنا مخالفته، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[الحشر:٧]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، فمن قبل عن رسول الله ﷺ فعن الله قبل »[(٤)].

٧- **أنهم بعدم أخذهم بالسنة يطعنون في القرآن الكريم من حيث يشعرون أو لا يشعرون**؛ فقد ثبت كمال الدين في آيات القرآن المبين، وحفظ الله للدين. وهذا لا يتم إلا باعتقاد ما في القرآن والسنة، وشريعة رسول الله ﷺ لا تزال محفوظة، يشهد بذلك القاصي والداني[(٥)]. وأما الاحتياج إلى العقل فهذا يعني أنه لم يُكمل الدين حتى يأتي العقلاء الكمل فيكملوه!! وهذا معلوم بطلانه.

٨- أن علماء السلف كانوا يقولون: إذا صح الحديث فهو مذهبي[(٦)]، ومخالفة

---

(١) الروح لابن القيم ص١٨٦.

(٢) انظر: الرسالة التبوكية ص ٧١.

(٣) الرسالة التبوكية ص ١٠٧، وانظر: الأم للشافعي ٧/ ٤٦٠ وما بعده.

(٤) قواطع الأدلة ١/ ٣٢.

(٥) انظر: الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم لابن الوزير ١/ ٥٥.

(٦) انظر: الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم لابن الوزير ١/ ١٦٥، تحفة الأنام في العمل بحديث النبي ﷺ، للعلامة محمد حياة السندي ص١٦ وما بعدها.

أولئك مخالفة لسبيل المؤمنين، وهو يؤدي إلى البدعة والكفر المبين.

٩- إسقاط منكري السنة الصلوات الخمس، بناء على أنها غير موجودة في القرآن، ولا يقبلون السنة!! وهذا حال بعض الخوارج الأولين وهؤلاء القرآنيين. قال حذيفة ﷺ صاحب سر رسول الله ﷺ: [**إني لأعرف أهل دينين، أهل ذينك الدينين في النار، قوم يقولون: الإيمان قول، وإن زنا، وإن سرق، وقوم يقولون: ما بال الصلوات الخمس؟! وإنما هما صلاتان!! قال: فذكر صلاة المغرب أو العشاء، وصلاة الفجر!!**][1].

١٠- أنهم إنما أنكروا السنة ـ جميع المنكرين سواء من هذه النحلة، أو غيرها من أهل البدع ـ حتى لا يلزموا في تفسيرهم لكتاب الله ﷻ بالسنة، فيصبحون هم شراحا للقرآن!! لأن السنة إذا أهملت في فهم الكتاب فأقوال السلف من باب أولى، وحينئذ سترى العجب العجاب في تفسير آي الكتاب!!.

١١- **أن الخوارج الأولين**، وهم ممن أنكروا بعض سنن سيد المرسلين ﷺ، لما اعتقدوا وجوب الخروج على عثمان ﷺ ظلما وزورا، وكفروه، ودخلوا عليه وهو يقرأ المصحف، فقال لهم: بيني وبينكم كتاب الله، فأهوى إليه أحدهم بالسيف فاتقاه بيده؛ فقطعها؛ فقال: أما والله إنها لأول كف خطت المفصَّل[2]. وهم يدعون تعظيم كتاب الله ﷻ وإنكار السنة، وقد دعاهم إلى ما يدعون فلم يجيبوه، بل قتلوه وهو يقرأ القرآن ﷺ. فانظر ـ وفقك الله ـ كيف أنهم يدعون تعظيم القرآن الكريم ثم هم يقتلون أهله والمطبقين له حقا؟

وبهذا يتبين أن دعوة القرآنيين مجردة عن العمل بالقرآن الكريم، وأنها لا تمت إلى القرآن في شيء.

وبهذا أختم البحث ـ وأرجو أن أكون قد وفقت لإظهاره على أكمل وجه، وأحسن حلة ـ فما كان فيه من صواب فمن الله تعالى، وما كان فيه من خطأ فأستغفر الله وأتوب إليه، وأذكر بعد هذا خاتمة البحث.

---

(١) أخرج الأثر أبو عبيد في الإيمان ص٣٣، و ابن أبي شيبة في الإيمان ص٣٠.
(٢) انظر: تاريخ خليفة بن خياط ص١٠٢، الكامل في التاريخ ٣/ ٦٨.

الخاتمة

الخاتمة: وأذكر فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في البحث، وبعض التوصيات:

بعد حمد الله ﷻ والثناء عليه بما هو أهله؛ فإني أسأله ﷻ أن يجعل هذا العلم ـ كما سهله علي ـ خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأن يجعلني من الذابين عن كتابه المبين، وكلامه المنـزل على محمد ﷺ بواسطة جبريل الأمين ﵇.

وبعد البحث والعناء، والجهد والعطاء، يسر الله ﷻ إتمام هذا الموضوع، وقد توصلت من خلاله إلى أمور كانت عندي من المسلمات ـ إما اتباعا أو تقليدا ـ، ثم أصبحت عندي من اليقينيات ـ دلالة وترجيحا، وخلاصة نتائج البحث ما يأتي:

١. القرآن كلام الله ﷻ غير مخلوق بدلالة الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

٢. تكلم الله ﷻ بالقرآن فمنه بدأ وإليه يعود بدلالة الكتاب والسنة.

٣. إن الله ﷻ يتكلم متى شاء إذا شاء مع من شاء.

٤. الكلام من صفات الذات باعتبار وصف الله ﷻ به أزلا، وهو صفة فعل باعتبار آحاده.

٥. كلام الله ﷻ لا يشبه كلام المخلوقين.

٦. القرآن منزل على محمد ﷺ بواسطة جبريل بالوحي الجلي بدلالة الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

٧. من عقيدة أهل السنة أن جبريل سمع القرآن من الله ﷻ، والأدلة على ذلك كثيرة.

٨. أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا، وأنزل على محمد ﷺ منجما، ولا تنافي بين النزولين.

٩. نزل القرآن من الله ﷻ حقيقة، والنزول حقيقي، دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع.

١٠. يتعبد بالقرآن الكريم كما أنزله الرحمن الرحيم بصور مختلفة كما جاءت في السنة، من ذلك قراءته وتدبره، والعمل به والتحاكم إليه، والتداوي به، وجعله سببا لدفع الشرور، وهذه من المقاصد العظيمة التي من أجلها نزل القرآن الكريم.

١١. القرآن الكريم هو الموجود في المصحف، وهو كما أنزل على محمد ﷺ لم يتغير ولم يتبدل، وإن القراءات الموجودة الموافقة تصح القراءة بها.

١٢. أن أسماء القرآن الكريم كثيرة، مما يدل على كثرة أوصافه، وجميل خصاله، وعظيم نفعه.

١٣. أن للقرآن ذكرا في كتب الأولين، كما أن لمحمدﷺ ذكرا في كتب الأولين، ولا يعني ذلك كونه هو المنـزل من قبل.

١٤. ما يخالف المصحف من القراءات لا تجوز القراءة بها، ولا الصلاة به، والقراءة سنة متبعة.

١٥. القرآن كلام الله ﷻ فهو صفة من صفاته، ويجوز الحلف بصفة من صفات الله ﷻ.

١٦. الترجمة اللفظية الحرفية غير جائزة، ولا واقعة، والترجمة التفسيرية هي المطلوبة، وكلا الأمرين لا يعدان قرآنا، وإنما يعدان تفسيرا للقرآن بلغة أخرى.

١٧. التفسير تبيين لكلام الله ﷻ ولا يعني ذلك أنه عين المفسر.

١٨. وجوب تعظيم المصحف، كما دل على ذلك الكتاب والسنة ومنهج سلف الأمة.

١٩. أن القرآن الكريم آية لنبينا محمد ﷺ، وأنه دل على الإعجاز بمختلف الدلالات.

٢٠. أن المخالفين للسلف الصالحين مختلفون فيما بينهم في حقيقة القرآن الكريم ومصدريته، وجميع أقوالهم باطلة بدلالة الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

٢١. القول بالفيض من الأقوال الباطلة في القرآن، وهو يعني حقيقة إنكار

الوحي ولكن بطريقة خفية.

٢٢. القول بأن القرآن يحل في المخلوقين عند قراءة العبد له، قول للحلولية، وأخطأ فيه بعض العلماء.

٢٣. القول بخلق القرآن قول شؤم لا دليل عليه، ولا أثارة من علم.

٢٤. زعم بعض أهل الكلام التوسط بين قول المعتزلة وقول أهل السنة، فقالوا: بالعبارة والحكاية!! من غير دليل ولا أثر.

٢٥. القول بأزلية القرآن يرده صريح كلام الرحمن.

٢٦. التوقف في مسألة القرآن طريقة بدعية.

٢٧. مسألة اللفظ في القرآن من المسائل الجهمية التي فرقت السلفية.

٢٨. اختلف المخالفون في نزول القرآن الكريم بناء على اختلافهم في علو رب العالمين، وأنكروا سماع جبريل القرآن من الله العظيم.

٢٩. اختلاف المخالفين في التعبد بالقرآن، سواء في قراءته أو في التبرك به.

٣٠. تفرق أهل البدع في بيان إعجاز القرآن الكريم؛ فمنهم من ظنه في المعنى، ومنهم من ظنه في اللفظ، ومنهم من ظنه في الأخبار، ومنهم من ظنه في التشريعات، وأهل السنة قالوا بجميع ذلك على الوجه الصحيح.

٣١. السلف الصالحون هم الذين عرفوا حقيقة القرآن الكريم، وأنه كلام رب العالمين، ولذلك كان لهم الحظ الوافر في تعظيمه وبيان فضله، واعتقاد أنه أعظم كتاب على وجه البسيطة.

٣٢. بناء على الأدلة الشرعية قال السلف بتفاضل آيات وسور القرآن الكريم بعضها على بعض.

٣٣. السلف أعظم الناس تعظيما للقرآن الكريم، ولذلك حذروا من الاستهزاء به.

٣٤. تبرك السلف بالقرآن الكريم على ما ورد عن النبي الكريم، من دون ابتداع، ولكن باتباع.

٣٥. أن للقرآن الكريم خصائص عظيمة.

٣٦. طريقة أهل السنة في فهم القرآن الكريم هو أنهم يعتقدون أنه يُستغنى به عن غيره من الكتب مع السنة الشارحة له، ويرون التلازم بين القرآن والسنة، ويحملون النصوص الشرعية على الحقائق المرعية، والظواهر اللفظية مع اعتقاد معانيها السنية، مستعينين بفهم السلف الصالح في ذلك كله.

٣٧. السلف الصالح يرون أن القرآن الكريم كتاب عظيم، ولذلك يرون أنه أعظم حجة في جميع أبواب الدين، وأن براهينه أدل البراهين، وأنه مصدر التشريع، وأنه ناسخ للكتب السماوية فضلا عن غيرها من كتب البرية، وأنه محكم لا ينسخ بعد موت سيد البشرية محمد ﷺ.

٣٨. اهتم السلف بالقرآن الكريم تعظيما له وتبجيلا، ومن ذلك عنايتهم بكتابته، وحفظه، والاهتمام بعلومه، ونشره، وينهون عن المراء والتكلف فيه.

٣٩. أن المخالفين للسلف ومنهم الفلاسفة لا يعظمون القرآن حقيقة، ولا يصدرون عنه.

٤٠. أن الصوفية لما قالوا بالظاهر والباطن، والحقيقة والشريعة، نظروا إلى ألفاظ القرآن فأولوها على ما رأوا من الباطن، ولم يلتفتوا إلى فهم السلف، ولذلك أصبح تعظيم القرآن عندهم رسما، ولا يصدرون عن القرآن الكريم حقا.

٤١. الرافضة الغوية يعتقدون على اختلاف مللهم تحريف القرآن الكريم، متقدموهم ومتأخروهم، ولهذا لم يعظموا القرآن الكريم، ولم يعتمدوا عليه في باب العقائد على وجه الخصوص.

٤٢. الباطنية نحل شتى، وفرق تترى، وهم لا يعتقدون انقطاع الوحي، ومنهم من يعتقد بأن القرآن منسوخ، وأنه شريعة العرب، ويحرفون نصوص القرآن،

ويستهينون بالقرآن الكريم، ولا يعتمدون عليه، ويفضلون كتبهم عليه، ويحفظون كتبهم دون القرآن الكريم.

٤٣. أهل الكلام بمختلف طوائفهم لم يعطوا القرآن حق قدره، ويتبين ذلك من خلال أمور: منها عدم تعظيمهم كما ينبغي، وعدم الاعتماد عليه في باب الاعتقاد، وعدم حفظهم له.

٤٤. أن لكل قوم وارثا، وقد وجد للمعتزلة وأهل الكلام وراث يدعون الناس إلى تعظيم العقل، وإنكار ما خالف عقولهم ولو كان قرآنا فيؤولونه، أو سنة فيردونها، ومن هؤلاء قوم أنكروا السنة بالكلية، وانتسبوا إلى القرآن زورا.

وبعد بيان موجز وخلاصة البحث، فإنه من خلال بحثي كانت المسائل تمر علي؛ فأرى أن أبينها في هذه الخاتمة لعلها تجد آذانا صاغية وأفكارا نيرة، وهي:

١. إن موضوع أسماء القرآن الكريم مهم، وجدير بأن يبحث فيه طالب علم، لما لهذه الأسماء من دلالات على القرآن الكريم، ولهذا أرى أن يكتب فيه بحث، بعنوان "أسماء القرآن الكريم، وأوصافه، والدلالات العقدية فيها".

٢. إن احترام القرآن الكريم أمر اهتم به الأولون، وسار على دربهم المتبعون، وخلف من بعدهم خلوف، تركوا توقير الكتاب، كما جاء عن الوهاب، وزعموا أنهم يحترمونه ولكن بالبدع والخرافات، ولو كتب موضوع حول "ما يخالف توقير الكتاب العزيز" لكان بحثا مهما جدا.

٣. إن موضوع الآيات سواء الآيات القرآنية، أو الآيات الكونية لجديرة بالاهتمام من قبل الباحثين، فلو كتب موضوع حول "الآيات الدالة على نبوة الأنبياء من خلال نصوص القرآن الكريم" لكان بحثا قيما ـ إن شاء الله ـ.

٤. تبين مما سبق ـ ولو إشارة ـ شدة التلازم بين الكتاب والسنة، وإني من هذا المنطلق أحث الباحثين على كتابة موضوع، حول التلازم بين الكتاب والسنة، من

حيث الأدلة على ذلك، والأمثلة عليها من باب العقائد والعبادات والمعاملات، وهو بحث جدير بالاهتمام، خصوصا في هذا الزمان، مع وجود أعداء السنة.

٥. الأدلة القرآنية فيها الحجج القطعية في المسائل العقدية، ومن جملة ذلك دلالتها على الخالق ﷻ، وقد دل أكثر من (٥٠٠) آية في القرآن على صفة الخالقية لله ﷻ، ولو بحث هذا لكان جديرا.

٦. أن الروافض خالفوا في الاعتقاد في القرآن الكريم، وفي العمل به، بل وحتى في العقيدة، ولو ألف مؤلف مستقل في مخالفة الرافضة لنصوص القرآن الكريم الصريحة لكان بحثا جديرا بالاهتمام.

وأرجو الله الملك إذ وفقني لخدمة كتابه المبارك، أن يجعلني مباركا أين ما كنت، وأن يبارك لنا وعلينا، وأن يشملنا وإخواننا المسلمين ببركاته العظيمة في الدنيا والآخرة، وأن يعم نفع هذا لجميع إخواني المسلمين، وأن يجعلهم مباركين بعملهم بالقرآن الكريم، وسنة نبيه الكريم، إنه قريب مجيب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

الفهارس

فهرس المصادر والمراجع

١- **القرآن الكريم.**

٢- **الإبانة عن أصول الديانة**، للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت:٣٢٤هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٣- **الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة**، (الكتاب الثالث: الرد على الجهمية)، لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي (ت:٣٨٧هـ)، تحقيق: د.يوسف بن عبد الله بن يوسف بن يوسف الوابل، دار الراية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٤- **الإبانة عن معاني القراءات الصحيحة**، لمكي بن أبي طالب حموش القيسي (ت:٤٣٧هـ)، تحقيق: د.عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر.

٥- **الإبداعات في مضار الابتداعات**، لعلي أحمد عبد العالى الطحطاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٦- **ابن الحنبلي وكتابه الرسالة الواضحة في الرد على الأشاعرة**، لابن الحنبلي (ت:٥٦٢هـ)، تحقيق: علي بن عبد العزيز بن علي الشبل، مجموعة التحف النفاس الدولية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٧- **أبو الحسن الأشعري وعقيدته**، لحماد بن محمد الأنصاري، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ.

٨- **الاتّباع**، للعلامة القاضي ابن أبي الغز الحنفي (ت:٩٧٢هـ)، تحقيق: الشيخ محمد عطاء الله حنيف، الدكتور عاصم بن عبد الله القريوني، عمان ـ الأردن، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

٩- **الاتجاهات العقلانية الحديثة**، تأليف: أ.د.ناصر بن عبد الكريم العقل، دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٠-**إتحاف أهل القِبلة بأحكام القُبلة**، لأبي صلاح محمد هشام الطاهري الأفغاني، تقديم: عبيد بن عبد الله الجابري، غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الجهراء، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

١١-**اتخاذ القرآن الكريم أساسا لشؤون الحياة والحكم في المملكة العربية السعودية**، للأستاذ د.صالح بن عبد الله بن حميد، بحث مقدم لندوة العناية بالقرآن الكريم وعلومه، مجمع المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢١هـ.

١٢-**اتخاذ القرآن الكريم أساسا لشؤون الحياة والحكم في المملكة العربية السعودية**، للأستاذ د.صالح بن غانم السدلان، بحث مقدم لندوة العناية بالقرآن الكريم وعلومه، مجمع المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢١هـ.

١٣-**الإتقان في علوم القرآن**، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار الزاد، القاهرة.

١٤-**أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة**، تأليف: د.عبد الله ابن عبد الرحمن الجربوع، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٥-**الإجماع**، للإمام ابن المنذر (ت:٣١٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.

١٦-**إجماع العلماء على الهجر والتحذير من أهل الأهواء**، تأليف: خالد بن ضحوى الظفيري، مكتبة الأصالة الأثرية، جدة ، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ.

١٧-**الإجماع في التفسير**، لمحمد عبد العزيز أحمد الخضيري، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

١٨-**أجوبة الشبهات**، لعبد الحسين دستغيب الشيعي، مؤسسة دار الكتاب (الجزائري) للطباعة والنشر، قم إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

١٩-**أحاديث في ذم الكلام وأهله**، للإمام أبي الفضل المقري، دراسة وتحقيق: د.ناصر

ابن عبد الرحمن الجديع، دار أطلس للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
٢٠-**الاحتجاج**، لأبي منصور أحمد بن علي الطبرسي، مؤسسة الأعلمي، بيروت.
٢١-**الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان**، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان (ت:٧٣٩هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، توزيع عباس أحمد الباز، مكة المكرمة، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.
٢٢-**أحكام الجنائز وبدعها**، لمحمد ناصر الدين الألباني، الكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦هـ.
٢٣-**أحكام القرآن**، لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص (ت:٣٧٠هـ)، ضبط نصه وخرج آياته: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
٢٤-**أحكام القرآن**، لابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.
٢٥-**الإحكام في أصول الأحكام**، لسيف الدين أبي الحسن علي بن أبي علي بن محمد الآمدي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
٢٦-**أحكام من القرآن الكريم**، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع أبي خالد عبد الكريم ابن صالح المقرن، دار طويق للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.
٢٧-**إحياء علوم الدين**، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت:٥٠٠هـ)، تحقيق: أبي حفص سيد بن إبراهيم بن صادق بن عمران، دار الحديث القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
٢٨-**أخبار جلال الدين الرومي ووقفات مع ترجمته في كتاب رجال الفكر والدعوة في الاسلام**، تأليف: أبو الفضل محمد بن عبد الله القونوي، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
٢٩-**الاختصاص**، لمحمد بن محمد بن نعمان الملقب بالمفيد، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، منشورات: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم.
٣٠-**اختصاص القرآن يعوده إلى الرحيم الرحمن**، للحافظ الإمام أبي عبد الله محمد

ابن عبد الواحد المقدسي (٥٦٩ ـ ٦٤٣)، تحقيق: عبد الله بن يوسف الجديع، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٣١-**الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة**، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢١٣ ـ ٢٧٦)، تقديم وتعليق وتخريج: عمر بن محمود أبو عمر، دار الراية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٣٢-**آراء حول القرآن**، لسيد الفاني، دار الهادي ـ بيروت.

٣٣-**إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، محمد ناصر الدين الألباني، بإشراف: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٢٠٥هـ.

٣٤-**الأزل**، لمحمد بن علي بن عربي الطائي الصوفي الحلولي، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ١٣٦٧هـ.

٣٥- **أساس التقديس في علم الكلام**، للرازي الأشعري، طبعة مصطفى البابي، مصر، ١٣٥٤هـ.

٣٦-**أسد الغابة في معرفة الصحابة**، لعز الدين بن الأثير علي بن محمد الجزري، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٣٧-**الإسراء إلى مقام الأسرى**، لمحمد بن علي بن عربي الطائي الصوفي الحلولي، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ١٣٦٧هـ.

٣٨-**أسرار ترتيب القرآن**، للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ.

٣٩-**الإسفار عن نتائج الأسفار**، لابن عربي الوجودي، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ.

٤٠-**إسلام بلا مذاهب**، لمصطفى الشكعة، طبعة دار المصرية اللبنانية، الطبعة الثانية.

٤١-**الإصابة في تمييز الصحابة**، لأحمد بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٢٨هـ.

٤٢-**اصطلاحات الصوفية**، لمحمد بن علي ابن عربي الحلولي، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ.

٤٣-**أصول الإيمان**، للإمام محمد بن عبد الوهاب (ت:١٢٠٦هـ)، قام بمراجعة نصوصه: الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري، كما قام هو وفضيلة الشيخ: عبد الله ابن عبد اللطيف آل الشيخ بمقابلة على مخطوطاته. الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والافتاء، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ.

٤٤-**أصول التفسير**، لابن عثيمين، مصورة ضمن متون الدورة العلمية الثانية المقامة بمسجد ذي النورين عثمان بن عفان ﷺ في المدينة المنورة.

٤٥-**أصول الدين**، لأبي منصور عبد الظاهر بن طاهر البغدادي (ت:٤٢٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠١هـ.

٤٦-**أصول السنة لرد البدعة**، للشيخ محمد طاهر رحمه الله الفاخر مكنية اليمانية، جامعة الإمام محمد طاهر دار القرآن، باكستان.

٤٧-**أصول الكافي**، لمحمد بن يعقوب الكليني، دار التعارف، بيروت.

٤٨-**الأضحوية**، لابن سينا الباطني الفلسفي، تحقيق: د/ سليمان دنيا، دار الفكر العربي، القاهرة.

٤٩-**أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (١٣٩٣هـ) خرج آياته وأحاديثه: الشيخ محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٠-**أضواء على الرسالة المنسوبة إلى الحافظ الذهبي، النصيحة الذهبية لابن تيمية**، وتحقيق في صاحبها أبو الفضل محمد بن عبد الله القونوي، دار المأمون للتراث ـ بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٥١-**إظهار الحق**، للإمام العلامة الشيخ أحمد الله بن خليل الله العثماني الكسيرانوي، عنى بطبعه ومراجعته: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية ـ بيروت.

٥٢-**إعانة الطالبين**، لأبي بكر المشهور بالسيد البكري ابن السيد محمد شطا الدمياطي نزيل مكة المكرمة، طبعة: دار الفكر.

٥٣-**اعتقاد أئمة السلف أهل الحديث**، جمع وشرح: د. محمد بن عبد الرحمن الخميس،

دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع ـ الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٥٤-**الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد**، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تعليق: عبد الرزاق عفيفي، تعليق تقديم: عبد الرحمن المحمود، تحقيق: أحمد إبراهيم أبي العينين، دار الفضيلة ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٥٥-**اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**، لفخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي (ت:٦٠٦هـ)، مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة، شركة الطباعة الفنية المتحدة طبعة: ١٣٩٨هـ.

٥٦-**إعجاز القرآن**، للخطابي البستي أبو سليمان بن محمد (ت:٣٨٨هـ)، مطبوع مع رسالتين آخرين في الإعجاز بعنوان: **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، للرماني والخطابي والجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، د/ محمد زغلول سلام، دار المعارف ـ القاهرة، الطبعة الرابعة.

٥٧- **إعجاز القرآن**، للقاضي أبي بكر الباقلاني الأشعري، تحقيق: محمد شريف بكر، (بدون).

٥٨-**الأعلام**، لخير الدين الزركلي، دار العلم ـ بيروت، الطبعة الرابعة عشر، ١٩٩٩م.

٥٩-**إعلام المسلمين ببعض مقالات التجانيين**، تأليف: الشيخ إبراهيم القطان الأردني، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٦٠-**أعلام الموقعين عن رب العالمين**، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ت:٧٥١هـ)، رتبه وضبطه وخرج أياته: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

٦١-**الإعلام بإشارات أهل الإلهام**، لمحمد بن علي بن عربي الطائي الصوفي الحلولي، دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن، ١٣٦٢هـ.

٦٢-**الإعلام بقواطع الإسلام**، لأحمد بن حجر الهيتمي الشافعي، ضمن: الجامع في ألفاظ الكفر، للشيخ د/ محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار إيلاف الدولية ـ الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٦٣-**الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام**، تأليف العلامة القرطبي، بعناية د/ أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي ـ بيروت.

٦٤-**الإعلام والإفهام** بجمع فتاوى شيخ الإسلام أبي يحي زكريا بن محمد الأنصاري (ت:٩٢٦هـ)، تقديم وترتيب أحمد عبيد، صححه وراجعه: الشيخ عبد العزيز عزالدين السيروان، عالم الكتب ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ.

٦٥-**إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، لابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، المكتبة الثقافية ـ بيروت.

٦٦-**أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمة والمشتبهات**، لزين الدين مرغي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي (١٠٣٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرناؤط، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٦٧-**الاقتصاد في الاعتقاد**، لتقي الدين أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن سرور المقدسي (ت:٦٠٠هـ)، وضحه: د/ أحمد بن عطية بن علي الغامدي، مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٦٨-**اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن التيمية (ت:٧٢٨هـ)، تحقيق: د/ ناصر عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد ـ الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤١٤هـ.

٦٩-**إكمال المعلم بفوائد مسلم**، للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت:٥٤٤هـ)، تحقيق: د/ يحيى إسماعيل، دار الوفاء ـ المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٧٠-**إلجام العوام عن علم الكلام**، تأليف: أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، تصحيح وتعليق وتقديم: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي ـ بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٧١-**الألف** (وهو كتاب الأحدية)، لمحمد بن علي بن عربي الطائي الصوفي الحلولي، دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن، ١٣٦١هـ.

٧٢-**ألفاظ الكفر**، لبدر الرشيد الحنفي، وهو ضمن كتاب الجامع في ألفاظ الكفر، تحقيق: د/ محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع - الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٧٣- **ألفاظ الكفر**، لبدر الرشيد الحنفي، ضمن: الجامع في ألفاظ الكفر، للشيخ د/ محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار إيلاف الدولية - الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٧٤-**أم البراهين في العقائد**، لأبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي الحسني، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر، تصحيح: أحمد سعد علي - القاهرة، ١٣٦٩هـ.

٧٥-**الأم**، للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (ت:٢٠٤هـ)، توزيع: مكتبة عباس أحمد الباز - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٧٦-**الإمام المجدد المحدث الشاه ولي الله الدهلوي حياته ودعوته**، لمحمد بشير السيالكوتي، دار ابن حزم - بيروت، طبعة: ١٤٢٠هـ

٧٧-**إمداد القاري بشرح كتاب التفسير من صحيح البخاري**، لعبيد بن عبد الله بن سليمان الجابري، مكتبة الفرقان - الإمارات، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٧٨-**الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار**، ليحيى ابن أبي الخير العمراني (ت:٥٥٨هـ)، تحقيق: د/ سعود الخلف، أضواء السلف - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٧٩- **الانتصار**، لابن عربي الوجودي، دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ.

٨٠-**الأنساب**، لأبي سعيد عبد الكريم محمد السمعاني، تعليق: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٨١-**الأنوار النعمانية**، لنعمة الله الموسوي الجزائري، مطبعة شركة جاب تبريز - إيران.

٨٢-**الأنوار**، لمحمد بن علي بن عربي الطائي الصوفي الحلولي، دائرة المعارف العثمانية -

حيدر آباد الدكن، ١٣٦٧هـ.

٨٣-**أيام الشأن**، لمحمد بن علي بن عربي الطائي الصوفي الحلولي، دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن، الطبعة الثانية، ١٣٧٩هـ.

٨٤-**إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد**، لأبي عبد الله محمد بن المرتضى اليماني المشهور بابن الوزير، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

٨٥-**الإيمان**، للحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (ت:٢٣٥هـ)، تحقيق: الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٨٦-**الإيمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته**، للإمام أبي عبيد القاسم بن سلام (ت:٢٢٤هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٨٧-**باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي ونقده لمسالك المتكلمين والفلاسفة في الإلهيات**، لمؤلفه: الأستاذ محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٨٨-**بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار**، لمحمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي - بيروت.

٨٩-**البحث والاستقراء في بدع القراء**، تأليف: محمد موسى نصر، دار الأضحى - الأردن، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٩٠-**البحر الرائق شرح كنز الدقائق**، لزين الدين ابن نجيم الحنفي، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الثانية.

٩١-**البحر المحيط في أصول الفقه**، لبدر الدين محمد الشافعي (٧٩٤هـ)، تحقيق: د/ عمر سليمان الأشقر.

٩٢-**بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات**، د/ محمد مجاهد نور الدين، دار هجر للنشر والتوزيع - أبها، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٩٣-**بدء الأمالي**، لسراج الدين علي بن عثمان الأوشي الفرغاني، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر، تصحيح: أحمد سعد علي ـ القاهرة، ١٣٦٩هـ.

٩٤-**بداية السول في التفضيل الرسول**، للعز بن عبد السلام السلمي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦هـ.

٩٥-**البداية والنهاية**، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل ابن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ)، دار المعرفة ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.

٩٦-**بدع المقابر والجنائز والمآتم**، تأليف: علي بن أحمد الطهطاوي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٩٧-**البرهان في علوم القرآن**، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (٧٩٤هـ)، تعليق: عبد القادر عطا (٧٩٤هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٢٢هـ.

٩٨-**بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: محمد علي النجار، من مطبوعات الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي ـ القاهرة، ط: ١٣٨٣هـ.

٩٩-**البهائية نقد وتحليل**، لإحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة ـ لاهور، باكستان، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ.

١٠٠-**بيان المختصر شرح مختصر الحاجب**، لشمس الدين محمود عبد الرحمن بن أحمد الأصفهاني، جامعة أم القرى، تحقيق: محمد مظهر بقا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

١٠١-**بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية أو نقض تأسيس الجهمية**، لأبي العباس شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تعليق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، دار القاسم ـ الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.

١٠٢-**البيان في تفسير القرآن**، لأبي القاسم الخوئي، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

١٠٣-**البيان والتبيين**، لأبي عمرو بن بحر الجاحظ، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان.

١٠٤-**البيان والتحصيل**، لأبي الوليد بن رشد القرطبي، تحقيق: أحمد الحبابي، دار

الغرب ـ بيروت، ١٤٠٦هـ.

١٠٥-**البيهقي وموقفه من الإلهيات**، لشيخنا أ.د/ أحمد بن عطية الغامدي، من مطبوعات الجامعة الإسلامية ـ المدينةالمنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.

١٠٦-**تاريخ الخلفاء**، للحافظ جلال الدين السيوطي، اعتنى به وحققه وعلق عليه: محمود رياض الحلبي، دار المعرفة ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.

١٠٧-**تاريخ الفكر العربي**، لعمر فروخ.

١٠٨-**تاريخ بغداد**، للحافظ الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٠٩-**تاريخ خليفة بن خياط**، لأبي عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي العصفري (٢٤٠هـ)، راجعة وضبطه ورتبه: د/ مصطفى غيب نواز، د/ حكمت كشطي فواز، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

١١٠-**تأويل مشكل القرآن**، لأبي محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، شرحه ونسره: السيد أحمد صقر (٢٧٨هـ)، الكتب العلمية ـ بيروت.

١١١-**التبرك المشروع والتبرك الممنوع**، لعلي نفيع العلياني، دار الوطن للنشر، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

١١٢-**التبرك أنواعه وأحكامه**، د/ ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع، مكتبة الرشيد للنشر والتوزيع، السعودية ـ الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤٢١هـ.

١١٣-**التبيان في آداب حملة القرآن**، للحافظ تقي الدين يحيى بن شرف النووي، حققه: محمد رضوان عرفسوني، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

١١٤-**تبيين كذب المفترى**، تصنيف ناصر السنة حجة الحفاظ مؤرخ الشام أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي (٥٧١هـ)، دار الكتاب العربي ـ بيروت، ١٣٩٩هـ.

١١٥-**التجليات**، لابن عربي الوجودي، دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ.

١١٦-**تحفة الأحوذي لشرح جامع الترمذي**، للإمام الحافظ أبي العلى محمد بن عبد الرحمن

المباركفوري (١٣٥٣هـ)، ضبطه: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر ـ بيروت.
١١٧-**تحفة الأنام في العمل بحديث النبي عليه الصلاة السلام**، للعلامة محمد حياة السندي (ت:١١١٢هـ)، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
١١٨-**التحفة اللطيفة**، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
١١٩-**تدريس القرآن الكريم في السجون ودور الملاحظة الاجتماعية**، للشيخ محمد حبيب أحمد، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.
١٢٠-**التدمرية تحقيق الأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع**، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: د/ محمد بن عود السعوي، مكتبة العبيكان، الطبعة السابعة، ١٤٢٣هـ.
١٢١-**التدوين في أخبار قزوين**، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤٠٨هـ.
١٢٢-**التراجم**، لابن عربي الوجودي، دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ.
١٢٣-ترجمة **معاني القرآن الكريم من قبل بعض الفرق الضالة**، للشيخ يوسف الهمذاني ابن الشافعي السيد أحمد، بحث مقدم لندوة ترجمة معاني القرآن الكريم تقويم للماضي، وتخطيط للمستقبل ١٤٢٣هـ، مجمع الملك فهد ـ المدينة المنورة.
١٢٤-**ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان**، لابن الوزير اليماني (ت:٨٤٠هـ)، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.
١٢٥-**التسهيل لعلوم التنزيل**، لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبي (ت:٧٤١هـ)، دار الكتاب العربي، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ.
١٢٦-**التعريفات**، للشريف علي بن محمد الجرجاني (ت:٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت، طبعة:١٤١٦هـ.
١٢٧-**تعظيم قدر الصلاة**، للإمام محمد بن نصر المروزي (٣٩٤هـ) مكتبة الدار ـ

المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

١٢٨ - **تفسير ابن عربي للقرآن**، د/ محمد حسين الذهبي، الجامعة الإسلامية، الطبعة الثالثة.

١٢٩ - **تفسير البغوي = معالم التنزيل**، لحسين بن مسعود البغوي (ت:٥١٦هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة خميرية، سليمان مسلم الحرشي، دار الطيبة - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

١٣٠ - **تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم**، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد ابن إبراهيم السمرقندي (٣٧٥ هـ)، تحقيق: الشيخ علي محمد معوقي، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، د/ زكريا عبد المجيد النوني، دار الكتب العليمة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

١٣١ - **تفسير الصافي**، لمحمد بن الفيض الكاشاني، مؤسسة الأعلمي - بيروت.

١٣٢ - **تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن**، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

١٣٣ - **تفسير العياشي**، لمحمد بن مسعود العياشي، مؤسسة الأعلمي - بيروت.

١٣٤ - **تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل**، لمحمد جمال الدين القاسمي (١٣٢٢هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مؤسسة التاريخ العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

١٣٥ - **تفسير القرآن العظيم**، لإسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (٧٧٤هـ)، مكتبة دار التراث - القاهرة، لم يذكر شيء عن الطبع وسنته.

١٣٦ - **تفسير القرآن المسمى تبصير الرحمن وتيسير المنان**، لعلي أحمد بن إبراهيم المهايمي، عالم الكتب - بيروت.

١٣٧ - **تفسير القمي**، لعلي بن إبراهيم القمي، دار السرور - بيروت.

١٣٨ - **التفسير الكبير**، للرازي، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.

١٣٩ - **تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري، مطبوع في هامش كتاب جامع البيان في تفسير القرآن للإمام

ابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، دار الحديث ـ القاهرة، طبعة:١٤٠٧هـ.

١٤٠-**تفيسر القرآن الكريم باللغة البشتو**، للشيخ أبي زكريا عبد السلام الرستمي، دار السلام ـ الرياض.

١٤١-**تقريب التهذيب**، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، عناية: عادل مرشد، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

١٤٢-**تلبيس إبليس**، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تخريج وتعليق: عبد الرزاق المهدي، دار المغني ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

١٤٣-**تلبيس إبليس**، للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي البغدادي، دار المغني ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

١٤٤-**التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**، للإمام أبي الفضل أحمد بن حجر شهاب الدين العسقلاني (ت:٨٥٢هـ)، عنى به: السيد عبد الله هاشم اليماني المدني، دار أحد.

١٤٥-**تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: أبو عبد الرحمن محمد علي مجاد، كتبة الغرباء الأثرية ـ المدينة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

١٤٦-**التمائم في ميزان العقيدة**، د/ علي بن نفيع العلياني، دار الوطن للنشر ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

١٤٧- **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، لأبي عمر يوسف بن عبد الله القرطبي (ت:٤١٣هـ)، تحقيق: محمد ثاقب، وسعيد أحمد، وزارة الأوقاف المغربية، طبعة: ١٩٩٤م.

١٤٨-**الشبيه على المخالفات العقدية في الفتح**، د/ علي الشبل، الطبعة الأولى.

١٤٩-**تهافت التهافت**، لابن رشد القرطبي (ت:٥٩٥هـ)، قدم وعليه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

١٥٠-**تهذيب الأسماء واللغات**، لأبي زكريا محي الدين بن أشرف النووي (٦٧٦هـ)،

تعليق: إدارة الطباعة المنبرية، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٥١-**توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم**، لابن ناصر الدين شمس الدين محمد بن عبدالله بن محمد القيسي الدمشقي (٨٤٢هـ)، تحقيق وتعليق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

١٥٢-**التيجانية**، دراسة لأهم عقائد التيجانية على ضوء الكتاب والسنة، د/ علي بن محمد آل رفيق الله دار العاصمة ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

١٥٣-**تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد**، للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد ابن عبد الوهاب، المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٠٨هـ.

١٥٤-**تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان**، لعبد الرحمن ناصر السعدي، مكتبة صالح بن صالح الثقافي ـ عنيزة، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.

١٥٥-**الثمر الداني في تقريب المعاني**، شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، جمع الأستاذ: الشيخ صالح عبد السميع الأبي الأزهري، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي.

١٥٦-**ثورة الإسلام**، د/ أحمد زكي أبو شادي، منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت.

١٥٧-**جامع الترمذي**، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت:٢٧٩هـ)، مطبوع مع شرحه: تحفة الأحوذي، دار الفكر ـ بيروت.

١٥٨-**جامع بيان العلم وفضله**، للحافظ ابن عبد البر، دار الكتب العلمية، مصورة من الطبعة المنيرية.

١٥٩-**الجامع لأحكام القرآن**، لمحمد أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

١٦٠-**الجامع لألفاظ الكفر**، جمع وتحقيق الشيخ د/ محمد بن عبد الرحمن الخميس.

١٦١-**الجرح والتعديل**، لأبي عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد، الهند، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٧٢هـ.

١٦٢ -**جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام**، لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان.

١٦٣ -**الجلال والجمال**، لمحمد بن علي بن عربي الطائي الصوفي الحلولي، دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن، ١٣٦١هـ.

١٦٤ -**الجلالة** (كلمة الله)، لمحمد بن علي بن عربي الطائي الصوفي الحلولي، دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن، ١٣٦١هـ.

١٦٥ -**جماع العلم**، للإمام المطلبي محمد بن إدريس الشافعي (ت:٢٠٤هـ)، تعليق وتحقيق: أحمد شاكر، خرج أحاديثه: عبد الرؤوف عبد الحنان، دار الفتح للطباعة والنشر والتوزيع ـ الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

١٦٦ - **جمال القراء وكمال الإقراء**، لعلم الدين السخاوي علي بن محمد (ت:٦٤٣هـ)، تحقيق: د/ علي حسين البواب، مكتبة التراث ـ مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٦٧ -**الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم** (تقرير)، أ/ عبد الله بن حمد المزروعي، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.

١٦٨ -**جهود إذاعة القرآن الكريم في خدمة القرآن الكريم وعلومه** (تقرير)، للشيخ محمد ابن سعيد الصفار، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.

١٦٩ -**جهود الإدارة العامة للمناهج في وزارة المعارف في مجال العناية بكتاب الله تعالى وحفظه** (تقرير)، أ.د/ محمد بن معجب الحامد، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.

١٧٠ -**جهود المملكة العربية السعودية في رعاية تحفيظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين في الخارج** (تقرير)، أعده: د/ عبدالله علي بصفر، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.

١٧١-**جهود المملكة العربية السعودية في مجال طباعة القرآن الكريم للمكفوفين بطريقة (برايل)**، تقرير: د.ناصر بن علي الموسى، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.

١٧٢-**جهود مركز البحوث والدراسات الإسلامية في مجال العناية بالقرآن الكريم** (تقرير)، د/ مساعد بن إبراهيم الحديثي، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.

١٧٣- **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، لشيخ الاسلام أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام بن تيمية الحراني ٦٢٨هـ، تحقيق: د/ علي بن حسن بن ناصر، د/ عبد العزيز العسكر، د/ حمدان الحمدان، دار العاصمة، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ.

١٧٤-**الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي**، لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

١٧٥-**الجواهر المضية في طبقات الحنفية**، لمحيي الدين عبد القادر محمد بن محمد ابن أبي الوفاء القرشي الحنفي (٦٩٦هـ)، تحقيق: عبد الفتاح محمد حلو، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ في هجر.

١٧٦-**جوهرة التوحيد**، لبرهان الدين إبراهيم بن هارون اللقاني، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر، تصحيح: أحمد سعد علي ـ القاهرة، ١٣٦٩هـ.

١٧٧- **حاشية أبو المنتهي على الفقه الأكبر**، للإمام أبي حنيفة، من مطبوعات كويتة ـ باكستان.

١٧٨-**حاشية الإمام أبي الحسن الحنفي المعروف بالسندي**، (١١٣٨هـ)، مطبوع بهامش سنن ابن ماجة باعتناء الشيخ خليل مأمون الشيحا، دار المؤيد ـ

الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

١٧٩ -**حاشية الدسوقي على الشرح الكبير**، للشيخ شمس الدين محمد عرفة الدسوقي، طبعة دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي.

١٨٠ -**حاشية الدسوقي على شرح أم البراهين**، للسنوسي، دار الفكر ـ بيروت.

١٨١ -**حاشية الشيخ محمد الشنواني على مختصر ابن أبي جمرة**، دار القلم ـ بيروت، لبنان.

١٨٢ -**حاشية كتاب التوحيد**، بقلم عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي (١٣١٢ـ١٣٩٢هـ)، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.

١٨٣ -**حجة الله البالغة**، للشيخ أحمد شاه ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي (ت:١١٧١هـ)، ضبطه وراجع حواشيه: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

١٨٤ -**الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة**، إملاء: الإمام الحافظ قوام السنة أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني (ت:٥٣٥هـ)، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية ـ الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.

١٨٥ -**حديث الأحرف السبعة دراية ورواية**، للدكتور/ عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ.

١٨٦ -**حراسة العقيدة**، د/ ناصر عبد الكريم العضل، مطابع أضواء السلف ـ الرياض.

١٨٧ -**الحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها وحكم الإسلام فيها**، لمحمد أحمد الخطيب، دار عالم الكتب ـ الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

١٨٨ -**حفظ القرآن الكريم وتعليمه في جميع مراحل التعليم العام والتعليم الجامعي**، (تقرير)، د.حمد بن ناصر العمار، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.

١٨٩ -**حقيقة الخلاف بين علماء الشيعة وعلماء المسلمين**، الندوة العالمية للشاب للإسلامي الدار سعيد إسماعيل، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة

الرابعة، ١٤٠٩هـ.

١٩٠-**حكم القراءة للأموات هل يصل ثوابها إليهم**، لمحمد أحمد عبد السلام، راجعه: محمد مهدي، الجامعة الإسلامية، الطبعة الثالثة.

١٩١-**الحكم بغير ما أنزل الله وأصول التكفير في ضوء الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة**، لخالد بن علي بن محمد العنبري، قرظه وقدم له: الشيخ د/ صالح بن غانم السدلان، توزيع مكتب العلم بجدة، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.

١٩٢-**الحكم بما أنزل الله فرض عين على كل مسلم**، مقالات سعد الحصين، جمع إعداد: رداد بن عبد الله الرداد، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

١٩٣-**الحكومة الإسلامية**، لآية الله الخميني، منشورات المكتبة الإسلامية الكبرى.

١٩٤-**حلية الأبدال**، لابن عربي الوجودي، دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ.

١٩٥-**حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء**، لسيف الدين أبي بكر محمد القفال، تحقيق: ياسين أحمد إبراهيم، مكتبة الرسالة ـ الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

١٩٦-**الحيدة**، لعبد الغني بن يحيى بن مسلم الكناني المكي (ت:٢٤٠هـ)، الجامعة الإسلامية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.

١٩٧-**الخريدة البهية في العقائد التوحيدية**، لأبي البركات أحمد بن محمد الدردير، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر، تصحيح: أحمد سعد علي ـ القاهرة، ١٣٦٩هـ.

١٩٨-**خصائص القرآن الكريم**، أ.د/ فهد بن عبد الرحمن الرومي، مكتبة التوبة ـ الرياض، الطبعة العاشرة، ١٤٢١هـ.

١٩٩-**خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه**، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٤٠٠هـ.

٢٠٠-**الخطر اليهودي برتوكولات حكماء صهيون**، ترجمه: محمد خليفة التونسي، مكتبة دار التراث ـ القاهرة، الطبعة الثانية.

٢٠١-**خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام**، ليحيى بن شرف النووي (ت:٦٧٦هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسين إسماعيل الجمل، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٢٠٢-**خلاصة تلخيص المفتاح لكاتب هذه السطور**، وهو مصور مخطوط.

٢٠٣-**خلق أفعال العباد**، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (١٩٤ـ ٢٥٦هـ)، تقديم وتحقيق: بدر البدر، الدار السلفية ـ الكويت، الطبعة: ١٤٠٥هـ.

٢٠٤-**الخوارج والفكر المتجدد**، للشيخ عبد المحسن ناصر العبيكان، اعتنى بها: جابر ابن علي المري، مكتبة ابن القيم ـ الكويت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

٢٠٥-**الدار الآخرة**، لبعد الحسين دستغيب، مؤسسة دار الكتاب (الجزائري) للطباعة والنشر ـ قم إيران، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

٢٠٦-**الدر المنثور في تفسير المأثور**، للحافظ عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، دار الفكر ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

٢٠٧-**الدر النضيد**، لمجموعة ابن الحفيد سيف الدين يحيى بن سعد الدين التفتازاني، دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٤٠٠هـ.

٢٠٨-**درء تعارض العقل والنقل**، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم.

٢٠٩-**دراسات في الفرق: الصوفية نشأتها وتطورها**، لمحمد العبد ة وطارق عبد الحليم، مكتبة الكوثر للنشر والتوزيع ـ الرياض، الطبعة الرابعة.

٢١٠-**دراسات في الفرق: المعتزلة بين القديم والحديث**، لمحمد العبده، طارق عبد الحليم، دار ابن حزم للطباعة والنشر ـ بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٢١١-**درة التنزيل وغرة التأويل**، لمحمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي (٤٢٠هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٢١٢- **دستور العلماء وجامع العلوم في اصطلاحات الفنون**، للقاضي عبد النبي ابن عبد الرسول الأحمد، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٢١٣-**دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب بين مؤيديها ومعارضيها في شبه القارة الهندية**، لأبي المكرم بن عبد الجليل، دار السلام للنشر والتوزيع ـ جدة، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.

٢١٤-**دعوة التوحيد**، للشيخ د/ محمد خليل هراس، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٢١٥-**دلائل الإعجاز**، لعبد القاهر الجرجاني، مطبوع مع رسالتين آخريين في الإعجاز بعنوان: ثلاث رسائل في الإعجاز للرماني والخطابي والجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، د/ محمد زغلول سلام، دار المعارف ـ القاهرة، الطبعة الرابعة.

٢١٦-**دلائل التوحيد**، للشيخ محمد جمال الدين القاسمي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٢١٧-**دمية القصر وعصرة أهل العصر**، لأبي الحسن الباخرزي،، تحقيق: د/ سامي مكي العاني، دار العروبة للنشر ـ الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

٢١٨-**الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، القاضي إبراهيم بن نور الدين المعروف بابن فرجون المالكي، تحقيق: مأمون بن محيي الدين الحنان، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٢١٩-**ذخيرة الحفاظ المخرج على الحروف والألفاظ**، للحافظ محمد بن طاهر المقدسي (٥٠٧هـ)، تحقيق: د/ عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريواني... دار السلف للنشر والتوزيع ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٢٢٠-**ذم ما عليه مدعو التصوف**، فتوى ابن قدامة المقدسي، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.

٢٢١-**رحلة المصحف الشريف من الجريد إلى التجليد**، لحسن قاسم حيش البناتي، دار القلم للطباعة والنشر ـ بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٢٢٢-**الرد القويم البالغ على كتاب الخليلي المسمى بالحق الدامغ**، للشيخ د/ علي بن محمد ناصر فقيهي، دار المآثر ـ المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ.

٢٢٣-**رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار**، لمحمد أمين الشهير بابن عابدين، تحقيق: عادل أحمد، علي محمد معوض، توزيع مكتبة الباز ـ مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٢٤-**الرد على الرفاعي والسيوطي في كذبهما على أهل السنة ودعوتهما إلى البدع والضلال**، لشيخنا عبد المحسن بن حمد العباد البدر، دار ابن الأثير ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٢٢٥-**الرد على الزنادقة والجهمية**، للإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ـ ٢٤١هـ)، الدار السلفية ـ الكويت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ.

٢٢٦-**الرد على المنطقيين**، للإمام أحمد بن تيمية، المكتبة الإمدادية ـ مكة المكرمة الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.

٢٢٧-**رسائل وفتاوى في ذم ابن عربي الصوفي**، جمع وتحقيق: د/ موسى بن سليمان الدويش، إدارة المطبوعات ـ المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٢٢٨-**رسالة ابن عربي للرازي**، لمحمد بن علي بن عربي الصوفي الحلولي، دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن، ١٣٦٧هـ.

٢٢٩-**رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت**، لعبيد الله ابن سعيد السجزي، تحقيق: محمد باكريم با عبد الله، الجامعة الإسلامية ـ المدينة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٢٣٠-**الرسالة النونية**، لمحمد ابن أبي بكر ابن قيم، مكتبة الخزاز ـ جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٢٣١-**رسالة في ألفاظ الكفر**، لتاج الدين أبي المعالي مسعود بن أحمد الحنفي، ضمن: الجامع في ألفاظ الكفر، للشيخ د/ محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار إيلاف الدولية ـ الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٢٣٢-**رسالة في ألفاظ الكفر**، لقاسم بن صلاح الدين الخاني، ضمن: الجامع في ألفاظ الكفر، للشيخ د/ محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار إيلاف الدولية ـ الكويت،

الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٢٣٣-**رسالة في علم التوحيد**، لإبراهيم البيجوري، ضمن: مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر، تصحيح: أحمد سعد علي ـ القاهرة، ١٣٦٩هـ.

٢٣٤-**رسالة لا يعول عليه**، لابن عربي الصوفي الحلولي، المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن، ١٣٦٧هـ.

٢٣٥-**الرسالة**، للإمام الشافعي، تحقيق: محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ.

٢٣٦-**الرسالة**، للإمام محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، التراث ـ القاهرة، ١٣٩٩هـ.

٢٣٧-**رفع النقاب عن تراجم الأصحاب**، لإبراهيم بن محمد بن سالم بن ضويان (١٢٧٥ـ ١٣٥٣هـ)، تحقيق: محب الدين عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٢٣٨-**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع والمثاني**، لأبي الفضل شهاب الدين السيد الألوسي البغدادي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٣٩-**الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة والآثار وأقوال العلماء**، لشمس الدين أبي عبد الله بن قيم الجوزية، تحقق وقدم له وعلق حواشيه: محمد اسكندر بلدا، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٢٤٠-**الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم**، لابن وزير الصنعاني (ت:٨٤٠هـ)، تحقيق: محمد علاء الدين المصري ـ بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٢٤١-**روض الطالبين**، يحيى بن شرف النووي (٦٧٦هـ) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لم يذكر سنة الطباعة.

٢٤٢-**روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل**، لابن قدامة المقدسي، وبهامشه نزهة الخاطر العاطر: لعبد القادر بن أحمد

الدمشقي، دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٢٤٣-**زاد المسير في علم التفسير**، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٥٨-٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ.

٢٤٤-**زاد المعاد في هدي خير العباد**، لابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، تعليق: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة السادسة، ١٤١٢هـ.

٢٤٥-**الزواجر عن إقتراف الكبائر**، لأبي العباس أحمد بن محمد الهيتمي (٩٧٤هـ)، ضبطه وكتب هوامشه أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

٢٤٦-**سبعون فتوى في احترام القرآن**، جمع وترتيب: أبي أنس علي بن حسين أبو لوز، دار الوطن - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٢٤٧-**سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام**، للإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني، تقديم وتخريج: محمد عبد القادر، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٢٤٨-**سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: ١٤١٥هـ.

٢٤٩-**سلم الوصول إلى علم الأصول في توحيد الله واتباع الرسول**، للشيخ حافظ ابن أحمد الحكمي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

٢٥٠-**السنة**، لأحمد بن محمد بن يزيد الخلال (٣١١هـ)، تحقيق: د/ عطية بن عتيق الزهراني، دار الراية - الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.

٢٥١-**السنة**، لعبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

٢٥٢-**السنة**، لعمرو ابن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني (ت:٢٨٧هـ)، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ.

٢٥٣-**سنن ابن ماجة**، شرح الإمام أبي الحسن الحنفي السندي (١٣٨هـ)، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة ـ بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
٢٥٤-**سنن أبي داود**، لسليمان بن الأشعث السجستاني (٢٠٢ـ٢٧٥هـ)، إعداد وتعليق: عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، دار ابن حزم ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
٢٥٥-**سنن الدارمي**، للإمام أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن المفضل بن بهرام التميمي (٢٥٥هـ)، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العليمة ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
٢٥٦-**سنن النسائي**، شرح الحافظ جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، وحاشية الإمام السندي (١١٣٨هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث الإسلامي، دار المعرفة ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.
٢٥٧-**السنن والمبتدعات**، لعبد السلام خضر الشقيري، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
٢٥٨-**سير أعلام النبلاء**، لمحمد بن أحمد ـ شمس الدين ـ الذهبي (٧٤٨هـ)، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
٢٥٩-**سيرة الإمام البخاري**، لعبد السلام المباركفوري (١٢٨٩ـ١٣٤٢هـ)، الدار السلفية ـ بومباي، الهند، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.
٢٦٠-**الشاهد**، لمحمد بن علي بن عربي الطائي الصوفي الحلولي، دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن، ١٣٦٧هـ.
٢٦١-**شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ)، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، طبعة جديدة لم تذكر سنة الطبع.
٢٦٢-**شرح ابن عقيل... على ألفية ابن مالك**، للقاضي القضاة بهاء الدين عبد الله ابن عقيل العقيلي الهمداني المصري (٦٧٢هـ)، المكتبة العصرية ـ بيروت، ١٤١٤هـ.
٢٦٣-**شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة**

والتابعين ومن بعدهم، لهبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي (٤١٨هـ)، تحقيق: أحمد بن محسن، وحمدان الغامدي، دار الطيبة ـ الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ.

٢٦٤-**شرح الأصبهانية**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق ودراسة: محمد بن عودة السعوي، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة ١٤٠٧هـ.

٢٦٥-**شرح الإمام علي القاري على كتاب ألفاظ الكفر**، للعلامة بدر الرشيد، تحقيق: د/ الطيب بن عمر الحسين الشنقيطي، دار الفضيلة... للنشر والتوزيع ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٢٦٦-**شرح السنة**، للإمام البغوي الحسين بن مسعود (٥١٦هـ) تحقيق: زهير الشاويش، شعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٢٦٧-**الشرح الصغير على أقرب المسالك**، لأبي البركات أحمد الدردير، طبع دار المعارف ـ مصر.

٢٦٨-**شرح العقيدة السلفية الكواكب الدرية لشرح "الدرة المضيئة في عقيدة أهل الفرقة المرضية"**، للعلامة الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع، حققه:أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٢٦٩-**شرح العقيدة الطحاوية**، لعلي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، تحقيق: عبد الله ابن عبد المحسن التركي، شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٢٧٠-**شرح العقيدة النونية المسماة الكافية الشافية في الانتصار الفرقة الناجية**، للإمام ابن القيم الجوزية، شرحها وحققها: د/ محمد خليل هراس، مكتبة دار الباز عباس أحمد الباز ـ مكة، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.

٢٧١-**شرح العقيدة الواسطية**، للشيخ محمد خليل هراس راجعه الشيخ عبد الرزاق عفيفي، من مطبوعات جمعية إحياء التراث الإسلامي ـ الكويت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٢٧٢-**شرح العمدة في الفقه**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د/ سعود بن صالح العطيشان، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٢٧٣-**شرح المواقف**، للقاضي عضد الدين عبد الرحمن الإيجي (٧٥٦هـ)، تأليف: سيد الشريف علي بن محمد الجرجاني (٨١٦هـ)، ضبطه وصححه: محمد عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٢٧٤-**شرح الواسطية**، للشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، مكتبة المعارف ـ الرياض، الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ.

٢٧٥-**شرح كتاب الفقه الأكبر**، للملا علي القاري الحنفي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان.

٢٧٦-**شرح مشكل الآثار**، لأبي جعفر بن محمد الطحاوي (٣٢١هـ)، حققه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٧٧-**شعب الإيمان**، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: أبي هاجر محمد بن السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

٢٧٨-**الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، للقاضي أبي الفضل عياض اليحصبي، منشورات المكتبة التجارية الكبرى، توزيع دار الفكر ـ بيروت.

٢٧٩-**شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور**، لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي (١٠٣٣هـ)، مكتبة نزار مصطفى الباز ـ مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٢٨٠-**شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**، لأبي الطيب تقي الدين محمد بن أحمد بن علي القاسمي المكي المالكي (ت٨٣٢هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان.

٢٨١-**الشيعة الاثنا عشرية وتحريف القرآن**، لمحمد عبد الرحمن السيف، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

٢٨٢-**الصارم المسلول على شاتم الرسول**، لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان،

الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٢٨٣-**صب العذاب على من سب الأصحاب**، لمحمود شكري الألوسي (ت١٣٤٢هـ)، راجعه وحققه: عبد الله البخاري، أضواء السلف ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٢٨٤-**صحيح البخاري**، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (١٩٤ـ ٢٥٦هـ)، دار السلام ـ الرياض، الطبعة...، ١٤١٧هـ.

٢٨٥-**صحيح الترغيب والترهيب**، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٢٨٦-**صحيح الجامع الصغير وزيادته**، للسيوطي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ.

٢٨٧-**صحيح سنن أبي داود**، لسليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥هـ)، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف ـ الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.

٢٨٨-**صحيح سنن أبي داود**، للإمام الحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥هـ)، تأليف: الألباني (ت١٤٢٠هـ)، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع ـ الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٨٩-**صحيح مسلم أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري**، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٢٩٠- **صحيح مسلم بشرح النووي**، دار الديان للتراث ـ القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٢٩١-**صريح السنة**، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، تحقيق: بدر يوسف المعتوق، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

٢٩٢-**الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه**، د/ محمد أمان بن علي الجامي، دار الحرمين للطباعة ـ القاهرة.

٢٩٣-**الصفدية**، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار الهدي النبوي ـ مصر، المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٢٩٤-**الصوارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد**، تأليف: الشوكاني، تحقيق وتعليق: د/ محمد ربيع هادي المدخلي، دار الحريري للطباعة ـ مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٢٩٥-**الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، للإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق: د/ أحمد عطية الغامدي، طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٢٩٦-**صون المنطق والكلام**، لجلال الدين السيوطي، تأليف: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان.

٢٩٧-**صيحة حق في حمام الباطل**، تأليف أحمد بن يحيى النجمي، مكتبة الفرقان ـ الإمارات العربية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٢٩٨-**صيد الخاطر**، للحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي البغدادي (٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان.

٢٩٩-**ضلال جماعة الأحباش**، رسالة صادرة من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالسعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٣٠٠-**الضوء اللامع**، لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت، لبنان.

٣٠١-**ضياء النور من إحياء السنة لدحض الفجور وإماتة البدعة**، للشيخ محمد طاهر، ناشر: مكتبة اليمان ـ باكستان، بنج بير.

٣٠٢-**طبقات الحفاظ**، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.

٣٠٣-**طبقات الحنابلة**، لمحمد محمد بن الحسين ابن أبي يعلى الحنبلي (٥٢٦هـ)، تخريج: أسامة حسن، حازم علي البهجة، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٣٠٤-**طبقات الشافعية الكبرى**، لعبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (٧٢٧ـ ٧٧١هـ)، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطاهي، دار إحياء

الكتب العربية.

٣٠٥-**الطبقات الكبرى**، لمحمد بن سعد البصري، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطاء، توزيع: مكتبة عباس أحمد الباز ـ مكة المكرمة، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.

٣٠٦-**طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية**، تأليف نجم الدين أبي جعفر عمر بن محمد الحنفي، علق عليه ووضع حواشيه: أبو عبد الله محمد حسن محمد إسماعيل الشافعي، توزيع مكتبة عباس أحمد الباز ـ مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٣٠٧-**ظلال الجنة في تخريج السنة**، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المطبوع بهامش كتاب السنة لابن أبي عاصم، الكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ.

٣٠٨-**عبد الله بن سبأ وإمامة علي ابن أبي طالب**، تأليف: علي بن عبد الرحمن السلمان، دار الأمل للنشر والتوزيع ـ القاهرة.

٣٠٩-**العبودية**، تأليف: تقي الدين ابن تيمية الدمشقي (٧٢٨هـ)، تحقيق: علي حسن عبد الحميد، دار الأصالة...، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.

٣١٠-**العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب**، تأليف: محمد حامد الناصر، مكتبة الكوثر للنشر والتوزيع ـ الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ.

٣١١- **عقائد الإمامية**، لمحمد رضا المظفر، مطبوعات النجاح بالقاهرة، الطبعة الثالثة، ١٣٩١هـ.

٣١٢-**العقائد النسفية**، لعمر بن محمد النسفي، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر، تصحيح: أحمد سعد علي ـ القاهرة، ١٣٦٩هـ.

٣١٣-**العقيدة الإسلامية في مواجهة المذاهب الهدامة**، تأليف: د/ محمد أبو الغيط الفرت، ود/ محمد رواس قلعجي، دار البحوث العلمية ـ الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

٣١٤-**العقيدة الإسلامية وأسسها**، لعبد الرحمن حبنكة الميداني، الطبعة الأولى، ١٩٦٦م.

٣١٥-**عقيدة السلف أصحاب الحديث**، لشيخ الإسلام إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني (٣٧٣ـ ٤٤٩هـ)، تحقيق: بدر عبد الله البدر، مكتبة الغرباء الأثرية ـ المدينة، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.

٣١٦-**العقيدة السلفية في كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية**، لعبد الله ابن يوسف الجديع، دار الصميعي - الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ.

٣١٧-**العقيدة الطحاوية**، لأحمد بن محمد بن سلامة الأزدي، شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

٣١٨-**عقيدة المؤمن**، للشيخ أبي بكر جابر الجزائري، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٩٨هـ.

٣١٩-**العقيدة الواسطية**، لأحمد بن تيمية، تخريج سعد الصميل، دار ابن الجوزي - المملكة، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ.

٣٢٠-**علل الشرائع**، لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، منشورات المكتبة الحيدرية، ومطبعتها في النجف سنة ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م.

٣٢١-**العلل المتناهية في الأحاديث الواهية**، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (٥٩٧هـ)، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، إدارة ترجمان السنة - باكستان.

٣٢٢-**علماء الشعية يقولون**، وثائق مصورة من كتب الشيعة، إعداد: مركز إحياء التراث آل البيت.

٣٢٣-**عمل اليوم الليلة**، للإمام أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ)، تحقيق: د/ فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

٣٢٤-**عناية الإعلام السعودي بالقرآن الكريم (مع دراسة تحليلية لبرامج القناة الأولى)**، د/ إسماعيل أحمد النزاري، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.

٣٢٥-**عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم من خلال المدارس الخاصة لتحفيظ القرآن الكريم والكليات الجامعية للقرآن وعلومه**، د/ محمد بن سيدي محمد، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.

٣٢٦-**عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم**، من إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مركز البحوث والدراسات، طبع بمناسبة ندوة" عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم" والتي نظمها مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، عام ١٤٢١هـ.
٣٢٧-**عناية المملكة العربية السعودية بتفسير القرآن الكريم وترجمة معانيه**، أعده: د/ مانع ابن حماد الجهني، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.
٣٢٨-**عناية المملكة العربية السعودية بطباعة المصحف الشريف، وتسجيل تلاوته، وترجمة معانيه ونشره**، أ/ د/ محمد بن سالم العوفي، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.
٣٢٩-**العناية بالقرآن الكريم وعلومه من بداية القرآن الرابع الهجري إلى عصرنا الحاضر**، د/ نبيل بن محمد آل إسماعيل، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.
٣٣٠-**عون المعبود شرح سنن أبي داود**، للعلامة أبي الطيب محمد شمس الدين العظيم آبادي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.
٣٣١-**العين والأثر في عقيدة أهل الأثر**، لعبد الباقي المواهبي الحنبلي (١٠٧١هـ)، تحقيق: عصام رواص قلعجي، دار المأمون، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
٣٣٢-**غاية الأماني في الرد على البنهاني..**، لمحمود شكري الألوسي (ت١٣٤٢هـ)، مكتبة العلم بجدة.
٣٣٣-**غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام**، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، بإشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٤هـ.
٣٣٤-**غريب الحديث**، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (٢٢٤هـ)، دار الكتب

العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٣٣٥-**الغنية في أصول الدين**، لأبي سعيد عبد الرحمن النيسابوري، المعروف بالمتوَلي الشافعي (٤٧٨هـ)، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، الكتب الثقافية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٣٣٦-**فتاوى ابن الصلاح في التفسير والحديث والأصول والفقه**، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار العين ـ حلب، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٣٣٧-**فتاوى أركان الإسلام**، لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الثريا للنشر والتوزيع ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٣٣٨-**فتاوى الإمام الشاطبي**، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الأندلسي الشاطبي، تحقيق: محمد أبو الأجفان، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ، حقوق الطبعة للمؤلف.

٣٣٩-**الفتاوى الجلية عن المناهج الدعوية**، أحمد بن يحيى النجمي، جمع وتعليق: حسن ابن محمد، مكتبة الفرقا ـ الإمارات، عجمان، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.

٣٤٠-**فتاوى الدين الخالص**، ألفها: أبو محمد أمين الله البشاوري، معراج كتب خانة ـ بشاور، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٣٤١-**الفتاوى الكبرى**، لشيخ الإسلام بن تيمية (٧٢٨هـ)، تقديم وتخريج: حسني محمد مخلوف، دار المعرفة ـ بيروت.

٣٤٢-**فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء**، للشيخ أحمد بن عبد الرزاق الدويش، دار العاصمة ـ الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.

٣٤٣-**فتاوى وتنبيهات ونصائح**، لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، مكتبة السنة ـ القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٣٤٤-**فتح الباري شرح صحيح البخاري**، لأحمد ابن حجر العسقلاني، قام بإخراجه: محب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان ـ القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٣٤٥-**فتح الباري شرح صحيح البخاري**، للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن ابن رجب الحنبلي (٧٩٥هـ)، تحقيق: محمود شعبان بن عبد المقصود، ومجدي بن عبد الخالق الشافعي، وإبراهيم بن إسماعيل القاضي، وآخرين، مكتبة الغرباء الأثرية ـ المدينة المنورة، الطبعة الأولى١، ١٤١٧هـ.

٣٤٦-**فتح البيان في مقاصد القرآن**، لصديق حسن خان (١٣٠٧هـ)، دار أم القرى للطباعة والنشر ـ القاهرة.

٣٤٧-**فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن**، تأليف: الإمام أبي يحيى زكريا الأنصاري، حققه وعلق عليه: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم ـ بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

٣٤٨-**فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، لمحمد بن علي ابن محمد الشوكاني، ظبطه وصححه: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٣٤٩-**الفرق بين الفرق**، لعبد القادر بن طاهر التميمي (٤٢٩هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٣٥٠-**الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**، تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية، المكتب الإسلامي ـ بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ.

٣٥١-**الفروع**، للإمام شمس الدين المقدسي أبي عبد الله محمد بن مفلح (٧٦٢هـ)، عالم الكتب ـ بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.

٣٥٢-**فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب**، لحسين بن محمد تقي النوري الطبرسي، طبعة حجرية.

٣٥٣-**فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال**، لمحمد بن أحمد بن رشد الأندلسي (٥٩٥ هـ)، مكتبة التربية ـ بيروت، ١٩٨٧م.

٣٥٤-**الفصل في الملل والأهواء والنحل**، للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري، المطبعة الأدبية ـ القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣١٧هـ.

٣٥٥-**فصل في بيان اعتقاد أهل الإيمان**، للإمام شيخ الإسلام أبو طاهر إبراهيم بن أحمد ابن يوسف القرشي من علماء القرن الخامس الهجري، اعتنى به وشرحه: راجي عفو ربه أبو يحيى محمد المعتادي، مكتبة الغرباء الأثرية ـ المدينة، ١٤١٨هـ.

٣٥٦-**فضائل القرآن**، للإمام أبي عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ)، تحقيق وتعليق: وهبي سليمان غاوجي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٣٥٧-**فضائل القرآن**، لابن كثير (ت٧٤٤هـ)، دار الأندلس للطباعة والنشر ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ.

٣٥٨-**فضل علم السلف على علم الخلف**، لأبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين ابن رجب الحنبلي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر.

٣٥٩-**الفقه الأكبر** المنسوب للإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي (١٥٠هـ)، المطبوع بهامش شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٣٦٠-**فقه السيرة**، لمحمد الغزالي، خرج أحاديثه: محمد الألباني، دار الكتب العلمية ـ القاهرة، الطبعة السابعة، ١٩٩٦هـ.

٣٦١-**الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة**، بقلم: عبد الرحمن عبد الخالق، مكتبة دار السلام ـ الرياض.

٣٦٢-**الفناء**، لمحمد بن عربي الصوفي الحلولي، دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن، ١٣٦١هـ.

٣٦٣-**الفهرس**، لمحمد بن أبي يعقوب بن إسحاق (٣٨٠هـ)، تعليق: د/ يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٣٦٤-**الفوائد**، للإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الريان للتراث ـ القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٣٦٥-**الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني**، للشيخ أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي المالكي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٣٦٦-**قاموس الغذاء والتداوي بالنبات**، لأحمد قدامة، دار النقاش ـ بيروت، الطبعة

السادسة، ١٤١٠هـ.

٣٦٧-**القاموس المحيط**، للإمام محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٣٦٨-**قانون التأويل**، لابن العربي المعافري المالكي، تحقيق: محمد السليماني، دار القبلة، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٣٦٩-**القراءات العشر المتواترة**، مطبوع بهامش المصحف،: إعداد: محمد كريم راجح، دار المهاجر ـ المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

٣٧٠-**القرآن الكريم وترجمة معانيه وتفسيره إلى لغة البشتو**، مطبعة مجمع الملك فهد ـ المدينة المنورة.

٣٧١-**القرآنيون وشبهاتهم حول السنة**، لخادم حسين إلهي بخش، مكتبة الصديق للنشر والتوزيع ـ الطائف، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٣٧٢-**القربة**، لمحمد بن عربي الصوفي الحلولي، دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن، ١٣٦٢هـ.

٣٧٣-**قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة المرسلين**، لعبد الرحمن بن حسن بن محمد ابن عبد الوهاب (١٢٨٥هـ)، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد ـ الرياض، الطبعة الأولى١، ١٤١٤هـ.

٣٧٤-**القسم الإلهي**، لابن عربي الصوفي الحلولي، دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن، ١٣٦٧هـ.

٣٧٥-**قضايا عقدية معاصرة**، أ/ د/ ناصر عبد الكريم العقل، دار الفضيلة ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٣٧٦-**قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر**، لمحمد صديق حسن خان القنوجي، وضع حواشيه: محمد أمين، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٣٧٧-**قمع الدجاجلة الطاعنين في معتقد أئمة الإسلام الحنابلة**، لعبد العزيز فيصل الراجحي، مطابع الحميضي ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٣٧٨-**قواطع الأدلة في أصول الفقه**، لمنصور بن محمد بن عبد الله الجبار السمعاني (٤٨٩هـ)، تحقيق: د/ عبد الله بن حافظ بن أحمد الحكمي، مكتبة التوبة ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٣٧٩-**القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى**، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، من مطبوعات الجامعة الإسلامية ـ المدينة النبوية، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ.

٣٨٠-**القواعد النورانية الفقهية**، لشيخ الإسلام أحمد ابن تيمية (٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٣٨١-**القوانين الفقهية**، لابن جزي المالكي (بدون).

٣٨٢-**القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع**، للحافظ شمس الدين محمد ابن عبد الرحمن السخاوي الشافعي (٩٠٢هـ)، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٣٨٣-**القول المفيد في حكم الأناشيد مع فتاوى لعلماء العصر**، تأليف: عصام بن عبد المنعم المري، مكتبة الفرقان ـ عجمان، الطبعة الأولى١، ١٤٢٠هـ.

٣٨٤-**الكامل في التاريخ**، لمحمد بن محمد بن عبد الكريم المشهور بابن الأثير (٦٣٠هـ)، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٣٨٥-**كتاب الإمامة والرد على الرافضة**، للحافظ أبي نعيم الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، حققه وعلق عليه: الشيخ د/ علي بن ناصر فقيهي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٣٨٦-**كتاب السنن الكبرى**، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، دار المعرفة ـ بيروت.

٣٨٧-**كتاب المصاحف**، لأبي بكر بن أبي داوود السجستاني، تحقيق: محمد بن عبده، مكتبة الفاروق الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى.

٣٨٨-**كتاب النبي ﷺ**، تأليف: د/ محمد مصطفى الأعظمي، شركة الطباعة العربية ـ

الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠١هـ.

٣٨٩-**كتاب تجريد التوحيد المفيد**، لأحمد بن علي المقريزي المصري الشافعي (ت٨٤٥هـ)، حققة وقدم له: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد ـ مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٣٩٠-**كتاب جمع الوسائل في شرح الشمائل**، للشيخ علي بن سلطان محمد القارئ، دار الأقصى.

٣٩١-**كتاب فضائل القرآن، وتلاوته، وخصائص تلاوته وحملته**، لأبي الفضل عبد الرحمن ابن أحمد بن الحسن الرازي (٤٥٤هـ)، تحقيق: د/ عامر حسن صبري، دار البشائر ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٣٩٢-**الكتب**، لابن عربي الوجودي، دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ.

٣٩٣-**الكشاف عن حقائق التنـزيل وعيون الأقاويل في وجوب التأويل**، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، طبعة ١٣٨٥هـ ـ١٩٦٦م.

٣٩٤-**كشف الأسرار**، لروح الله خميني، قدم له: د/ محمد أحمد التخطيب، علق عليه: سليم الهلالي، دار عمان للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية.

٣٩٥-**كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، لمصطفى عبد الله الحنفي المعروف بحاجي خليفة (١٠١٧ ـ ١٠٦٧هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٣٩٦-**كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء**، لابن القيم الجوزية، تحقيق: ربيع أحمد خلف، دار الجيل ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٣٩٧-**الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ**، لمحمود عبد الرؤوف القاسم، المكتبة الإسلامية ـ عمان ـ الأردن، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.

٣٩٨-**الكفاية في علم الرواية**، للحافظ أبي بكر أحمد بن على بن ثابت المعروف

بالخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تقديم: محمد الحافظ التيجاني، ومراجعة: عبد الحليم محمد عبد الحليم، وغيره، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى.

٣٩٩-**الكلام على مسألة السماع**، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق ودراسة: راشد بن عبد العزيز الحمد، دار العاصمة ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٤٠٠-**الكلام على مسألة السماع**، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: ربيع ابن أحمد ابن خلف، دار الجيل ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٤٠١-**الكلم الطيب**، للإمام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الدمشقي (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ـ الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ.

٤٠٢- **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي (ت١٠٩٤هـ)، قابله على نسخة خطية وأعده للطبع ووضع فهارسه: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ .

٤٠٣-**كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة**، لعبد الرحمن حبنكة، دار القلم ـ دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.

٤٠٤-**كيد الشيطان لنفسه قبل خلق آدم ﷺ ومعه مذاهب الفرق الضالة**، للعلامة ابن الجوزي (٥٩٧هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٤٠٥-**لسان العرب**، للإمام العلامة ابن منظور (٧١١هـ)، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.

٤٠٦-**لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**، للشيخ محمد بن أحمد السفاريني الأثري الحنبلي، منشورات مؤسسة الخافقين ـ دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.

٤٠٧-**المباحث المشرقية في علم الإلهيات والطبيعيات**، لفخر الدين الرازي

(ت٦٠٦هـ)، تحقيق وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٤٠٨-**مباحث المفاضلة في العقيدة**، للدكتور محمد بن عبد الرحمن أبو سيف، وهو رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة، في الجامعة الإسلامية، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، عام ١٤١١هـ بإشراف د/ أحمد بن عمري العمري.

٤٠٩-**مبادئ الفلسفة**، للأستاذ س. رايوبرت، ترجمه أحمد أمين. دار الكتاب العربي ـ بيروت، لبنان، ١٩٧٩م.

٤١٠-**المبسوط**، لشمس الدين السرخسي، دار المعرفة ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٤١١-**متن الشيبانية ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم**، جمع دار الفكر، تصحيح: أحمد سعد علي ـ القاهرة، ١٣٦٩هـ.

٤١٢-**المثنوي**، لجلال الدين الرومي القونوي الوجودي الحلولي الصوفي المولوي، المطبوع مع شرحه لحضرت بحر العلوم، من مطبوعات: رحمن كل، بيشـاور.

٤١٣-**مجلة البحوث الإسلامية**، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ـ الرياض، الأمانة العامة للجنة كبار العلماء رئيس التحرير: محمد بن سعد الشويعر، مجلة فصلية تعني بالبحوث الإسلامية تصدر كل أربعة أشهر مؤقتا، الرياض.

٤١٤-**مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، دار الفكر، طبعة ١٤٠٨هـ.

٤١٥-**مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة**، صرح إسلامي لخدمة القرآن والسنة، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، وأعده المجمع بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.

٤١٦-**مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار**، لمحمد طاهر الفتني

الكجراتي (ت ٥٧٨هـ)، مكتبة دار الإيمان ـ المدينة، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ.

٤١٧-**المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث**، للإمام أبي موسى محمد بن أبي بكر الأصفهاني (ت٥٨١هـ)، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٤١٨-**المجموع شرح المهذب**، لأبي زكريا محي الدين النووي، دار الفكر.

٤١٩-**مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**، جمع وترتيب: الشيخ عبد الرحمن ابن محمد بن قاسم، وابنه محمد، طبع مجمع الملك فهد ـ المدينة المنورة ١٤١٦هـ.

٤٢٠-**المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري**، لعبد الأول ابن حماد الأنصاري، الناشر: المؤلف نفسه، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٤٢١-**مجموعة رسائل حسن البنا** ـ القاهرة، مصر.

٤٢٢-**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لعبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٤٢٣-**المحرر في أصول الفقه**، للإمام أبي بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي (ت٤٥٠هـ)، تخريج وتعليق: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٤٢٤-**محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين**، لفخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي، راجعه وقدم له وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٤٢٥-**المحلى**، لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم (ت٤٥٦هـ)، تحقيق: لجنة إحياء التراث الإسلامي، دار الجيل ـ بيروت.

٤٢٦- **محنة الإمام أحمد بن محمد بن حنبل**، لعبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٤٢٧-**مختار الصحاح**، لمحمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، عنى بترتيبه: محمود خاطر، دار الحديث ـ القاهرة.

٤٢٨-**مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، لابن القيم الجوزية، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث ـ القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٤٢٩-**مختصر الفتاوى المصرية**، للعلامة محمد بن علي الحنبلي البعلي (ت٧٧٧هـ)، أشرف على تصحيحه: عبد المجيد سليم، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٤٣٠-**مختصر لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية**، لمحمد بن علي بن سلوم، تحقيق: محمد زهري النجار، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

٤٣١-**مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن أيوب بن القيم الجوزية، توزيع عباس أحمد الباز ـ مكة المكرمة.

٤٣٢-**المدارس الخاصة لتحفيظ القرآن الكريم، والكليات الجامعية للقرآن وعلومه**، (تقرير) د/ محمد الأمين الحسين، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.

٤٣٣-**المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل**، لعبد القادر بن أحمد بن مصطفى، ضبطه وصححه وخرج الآيات والأحاديث: محمد أمين، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٤٣٤-**المدخل لدراسة القرآن الكريم**، للأستاذ محمد بن محمد أبو شهبة، دار الجيل ـ بيروت، طبعة ١٤١٢هـ.

٤٣٥-**مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ﷺ**، لمحمد بن باقر المجلسي ـ إيران.

٤٣٦-**مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات**، لأبي محمد علي بن أحمد ابن حزم، ونقد مراتب الإجماع لابن تيمية، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٤٣٧-**المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز**، لشهاب الدين عبد الرحمن

ابن إسماعيل ابن إبراهيم المعروف بأبي شامة (ت٦٦٥هـ)، حققه: طيار آلتي فولاج، دار صادر ـ بيروت، طبعة ١٣٩٥هـ.
٤٣٨-**مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، لملا علي القاري (ت١٠١٤هـ)، مكتبة إمدادية ـ باكستان.
٤٣٩-**المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، للعلامة السيوطي، شرح وتعليق: محمد جاد المولى بك، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية ـ بيروت، طبعة ١٤٠٨هـ.
٤٤٠-**المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة**، تحقيق: د/ عبد الإله ابن سلمان بن سالم الأحمدي، دار الطيبة ـ الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ.
٤٤١-**المسائل**، لابن عربي الوجودي، دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ.
٤٤٢-**المسابقات القرآنية المحلية والدولية**، (تقرير) أ/ عبد العزيز بن عبد الرحمن السبهين، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.
٤٤٣-**مستدرك الوسائل**، لحسين النوري الطبرسي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.
٤٤٤-**المستدرك على الصحيحين**، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
٤٤٥-**المستصفى في علم الأصول**، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، رقمها وضبطها: محمد عبد السلام الشافي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
٤٤٦-**المسند**، للإمام أحمد بن حنبل، بيت الأفكار الدولية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
٤٤٧-**المسيحية** (النصرانية)، دراسة وتحليل: أ/ ساجد مير، دار السلام للنشر والتوزيع ـ الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
٤٤٨-**مشارق الشموس الدرية**، لعدنان البحراني، المكتبة العدنانية ـ البحرين.

٤٤٩-**مشاهير علماء الأمصار**، للإمام الهمام السلفي أبي حاتم البستي، تحقيق: مجدي بن منصور، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٤٥٠-**مشكاة المصابيح**، لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.

٤٥١-**المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، لأحمد محمد علي المصري الفيومي (ت٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية ـ بيروت.

٤٥٢-**مصرع التصوف أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي**، لبرهان الدين البقاعي، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، من مطبوعات إدارة البحوث العلمية والإفتاء ـ الرياض، ١٤١٥هـ.

٤٥٣-**مصرع الشرك والخرافة**، للشيخ خالد محمد علي الحاج، حققه وراجعه: عبد الله ابن إبراهيم الأنصاري، من مطبوعات إدارة الشؤون الدينية بدولة قطر ١٣٩٨هـ.

٤٥٤-**المصنف في الأحاديث والآثار**، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العبسي (ت٢٣٥هـ)، تقديم وضبط: كمال يوسف الحوت، دار التاج ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٤٥٥-**المصنف**، للحافظ الكبير أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (١٧٦ـ ٢١١هـ)، تعليق وتحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، منشورات المجلس العلمي طبعة ١٣٩٠هـ.

٤٥٦- **مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيء على الأمة الإسلامية**، لأبي عبد العزيز إدريس محمود إدريس، مكتبة الرشد ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٤٥٧-**معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**، للشيخ العلامة حافظ ابن أحمد الحكمي (١٣٧٧هـ)، تحقيق: محمد صبحي بن حسن حلاق، دار ابن الجوزي ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٤٥٨-**المعارف**، لعبد الله بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، دار الكتب العلمية ـ

بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٤٥٩-**معالم السنن**، للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي (ت٣٨٨هـ)، المكتبة العلمية ـ بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ.

٤٦٠-**معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى**، د/ محمد خليفة التميمي، مكتبة أضواء السلف ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٤٦١-**المعتمد في أصول الدين**، لأبي يعلى محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلي، تحقيق: د/ وديع زيدان حداد، دار المشرق ـ بيروت، لبنان.

٤٦٢-**معجم البلدان**، لياقوت الحموي، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٤٦٣-**معجم الصحابة**، لعبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي (ت٣١٧هـ)، تحقيق: محمد الأمين محمد محمود الجكني، مكتبة دار البيان ـ دولة الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٤٦٤-**معجم ألفاظ العقيدة**، لأبي عبد الله عامر عبد الله فالح، تقديم: عبد الله ابن عبد الرحمن ابن جبرين، مكتبة العبيكان ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٤٦٥-**المعجم الفلسفي**، د/ جميل صليبا، طبع دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٩م.

٤٦٦-**معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية)**، لعمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٤٦٧-**معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، لعادل نويهض، قدم له: الشيخ حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

٤٦٨-**المعجم الوسيط**، لمجمع اللغة العربية في القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٠هـ.

٤٦٩-**معجم لغة الفقهاء**، وضعه: أ/ د/ محمد رواس قلعة جي وحامد صادق، وقطب مصطفى، دار النفائس ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٤٧٠-**معيار العلم في المنطق**، لأبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، شرحه: أحمد شمس

الدين، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٤٧١-**معيد النعم ومبيد النقم**، لتاج الدين السبكي، حققه: محمد علي النجار، وأبو زيد شلبي، ومحمد أبو العيون، دار الكتاب العربي ـ القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ.

٤٧٢-**مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، للإمام أبي محمد عبد الله بن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي.

٤٧٣-**مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج**، شرح: الشيخ محمد الشربيني الخطيب من علماء القرن العاشر الهجري، دار إحياء التراث الإسلامي ـ بيروت.

٤٧٤-**المغني**، لأبي محمد عبد الله بن قدامة الحنبلي (ت٦٢٠هـ)، تحقيق: عبد الله ابن عبد المحسن التركي، وعبد الفتاح محمد الحلو، دار عالم الكتب ـ الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ.

٤٧٥-**المفردات في غريب القرآن**، للراغب حسين بن محمد الاصفهاني، الضبط: محمد خليل، دار المعرفة ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٤٧٦-**المفصل في علم العربية**، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، دار الجيل ـ بيروت، الطبعة الثانية.

٤٧٧-**مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، لأبي الحسن الأشعري (٣٢٤هـ)، صححه: هلموت ريتر، دار إحياء التراث ـ بيروت، الطبعة الثالثة.

٤٧٨- **مقالة التعطيل والجعد** بن درهم، د/ محمد بن خليفة التميمي، مكتبة أضواء السلف ـ الرياض، الطبعة الأولى.

٤٧٩- **مقاييس اللغة**، لأحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: شهاب الدين أبو عدو، دار الفكر ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٤٨٠- **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، للإمام ابن قيّم الجوزية (ت٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٤٨١- **مقدمة العلامة ابن خلدون المغربي**، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت، طبعة ١٩٨٢م.

٤٨٢- **المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر**، للإمام أبي حفص عمر بن قاسم ابن محمد المصري الأنصاري، من علماء القرن التاسع الهجري، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٤٨٣- **الملل والنحل**، لأبي الفتح محمد عبد الكريم ابن أبي بكر الشهرستاني، تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت، لبنان.

٤٨٤- **الملل والنحل الواردة في كتاب الأنساب**، لأبي سعد عبد الكريم السمعاني (ت٥٦٢هـ)، جمع وترتيب: عبد الله بن صالح البراك، ويليه فوائد منتقاة من الكتاب، دار الوطن ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٤٨٥- **من فتاوى الأئمة الأعلام حول القرآن**، جمع وترتيب: عبد الكريم بن عبد المجيد الدرويش، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٤٨٦- **مناقب الشافعي**، للبيهقي، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث ـ القاهرة، دار النصر للطباعة، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ.

٤٨٧- **مناهج الأدلة في عقائد الملة**، لمحمد بن أحمد ابن رشد الأندلسي (ت٥٩٥هـ)، مطبوع مع فصل المقال، دار مكتبة التربية ـ بيروت، طبعة ١٩٨٧م.

٤٨٨- **مناهل العرفان في علوم القرآن**، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، تخريج الآيات والأحاديث: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية ـ بيروت، طبعة ١٤١٦هـ.

٤٨٩- **المنثور في القواعد**، للزركشي بدر الدين محمد بن بهاء الدين الشافعي (٧٤٥ـ ٧٩٤هـ)، تحقيق: تيسير فائق أحمد محمود، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

٤٩٠- **منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة**، لميرزا حبيب الله الخوئي، مؤسسة دار الوفاء ـ بيروت.

٤٩١- **منهاج السنة النبوية**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د/محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.

٤٩٢- **منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة**، لعثمان بن علي

حسن، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ـ الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ.
٤٩٣-**المنهج السلفي**، د/ مفرح بن سليمان القوسي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
٤٩٤-**المهذب في فقه الإمام الشافعي**، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي ين يوسف الشيرازي، مطبعة: عيسى البابي الحلبي بمصر.
٤٩٥-**الموافقات في أصول الشريعة**، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي المالكي (ت٧٩٠هـ)، دار المعرفة ـ بيروت، لبنان.
٤٩٦-**الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة**، د/ ناصر بن عبد الله القفاري، وناصر ابن عبد الكريم العقل، دار الصميعي للنشر والتوزيع ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
٤٩٧-**الموسوعة العربية الميسرة**، بإشراف: محمد شفيق غربال، دار الجيل.
٤٩٨-**الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، بإشراف وتخطيط ومراجعة: د/ مانع بن حماد الجهني، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ـ الرياض، الطبعة الثالثة.
٤٩٩-**موطأ الإمام مالك**، لأبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي (ت١٧٩هـ)، رواية محمد بن الحسن الشيباني، تعليق وتحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف. المكتبة العلمية، الطبعة الثانية.
٥٠٠-**موطأ الإمام مالك وشرحه تنوير الحوالك**، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي (٩١١هـ)، مكتبة ابن تيمية، طبعة ١٣٧٥هـ.
٥٠١-**الموطأ**، للإمام مالك بن أنس ﷺ، تعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار زمزم ـ الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
٥٠٢-**موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوي**، دراسة نقدية: محمد إسماعيل السلفي (ت١٣٨٧هـ)، تعريب وتقديم وتعليق: صلاح الدين مقبول أحمد، الدار السلفية ـ الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٥٠٣-**موقف الرافضة من القرآن الكريم**، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، إعداد: مامادو كارامبيري، إشراف الشيخ عبد الله الغنيمان، الجامعة الإسلامة، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، عام ١٤١٢هـ.

٥٠٤-**موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين**، لمصطفى صبري، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٥٠٥-**الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية**، د/ مفرح بن سليمان القوسي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٥٠٦-**ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر.

٥٠٧-**الميم والواو والنون**، لمحمد بن علي بن عربي الطائي الصوفي الحلولي، دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن، ١٣٦٧هـ.

٥٠٨-**النبوات**، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، مكتبة أضواء السلف، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٥٠٩-**نصب الراية لأحاديث الهداية**، لجمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف الزيلعي (ت٧٦٢هـ)، توزيع المكتبة التجارية مصطفى الباز- مكة المكرمة.

٥١٠-**نظرات في كتاب التصوير الفني في القرآن الكريم لسيد قطب**، لربيع بن هادي المدخلي، مكتبة الفرقان - الإمارات، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٥١١-**نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم البقاعي (ت٨٨٥هـ)، توزيع: مكتبة ابن تيمية، الطبعة الأولى، ١٣٩١هـ.

٥١٢-**نقش الفصوص**، لابن عربي الوجودي، دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ.

٥١٣-**نقض المنطق**، لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، صححه: محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية - القاهرة.

٥١٤-**نقض المنطق**، لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن تيمية (٦٢٨هـ)، (مخطوط)

المكتبة المحمودية، رقم(٢٥٣٩).
٥١٥-**نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله في التوحيد**، للإمام عثمان بن سعيد الدارمي (ت٢٨٠هـ)، حققه: منصور بن عبد العزيز السماري، مكتبة أضواء السلف ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
٥١٦-**النكت في إعجاز القرآن**، لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني (ت٣٨٦هـ)، وهو مطبوع مع ثلاث رسائل أخرى بعنوان: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي والجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، ود/ محمد زغلول سلام، دار المعارف ـ القاهرة، الطبعة الرابعة.
٥١٧-**نهاية الأقدام في علم الكلام**، للشيخ عبد الكريم الشهرستاني، حرره وصححه: الفربجيوم، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة.
٥١٨-**النهاية في غريب الحديث والأثر**، لمبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد، ومحمد محمد الطناحي، المكتبة العلمية ـ بيروت.
٥١٩-**نهج خميني في ميزان الفكر الإسلامي**، لمجموعة من الأساتذة، دار عمان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
٥٢٠- **نونية القحطاني**، لأبي محمد عبد الله بن محمد الأندلسي القحطاني، تصحيح وتعليق: محمد أحمد سيد أحمد، مكتبة السوادي للتوزيع ـ جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
٥٢١-**نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار**، لمحمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، دار الجيل ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٣هـ.
٥٢٢-**هداية الأريب الأمجد لمعرفة أصحاب الرواية عن أحمد**، لسليمان عبد الرحمن حمدان (١٣٢٢ـ ١٣٩٧هـ)، تحقيق: بكر عبد الله أبو زيد، دار العاصمة ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
٥٢٣-**هدي الساري مقدمة فتح الباري**، لأحمد بن علي بن حجر (ت٨٥٢هـ)، دار الريان للتراث ـ القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٥٢٤-**هدى الفرقان في علوم القرآن**، د/ غازي عناية، عالم الكتب ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٥٢٥-**هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون**، لإسماعيل باشا البغدادي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٥٢٦-**هذه هي الصوفية**، لعبد الرحمن الوكيل، دارالكتب العلمية ـ بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٩٨٤م.

٥٢٧-**وسطية أهل السنة بين الفرق**، د/ محمد باكريم باعبد الله، دار الراية للنشر والتوزيع ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٥٢٨-**الوصايا**، لابن عربي الوجودي، دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ.

٥٢٩-**الوصية**، لابن عربي الحلولي، جمعية دار المعارف العثمانية ـ حيدر آباد، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ.

٥٣٠-**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، لابن خلكان، تحقيق: د/ إحسان عباس، دار صادر ـ بيروت.

٥٣١-**الياء**، لمحمد بن علي بن عربي الطائي الصوفي الحلولي، دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن، ١٣٦٧هـ.

٥٣٢-**يحيى بن معين وكتابه التاريخ**، لأحمد محمد نور سيف، جامعة الملك عبد العزيز، مكتبة المكرمية، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.

٥٣٣-**اليمانيات المسلولة**، للعلامة الشيخ زين العابدين بن يوسف الكوراني، تحقيق ودراسة: د/ المرابط محمد يسلم المجتبى، مكتبة الإمام البخاري، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

وغيرها من المصادر التي لم يتسن لي تسجيلها في سجل المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات